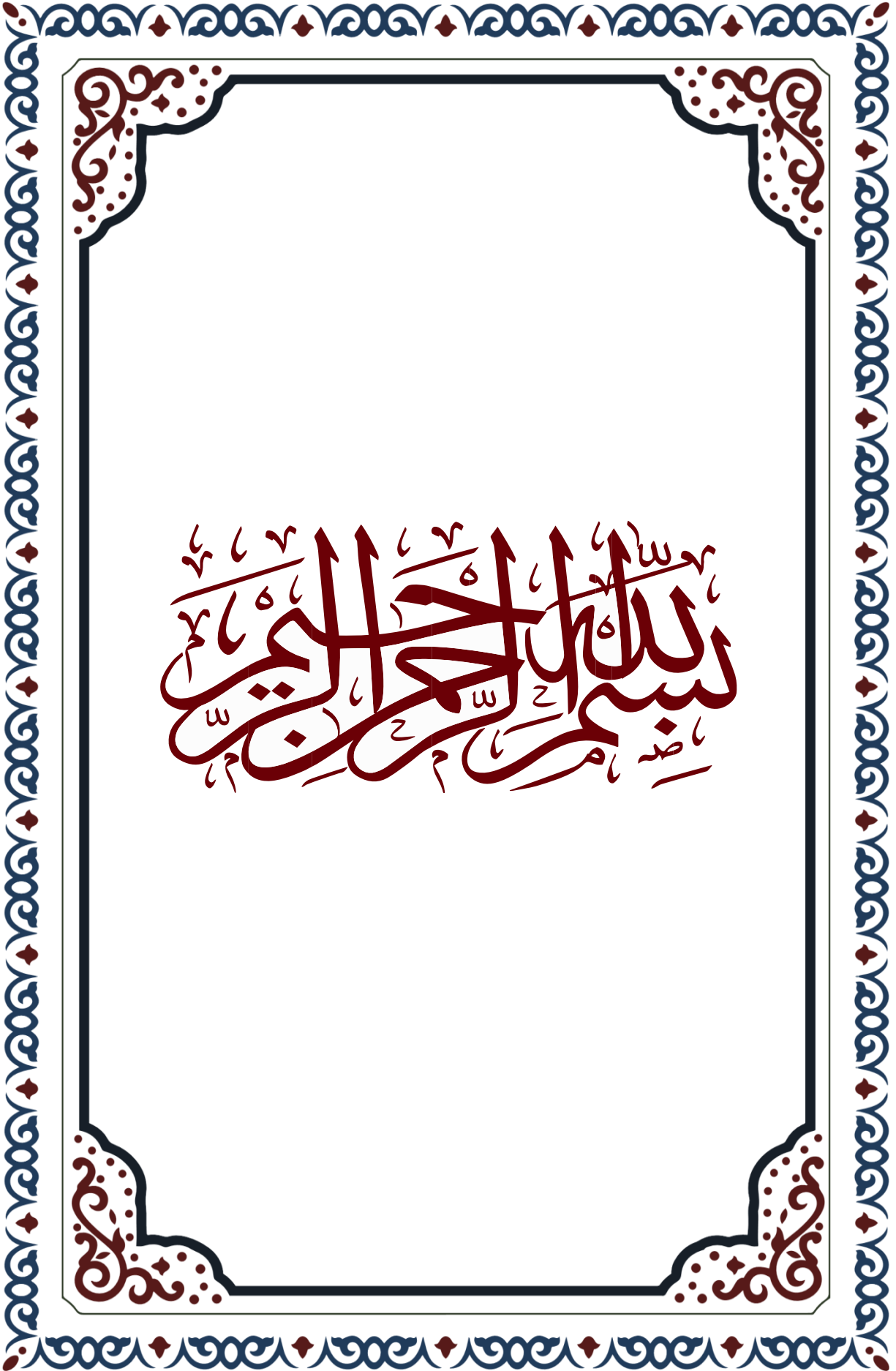


٤

الدروس
الرمضانية

لفضيلة الشيخ
عبد الله بن صالح بن محمد القصير
حفظه الله

النسخة الأولى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل طول العمر على الطاعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر جامع الشيخ فهد العويضة رَحِمَهُ اللهُ بِحَيِّ الواحة بالرياض، أن يُقدِّم هذه الباقة الطيبة من كلماتِ رمضانِ لفضيلة الشيخ عبد الله بن صالح القصير، ألقاها في الجامع أثناء شهر رمضان المبارك في الأعوام الماضية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله الذي فسح في الآجال ومدَّ في الأعمار حتى بلغنا رمضان، ونسأله -جلَّ وعلا- بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يوفقنا لصالح الأقوال والأخلاق والأعمال، وأن يعفو ويتجاوز عن التقصير والإهمال، وأن يُعتق الجميع من النار، ويورثهم الفردوس الأعلى مع الأخيار، ووالديهم، ومشايخهم، وأزواجهم، وذرياتهم، وأحبابهم فيه بوجهه الكريم.

إخوتي في الله: جاء في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أَسْلَمَ رَجُلَانِ، فَنَزَلَ عِنْدِي، فَعَاشَ أَحَدُهُمَا سَنَةً ثُمَّ قُتِلَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَاشَ الْآخَرُ بَعْدَ صَاحِبِهِ سَنَةً ثُمَّ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنَّ الَّذِي عَلَى فِرَاشِهِ أَرْفَعُ دَرَجَةً مِنْ صَاحِبِهِ، فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَدْ صَلَّى كَذَا؟ أَلَيْسَ قَدْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ؟» وعدَّد له ﷺ من خصال الخير الذي أدركها المتأخر بعد المتقدم وإن كان مات شهيداً في سبيل الله.

مما يدل على أن فسح الأجل، والتمكين لصالح العمل، من جليل نعم الله ﷻ، ولذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنَ لَا يَزِيدُهُ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا»، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ»، وقال ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأَعِلا فليقل: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»، أي يسلم الأمر لله ﷻ، ويجعل الاختيار له ﷻ، والله تعالى رؤوفٌ بعباده، ولطيفٌ بعبده.

إخوتي في الله: شهر رمضان شهرٌ شريف، اختصه الله ﷻ بجملة خصائص تدل على عِظَم شأنه عنده ﷻ، فمن تلك الخصائص:

أن الله - جَلَّ وعلا- جعله وقتاً لأداء فريضة الصيام، وإذا كان الصوم له منزلة عند الله - جَلَّ وعلا- خاصة، كما في الحديث القدسي الصحيح أن الله ﷻ يقول: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي».

فإذا وقع الصوم في شهر اختاره الله ﷻ له، فناهيك بالفضل الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ؛ لأن العمل يشرف بشرفه، نفس العمل إذا كان شريفاً، فإذا انضم إلى ذلك شرف الزمان، زاد فضل العمل وعظم فضله عند الله - جَلَّ وعلا-، ولذا قال سبحانه ممتناً على العباد: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

يعني فرض عليكم الصيام من أجل التقوى، أن يحقق لكم التقوى، وذكر فضله على من كان قبلنا لترغيب وقعه على النفوس، وأن الصيام عبادة حتمية جعلها الله ﷻ لجميع الأمم، لعظم شأن تلك العبادة.

ثم قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فجعل الصيام الفريضة شهر رمضان، ليوثق العبادة موقعها اللائق بها، في زمانها اللائق بها وهو شهر رمضان؛ فالصوم في أي وقت له عند الله ﷻ مزية وخصوصية، ولكن لصوم رمضان خصوصية أخرى؛ لأنه يقع في وقته المحتوم عند الله - جَلَّ وعلا-.

كذلكم فإن مما اختص الله ﷻ به شهر رمضان أن الله تعالى اختاره ظرفاً لنزول القرآن

كما:

• قال -جلّ وعلا-: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ

الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥].

• وقال -جلّ وعلا-: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١].

• وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [الدخان: ٣].

فابتداء نزول القرآن كان ليلة القدر من رمضان، أول ما نزل من القرآن ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق ١-٥].

هذه البوادر من القرآن نزلت ليلة القدر، أول ابتداء نزول القرآن ليلة القدر من رمضان.

كذلك نزول القرآن إنزاله من الله -جلّ وعلا- جملةً واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا كان أيضًا في ليلة القدر في رمضان.

كذلك أن القرآن نزل بشأن شهر رمضان، فتضمّن القرآن جملة أحكام الصيام، كما تضمّن جمل أحكام العبادات الأخرى، ولذلك تجد أحكامًا مفصلة حكيمة تتعلق بالصيام

ابتداء من قوله -جلّ وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣] الآيات إلى قوله ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧].

فهذا دليل على الارتباط الوثيق بين الصيام والقرآن، وهما من شأن شهر رمضان،

فالصيام فريضة في رمضان، ونزول القرآن في رمضان، وكما الانتفاع في رمضان في رمضان

أيضًا، فهذا دليل على الخصوصية، خصوصية هذا الشهر العظيم.

كذلكم من خصوصياته: أن الله -جلّ وعلا- جعله وقتًا لإجابة الدعاء، في ليله ونهاره،

ولهذا -والله أعلم- ساق ربنا -جلّ وعلا- قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي

قَرِيبٌ أَجِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانَ فَلَيْسَتْ جِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾
[البقرة: ١٨٦]، ساقها في ثنايا آيات الصيام، التي فيها جُلُّ أحكام الصيام.

ودلَّ ذلك على أن قراءة القرآن من أفعال الصائم، وعلى أن الدعاء من أفعال الصائم، وكم في القرآن من الأدعية الجوامع لمطالب الدنيا والآخرة، من وله إلى آخره، كل دعوة معقبة بذكر إجابتها، والتنصيص على إجابتها، ليفتح الطريق أمام المسلم أن يدعو الله عَلَيْكَ بِمَا يناسب حاله من تلك الدعوات، ويوقن بإجابة الله عَلَيْكَ لدعائه.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح: **«مِنَ الَّذِينَ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُم: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ أَوْ حِينَ يُفْطِرُ»**؛ فالصائم يُستجاب دعائه في نهار رمضان لصيامه، وفي ليل رمضان لقيامه، وفي الوقتين لتلاوته للقرآن.

فشهر رمضان ظرفٌ مباركٌ يستجاب فيه الدعاء في جميع أنائه، وأجزائه من ليلٍ أو نهار، وخصوصاً إذا كان الدعاء عند مناسبة تلاوة دعوة في القرآن، أو فيما بين الأذان والإقامة، أو في السجود، أو دُبر الصلوات المكتوبات، أو في التشهد الأخير من أي صلاة، أو في الاستغفار، أو في ثلث الليل الآخر إلى غير ذلك، أو في طرفي النهار، وعند النوم من الأوقات التي جاءت في السنة ببيان مشروعية الدعاء فيها، وذكر نماذج من الدعوات المباركات التي ينبغي أن ينهج بها المسلم تعبداً لله عَلَيْكَ، وثناءً عليه، وإنزالاً للحاجة به، وثقةً بإجابته عَلَيْكَ للدعاء.

كذلك من خصائص رمضان أن الله عَلَيْكَ جعل فيه ليلة القدر، فهذه الليلة ليلة القدر ليلة

عظيمة كما وصفها الله عَلَيْكَ بأنها مباركة، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤]، ﴿سَلَامٌ

هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٥].

وهي ليلة لها شأن عند الله ﷻ، «وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»؛ فهي ليلة عوض الله -جلّ وعلا- بها هذه الأمة عن قصر أعمارها، فتدرك بهذه الليلة من الأعمال الصالحة، والعطايا الجليلة، والهبات الجزيلة من الرب الرؤوف الرحيم ما لم يدركه الأولون من الأمم في أعمارهم الطويلة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]، فهذه من خصائص شهر رمضان لا توجد إلا فيه.

كذلكم أن الله -جلّ وعلا- يُعْتِقُ في كل ليلة من رمضان جموعاً غفيرة من خلقه من النار، ثم يعتق ﷻ في الليلة الأخيرة مثلما أعتق من أوله إلى آخره، فهو موسم عِتْقٍ من النار، وهكذا يجتمع للمسلم في رمضان من خصال البر وأنواع الإحسان ما ترتفع به درجته ويعلو به مقامه عند الله -جلّ وعلا-، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أزدَدَتْ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً»، قال -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ».

فهذا كله يدل على فضل الله -جلّ وعلا- على عباده وحسن اختياره لهم، وأنه -تبارك وتعالى- يخلق ما يشاء ويختار، فاختار لهذه الأمة هذا الشهر العظيم، والزمن الشريف لهذه العبادات الجليلة، ولما فيها من الخصال والهبات الجزيلة، ولذا جاء في الحديث بمحلوّف رسول الله ﷺ: «مَا مَرَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ خَيْرَ لَهُمْ مِنْهُ».

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وسلك بنا سبيله للتقى، وجعلنا مباركين أينما كنا، وأنجانا من نار تلظى، وأورثنا الفردوس الأعلى بوجهه الكريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



خصائص شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فقد قال الله -جلّ وعلا-: **فَبَشِّرْ عِبَادِي ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ**

الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر: ١٨]، جعلنا الله وإياكم منهم، وقال النبي ﷺ: **«يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفُرُوا»**.

وإن مما تبشرون به ويُبشّر به كل مسلم ما ادّخره الله ﷻ لهذه الأمة في هذا الشهر الكريم من أنواع الكرامة، ومزيد الفضائل، وأسباب علو الدرجة، وحط الخطيئة، وكثرة الحسنات، وبلوغ المنازل العالية في الجنة.

أول خصيصة لهذا الشهر: أن الله -جلّ وعلا- جعله ظرفاً لفريضة الصيام، ووقتاً لفريضة الصيام، فإن الله تعالى **﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾** [القصص: ٦٨]، فكما اختار الله -جلّ وعلا- محمداً ﷺ من بين الناس بختم نبوته ورسالته، واختار الله ﷻ اللغة العربية لتكون لغة القرآن، واختار الله تعالى هذه الأمة لتلك الشريعة الخالدة، اختار الله -جلّ وعلا- شهر رمضان ليكون وقتاً لفريضة الصيام.

فأداء الصيام في هذا الشهر الكريم أحب شيء إلى الله ﷻ، أحب الصوم إلى الله -جلّ وعلا-، لما في الحديث القدسي الصحيح: أن الله تعالى يقول: **«وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»**، فالتقرب إلى الله ﷻ بالفريضة في زمانها وكيفيتها أحب شيء إلى الله -جلّ وعلا-.

ولذا أكد النبي ﷺ خصيصة هذا الشهر حيث سماه سيد الشهور، وقال بمحلولوف رسول الله ﷺ: **«مَا مَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ قَطُّ خَيْرَ لَهُمْ مِنْهُ»**، فدل ذلك على خصوصيته.

وما صام النبي ﷺ شهر كاملاً قط إلا رمضان، مما يدل على مكانته في الشرع، وخصوصيته في هذه العبادة العظيمة، التي هي حبيبة إلى الله ﷻ، كما في الحديث القدسي يقول الله -جلّ وعلا-: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ»، وكان النبي ﷺ يُزَيِّنُ عمله بالصوم لعرضه على الله ﷻ يوم الاثنين والخميس.

ثم إن النبي ﷺ أخبر عن هذا الشهر فقال: «شَهْرٌ مُبَارَكٌ»، وفي رواية: «شَهْرٌ بَرَكَةٌ»، والبركة كثرة الخير؛ يعني أنه شهر كثير خيره لهذه الأمة، وعظيم برّه.

ولذا أخبر الله -جلّ وعلا- عن شيءٍ مما اختص الله تعالى هذه الأمة به في هذا الشهر الكريم، من ذلك قوله ﷻ: «لِخُلُوفٍ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»، في ذكر الخصائص التي اختصت به هذه الأمة من غيرها من الأمم.

- ومن ذلك قوله ﷻ: «وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطَرُوا».

- ومن ذلك قوله ﷻ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحْتُّ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ»، نسأل الله الجنة.

- ومن ذلك قوله ﷻ: «وَعُغِّلَتْ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ»، نعوذ بالله من النار.

- وفي حديث آخر قال: «فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ»؛ بمعنى أن العمل يرفع، والذكر يُسمع، والدعاء يُستجاب.

- ومن ذلك أنه ﷻ أخبر أن «الْفَرِيضَةُ فِيهِ تَعْدُلُ سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَأَنَّ النَّافِلَةَ فِيهِ

تَعْدُلُ فَرِيضَةً»، والمعنى أنه يُضاعف العمل كما يُضاعف الأجر ثواباً من الله ﷻ.

- ومن ذلك قوله ﷻ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ».

- ومن ذلك إخباره ﷻ أن الصائم له دعوة عند فطره، وأنه يفرح بطاعة ربه، بكمال طاعته

لربه -جلّ وعلا-، وأن الله منّ عليه فأكمل اليوم صائماً وحلّ له ما حرم عليه في نهار الصيام،

وهذا من الفرح في طاعة الله، ومن الفرح بنعمة الله ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

- ومن ذلك إخباره ﷺ أن الصائم في رمضان دعوته لا تُرد؛ يعني في الليل والنهار يُستجاب له.

- ومن ذلك أن الله ﷻ خصَّه بإنزال القرآن، وهذا تنبيه على الصلة الوثيقة بين القرآن ورمضان.

- ومن ذلك إخباره ﷺ أن فيه ليلة القدر؛ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، جعلنا الله وإياكم من الفائزين بهذا كله.

- ومن ذلك إخباره -عليه الصلاة والسلام- أيضًا بأنه يُغفر للمسلمين في كل ليلة من ليالي رمضان، وفي آخر ليلة يغفر الله ﷻ مثلما غفر من أول الشهر إلى آخره. كل هذه خصائص، كل هذه كرامات، كل هذه ذخيرة لهذه الأمة.

- ومن ذلك أن الله ﷻ عتقنا من النار في كل ليلة، ويُعتق في آخر الليلة مثلما أعتق من أول الشهر إلى آخره، وهكذا تتنوع خصال الخير فيه، وتيسر الطاعة، ويسهل البر فيه حتى أن الشياطين تُغل عن الصالحين، فلا يخرصون إلا ما كان يخرص عليه من قبل، وهذا من إعانة الله -جلّ وعلا- للصوام، والقوام، وأهل القرآن.

- ومن ذلك ما أخبر الله ﷻ أنه يغشاكم فيه، فيحط الخطايا، يعني في كل وقت يحط الخطايا، ويرفع الدرجات.

- ومن ذلك ما أخبر به النبي ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»، يباهي بالصوام والقوام، قال: «فَارُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا»؛ يعني أظهروا الرغبة فيما عند الله ﷻ.

قد ينظر إلى تنافسكم فيه، فتنافسوا فيه، والتنافس هو المسابقة، كل واحد يحرص أن يكون أسبق من الآخر إلى ما يحب الله ورسوله، فهو شهر يُعوّض المسلم فيه ما فاتته خلال الشهور السابقة، أحد عشر شهرًا، فيستدرك ما فاتته، ويأخذ منه زادًا للسنة القادمة؛ لأنه يترسّخ الخير في نفسه؛ حب الصلاة، وطول الصلاة، وكثرة الصلاة، وكثرة الصدقة والإنفاق، كثرة تلاوة القرآن، كثرة الذكر والثناء على الله ﷻ بما هو أهله من التسبيح، والتقديس، والتحميد، والتهليل، والتكبير، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، والاستغفار.

كذلك أيضًا كثرة الإحسان وجوه البر والخير، وأن الإنسان ينوع إحسانه؛ تارة يتصدق، وتارة يأمر بالمعروف، وتارة ينهى عن المنكر، وتارة يدعو إلى الله، وتارة يصل الرحم، وتارة يحسن للمحتاج، فيتنوع الخير ويكثر.

فهذا كله يُرسّخ سجايا الخير في النفس، بحيث أن الإنسان يأخذ من هذا الشهر قوه لإيمانه، وقوة لجوارحه على الطاعة، وحب برّه للخير وخصال الخير، وبغض للشر وخصال الشر وأهل الشر، بحيث يكون معه زاد يُوصّله بإذن الله إن عاش للشهر القادم في العام القادم. فهذا من نعم الله -جلّ وعلا-، وهو بمثابة اصطلاح المتأخرين في هذا، دورة مكثفة يتجدّد به النشاط، وتقوى به العزيمة، ويتحقق به الإيمان، ويتنصر المرء على الشيطان، ويظهر الخير كله حتى يقتدى به، يكون له مثل ما يقتدى به؛ «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»، «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

ولذلك هذه الخصائص والخصال يُدرّك جُلّها بالتعاون، الناس يتناظرون ويتبارون ويتنافسون، ويُذكّر الذاكر الغافل، ويُعلّم المتعلّم الجاهل، ويأخذ النشيط على يد المتكاسل، بحيث تتوافر الهمة والجهود ويصبح المسلمون قالبًا واحدًا، ما يرضون أن أحدًا منهم يكون كسيل، وحسير، وخاسر وهو بين المسلمين:

• أول ذلك: الأب والأم في بيتهما يُنشِطون أهل البيت، ويذكرونهم، ويعينونهم، وييسرون لهم الخير، ويرغبونهم فيه.

• ومن ذلك: مسؤولية إمام المسجد، وطالب العلم في المسجد، والجار مع جاره، وهكذا.

فهذا الشهر فيه خصائص كثيرة، حتى قال النبي ﷺ يعني بعد ما عدد مما سمعتم وغيره كثير، قال: «لَوْ تَعَلَّمُ أُمَّتِي مَا فِي رَمَضَانَ لَأَحَبَّتْ أَنْ تَكُونَ السَّنَةَ كُلَّهَا رَمَضَانَ»، فهنيئًا للمسلمين هذا هنيئًا للمسلمين، ما حصل هذا لأمة من الأمم تيسير العبادة، وتوفير الأجر، وتكثير خصال الخير مثلما جعل الله لهذه الأمة؛ لأن الله تعالى أراد لها الخير وأراد لها أن تكون أكثر أهل الجنة؛ فإن هذه الأمة يوم القيامة ثلثا أهل الجنة، جعلنا الله وإياكم منها. ويدخل الجنة من هذه الأمة سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب، يدخلون صفاً واحداً ما يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، جعلنا الله وإياكم منهم، وأعطى الله نبيه محمد ﷺ بكرامته مع كل ألف سبعين ألفاً، انظروا كيف!

والله يا إخواني الإنسان سمع مثل هذه الأمور أنه يستحي من الله ويخجل منه، ويقول: لو أجلس في هذا المسجد وأكون عاموداً من أعمدته ليل ونهار، ما قابلت هذه النعمة بما يليق بها، وهذا التفضيل بما يليق به.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجعلنا جميعاً مبارکین أينما كنا. وأن يرزقنا الإخلاص لوجهه، وحسن اتباع نبيه ﷺ في الصيام والقيام وسائر الأعمال فيما نأتي وما نذر.

وَأَنْ يُعْظَمَ أَجُورُنَا، وَيَرْفَعَ دَرَجَاتُنَا، وَيُكْفَرَ سَيِّئَاتُنَا، وَيُضَاعَفَ حَسَنَاتُنَا، وَيُحَرِّمَنَا عَلَى
النَّارِ، وَيُورِثَنَا الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى مَعَ الْأَخْيَارِ، وَوَالِدِينَا، وَمَشَايخِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا،
وَأَحِبَّابِنَا.



شروط فرضية صيام رمضان

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فإنه إذا ذُكر شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، والي فرض الله تعالى على من شهده وهو حاضرٌ مقيم، صحيحٌ قادر، وسالم من الموانع، البالغ المكلّف أن يصومه؛ لأنه يقترن به ذكر القيام.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، وفي نفس الحديث قال -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، نسأل الله الكريم من فضله، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من صوّامه وقوّامه المحسنين المخلصين.

فصار قيام الليل عديل الصيام في النصوص الشرعية، وكان أول مقدم النبي ﷺ للمدينة مهاجرًا كان من كلامه أن قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»، أول ما طرق اسمع الناس من النبي ﷺ بعد قدومه هذه الوصية العظيمة؛ «صَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

والأصل في صلاة قيام الليل في رمضان: ترغيب النبي ﷺ فيها، أنه أخبر أن الله تعالى جعل الصيام في نهار رمضان فريضة، وأنه ﷺ سنّ للأمة قيامه تطوعًا، وتزوّدًا إلى الله ﷻ، وتقربًا إلى الله ﷻ بما يحبه.

فكان ﷺ لما اعتكف في المسجد ولا غالب صلاة النبي ﷺ النافلة في بيته ما يراه إلا أهله، حتى كانت السنن الرواتب في الفجر والمغرب والعشاء وربما الظهر قبل الصلاة يصلّيها في

بيته، وأخبر أن «أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»، لكنه لما اعتكف ﷺ وصلى في معتكفه، وكان له حجيرة في المسجد فاعتكف فيها من سَعَفِ النخل.

فلما قام يصلي آخر الليل، رآه رجال من الصحابة (رضي الله عنهم)، فأتوا به وأقرهم على الإتمام، فصلّى ما كتبه الله له وهم يصلون معه، فلما صار من الليلة المقبلة وقد تسامع الناس بذلك ازداد عدد الناس.

فلما صارت الليلة الثالثة غصّ المسجد بأهله، ضاق من الناس، فلما صار الرابع لم يخرج ﷺ، لم يظهر نفسه، خشي أن تفرض عليهم فلا يطيقونها، وهذا من رحمته ورأفته - عليه الصلاة والسلام - بالأمة.

فالنبي ﷺ هو الذي استنّ صلاة الليل في رمضان، فعلاً وقولاً وإقراراً، وبناءً عليه أن النبي ﷺ ترك الصلاة من الرابعة، عرفوا أنهم ما يجتمعون لها حتى لا تُفرض، وأيام الصديق (رضي الله عنه) كانت قليلة بعد النبي ﷺ، فكان في جهاد المرتدين، ثم لما جاء عمر وضرب الإسلام بجرانه، جمع الناس على أبي بن كعب وتميم الداري (رضي الله عنه) في المساجد يصلون الليل فيها.

فهذه الصلاة عظيمة، وكلما كانت بعد نوم وفي آخر الليل أفضل؛ لأن التهجد هو الصلاة بعد النوم، هذا أصل الصلاة الكريمة، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ ولأن آخر الليل يوافق وقت النزول الإلهي، نزول الله -

جلّ وعلا - على ما يوافق جلاله وعظمته إلى السماء الدنيا آخر الليل وينادي: «هَلْ

مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ»، فكانت صلاة آخر

الليل أفضل من صلاة أول الليل.

لكن عمر رضي الله عنه جمع الناس أول الليل؛ لأن هذا أيسر على الناس؛ ولأن من أراد أن يزيد ويحب صلاة آخر الليل يمكنه هذا خاصًا به هو، لكن غاية الشعيرة وإعلان السنة ما يتأتى إلا أول الليل؛ ليعرف الناس، ويتعلم الجاهل، وتظهر الشعيرة، ويعرف الناس شأن القيام. ولهذا الإنسان اللي يصلي مع الأئمة الآن نصف ساعة، نصف وخمس، ساعة إلا ربع، ما ينبغي له أن يقتصر على الصلاة مع الأئمة، وإن كان يحصل فيها خير، وكان من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة، لكن لماذا تحرم نفسك وأنت قادر عندك فرصة؟ هل رأيتم أحدًا خرج من القبر حتى يلحق صلاة الليل؟ ما فيه.

والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «**الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ**»، «**النَّاسُ مُسْتَقْبَلٌ وَمُسْتَكْبَرٌ**»، **مُيسَّرٌ**، كثير من الأمور تشتري بالفلوس لكن الصلاة لأ، خذ حظك منها، وقد قال الله -جلَّ وعلا-، بل قال النبي ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»، وقرأوا إن شئتم قول الله -جلَّ وعلا-: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٧].

هذه الآية هذا الوعد الكريم مسبق بعمل، ما هو؟ ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [السجدة: ١٦]، يجمعون بين صلاة الليل وبين الصدقة الخفية مثل صلاة الليل.

ولهذا سنمر بالآية هذه نظرة كيف؟ هذا الوعد الكريم على عمل مجاهدة للنفس، وأوجب التجافي عن المضاجع أنك تتجافى عن النوم قبل صلاة العشاء حتى ما تفوتك الصلاة؛ لأن النوم قبلها مظنة التفريط فيها، ولذلك كان النبي ﷺ يكره النوم قبل صلاة الفجر، ويكره السهر بعدها، إلا لما لا بُدَّ منه؛ مسامرة الأهل أو مع الضيف أو لأمر المسلمين، أو مصلحة، أو غير ذلك؛ لأن السهر بعد العشاء مظنة التفريط في صلاة الفجر.

فالتجافي الواجب هو هذا؛ التجافي عن الفراش عن النوم من أجل الحفظ للفريضة، صلاة العشاء، وصلاة الفجر.

والتجافي المتطوع الذي فيه أجر عظيم ومكمل للفريضة هو أن الإنسان يقوم ما شاء الله من الليل، يترك الفراش الوثير ويترك الراحة وكذا، ويتوضأ يعالج الماء بالشتاء، ويعالج الحر بالصيف ويصلي، يطلب من الله ﷻ.

وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا**»، وأخبر **«أَنَّهُمْ يَتَرَاءَوْنَهَا كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفُقِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يُبْلَغُهَا غَيْرُهُمْ»**؛ يعني هذه خاصة بالأنبياء والمرسلين والنبیین؟ **«قَالَ: لَا، هِيَ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»**، أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-.

فدل ذلك على عظم شأن الصلاة صلاة الليل، وأنها دأب الصالحين من قبلنا، ولهذا ذكر الله ﷻ عن قبلنا الصلاة صلاة الليل فهي دأب الصالحين، وسنة النبي ﷺ، وسنة السلف الصالح من هذه الأمة، والأخيار من بعدهم إلى يومنا هذا.

ولما سئل النبي ﷺ عن رجل نام حتى الفجر يعني ما صلى من الليل، قال: **«ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانَ فِي أُذُنِهِ»**، فصلاة الليل أمرها عظيم، وأجرها كثير وكبير، وأثرها في صلاح القلب ورقته لا يُنكر، وأثرها في محبة الإحسان للخلق وابتغاء وجه الحق أيضاً كذلك.

ولهذا قرن الله الصلاة بالصدقة، فالصلاة عمل قاصر على الشخص، لكن الصدقة عمل متعدي، والله قرن بينهما؛

- ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ -

﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦)

[السجدة: ١٦].

فأمر قيام الليل أمرٌ عظيم، وهي سنة - والله الحمد- بقيت في الأمة إلى يومنا هذا، وهي محببة لنفوس الصالحين، وفيها أنس ولذة، وليس في الدنيا أشرف وألذ وأحسن من أنك تناجي الله ﷻ بكلامه، وما رفع الله أقدار من رفعهم في منازل الجنة العالية إلا لأنهم يتقربون إلى الله ﷻ بكلامه وبطاعته، بين الثناء، وبين الدعاء، وبين تلاوة كلامه ﷻ.

وهذا حال المصلي يجمع بين أشرف الأقوال وهو القرآن، وأكمل الأحوال وهو السجود والخضوع والركوع، السجود لله -جلّ وعلا-، وبين الإقبال على الله ﷻ، فالمصلي ما عنده شغل ثاني إلا أنه بين يدي ربه، يعني إذا صلى فهو بين يدي ربه، وأن الله ينظر إليه، ولهذا هو في غاية الأدب، ما يعبث، ولا يلتفت، ولا يشرب شيء.

فصلاة الليل شأنها عظيم، وهذا الذي تصلونه مع الأئمة خير كثير من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة، لكن أيضاً تجدون اللذة في صلاة الإنسان وحده، أو صلاته بأهله، أو بأولاده، تجد لذة أكثر؛ لأنه أخفى؛ ولأنها فيها تنشئة على الصلاح وفيها تهية، وفيها إصلاح للبيت، ونور للبيت، «فَجَعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ مِنْ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي الْبَيْتِ نُورًا»، قال -عليه الصلاة والسلام-: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، «لَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، لا تقطعوها من صلاتكم وتحرموها من صلاتكم، فتشبهوها بالقبور.

فينبغي للإنسان أن يغتنم الفرصة، أنت صحيح صحيح معافيك الله، وآمن، ومرزوق، ومرغد العيش، فصلي مع الإمام، واحمد الله، واذكره، وأثنى عليه، وتقرب إليه ﷻ، واشكره على هذه التهية، وهذه الإعانة، وهذا النشاط اللي يسرك له الله، أنك مع الناس وبين الناس

والحمد لله، وإذا ذهبت إلى بيتك واستأنست مع أهلك وكذا، وأردت أن تأوي إلى فراشك، فتوضأ وصلّي ما كتب الله لك، وإذا أردت أن تقوم للسحور أيضاً قدّم نصف ساعة أو ساعة إلا ربع وقم واذكر الله ﷻ.

فإن النبي ﷺ صلى من أول الليل وأوسط وآخره، وانتهى وتره إلى السحر، بل كان ﷺ أحياناً إذا دخل البيت يصلي السنة الراتبة فقط للعشاء، إذا دخل البيت يصلي السنة الراتبة فقط ثم ينام، ثم يقوم أول الليل اللي يسمونه الناس الحين وقت العشاء، الساعة ١١ أو عشرة ونصف، إذا سمع الصارخ سمع الديك يقوم لصلاة الليل، فيصلّي ما كتب الله له جزء من الليل، ثم ينام، ثم يقوم ويتوضأ وينظر في السماء ويقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخره، ثم يصلي ما شاء الله، ثم ينام، ثم يقوم وينظر في السماء، ويتوضأ، ويقرأ، ويصلي، يفعل ذلك ثلاث مرات، أربع مرات.

ويوم صلى بالصحابة -رضي الله عنهم-، كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وخشوا أن يفوتهم السحور من طول صلاة الليل، ومن تأخيره إلى قريب من الفجر، فهذه من نعم الله ﷻ، وما فيه ألد ما في الدنيا ولا الآخرة ألد من العبادة، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، فما تلذذ المتلذذون، وما تنعم المتنعّمون في الدنيا والآخرة بمثل عبادة الله -جلّ وعلا-.

قال بعض السلف: (إنه لتمر بي لحظات أقول: إن كان أهل الجنة فيما أنا فيه من النعيم إنهم لفي نعيم).

وقال آخر: (إن في الدنيا جنة لا يدخل جنة الآخرة إلا من دخلها، جنة الذكر ومناجاة الله -جلّ وعلا- وعبوديته)، فأشرف نعيم أهل الجنة -جعلنا الله وإياكم منهم - شيئان:

• الأول: النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا أعظم أسباب الفوز بها الصلاة.

• والثاني: التلذذ بمناجاة الله ﷻ بالتسبيح، والتحميد، والتذكير.

فما تنعم أهل الجنة - جعلنا الله وإياكم منهم - بشيء أعظم من هذا، النظر إلى وجه الله الكريم ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۚ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] والتلذذ بذكره وتسبيحه ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۗ ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

فلذلك المسلم الصائم اللي من الله عليه أنه فسح في أجله ومد في عمره يتخذ من هذا الشهر منهج وهدف أنه تتوثق الصلة بينه وبين صلاة الليل، تتوثق بحيث أنه ما يطلع من الشهر إلا وهو أحب عليه من سمعه وبصره، وحتى تبقى ما يتمتع بها إلى رمضان الجاي، فإذا جاء رمضان الجاي وقد صابه شيء من الفتور وإذا هو قد جاء رمضان جدد النشاط، وهذه من حكمة الله في تشريعه أنه جعل رمضان يتكرر كل سنة من أجل هذا، حتى يتجدد النشاط بعد الفتور والكسل والملل.

لكن أعط العباد حقا الآن ليبقى معك زاد، وهذا من فضل الله على عباده، والنصوص لسنا بصدد قراءة النصوص من الآيات والأحاديث كثيرة ومعلومة وشهيرة في هذا، لكن التذكير على الفكرة نفسها، الإنسان يكون عنده فكرة يسعى إلى تحقيقها، وهدف يسعى إلى بلوغه:

فتشبهوا وإن لم تكونوا إن التشبه بالكرام فلاح

أو قال صلاح، وهذا منهج السلف ودينهم صلاة الليل، كانوا رهبانا بالليل، وفرسان بالنهار - رضي الله عنهم وأرضاهم -.



تعريف الصيام وحقائقه

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله

وصحبه. أما بعد:

فتتناول في حديثنا هذه اللحظات إن شاء الله تعالى ثلاث فقرات:

الأولى: تعريف الصيام.

والثانية: عم يصام؟

والثالثة: من الذي يجب عليه الصيام؟

فالصيام في اللغة هو: الإمساك عن الشيء مطلقاً؛ عن الأكل، وعن الشرب، وعن الكلام،

وغير ذلك، كما قال الشاعر:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَبَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ

فالصيام هي التي لا تعلق العلاك، ولا تعلق اللجم، والتي تعلق غير صائمة.

وفي الاصطلاح الشرع هو: الإمساك عن الأكل والشرب وغيرهما من المفطرات بنية

الصوم، فرضاً أو نفلاً تقرباً إلى الله ﷻ، فينوي العمل وينوي المعمول له، من طلوع الفجر

الثاني وهو المعترض من الشمال إلى الجنوب إلى غروب الشمس؛ يعني الإمساك وقت

النهار، فهذا تعريف الصيام: يعني الإمساك عن المفطرات بنية العمل، بنية الصوم، ما هو بنية

الريجيم، لأ بنية الصوم.

الشيء الثاني: نية العمل أيضاً نية الفرض ألقاء رمضان يعني القضاء، النفل، الإثنين،

الخميس، يوم عرفة، تاسوعة وعاشوراء، لا بد أن يحدد النية.

والثاني: نية المعمول له وهو الله -جلّ وعلا- أن ينوي الصوم تقرباً إلى الله -سبحانه

وتعالى-.

عم يصام؟

يصام عن الأكل والشرب، والجماع، ونحوهما من المفطرات، فالأكل، والشرب، والجماع منصوص عليها في القرآن كما قال تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ يعني إتيان نسائكم، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ فذكر -جلّ وعلا- هنا ثلاثة أشياء من المفطرات: الأكل، والشرب، والجماع.

مما في حكم الأكل والشرب ويلحق به: الأشياء الأخرى التي تدخل الجوف، المغذيات؛ الإبر المغذية، والمحاليل المغذية، وكل ما اشتمل على الماء ومواد أخرى، كل هذا يمنع دخوله سواءً من الفم، أو من الأذن، أو من الوريد، إذا كان مشتملاً على الماء فهذا له حكم المغذي؛ لأن الماء مغذي، هذا يلحق بالأكل والشرب حكماً؛ لأنه في معنى الأكل والشرب، فصار عندنا أربعة.

ويلحق بالجماع كذلك إنزال المنى اختياراً، بتفكير، أو معالجة أو نحو ذلك يعني قصداً، فهذا أيضاً مفطر بالإجماع، وهذا يدخل في الرفث، ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] معناها أنه ممنوع نهائياً فلا يسترسل الإنسان وراء التفكير، ولا تنظر إلى الأشياء المثيرة التي تؤدي إلى هذا.

أما كونه يحتلم وهو نائم، فهذا غير قصد، فصار عندنا خمس مفطرات. كذلك تعمّد القيء أن الإنسان يستفرغ، يضع إصبعه في فيه، أو يتعاطى شيء يجعله يستفرغ يخرج ما في جوفه قصداً، فهذا يفطر وعليه القضاء مثل المفطرات الأخرى؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن «مَنْ اسْتَقَاءَ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَمَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ»، من غلبه القيء فلا قضاء عليه.

كذلك من المفطرات: الحيض والنفاس بحق المرأة؛ لأنه يضعف الجسم، قوة تخرج من الجسم تضعفه، ولذلك لا يصح منهما الصيام المرأة الحائض والنفساء، لا يصح منهما الصيام، لا ابتداء الصوم ولو كانت طاهراً ثم صامت، ثم جاءت في نهار الصوم أفطرت حكماً، ولا تؤجر على صيامها لو استمرت، لا تؤجر على إمساكها.

كذلك الحجامة على القول الراجح؛ إخراج الدم من الجسد الدم الكثير، اللي فنجان، فنجانين.

وهكذا التبرع بالدم في نفس المعنى معنى الحجامة، فهو مفطر في نهار الصيام، وإذا احتاج الإنسان إلى التبرع بالدم، فهو يفطر معذور إذا كان لإنقاذ مريض على خطر ولا شيء عليه، مثل ما يريد ينقذ غريق من الماء، أو يطفئ حريق، يفطر ويتعاون بالفطر على المهمة اللي فيها حفظ للنفوس.

هكذا أيضاً إدخال الدم في جوف الإنسان، إذا احتاج إلى عملية مثلاً وأعطي دم هذا بفطر؛ لأنه المقصود من الطعام والشراب قوة الجسم، والدم هو المقصود، هو نتيجة الطعام والشراب، فهو كذلك مفطر أيضاً، حقن الدم في جسم الإنسان.

فهذه سبعة أشياء مفطرة، منها ما هو بالإجماع، ومنها ما هو باتفاق العلماء، ومنها ما هو القول الراجح.

فهذه الأشياء التي يصام عنها، بمعنى يمتنع منها في نهار رمضان، أو في النهار للصائم فرضاً أو نفلاً.

من الذي يجب عليه الصيام؟

الذي يجب عليه الصيام هو:

المسلم، البالغ، العاقل، المقيم، الصحيح، القادر، السالم من الموانع.

فخرج بقولنا: المسلم الكافر فإنه لا صيام له، وهو مطالب بالصوم، ويأثم على ترك الصوم، لكن مطلوب منه قبل ذلك الإسلام؛ لأن التوحيد شرط قبول العمل، أولاً يُسَلِّم ثم يصوم، ما أسلم هو مطالب بالتوحيد، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وجميع أمور الشريعة، يحاسب عليها يوم القيامة، ويُعَذَّبُ عليها، لكنه حال كفره لا يصح منه الصيام، فأولاً يسلم.

المسلم البالغ، فخرج بهذا الصغير، فالصغير الذي لم يبلغ ١٥ سنة، أو لم يُنْبِت الشعر الخشن يعني العانة، أو لم يحتلم، والمرأة تزيد عليها الحيض، فمن لم يحصل له شيء من علامات البلوغ هذه، فإنه لا يجب عليه الصيام، لكن يُؤمَّر بالصيام من باب التربية والتدريب على الطاعة والتنشئة الصالحة، فمن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - جعلنا الله وإياكم منهم -: "شَابُ نَشَأٍ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ" الذكر أو الأنثى.

المسلم، البالغ، العاقل، خرج بهذا المجنون والمغمى عليه؛ لأنه لا قصد له، لا يصح منه القصد، فالمجنون ما عليه صيام، غير مكلف؛ لأن التكليف مناطه العقل، وإذا ذهب العقل خلاص، (إذا أخذ الله ما وهب، سقط ما وجب).

ومثله المغمى عليه طول النهار أو أياماً متوالية، هذا ما يحصل، لو فرضنا أنه صام، ثم أغمى عليه واستمر ما ينفع صيامه؛ لأنه ما عنده قصد، ما عنده نية، فهذا هو الذي ما يجب عليه الصيام، لأنه غير عاقل.

طيب المقيم، فخرج بهذا المسافر، فالمسافر مرخص له بالفطر، وبعض العلماء يوجب عليه الفطر، يقول: هو عزيمة على الفطر، ما هو برخصة، عزيمة في السفر؛ لأن النبي ﷺ لما

رأى الذين صاموا وهم عليهم مشقة قال: «**أُولَئِكَ الْعُصَاةُ**»، والراجح أنه إن شقَّ عليه الصيام فله الفطر، وإن لم يشق عليه فلا بأس أن يصوم، يؤدي الواجب، وتبرأ ذمته، ويغتتم فرصة شرف الزمن، وغير ذلك.

الصحيح، فخرج بهذا المريض، فالمريض الذي يؤثر الصيام عليه، يزيد المرض، أو يبطئ في البرء، فهذا له أن يفطر، أما المرض العارض كالزكام الخفيف، وغير ذلك، فلا مانع، لا يمنع من الصيام.

القادر، فخرج بهذا الضعيف، مثل الرجل الكبير المسن الذي قد ضعف، معه عقله لكن ضعف ولا يرجى أن يشيب مرة أخرى، فهذا عاجز، فهو مقيم، وصحيح، لكن ضعيف ما يتحمل الصيام، ولهذا قال سبحانه: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤]، يعني لا يكلفونه لكبر السن، أو المرض المزمن الذي لا يرجى برؤه، فهذا **يُفْطِرُ وَيُطْعِمُ** عن كل يوم مسكين، هذا لا قضاء عليه.

السالم من الموانع، خرج بهذا المرأة الحائض، والنفساء؛ لأنهما مقيمتان، مسلمتان، بالغتان، عاقلتان، مقيمتان، صحيحتان، قادرتان، لكنهما ممنوعتان من الصوم حال الحيض وحال النفاس.

فهذا هو الذي يجب عليه الصيام: المسلم، البالغ، العاقل، المقيم، الصحيح، القادر، السالم من الموانع، وما هو ضد هذه الأشياء هو إما لا يصح منه الصيام أصلاً، أو أنه يصح لكن في غير الوقت، أو غير ذلك من الأمور التي لها تفصيلات في كتب الفقه.

كما سبق أن الله ﷻ اختار، وهو تعالى ﴿**يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾

﴿[القصص: ٦٨]﴾، اختار - جَلَّ وَعَلَا - أن يكون الصوم في وقته في نهار رمضان، فيجب على من توفرت فيه هذه الشروط الصيام، ولا يجوز له الفطر من غير عذر، وإذا أفطر من غير

عذر فقد عصى الله ورسوله، وارتكب إثماً عظيماً، وموبقةً مهلكة، وجاء في الحديث - وإن كان فيه ضعف-: «**أَنَّهُ لَا يُجْزَأُ صَوْمُ الدَّهْرِ وَإِنْ صَامَهُ**»؛ لأنه فات عليه الوقت.

أفطر اليوم متى يقضي؟ خلاص ما يحصل أن يقضيه في رمضان أبداً، كل سنة رمضان مشغول بفرضه، فإذا سيقضيه في غير رمضان، فيكون أجره أقل من رمضان؛ لأنه غير معذور ومع ذلك يجب عليه القضاء.

بعض الناس يفهمون من الحديث أنه لا يقضيه أبداً، لا يجب عليه القضاء؛ لأن النبي ﷺ قال: «**مَنْ اسْتَقَاءَ فَقَدْ أَفْطَرَ، فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ**»؛ يعني من تقياً أفطر وعليه القضاء، فلم يمنعه النبي ﷺ من القضاء، عليه القضاء، لكن هو عليه أن يتوب.

وكذلك المجامع في نهار رمضان، الذي جاء إلى النبي ﷺ، فقال له: هلكت، قال: ما أهلكك؟ قال: أتيت أهلي وأنا صائم، فأرشدني النبي ﷺ إلى الكفارة، وأمره بالقضاء.

فلذلك المسلم يغتنم الفرصة في أداء الصوم في وقته؛ لأنه كما في الحديث القدسي الصحيح «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»، والله افترض عليك الصوم في وقته، فإذا قضاها في وقته فقد أسبغ الله عليه الإنعام، وخصه بنوع الإكرام، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ**

تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فكون المسلم يعان من أول الشهر إلى آخره أن يصومه كله ما يفطر منه ولا يوم، فهذا نعمة من الله ﷻ خاصة به هو.

ولذلك الفرح بالعيد فرح بإتمام عدة رمضان كاملة في وقته، وأنت ما عليك قضاء، والفرح بأن الله يسر عليك أنك إذا احتجت إلى الفطر، أنك معذور في الفطر وتقضي، هذا كله من معاني الفرح بالعيد، بإتمام العدة، إتمام عدة رمضان، فليعلم هذا:

• يعرف معنى الصيام.

- ويعرف عمَّ يصام؟ ما هي الأشياء التي يصام عنها؟
- ويعرف كذلك من الذي يجب عليه الصيام؟ ومن الذي يُعذر في ترك الصيام؟

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يمنحنا جميعاً الفقه في دينه، وأن يرزقنا الإخلاص لوجهه - سبحانه وتعالى - فيما نأتي وما نذر، وأن يوفقنا لحسن اتباع نبيه ﷺ في كل أمر، وأن يجعلنا من أئمة المتقين إلى آخر الدهر.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً، وأن يتفضل علينا سبحانه وتعالى - كما تفضل علينا ببلوغ الشهر، وأن بدأنا فيه بالصوم، أن يتفضل علينا سبحانه بإكمال الصيام، وإكمال العدة على أحسن الوجه وأكملها، وأن يمدّ بالأعمار في طاعته، وأن يختم للجميع بالحسنى، وأن يحرمهم على النار، ويرزقهم الفردوس الأعلى مع الأخيار، ووالديهم، وأزواجهم، وذرياتهم.



فضل الصوم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن استنَّ بسنته، ونهج نهجه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فحديثنا الليلة عن الصوم، عن فضل الصوم عامة، وصوم شهر رمضان خاصة.

الصوم في اللغة: هو الإمساك عن الشيء مطلقاً، الإمساك عن الكلام، وعن الأكل، وعن

غيره، كما قال الشاعر:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَبَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ

والشرع: هو الإمساك عن الأكل والشرب وغيرهما من المفطرات بنية التقرب إلى الله

وَعَبَدَ الله ﷻ بها الأمم قبلنا، وهذا يدل على عِظَم شأنه من الديانة، وأنه جزءٌ من عبادة الله -

جَلَّ وعلا- التي خلق الله المكلفين من أجلها.

فكل أمة تُعبدت بالصوم كما قال - جَلَّ وعلا-: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ

الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَلَكُمْ تَنْقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، هل هذا يرجع

إلى اليهود والنصارى لأنهم أقرب الأمم إلينا؟ والغالب الإهانة على تلك الأمتين، أو إلى

الأمم مطلقاً؟ وهذا هو الراجح؛ لأن الأصل حمل وقت الشارع على عمومه.

فشرع الله ﷻ للصوم وفرضه إياه على المكلفين دليلٌ على عِظَم شأنه، وأنه عبادة جليلة،

وقُرْبَةٌ نفيسة لا يستغني عنه المكلفون، لما يُثمره من التقوى، ولما يترتب عليه من تكفير

الخطايا، ورفعة الدرجات، فإن النبي ﷺ قال: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تَكْفُرُهَا

الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ»، فجعل الصوم من الكفارات، ودلت على ذلك أحاديث كثيرة.

ولهذا يعظّم وزن هذه العبادة عند أهل الإيمان، لما خوطبوا أنهم تعبدوا به كما تعبد به من قبلهم، دلّ على عظم شأن هذه العبادة، وثقلها في الميزان عند الشارع -جلّ وعلا-، وإنما الخلاف بين الأمم في مدة الصوم، عدد أيام الصوم، وظرفه من السنة، وعمّ يصام، ونحو هذا مما تختلف فيه الشرائع، فإن الشرائع تختلف في فروع الأحكام.

وجاء في الحديث الصحيح القدسي المتفق عليه، أن النبي ﷺ قال: **«يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»**، فدل ذلك على خصوصية الصوم، وعظم شأنه عند الله -جلّ وعلا-، وأن من يحب القرب من الله ﷻ ورفعة الدرجات عنده أن يعنى بهذه العبادة عامة يعني في سائر السنة.

ولذا لما طلب عدد من الصحابة رضي الله عنهم من النبي ﷺ الوصية، قال: **«عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»**؛ يعني لا يماثله شيء، ولا يقابله شيء من العبادات الأخرى، وفي رواية أخرى أو في حديث آخر قال: **«عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ»**؛ وما ذلك إلا لأنه يجتمع في الصوم أنواع الصبر المحبوبة عند الله -جلّ وعلا-:

- الصبر على طاعة الله، يعني بامثال أمر الله -جلّ وعلا- بالصوم.
- والصبر عن معصية الله، بالانكفاف عن المحرمات والمفطرات تقرباً إلى الله ﷻ.
- وما ينتج عن الصوم من التعب والإرهاق، وضيق النفس، هذا أيضاً من الصبر على المقادير.

فيجتمع في الصوم الصبر بأنواعه الثلاثة، والله تعالى قال: **﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ**

حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فإذا وقع الصوم في شهر الصبر شهر رمضان، كان ذلك أعظم في الأجر وأرفع في الدرجة.

ولذا قال النبي ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، من صامه يعني إيمانًا بمشروعيته، وكتابة الله ﷻ له على الأمة، واحتسابًا بثوبته وما أعدَّ الله -جلَّ وعلا- لأهله من الكرامة، «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»: وتغفر الذنوب السابقة.

وهل تدخل في هذه الكبائر أو لا؟ قولان والراجح أنها لا تدخل؛ لأن النبي ﷺ قال: «مَا اجْتَنِبْتُ الْكَبِيرَةَ»، وفي رواية: «وَمَا اجْتَنِبْتُ الْمُقْتَلَةَ»، لكن لو أن الصوم قضى على الصغائر وفضل منه كثير يُرجى أن يخفف به من الكبائر، وهذا المقرر عند فقهاء الأمة.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان يصوم يومي الاثنين والخميس، ويقول: «إِنَّهُمَا يَوْمَانِ تَعْرَضُ فِيهِمَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ﷻ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»؛ فكان -عليه الصلاة والسلام- يزين عمله عند العرض على الله -جلَّ وعلا- بالصيام، مما يدل على عِظَم شأن الصيام، وأنه زينة العمل؛ لأنه محبوب لله ﷻ له خصوصية.

وصوم رمضان يجب على المسلم البالغ، العاقل، المقيم، الصحيح، القادر، السالم من الموانع.

فيخرج المسلم الكافر؛ لأن الكافر لا تصح منه العبادات حتى يتوب من الكفر، وإن كانوا مخاطبين بفروع الشريعة وتلحقهم آثام تركها؛ لأنهم مخاطبون بالتوحيد وما ينبنى عليه، لكن قبل أن يوحد لا يصح صومه، فالكافر لا يصح منه الصوم.

البالغ يعني يخرج الصغير، الصغير المراد به المميز لكن دون البلوغ، فلا يجب عليه الصوم، ولكن يُعَلَّم الصوم ويربى عليه ولكن من باب التربية على الفضائل، والتعود على الطاعة، وتنشئة على العبادة، كان الصحابة -رضي الله عنهم- يصومون أطفالهم الذين يطيقون، ويصنعون لهم اللعبة من الصوف وغيره يلهونهم بها حتى يحين وقت الفطر.

العاقل فخرج بذلك المجنون؛ لأن المجنون لا يصح قصده، مرفوع عنه القلم، «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: مِنْهُمْ الْمَجْنُونُ حَتَّى يَفِيْقَ، وَالصَّغِيْرُ حَتَّى يَبْلُغَ».

المقيم خرج بذلك المسافر، فالمسافر مرَّخص له في الفطر؛ لأن السفر مظنة المشقة، وإن كان ينبغي له إذا كان الصوم لا يَشُقُّ عليه أن يصوم؛ لأن هذا أبرا للذمة، وأسرع في الخروج من العهدة، وأنشط على العبادة ومشاركة الناس في العبادة، وفيه اغتنام لشرف الزمن، فإذا كان المسافر لا يَشُقُّ عليه الصوم من السفر بالطائرات وغيرها فينبغي للمسلم أن يحرص عليه، وإن كان شق عليه فقد رخص له.

الصحيح، فخرج بهذا المريض، والمريض نوعان:

- مريض لا يرجى برؤه: فجرت العادة في مثل هذا المرض أنه ملازم يصاحبه، ولا يرجى منه شفاء، وهذا من ابتلاء الله ﷻ لعباده في رفعة الدرجات، وخط الخطيئات، والتعبُّد بالضراء كما يتعبدون بالسراء، فهذا الذي يَشُقُّ عليه الصوم، ولا يستطيعه، ولا أمل له في قضاءه، يُطعم عن كل يوم مسكيناً، ويفطر ولا قضاء عليه.

- ومثله الكبير العاقل الذي أضعفه الكبر، فهو لا يستطيع الصوم، ولا أمل له في الشباب حتى يقضي، فيطعم أيضاً عن كل يوم مسكين ولا قضاء عليه. أما الكبير الذي فقد العقل وهذى وخرَّف فهذا ليس عليه لا صوم ولا إطعام.

وفي حكم المريض الحائض والنفساء؛ لأن خروج الدم منهما يؤثر على صحتها ونفسيتهما، وغير ذلك، فأجر الله تعالى الحكم لهما أنهما تفرطان وتقضيان، فالحيض والنفساء يمنع من الصيام، ولا يحل للمرأة أن تصوم إذا كانت حائض أو نفساء.

والقادر معناه الذي يقدر على الصوم لا يكلفه، مثلما ذكرنا من الكبير الضعيف، مثل المريض الذي لا يرجى برؤه، أما المريض مرضاً عادياً مثل الزكام وغير ذلك فهذا لا يمنع

من الصيام، المريض مرضاً ثقیلاً ما يرجى برؤه منه فهذا يفطر ويقضي بعدد ما أفطر ولا كفارة عليه.

فهكذا الله ﷻ شرع ويسر، ولهذا قال سبحانه: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ

عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤]؛

- قرأت يُطِيقُونَهُ، يعني يطيقون الصوم لا يتكلفون فيه، وهذا كان في أول الإسلام، في أول تشريع الصوم من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً.

- قرأت يطوقونه يكلفونه يعني يشق عليهم، فيردا بهذا المريض الذي لا يرجى برؤه،

وهو الكبير الذي أفناه الكبير، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ

خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وهذا فيه ترغيب في

الصوم، واختيار زمن الصوم الأفضل، والعناية بحفظه؛ لأنه خير حالاً ومالاً.

فالله ﷻ لما شرع يسر، ولما شرع عظم الأجر وكبر، ولما شرع حبب العباد المتعبدين

بأنواع من التحبيب والتيسير التي تجعلهم يغتبطون بالصوم ولو شق عليهم، ويتقربون به إلى

الله ﷻ.

فلذلك ينبغي للإنسان أن يستقبل الشهر بانسراح صدر، وطمأنينة نفس، ورضا قلب،

وأنس للعبادة لحسن عاقبتها، وهو وإن صام هذا اليوم لا يدري هل يفسح له في الأجل حتى

يصوم غداً أم لا، وإن صام أول الشهر هل يدرك آخره أم لا، وإن صام الشهر كله هل يدرك

الشهر الذي في السنة القادمة أم لا، فلذلك الحياة فرص ومناسبات، وميادين سباق.

فلهذا ينبغي للعبد أنه يشكر الله ﷻ على نعمة الخلق وحسن الخلق، وعلى نعمة الصحة

والأمن ورغد العيش، وعلى نعمة الهدى بالشرع وتيسير الشرع، وعلى نعمة مضاعفة العمل

ومضاعفة الأجر، وعلى نعمة ما يرجو الله ﷻ بزيادة الفضل، ﴿لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].

فهكذا المرء ينبغي أن يتعامل مع هذه العبادة وغيرها من العبادات حتى يغتبط بها ويفرح،

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا مباركين أينما كنا، وصلى الله وسلم وبارك

على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.



فوائد صيام رمضان

مناسبة لصحتنا إذا أدت على الوجه الشرعي، تقوم بحفظ الصحة، وحفظ القوى، وفيها الإعانة على الطاعة، ويكون فيها العصمة من الشياطين، فكثير من الناس يفوتهم هذا الموضوع.

كذلك تأخير السحور إلى آخر شيء، حتى كان ما بين سحور النبي ﷺ وما بين قراءة الصلاة قدر قراءة خمسين آية، فيحتاج المرء إلى أنه يعتني بهذه السنن، فكل واحدة لها أجرها، إذا قصد الإنسان الاتباع وتحري السنة، والإنسان إذا جاهد نفسه على السنة حتى يألفها، تكون هذه السنة سجية له، حتى تتعلم منه، يتلقاها الناس عنه.

كذلك الجلوس بعد صلاة الفجر في المسجد، والاشتغال بذكر الله حتى تطلع الشمس حسناء نقية، هذه عبادة عظيمة وأجرها كبير، حتى قال ﷺ: «كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَةً» وفي الحديث عن النبي ﷺ أن الله تعالى يقول: «يَا ابْنَ آدَمَ صَلِّ لِأَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَكْفِكَ آخِرَهُ».

فالاشتغال بذكر الله بين صلاة الفجر وطلوع الشمس هذه قرينة ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، وكان النبي ﷺ يرشد الأمة إلى أن يقول أحدهم: "سبحان الله وبحمده مئة مرة" أول النهار حين يصبح، وحين يمسي كذلك، يقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير" ونحو هذا، هذه عبادة الآن متيسرة، تنتظر ما يقارب خمس وأربعين دقيقة أو خمسين دقيقة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، فيحتسب الإنسان ذلك، وإذا كنت طول السنة ما يتيسر لك هذا الأمر، فالآن تيسر لك، أيش اللي يمنع؟

كذلك صلاة الضحى بعد طلوع الشمس وفي وسط الضحى وقبيل الظهر، كل هذه الأوقات صلى فيها النبي ﷺ، وهذا وقت يغفل عنه الناس، فذاكر الله ﷻ في هذا الوقت ينال

خيرًا كثيرًا، والله تعالى يُحب الذي يذكره في الغافلين، ولا ينبغي أن تنقطع ساعات أو تخلو ساعات من ذكر الله -جلّ وعلا-، فإذا قصر جملة الناس، ينبغي لخواصهم وخيارهم ألا يقصروا، وأن تكون جميع الأوقات معمورة بطاعات الله.

كذلك السنن الرواتب التي قبل الصلاة وبعدها فينبغي المحافظة عليها، وأن الإنسان يحتسب، كثير من الناس يا جوده إذا أدرك فريضة الظهر، بينما النبي ﷺ كان يصلي بين الأذان والإقامة في الظهر أربع ركعات، ويقول: «**أَنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَضَعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ**».

وكان ﷺ يصلي بعد الظهر أربع ركعات أيضًا ويقول: «**مَنْ حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»، هل هذه غنيمة سهلة؟ أن الله يحرمك على النار؟ وكان ﷺ يقول: «**رَحِمَ اللَّهُ أَمْرِي عَلَى النَّارِ صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا**»، وفي رواية: «**غَفَرَ اللَّهُ لَهُ**».

وهكذا ذكر الله بعد العصر وسبح قبل غروب الشمس، وتدعو الله، وتشتغل بأذكار الصباح والمساء بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر، هذا الوقت، وما بعده قضاء له، إذا فاتك في هذا الوقت تقضيه في الوقت الذي يليه، أمور كثيرة يتساهل فيها كثير من الناس.

الفتور نفس الشيء، إذا تحقق الغروب **تَفَطَّرَ**، ولا تنتظر حتى تشتبك النجوم، فتأخير الفتور هذا من عمل اليهود، ومن عمل الروافض الآن، الفتور على الرطب أول شيء، تختار الرطب بقصد التقرب إلى الله ﷻ؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، لم تجد الرطب فالتمر، لم تجد التمر فحسوات من ماء، شربة من ماء، ثلاث مرات بالكوب ولا بيدك ولا بأي شيء، لا تُقدِّم على هذا شيء، فكل هذه سنن تضيع على كثير من الناس، فتجد أحدًا يأخذ الماء أولًا، أو يأخذ اللبن أولًا، واحد يأخذ الفاكهة أولًا، وبين السنة؟ ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ**

اللَّهُ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

كذلك كان النبي ﷺ ما يتعشى بعد الفطور على طول؛ لأنه كان يُبكر بصلاة المغرب، وهذا دليل أنه ما يتعشى بعد المغرب بعد الفطور على طول، كان يُفطر على رطبات، فإن لم تكن تمرات، فإن لم تكن فماء، ثم يبادر ويقوم لصلاة المغرب ما يؤخر، وطريقة كثير من الناس الآن تكاد تكون إجمالاً في العالم الإسلامي الآن أنه العشاء كله قبل المغرب على طول، حتى يضيعون صلاة المغرب من أجل العشاء، وهذا خلاف السنة.

والعالمون بالطب يقررون أنه خلاف الصبح أيضاً، وأن المعدة بعد الصيام تعالج برفق، فتعطى الشيء الحلو أول شيء، أو يعطى الماء البارد الذي ليس شديد البرودة، ويكون قليل أيضاً حسوات، شربتين، شفتين أو ثلاثة أو أربع كذا، ثم المبادرة إلى صلاة حتى يعطي المعدة فرصة، فالمعدة جهاز مرتب من الله ﷻ، له آلية قدرية، فلازم يراعى هذا الشيء.

ومن ذلك مثلاً: السواك، معظم الناس ما يعتني بالسواك، والنبي ﷺ يقول: **«لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ**

عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ» وفي رواية: **«عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»**؛

- فعند الوضوء يكون عند المضمضة أو قبل المضمضة.

- ومع الصلاة قبل تكبيرة الإحرام.

فإذا تسوكت مع الصلاة الآن، سنة بين تحية المسجد والإقامة، وصلاة الفريضة، وصلاة السنة الراجعة بعد الفريضة، وصلاتنا ست تسليمات، كلها تتسوك بعدها، الصلاة بسواك أجراها كبير، أعظم من صلاة بلا سواك، حتى روي أنها تعدل سبعين صلاة، فلماذا يفوت الإنسان هذا؟ عود ما يكلفك شيء، ربع ريال العود، وبعض الناس يكون في جيبه ولكن لا يتسوك، ما تعود، فهو محروم.

وعلى هذا قس في الذكر عند دخول المنزل، عند الخروج منه، عند دخول دورة المياه، عند الخروج منها، عند دخول المسجد، عند الخروج منه، قليل من الناس من يلتزم بهذا، إن سمع اللي معه يذكر ذكر وإلا ما يحتاج.

كذا في قراءة القرآن، فكان النبي ﷺ يتلو القرآن ويُرْتَلُّه، وإذا مر بآية سؤال سأل، وإذا مر بآية تسبيح سبح، وإذا مر بآية تعوذ تعوذ، من أول القرآن إلى آخره، كم يحصل لك من دعوة؟ كم يحصل لك من ذكر بهذه الطريقة؟ فكثير من الناس ما يراعون هذه الأشياء أبداً.

فإذا كان العقلاء الذين هم الآباء الآن، وهم الرجال على هذه الطريقة، مخالفين لأكثر من خمس وسبعون بالمائة مما كان عليه أجدادهم القريين، فكيف يكون ناشئتنا؟، وعلي ﷺ يقول: (علموا أولادكم، فإنهم قد خلقوا لغير زمانكم)، وقوله تعالى: ﴿بَنَاتِيَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]، يقول: (علموهم وأدبوهم فلأن يؤدّب أحدكم ولده خير له من أن يتصدّق بصاع).

والتأديب ما هو معناه الضرب، التأديب معناه التوجيه والتعليم والترغيب، والإلزام، وإذا احتاج إلى ضرب يضرب في الواجبات، فالأب ترك الموضوع هذا، فصار الناس لا يعلمون بالسنن، ولا يعلمون بزيادة القرب، وإنما هو على حسب العادات وما عليه الناس. فيحتاج المؤمن كما وصفه النبي ﷺ بأنه «كَيْسٌ فَطِنٌ»، عاقل، ذكي، نبيه، يغتنم الفرص، ويتقنص الفوائد قبل فوات الأوان، ويتعود، فإذا ضاع عليك في اليوم خمسين سنة، تضيع على الناس خمسين سنة في اليوم، كم الخسارة إذا جمعت هذا في الأسبوع؟ أو في الشهر، أو في رمضان.

ترى فيه ناس يضيعون خمسين سنة في اليوم، وما فيه شغل، والله لا هم مشغولين، لا فيه حرب، ولا فيه مجاعة، ولا فيه وباء، ولا فيه خوف ولا شيء، لكن بس عدم الإلف، وعدم المذكر، وعدم المبالاة، ومجاعة الناس.

رزقنا الله جميعاً الفقه في دينه، والإخلاص لوجهه ﷺ فيما نبقي ونذر، وحسن اتباع نبيه
ﷺ في كل أمر، وأن يجعلنا أئمة متقين لآخر الدهر، وأن يحرمنا على النار، ويدخلنا الفردوس
الأعلى مع الأخيار.



خطبة :
شهر رمضان
شهر صولات وجولات
بين
جند الرحمن
وجند الشيطان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن استنَّ بسنته، ودعا بدعوته، واهتدى بهديه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلما كان شهر رمضان المبارك في تاريخ الإسلام شهر صولاتٍ وجولاتٍ بين الحق وابطال، بين أولياء الرحمن وجند الشيطان، ووقعت فيه معارك حاسمة وفاصلة في التاريخ، نصر الله -جلَّ وعلا- بها الإسلام وأهله، وأذلَّ وأخنع الذل وأهله.

ابتداءً من غزوة بدر الكبرى، ثم غزوة الفتح، وما تلاهما بقيادة رسول الله ﷺ، ثم السرايا التي بعثها النبي ﷺ لحماية الإسلام وأهله، والترصد للكفر وأهله، ثم ما بعد ذلك من المعارك الحاسمة الفاصلة بقيادة الخلفاء الراشدين، وأمراء المسلمين عبر تاريخ الإسلام. فكانت فريضة أو شريعة الجهاد في سبيل الله قرينة شرائع الإسلام الأخرى، وكلها ذُكرت في سورة البقرة، فريضة الصلاة، وفريضة الزكاة، وفريضة الصيام، وفريضة الحج، ذُكرت معها فريضة الجهاد في سبيل الله.

قال -جلَّ وعلا-: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال -جلَّ وعلا-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال -جل ذكره-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحریم: ٩].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ [التوبة: ٥] أَنْ

فجاء ذكر شريعة الجهاد وفريضته بين فرائض الإسلام وأعمدته، وما ذاك إلا لعظم منزلة هذه الفريضة عند الله -جل وعلا-، وعظم مكانتها من دينه، وعظم أثرها وحسن أثرها وعاقبتها على أهل الإسلام في الدنيا والآخرة.

فلهذا سنتحدث عن جمل مهمة من أحكام الجهاد، ويؤكد هذا أن فئة ضالة وصفها النبي ﷺ بأنها «تَخْرُجُ عَلَى حِينٍ فِرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ: مِنْ خَيْرٍ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ وَيَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَا يَجَاوِزُ إِيمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ».

يقصد ﷺ الخوارج، الفئة المارقة الخارجة، المكفرة للمسلمين، والخارجة على السلطان وولي أمر المسلمين.

هذه الفئة في هذا الزمن التي تبنت التكفير ثم التفجير، وقتل أهل الإسلام، وإخافة الآمنين، وقطع السبل، وتشويه الإسلام، والصد عنه، وإغراء الكفار بالمسلمين، هذه الفئة حرّفت مفهوم الجهاد، حرّفت مصطلح الجهاد، وأساءت تطبيقه، وأدّعتة وهي لا تحسنه، وهو منها براء، وتسببت في كره الناس لهذه الفريضة والشريعة، وتسببت في تسلط الكفار على المسلمين بسبب هذه الفئة الباغية.

فلهذا يلزم البيان فيما يتعلق بهذه الشريعة العظيمة، وهذه الفريضة الحكيمة، وهذا الباب الواسع من أبواب صيانة حرّامات المسلمين، بل صيانة الدين، وحفظ حرّامات المسلمين، ونشر دين الله بين العالمين.

فالجهد في اللغة:

مأخوذ من الجهد، وهو بذل الوسع، واستفراغ الطاقة، لتحصيل المطلوب، ودفع المكروه المرهوب، هذا معناه في اللغة.

ومعناه في الاصطلاح:

نفس المعنى إلا أنه يتحدّد بالعرض، فهو بذل الوسع، وبذل الجهد، واستفراغ الطاقة للدفاع عن دين الله، وحرّامات عباده، وإعلاء كلمة الله.

كما قال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنِّهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾

[الحج: ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ

يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

مَكَتَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

وقال سبحانه: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً﴾ [البقرة: ١٩٣]، حتى لا تكون شرك في

الأرض، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، فهذا معنى الجهاد، وهذه غايته.

الفرق بين الجهاد والقتال:

الجهاد أعم من القتال، فإن الجهاد هو السعي في الدفاع عن الدين وأهله، ونشر الحق بين

العالمين بعدة وسائل، منها:

- البيان، الكلام والبيان، نشر العلم.
- ومنها: بذل المال على إعانة المجاهدين.
- ومنها: بذل الصنعة فيمن يحسن الصنعة في إعانة المجاهدين، كالمهندس، وغيره.
- ومنها: الرباط في سبيل الله، الرباط على ثغور الإسلام، حتى لا يدخل عدو منها.
- ومنها: القتال في المعركة بالسلاح.

فالجهاد أعم من القتال، فالقتال هو استعمال الآلة في الحرب، مقاتلة المشركين،

مدفعتهم بالآلة، فهو مخصوصٌ بالمعركة والقتال، وأما الجهاد فلا يلزم، قد يجاهد الإنسان

وهو ما حضر المعركة؛ يجاهد برأيه، يجاهد بماله، يجاهد بالتخطيط الهندسي، يجاهد في

إقامة الثغور، ويجاهد في المعركة.

فالجهاد أعم من القتال، والقتال أخص من الجهاد؛ لأن القتال فيه مواجهة مع الخصم،

والجهاد قد لا يكون فيه مواجهة، وقد قال النبي ﷺ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ**

وَأَلْسِنَتِكُمْ»، وقال الله ﷻ: ﴿**وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان: ٥٢].

شأن هذه الشريعة أو الفريضة فريضة الجهاد والقتال شأنها عظيم جداً، يتضح ذلك من

أمور:

الأول:

أنها كانت منذ شُرِعت سبباً لرفع العقوبة العامة عن الأمة، فكانت الأمم المتقدمة؛ قوم نوح، قوم هود، قوم عاد، وقوم صالح، أصحاب الأيكة، كان ما شُرِع لهم الجهاد بالسلاح، كان مناظرة فقط ودعوة، فكان إذا استنفذ النبي من أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام- وسعه في المناظرة وأقام الحجّة، وأظهر الآيات التي تؤيد صدق نبوته ورسالته، وأحقية ما يدعو إليه، وبطلان ما يدعو إليه خصومه، لأمر الله ﷻ النبي أن يفاصل هؤلاء، ويبعد عنهم ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١].

ثم تنزل العقوبة وتستأصلهم عامة، كالطوفان الذي استأصل قوم نوح، كامل الأمة، ما نجا إلا أهل السفينة، وكالصيحة أو الريح التي أهلكت قوم عاد، والصيحة التي أهلكت ثمود، والصيحة التي أهلكت أصحاب الحجر، وقلب الديار على قوم لوط، فكان حين لم يكن جهاداً بالسلاح، كانت العقوبة العامة التي تستأصل الأمة.

فلما بعث الله ﷻ موسى ﷺ، وجعل من شريعته الجهاد في سبيل الله، رفع الله العقوبة العامة، ونصر الله الدين بالقوة، فصارت الأمة لا تهلك، لو هلك طائفة من الأمة لم تهلك الطائفة الأخرى.

ولذلك النبي ﷺ دعا لهذه الأمة ألا يهلكها الله بسنة بعامة، فأعطاه الله هذا، فلا يهلك الأمة فلا تنتهي بعقوبة عامة في سنة، فالأمة باقية إلى آخر الدهر، والدين باقي إلى آخر الدهر، وهذا من ثمرات هذه الشريعة المباركة، من بركاتها، أنها رُفِعَتْ به العقوبة العامة، ويش المعنى إذا عطل؟ ترجع العقوبة العامة.

ألا ترون أنه إذا عَطَلت الحدود، فلم يَرجم الزاني المحصن، ولم يجلد الزاني البكر، ولم تقطع يد السارق، ولم يقتل القاتل عمداً، أنها تنزل العقوبات الكونية، "ما ظهر الزنى في قوم حتى يعلنوا به، إلا ابتلوا بالأسقام والطواعين التي لم تكن بأسلافهم".
فإذا عَطَلَّ الجهاد رجعت العقوبة العامة، إذا عَطَلَّ مع القدرة عليه، وجود مناسبته والداعي إليه.

فهذه أول فضيلة من فضائل هذه الشريعة المباركة، وهذه الفريضة المباركة: أنها أمنة من العقوبة العامة.

الثانية:

أن هذا الجهاد لا يراد منه قتل الناس وأخذ أموالهم، لأ إنما يراد منه هدايتهم للحق بعد قيام الحجة عليهم به، وإعراضهم عنه، فإذا صاروا سفهاء، ما يعرفون مصلحة أنفسهم في الدنيا والآخرة، فيلزمون بمصلحة أنفسهم، لأن هذه مصلحة حتى ينجوا من النار، فصارت هذه الشريعة رحمة، ولذلك قيل في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، كنتم خير الناس للناس، وأنفع الناس للناس تجروهم بالسلاسل يعني بواسطة الجهاد أسرى، فتدخلونهم الجنة.

فصارت هذه الفريضة المباركة رحمةً من الله ﷻ للخلق، تدخلهم الإسلام ولو كانوا كارهين، ومن أبي فيستريح من شقوة نفسه، ويستريح العباد من شقوته وشؤمه؛ لأن الكافر بإصراره على الكفر، وطول عمره في الكفر، يزداد إثماً إلى إثمه، وعقوبة إلى عقوبته، ولهذا لما أن الله ﷻ أوحى إلى نوح -عليه السلام-: ﴿أَنْتَ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [٣٦]

[هود: ٣٦]، دعا ربه ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، حتى يُكفون شر أنفسهم، ما يزيدون شقوتهم، فإذا هذه فريضة مباركة، هذه رحمة بالأمة.

كذلك من شأن هذا الجهاد أنه وسيلة لهداية الخلق، لإيصال الحق إلا الخلق؛ لأن الداعي إلى الله ﷻ يوضح الحق بأدلتها، ولكن الحق مع وضوحه ومع حسنه يعارض مصالح الظلمة، وأصحاب الرياسات، فهؤلاء يقفون في وجه الحق، لا لأنه الحق؛ ولكن لأنهم يظنون أنه يفوت مصالحهم، ويقضي على سلطانهم وعروشهم، فيقفون في وجه الدعوة حتى لا تصل إلى عامة الناس.

فيكون الجهاد هنا بمثابة الجرافة التي تمهد الطريق، كلما وجدت عقبة في الطريق تمهده الجرافة، فهو يكون وسيلة لنصرة الحق وحمايته، يكون وسيلة لنصرة الحق وحمايته، حتى يصل إلى عامة الناس وإلى كل الناس، فهذه أيضاً من فضائل الجهاد أنه يوصل به إلى ما لا يمكن الوصول إليه إلا به:

دعا المصطفى دهرًا بمكة لم
وقد لان منه جانب
فلما دعا والسيف سلطاً بكفه
له أسلموا واستسلموا

ففرق بين خروج النبي ﷺ مهاجرًا، ورجوعه يوم فتح مكة، فرق، ولهذا قال - سبحانه

وتعالى -: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

فجعل الله تعالى الحديد وسيلة لنصرة الحق، ولحفظ الحرمات، ولقمع رؤوس أهل الباطل، وإزاحتهم عن السبيل التي يمنعون الناس، ويمنعون وصول أهل الحق إليهم، فهذه تدل على عظم شأن هذه الفريضة العظيمة المباركة، وأنها لا يهمها إلا مؤمن، ولا يكرهها إلا منافق.

ومن عِظَم شأن هذه الفريضة:

أنها وفاء لعقد بين الله ﷻ وبين كل مكلف قادر على الجهاد إذا تحقق شرطه ووجد سببه، ولذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ولذا قال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»، المنافقون يكرهون الجهاد ولا يحبونه؟ يكرهون الجهاد المنافقون، فالذي يكره الفريضة هذه ويمتنع منها إذا دعي إليها ووجد السبب، وتوفر الشرط، هذا فيه نفاق.

وهذا إنذار بسوء الخاتمة وعظم العقوبة، وقال ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»، نسأل الله الشهادة في سبيله في أعلى مقاماتها، وأسمى غاياتها، وأحسن هيئاتها.

فهذا يدلكم على عِظَم شأن هذه الفريضة، وأنها مرتبطة بعنق كل مسلم، ولم يعذر الله ﷻ عنها إلا الأعمى، والأعرج، والمريض ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [النور: ٦١].

وكذلك الذين لا يجدون ما يجاهدون به ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّاتِ حَمَلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحْجَمُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، حزنًا على فوات الجهاد، ما يفرحون بفوات الجهاد، لأحزينين يكون، ليش؟ فاتتهم هذه الفرصة التي يسبق بها إلى أعلى المنازل في الجنة.

يقول النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ»، فانظر كيف؟ ففريضة القتال في سبيل الله وفريضة الجهاد فريضة عظيمة تضاهي الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن هي الذروة؛ لأن نفعها متعدي إلى الدين وإلى العالمين.

شريعة مباركة، شريعة يحصل بها العز للإسلام وعز أهله، شريعة يرغم بها أناف أهل الكفر، ولذا قال ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَبَايَعْتُمْ بِالرِّبَا، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»، انظروا كيف، كيف هذا الحديث وكيف وضع الناس اليوم!

فإذن فريضة الجهاد فريضة شرعية مقرونة بالتوحيد، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وهي فريضة مباركة، وهي وفاء لعقد بين المسلم المكلف، وبين الله ﷻ سيسأل عنه يوم القيامة، وهي سبيل مبارك يوصل به إلى أعلى الدرجات في الجنة، وتتقى به النار وما فيها من الدركات.

رزقنا الله جميعاً الفقه في دينه، والإخلاص لوجهه فيما نأتي وما نذر، وحسن اتباع نبيه



صلاة شهر رمضان بالقرآن

﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ

الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥]، وكان ذلك في رمضان في العشر الأواخر، فابتداء نبوة النبي ﷺ بهذه الآيات كان في رمضان، أول ما نزل في رمضان.

وهذا يُنبئنا على الصلة الوثيقة بين الصيام والقرآن، وبين القيام والقرآن، وبين شهر رمضان والقرآن، وأن ديدن الصائم القائم في رمضان القرآن، وأن في القرآن غنية له عن كل شيء، فإنه اشتمل على:

- توجيه المؤمنين إلى ما يتحقق به الإيمان ويكمل.
 - ونهي المؤمنين عما ينقص الإيمان ويبطله.
 - وبيان الأحكام التعبدية للمؤمنين.
 - وذكر الوعد بأنواع المثوبة، وفنون الكرامة عند الله -جلّ وعلا- لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.
 - واشتمل على الوعيد الذي فيه الزجر عن المعاصي والآثام، وذكر العقوبات الغليظة والشديدة في الدنيا والآخرة لمن عصا الله -جلّ وعلا- وتعدى حدوده.
 - وفيه الإخبار عن الأمم السابقة، وكيف نصر الله تعالى أوليائه وأكرمهم في الدنيا والآخرة، وكيف انتقم الله تعالى من أعداءه وأخذهم أخذ عزيز ذو انتقام.
 - وأن الجميع مضوا إلى ربهم وخالقهم، وأنهم سيبعثون ويوقفون بين يديه، ويحاسبون منه، ويثابون ويعاقبون.
- وفي القرآن دعوات كثيرة لأنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام-، وصالح عباده، هذه الدعوات كلها مُتَبَعَةٌ بِإِجَابَتِهَا، فكأن الله تعالى يقول لعباده: ادعوا بهذا الدعاء وانتظروا الإجابة.

ولو تدبرت القرآن وتتبع ما فيه من الأدعية لوجدتها تزيد عن مئة دعاء، فمئة دعوة مستجابة هل هي بالأمر الهين السهل؟ لا.

ثم أن سؤالك الله -جلّ وعلا- عند آيات الوعد والفضل التي أكرم الله بها أوليائه المؤمنين هذا دعاء، كان النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن لا يأتي عند آية وعد إلا سأل الله تعالى من فضله، لا يتعدها حتى يسأل الله من فضله، ولا يأتي عند آية وعيد إلا استعاذ بالله من ذلك الوعيد والعذاب، فكم يجتمع للمؤمن من الدعاء في القرآن؟ فقط الدعاء.

ثم فيه الثناء على الله ﷻ؛ كالتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والتقديس، وذكر أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحكيمة، وأفضاله العظيمة، وعدله، ورحمته، وفضله، كل هذا ثناء على الله ﷻ، ولو لم يكن من هذا كله إلا أن القارئ له بكل حرفٍ من القرآن عشر حسنات، الحسنة مضاعفة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وآيات القرآن تزيد عن ستة آلاف ومئتين وكذا حرف، فكم للقارئ؟

ثم أن النبي ﷺ قال: «أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بَطْحَانَ (أَوْ قَالَ: وَادٍ عَقِيقٍ وَهُوَ وَادٍ قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ) فَيَأْتِي بِنَاقَةٍ كَوْمَاءَ سَمِينَةٍ مِنْ غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةٍ رَحِمٍ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَقَالَ: لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ فَيَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَةٍ كَوْمَاءَ سَمِينَةٍ، وَأَيَّتَيْنِ خَيْرٍ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعُ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِثَالُهُنَّ مِنَ الْإِبِلِ».

فإذا جئنا بناقة كوماء سمينة الآن في السوق أقل ما تجيب خمس آلاف ريال، فكم له بآيات القرآن التي تنيف عن ستة آلاف آية؟ كم له من ناقة؟ والمعنى كأنه تصدق بثمن هذه الناقة، الآية الواحدة تعدل الصدقة بخمسة آلاف ريال! وفي رمضان ومضاعفة إلى أضعاف كثيرة.

فقراءة القرآن دائماً هي الغنيمة والذخر وفي رمضان خاصة، حتى كان أهل العلم الكبار من السلف والصحابة والتابعين في رمضان يتوقفون عن تعليم العلم، ويتفرغون لقراءة القرآن، يتوقفون عن الحديث ويتفرغون لقراءة القرآن نظر، الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم.

فضل قراءة النظر أن الإنسان يقرأ من المصحف، وكان كل واحد من السلف له مصحف يخصه يقرأ به، فهذا وقت قراءة القرآن، إذا لم تقرأ في رمضان متى تقرأ؟ يجتمع لك الخير، يجتمع لك الثناء، يجتمع لك الدعاء، يجتمع لك الفقه، يجتمع لك الأدب، يجتمع لك الموعظة، يجتمع لك النور، يجتمع لك الهدى والشفاء.

فإن الله تعالى وصف القرآن بأوصافٍ كريمة تدل على حُسن عاقبته عند أهله، وعلى عِظَم

بركته:

- وصفه بأنه نور الذي تستنير به البصائر.
- وهدى تهتدي به القلوب.
- وضياء مثل النور.
- وأنه موعظة.
- وشفاء، شفاء لأمراض القلوب والأبدان، إلى غير ذلك من الأوصاف.

فلذلك ينبغي للناس وينبغي لنا أن يكون لنا علاقة بالقرآن علاقة وثيقة فُرص، وترى الإنسان اللي يمضي عليه اليوم واللييلة ما قرأ مئتي آية تراه غافل، وكان السلف بعضهم ما يكتفي بهذا، يختمون في سبع، ويختمون في خمس، يختمون القرآن من أوله لآخره، ويختمون في ثلاث طول السنة، لكن في رمضان لأ، يختمون كل ليلة.

وما هو معناه يهذون القرآن هذا، لا لكن يديمون القراءة، وإذا مارست القراءة المعتدلة (اللي لا هي بالإسراع والهم، ولا هي بالتمطيط والتكلف) تجد أن القارئ المعتدل يقرأ الجزء الواحد في ثلاثين دقيقة أو خمس وعشرين دقيقة للجزء الواحد.

فإذا قلنا في نصف ساعة يعني في الساعة جزءين، عندك أربع وعشرين ساعة، خذ منها خمس عشر ساعة في الليل والنهار فتختم القرآن، عادي جدا بدون تكلف، وكلما ازداد المراس والتردد في القرآن، كل ما سهلت قراءته، وتذلل اللسان به، وانشرح الصدر به وتيسر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

فإذا كان الله يسره حتى قرأه الولدان والأعاجم اللي ما يعرفون اللغة، فكيف لا يتيسر للمسلم العاقل المحتسب المقبل على القرآن والمتفرغ له! فلذلك لو قارنا حالنا بحال السلف مع القرآن، وجدنا الفرق الكبير والشاسع، وأنا في الحقيقة نفاة، ونخشى من قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

المصيبة الآن - وهي مصيبة وأسميها مصيبة - المصيبة الآن: أن أكثر الناس بين صلاة الفجر إلى العصر نائم، قليل إذا قام يصلي الظهر، هذا نوم خسارة يعني ما فيه نتيجة، بالليل بعد الفراغ من صلاة التراويح إلى السحور قل من يأخذ المصحف؛ لأن الناس ابتلوا بوسائل الإعلام والقنوات الغازية التي تنفث على الناس ما يقسي القلوب، ويثقل الطاعات، ويغري الشهوات، ويملأ من الطاعات، ترى هذا الواقع الآن.

فمتى يقرؤون القرآن إذا صاروا لا يقرؤون بالليل ولا يقرؤون بالنهار، والموظف يبغي ينام بعد العصر متى يقرأ؟ فهذا يدل على النقيصة التي بلبي بها الناس، وأن الإنسان لا بد يعالج نفسه، لا بد يعتني بأمر القرآن، وإلا فهو على خطر عظيم.

يُفترض أن المسلم كلما تقدّمت به السن كلما صارت علاقته بالقرآن أكثر وأوثق، وأثر فيه القرآن؛ زيادةً في الاستقامة، ونورًا في البصيرة، وحبًا في الطاعة، وبغضًا في المعصية، وزهدًا في الدنيا، وإقبالًا على الآخرة.

فإذا كان العكس كل سنة أسوأ من التي قبلها مثل واقع كثير من الناس، فهذه مصيبة ونقيصة والعياذ بالله، المؤمن كل يوم في نقص من عمره، فإذا لم يعوض نقص العمر بزيادة العمل، فهذا له خسارة، العمر ينقص والعمل ينقص إيش يكون هذا؟!!

والقرآن حبل نجاة، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فالقرآن نور وطريق، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»، تُذكر في السماء، يذكرك الله ﷻ عند الملائكة على وجه الثناء عليك لماذا؟ لأنك تقرأ القرآن، فإذا لم تكن كذلك ما تذكر. وللسلف الصالح -رضي الله عنهم ورحمهم وجمعنا بهم في دار كرامته- لهم أخبار عجيبة مع القرآن؛ فالذي يختم في اليوم والليلة، والذي يختم كل يومين، والذي يختم كل ثلاثة، والذي يقيس المسافة من قرية إلى قرية بأجزاء القرآن، والذي يقيس الوقت بين الصلاتين بأجزاء القرآن.

لذلك لما سُئِلَ أسامة بن زيد رضي الله عنه سُئِلَ سؤالاً عفويًا: "كم كام بين سحور النبي ﷺ وبين الصلاة؟ قال: قراءة خمسين آية"، ما قال: عشرين دقيقة، خمسين آية، مما يعني أن النبي ﷺ كان يتأخر في السحور ويُبكر بالصلاة، لكن قدر بالقراءة بالقرآن؛ لأن هذا مقياس رمضان. فلذلك ينبغي لنا أن نراجع أنفسنا في علاقتنا بالقرآن؛ لأن علاقتنا بالقرآن إلا ما رحم ربك جافية، على هذا التفصيل اللي سمعوه الآن، متى تقرأ؟ إذا تبي تنام وتبي تشتغل بالدوام، وتبي تسهر بالليل مع الناس، تجاري الناس على ما هم عليه، أرخص شيء عندك كلام الله!

الآن الناس يبيعون الجرائد من الإنترنت، ويشترونها من البقالات ويقرؤونها، كل يوم تقرأ ست جرائد أو عشر جرائد، والقرآن مهجور! مطبوع بأحسن طباعة وموفر بأكبر كمية، وموجود في البيوت، ومع ذلك يهجر المصحف، ما يؤخذ ما يقرأه، وإذا كان الحال هذا في رمضان، فكيف بغير رمضان!

فلهذا يا إخواني ينبغي أن نعنى بهذا الأمر، نعنى بتلاوة القرآن، نعنى بتدبر الكتاب،

﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، ما تنال بركته إلا بالتدبر، والفهم، والفقہ، والعقل، والعمل، والتأسي، والاهتداء.

ولما سئلت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن خلق النبي ﷺ قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»، يُطَبِّقُ صفات المؤمنين، المتقين، المحسنين، يجعلها أفعال واقعة منه، ويجتنب صفات المجرمين، صفات الفاسقين، صفات الظالمين، صفات الكافرين، يمثل ما أمر به على قدر الاستطاعة، ويجتنب ما نهي عنه، فكان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ -عليه الصلاة والسلام-، فإن القرآن يدل على ذلك كله:

- يأمرك بالصلاة، والخشوع في الصلاة.
- وإيتاء الزكاة والصدقات.
- بحفظ الأمانات.
- بحفظ السر.
- باجتنب اللغو.

أمر باجتنب اللغو ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، خذها، ﴿وَإِذَا

سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، والآن ويش حال الناس بعد المغرب؟ بسمعون الاستهزاء بكتاب الله تعالى، وبسنة نبيه ﷺ، وبدين الله، وبعباده الصالحين، هذا يلين

القلوب ولا يقسي القلوب؟ طيب استهزاء كفر بالله ﷻ طيب تسمعها أنت بأذنيك؟! تسمع الكفر؟! ترضى بالكفر؟! أمور عجيبة الآن في الناس.

فإذا لم نأخذ من علاقتنا بالقرآن سبب لحياة القلب، وصحة الإيمان، وقوة اليقين، وعلو الهمة، فكيف نكون؟ نكون في تحطُّم، وفي انهيار، وفي ذل وهوان، فالقرآن حبل الله، متصل

بالله - جَلَّ وعلا-، فتمسك به، ﴿فَأَسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ط إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ لَذِكْرُكَ

وَلِقَوْمِكَ ط وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤] عن القرآن، فالسؤال لا بُدَّ منه، فإذن أعدوا

للسؤال جواباً، وليكن الجواب صواباً.

جعلنا الله وإياكم من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته، وجعل القرآن شفيعاً لنا يوم القيامة، وقائداً لنا إلى جنات النعيم، ورفعنا به درجات عالية في الدنيا والآخرة، وجعله حجة لنا لا علينا، وأصلح به قلوبنا، وأنار به بصائرنا، وأعلى به هممنا، وقوى به عزائمنا، وهدانا إلى صراط مستقيم.



أَتَبِعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فاليوم نذكر الوصية الثانية من وصايا النبي ﷺ للأمة، لأصحابه رضي الله عنهم، ووصية للأمة:

وهي قول النبي ﷺ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا»، والمعنى إذا أسأت فأحسن، ﴿إِنَّ

الْحَسَنَاتِ يَدْفَعْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، فالأصل أن المسلم يجتنب

السيئات، ولا يحل لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم على السيئة وهو يعلم، وإنما الإنسان قد يفعل السيئة بجهل؛

- إما بجهل الحكم.

- أو بجهالة، جهل تصرف، يكون مغلوباً على نفسه بهواه.

ولهذا قال -جلّ وعلا-: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ

قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النساء: ١٨] ثم يعيدون ويصرون

حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك، ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتُّ الْأَنْفِ﴾

[النساء: ١٨]، فهؤلاء لا تقبل منهم التوبة إذا عانوا من الموت ووقت الغرغرة، ﴿وَالَّذِينَ

يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا﴾ [النساء: ١٨]، الذين يموتون على الكفر لا تقبل توبتهم.

فلذلك الأصل المسلم يتجنب السيئة ولا يقدم عليها وهو يعلم أنها سيئة، كيف يتجرأ

على حدود علام الغيوب القاهر فوق عباده؟ لكن إذا وقع في السيئة جهلاً أو بجهالة، مغلوب

على عقله، مغلوب على قلبه فليبادر إلى التوبة، والتوبة هي الحسنه، لذا النبي ﷺ أخبر أن

«التَّوْبَةُ تَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَالْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَالْهَجْرَةُ تَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا»، أو قال:

«تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا».

فأول شيء من الحسنات: التوبة، أن الإنسان يتوب، يقول: يا ربي أذنبت ذنباً فاغفره لي، فيتوب إلى الله ﷻ، يطلب من الله المغفرة، هذا أول شيء عليه، وكمال ذلك: أن يصلي ركعتين، يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين، ثم يدعو في صلاته، يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا - أَوْ قَالَ: كَبِيرًا - فَإِنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» كما في حديث أبي بكر الصديق ﷺ في المسند أنه رواه عنه علي ﷺ، فيتوضأ ويحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، ثم يسأل الله ﷻ أن يغفر له، فهذا من أسباب القبول، ومن أسباب محو السيئة.

كذلك من الأسباب أو من نوع الإحسان الذي يمحي السيئة والإساءة: أنك تتحرى جنس ما أسأت به، يعني اللي مقابله ضده، فتحسن، مثلاً: ذكرت أخاك في غيبته في مجلس فيما يسوؤه، فهذه:

- إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتة.

- وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته.

وهذه مظلمة إن لم تردها وتتخلص منها في حياتك، يقضي فيها الحكم العدل يوم القيامة؛ لأن مظالم الخلق لا يغفرها الله ﷻ حتى يغفر أصحابها، فإذا ذكرت أخاك بسوء في مجلس فمن توبتك ومن الإحسان بعد الإساءة أن تذكره بأحسن ما تعلم عنه في نفس المجلس، تقول: والله فلان صاحب خير، فلان فيه صدق، فيه ديانة، فيه أمانة، يعطف على المساكين، تذكره بأحسن ما تعلم عنه، هذا من الإحسان بعد الإساءة.

والنبي ﷺ مرة من المرات يُعدّل الصفوف، الصف قبل أن يقول: استووا، فكان الرسول ﷺ يُعدّل، فمر برجل باد بطنه أي ظاهر بطنه، بطنه كبير أو متقدم هو، فكان النبي ﷺ ضربه، فقال: "أوجعتني يا رسول الله"، فحسر النبي ﷺ عن بطنه وقال: اقتص، ما قال: أنا رسول الله،

أو أنا ابن عبد المطلب، وأنا وليّ الأمر العام، لأ، فجاء الرجل وقبّل بطن النبي ﷺ وبكى، قال: "ما أردت أن أقتص، أردت أن يتيسر لي أقبل بطنك"، فهذا من فعله ﷺ.

وكان رجل من الصحابة عنده جارية، عبدة ترعى الغنم، فغفلت، فجاء الذئب وأخذ شاة، فافترسها، فجاء هذا الصحابي ﷺ ورأى الموقف أن الذئب قد افترس شاة من الغنم والراعية موجودة، فلطم الراعية في وجهها، من دون أن يستفسر هل الراعية نائمة؟ هل هي مغلوبة على أمرها؟ كانت تخشى من شيء ثاني، المهم على طول ضربها لطمها على وجهها، فجمع بين إساءتين:

الأولى: أنه عاقب دون أن يستفسر، ممكن الأمر خارج عن سلطانها وإرادتها.

والثانية: اللطم في الوجه، واللطم في الوجه منهي عنه، حتى وجه البهيمة ما يجوز وسم البهيمة في وجهها، فكيف بابن آدم والله ﷻ في الحديث الصحيح أن الرسول قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ ابْنَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»، والمعنى أنه خلقه ذا وجه، وخلقه سمياً بصيراً، مو بمعنى أنه مثل الرحمن، لأ لكنه وصف يليق به؛ له وجه، وله سمع، وله بصر، فنهى ﷻ عن لطم الوجه.

إذن هذا أساء ويحتاج إلى إحسان، كيف؟ فأمره النبي ﷺ أن يأتي بالجارية، فجاء بها، قال لها: «تَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْتِ رَسُولُ اللَّهِ»، قالت: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَعْتَقَهَا»، فأمر ﷺ أن يعتقها مقابل إساءته إليها.

وهكذا في كل إساءة لا بُدَّ للإنسان أن يتبعها بالإحسان، سواءً كانت في حق الله -جلّ وعلا- مثل ما فاتتكم صلاة الظهر، إساءة، فمن تمام التوبة والإحسان أن تبادر لصلاة العصر خشية أن تفوتك، أو كانت بحق المخلوقين.

مرَّ الصديق رضي الله عنه ببعض فقراء المهاجرين مثل بلال وعمار، وكان أبو سفيان رضي الله عنه آنذاك رأساً من رؤوس الشرك، وكان قد قدم المدينة، جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله لأمر، كان زعيم أهل الشرك، فاستمع إلى النبي صلى الله عليه وآله، ومرَّ على ابنته أم حبيبة -رضي الله عنها-، فلما رآه أولئك الأعداء وفقراء المهاجرين كبلال وعمار، قالوا: "ما أخذت سيوف الله بعدو الله مأخذها"، يتمنون أن سيوف الله أصابت هذا الرجل وقتلته؛ لأنه عدو لله ورسوله في ذلك الوقت، فقال الصديق وقد سمع منهم المقالة: "أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها؟" استنكر عليهم؛ يعني لا بد أن كلا يعرف بمقامه، هذا الرجل زعيم، وهذا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله والنبي تفاهم معه، ما قال له شيء في الموضوع هذا، فكيف تقولون هذا الكلام؟!

فقالوا ما قالوا غيرة لله وكتك، والصديق رضي الله عنه أراد أنهم يعرفون للرجل منزلته، وأنهم لا يتكلموا والرسول صلى الله عليه وآله موجود، والرسول صلى الله عليه وآله أكثر غيرة على دين الله، وأشد بغضاً لعدو الله. فجاء الصديق يعني كأنه وقع في نفوسهم شوية، فجاء الصديق وأخبر النبي صلى الله عليه وآله بما جرى، فقال: «لَإِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ فَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»، فالصديق ما قال: أنا وزير النبي صلى الله عليه وآله، وأنا أبو زوجته، وأنا بمنزلته في الإسلام، لأذهب إليهم وقال: يا إخوانه، أغضبتكم؟ قالوا: لا ويغفر الله لنا ولك، على طول.

فهكذا الإنسان يعامل نفسه بمنعها من الإساءة، ولا يقرب حدود الله، ولا يتعدَّ حدود الله وهو يعلم؛ لأن المعصية والإساءة غُرم، ما تدري هل يتيسر لك الخلاص منه ولا لآ؛ لأن الله وكتك قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٢٤]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، قال الإمام

أحمد - رحمه الله - : "أندروا ما الفتنة؟ الفتنة الزيغ"، لعله ترك بعض ما جاء به النبي ﷺ فيكون في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، فإذا أسأت عمداً أوقعت نفسك في

عُرم وإثم، لا تدري هل يتيسر لك الخلاص منه، أو يكون كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

فلذلك احذر تعمّد الإساءة، واحذر الجرأة على معصية الله، ولا تنظر إلى صغر شأن المعصية في عينك، ولكن انظر إلى عظم شأن من عصيت، عصيت جبار السماوات والأرض، الذي لا تستتر منه ولا تستغني عنه، ولا تفلت منه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَجَبَلٍ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ»؛ يعني يخاف ويشفق، «وَالْمُنَافِقُ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذَبَابٍ طَارَ عَلَى أَنْفِهِ» فقال به هكذا؛ فلاستخفاف بالذنوب هذا ضربٌ من النفاق -والعياذ بالله-، وهذا نوعٌ من الخذلان والحرمان.

فلذلك الإنسان يحذر الذنوب أصلاً، ولا يقع في ذنب وهو يعلم، فإذا أذنب شغله الأمر وأعلن ما يسمى بحالة الطوارئ، ليش؟ لأنك أنت المطلوب والله هو الطالب، فأين المفر والإله الطالب؟ ما فيه مفر، وبين تروح، ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ

اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١]، فالمفر إلى الله ﷻ، لا من أنه لا ملجأ ولا ملتجأ ولا مفر لمسلم من الله إلا إليه.

فلذلك اجتنب الإساءة، فإذا أسأت فأعلن حالة الطوارئ، وانهج بالاستغفار، واندم على ما جرى، وخف من العقوبة أن تنزل عليك الآن، خف فلا تدري إيش يجيك من الله ﷻ، أغضبت جبار السماوات والأرض، فالله ﷻ يرسل إليك جنداً من جنده ما تدري ممكن

يكون شيئاً في جسمك يرسله عليك فيعييك، ما يحتاج جنود ولا جيش ولا شيء، فلذلك تعلن حالة الطوارئ، فتحسن؛

- أول شيء: تحسن، أول شيء تستغفر، وتندم على ما جرى منك، وتعزم على ألا تعود، وترد المظلمة.

- والثاني: أنك تحسن مقابل هذه الإساءة.

يعني مثلاً: إنسان عرض لك يسألك الصدقة، المطلوب منك في هذه الحال أن يعطيك ما تيسر، إن اقتنعت من حاله أنه صادق كثر له، وإن لم تقتنع أعطه ما تيسر القليل، وإلا فقل كلمة طيبة الله يغنيها وإياك من فضله، الله يقضي حاجتنا وحاجتنا، فإذا لم تعطه ثم زدته فنهرته ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]، فقد أسأت، فارجع إليه وأعطه، طيب نفسه، طيب خاطره، تقرباً إلى الله ﷻ ما هو من أجله، لا تأخذك الأنفة والعزة بالإثم، تواضع لله، من تواضع لله رفعه.

وجاء رجل إلى النبي ﷺ قال: "أنه أصاب من امرأة ما دون الفرج"، يعني قبلها ولاطفها، فقال له النبي ﷺ: «صَلَّيْتَ مَعَنَا صَلَاةَ الْعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: لَيْ كَ لَيْ كَ ﴿هُود: ١١٤﴾»؛ يعني أنه الصلاة كفارة لما قبلها، وصادفت الصلاة مع النبي ﷺ، وصادف صلاة العصر مع النبي ﷺ وهي عظيمة عند الله ﷻ، فهذا غفر له، قال: هي لي خاصة أم للمؤمنين عامة؟ قال: «بَلْ لِلْمُؤْمِنِينَ عَامَةً»، وفسر له النبي ﷺ هذا، أن الحسنات يذهبن السيئات، فقله ﷺ: «اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا»؛ يعني إذا أسأت فأحسن، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

هذا الذي ينبغي للمسلم، وبهذا ترحم نفسك، فلا يكون عليها وزر، ما تبقي عليها وزر، فيكون كلما أسأت تحسن، ما تبقي على نفسك وزر، فأشار ﷺ:

- بقوله: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**» إلى معاملة الله رَبِّكَ.

- وبقوله: «**اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا**» إلى معاملة النفس.

فتعامل نفسك بالإحسان، ولا تتردد، ولا تبقي الحمل على نفسك لأن الذنب حمل ثقيل، ولا سيما إذا كان يتعلق بأمرين:

- إما بنوع من الشرك بالله عَلَيْكَ، سواءً الأكبر أو الأصغر.
- أو كان في حقوق الخلق.

فهذا ينبغي أن يأخذك الهم كل الهم؛ لأن الشرك لا يُغفر إذا مات الإنسان عليه من غير توبة، فقد يحضرك الموت في هذه اللحظة، وحقوق الخلق لا تُغفر حتى يغفروا، ولهذا هم أهل الجنة، وقد نجوا من النار، وانتظروا شفاعة النبي ﷺ في فتح باب الجنة، يُحبسون في قنطرة ما بين الجنة والنار حتى يقتص ببعضهم من بعض ما بينهم من الضلالات، ثم بعد ذلك يدخلون الجنة، فالله عَلَيْكَ قال: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ**﴾ [الحجر: ٤٧]، فتخلص من حقوق الخلق، وتخلص من الشرك.

إذا أسأت، أول شيء: أنه إذا أسأت فإذا ابتليت وغفلت وجهلت وأغراك الشيطان والأمل والنفس الأمامة أحسن، والحق نفسك قبل الفوات.

فهذه وصية عظيمة جامعة للنبي ﷺ، كيف تعامل نفسك بحيث أنك كل يوم تنام وأنت مطمئن؛ لأنك ما عليك سيئة، اجتنبت السيئات وما وقعت فيه بادرت بالإحسان، بالتوبة، بالصلاة، بالدعاء، بالصدقة، برد المظلمة، فكل ليلة تبيت ما عليك سيئة، هذا أمر يخص

النفس، وهذا من الرحمة بالنفس ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٢٩]، وأعظم من قتل النفس تحميلها الذنوب التي تحتاج إلى التخلص يوم القيامة، كيف الخلاص يوم القيامة.

بعض الناس في المسجد يحجزون مكان في المسجد وهم في بيوتهم، وهذا تراه لا يجوز، هذا ظلم وبغي، المسجد لمن سبق، **«لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا»**؛ فالإنسان اللي يحجز مكان في المسجد وهو في بيته، فهذا - والعياذ بالله - ظلم، وحرَم إخوانه من حق السبق وهو جالس في البيت، وحجز مكاناً في بيت الله بدون إذن من الله ﷻ، **﴿إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾** [يونس: ٥٩]

والثاني: أنه حرم إخوانه السابقين إلى المسجد في الصف الأول من هذا المكان، لا جلس فيه هو ولا تركهم يجلسون، فهذا ظلم وبغي واتقوا الله، وهذا يكثر وخاصة عند النساء، ما يدرون أنه خطير، وهذا موجود، والنبي ﷺ نهى أن يتخذ المرء في المسجد إيطاناً كإيطان البعير، خليك يوم وراء الإمام، ويوم عن يسار الإمام، ويوم من يمين الإمام، وهكذا. لا تحجز مكان كل يوم إلا إذا سبقت إليه، فتحط سجادة ولا تحط شيء ولا مصحف ولا شيء وأنت في بيتك، تقهقه وتشرب وتأكل والناس محرومين من هذا المكان، هذا ظلم وبغي، وأشد الظلم ما كان في بيوت الله؛ **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾** [البقرة: ١١٤]، مسكين جاء يتقدم يبغى الصف الأول وأنت حاجزه وأنت في بيتك، هذا ظلم، هذا يغار الله على صاحبه تراه، الله يغار لوليه، **«مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَهُ بِالْحَرْبِ»**.

وبعض الناس أيضاً يسب ويشتم، إذا جاء أحد هذا المكان المحجوز سبه وشتمه في المسجد! نعوذ بالله، كيف يكون هذا؟! اللي يريد الرحمة يظلم ويبغي؟ هذا لا يجوز يا إخواني، فاتقوا الله، المكان لمن سبق، الصف الأول لأهل الصف الأول، والثاني لأهل الثاني، والثالث لأهل الثالث، ومن تأخر فهو الذي أخرج نفسه، **«لَا يَزَالُ الْقَوْمُ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّىٰ يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ»**؛ فالذي يحجز مكانه في الصف الأول ويأتي بعد الإقامة، أو في أثناء الصلاة، فمحلّه عند

الباب، عند الحذاء، هو الذي أخرج نفسه، أما أنه يأتي ويزاحم ويقطع الصفوف ويقول أنا حاجز المكان، هذا إقطاع له؟! فاتق الله في نفسك، هذا لا يجوز، هذا تعدي، وأعظم التعدي وأخطر التعدي في بيوت الله، فالله يخاصم هؤلاء يوم القيامة، فليظروا مخرجهم قبل فوات الأوان. والله أعلم.

وصلَّ اللهُ وسلَّمَ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّمَ.



أصول النعم في سورة النحل

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:
 فلا زال الحديث في تدبر آيات من سورة النحل، التي فيها إشارة إلى جملة من أصول
 النعم التي أنعم الله -جلّ وعلا- بها على عباده، وهي من وجوه إحسانه ﷻ إليهم، ومن آيات
 التوحيد، ودلائل القدرة، وأن الله -جلّ وعلا- هو الإله الحق الذي يجب أن يُعبَدَ بالحق، فلا
 يُعبَدَ معه أحدٌ سواه كائناً ما كان، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
 الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، فهذه النعم براهين على التوحيد،
 فالمنعم بها -جلّ وعلا- هو الإله الذي ينبغي أن يُعبَدَ وحده لا شريك له، ولا يحق أن يُعبَدَ
 معه غيره كائناً ما كان.

من هذه الأصول أصول النعم:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل: ٦٥]، فمن الله -جلّ وعلا- على العباد بأن أنزل لهم الماء الذي هو سر الحياة
 وقوامه ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فالذي خلق الماء في السحاب وأنزله دافقاً رافقاً، وأنبت فيه من أنواع الثمرات والزرور
 هو الإله الحق، فينبغي أن يُعبَدَ بالحق، أن يعبد بما شرع، فلا يُعبَدَ معه غيره ولا يُعبَدَ بغير ما
 شرع، فهذه نعمة وأصل من أصول النعم؛ لأن الماء هو الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

نعمة أخرى أشار الله ﷻ إليها بعد ذلك بقوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل: ٦٦]؛

عظة وشاهد قدرة، ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا

لِلشَّرِبِينَ ﴿٦٦﴾ [النحل: ٦٦]؛ فاللبن غذاء وشراب في نفس الوقت، ولا فيه نعمة مطعومة أفضل منه ولا أكمل منه.

ولذا كان النبي ﷺ كل نعمة أو كل مشروب ومطعم يؤتى به يقول: **«زِدْنَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا اللَّبَنُ يَقُولُ: زِدْنَا مِنْهُ»**، لخصوصيته؛ فاللبن يحتاج إليه الطفل في المهد، والغلام، والكبير، والصغير، فلذلك هو غذاء وشراب في نفس الوقت.

فالذي أخرج هذا اللبن النقي، الطيب، المبارك، الذي فيه أنواع من المواد المغذية والحافطة للصحة من بين هذه الأمور المعروفة، **﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾** [النحل: ٦٦]، الذي أخرج اللبن بهذه الطريقة من بين هذه الأمور، هذا دليل من دلائل القدرة، **﴿خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِبِينَ ﴿٦٦﴾** [النحل: ٦٦]، هذا طعم، وفي نفس الوقت هو شراب.

ثم ذكر الله -جلَّ وعلا- النعمة الأخرى التي هي من باب الترفيه: **﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾** [النحل: ٦٧] سكرًا ما وصفه إلا بهذا، وأنه سكر، والذي بعده وُصف بأنه حسن؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يستعملون التمر يُخَمَّرُونَهُ ويصنعون منه الخمر، وهكذا العنب، وهكذا الشعير، وهكذا الذرة، فيصنعون منه الخمر، والخمر داء مضر ومفسد، جُماع الخبائث والشُرور والأضرار.

ولذلك النبي ﷺ لما لقي وفد عبد القيس أهل الأحساء، حَرَّمَ عليهم الأوعية التي كانوا يتبذون بها؛ لأنها يتخَمَّر ما فيها؛ الحنتم، والنقير، والمقير، قالوا: يا رسول الله وما علمك بالنقير؟ قال: "جذع تنقرونه، فتقذفون فيه من القطيعة، حتى إذا غلا شربتموه، وحتى أن أحدهم ليعلو وجه أخيه بالسيف"؛ يعني وهو سكران.

فحَرَّمَ الله -جلَّ وعلا- الخمر تحريمًا تدريجيًّا؛ لأنهم كانوا قد أولعوا به وفتنوا به، ولهذا أسماء الخمر أكثر من أسماء الخيل والسيف والسلاح لِحُب العرب له، وشراب هذا شأنه لا

يمكن أن يتخلوا عنه بسهولة، ولهذا تدرج فيه، وقيل: أن هذه أول آية في تعريض بالخمير، وتنبية على ما سيحدث له من الأحكام التحريم، أنه ذكر هنا سكرًا ولم يوصف بخير ولا شر، لكن اللي بعده رزقًا حسنًا التمر الذي يدخر ويقتات به، وهكذا الحَب، وهكذا العنب، والزبيب، فوصف بأنه رزق حسن، وأما هذا لا سكر.

ثم جاءت الآية الأخرى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، حتى يجتنبونه وقتًا كثيرًا من اليوم والليلة.

ثم جاءت الآية الثالثة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

ثم جاءت الآية الخاتمة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

فامتنَّ الله ﷻ على العباد أيضًا بهذه النعمة، بثمرات النخيل والأعناب، الذي يتخذ منه الشراب غير المسكر، ويتخذ منه القوت الذي يدخر طول العام، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧].

ثم ذكر الراب الآخر الذي فيه حفظ الصحة، والشفاء من العلة ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٦٨) ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩].

. فامتنَّ الله ﷻ على العباد بهذا الشراب العجيب الذي هو من أسباب الشفاء، ويكون الشفاء في ثلاثة: «شَرْطَةٌ مَّحْبَمٌ أَوْ لَدَعَةٌ كَيِّ أَوْ لَعَقَةٌ عَسَلٍ» ومع ذلك هذا الشراب النافع المفيد المشتمل على مواد عظيمة جدًا لحفظ الصحة والوقاية من الأمراض وغير ذلك ورفع الأمراض، يخرج من الحشرات؛

تقول هذا مجاج النحل وإن شئت قلت هذا قيء

فإخراج هذا الشراب العجيب اللذيذ الحلو من هذه الحشرة آية من آيات التوحيد، دليل من دلائل القدرة، وتسخير الله ﷻ ما في هذا الكون للإنسان، وهذا من وجود تكريم للإنسان، وتهيئته ليقوم بالعبادة التي خلق من أجلها لتسعده في الدنيا والآخرة.

ثم هذا النحل هذا المخلوق الضعيف المعدود من الحشرات ما في حياته من النظام والانتظام، واليقين أو القناعة بوجوب الولاية أو تعيين ملكة، لها خدم، ولها حشم، ولها نظام، ولها غذاء، ولها كذا، وتطاع طاعة مطلقة، ألا يليق بالعقلاء المسلمين أن يعرفوا قيمة الولاية الشرعية، وقيمة السمع والطاعة لولاية الأمور بالمعروف، وعدم الطاعة في المعصية، وعدم الخروج عليهم ومنازعتهم، كيف يكون النحل وهو غير وكلف وغير عاقل منتظم، والناس لا ينتظمون مع ولايتهم!

وهكذا ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، منظمون، أنتم منظمون بالشرعية، وهم منظمون بالقدر والفضرة.

فكون الله ﷻ كرمكم، وجعل لكم إرادات واختيار، فضلتكم بها على النحل وعلى الأمم الأخرى، يجعل هذا مبرراً لتمردكم على الله ﷻ، وعصيانكم له، واختلافكم فيما بينكم، واختلافكم مع ولاية أموركم، والسعي في أسباب الفتن والشر، خذوا عبرة من هذه الأمم.

النمل منظم، والنحل منظم، والطير منظم، والجراد منظم، الجراد كله ما ينتقل من بلد إلى بلد إلا بأمر من قيادته وتبعاً لقيادته، يطير في لحظة واحدة، وينزل في لحظة واحدة، فلهذا ينبغي للعقلاء أن يعتبروا بهذه الأمم إذا كان ما كان فيهم الشرع، يتفكروا في الخلق، وكيف

انتظمت مصالح الخلق بهذا الانتظام، الذي جعله الله لهذه الأمم مع قياداتها، نحن مكلفون، والعقلاء أولى.

ثم ذكر الله -جلّ وعلا- نعمة الأزواج؛ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، فهذه نعمة عظيمة، وأن الإنسان يسكن إلى شيء من جنسه.

تصور لو كانت زوجتك من غير جنسك، كيف سيكون السكن؟ وهذا أيضًا فيه توجيه أنه ينبغي أن يكون فيه مقاربة في الأخلاق، والمستوى، وغير ذلك، والعقل، والإدراك بين الرجل والمرأة، وأن يكون فيه تناسب وانسجام.

ولهذا منعت بعض الأمور:

فالعيوب المنفرة، العيوب الخلقية، أو العيوب الخلقية المنفرة تمنع من الزواج، وتقتضي الفسخ إذا طالب أحد الزوجين بحقه، فجعل الله ﷻ الأزواج مناسبة بعضها لبعض، من أنفسكم، ولهذا امتن الله ﷻ بهذا، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً^٤ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ^٥ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وذكر الله ﷻ ما ينتج من الزواج من البنين والحفدة، من البنين للصلب، وأبناء البنين وإن نزلوا، ويدخل في الحفدة الخدم الذين يخدمونكم، الله جعل لكم أيضًا من يخدمكم، سواء المماليك الأرقه أو من يخدم بالأجرة، فهذه من منة الله ﷻ على العباد، ولهذا لما عدد هذه النعم قال ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ

﴿٧٣﴾ [النحل: ٧٣]، يعني كفروا النعمة، وجحدوا التوحيد، وعبدوا غير الله ﷻ، غاية من الحمق والسفه.

ولهذا ضرب الله ﷻ مثلاً الموحد والمشرک، ﴿٧٥﴾ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٧٥﴾ [النحل: ٧٥]، فالذي ينفق سرًّا وجهراً هو المؤمن، والمملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر، مقيد من الخير، ما يستطيع الخير أبداً، والمؤمن يفعل، كلامه طيب، وفعله طيب، ولهذا شبهه النبي ﷺ بالنخلة، أن النخلة مثل المؤمن، كل شيء منها ينتفع منه.

ثم ضرب مثلاً آخر أيضاً: ﴿٧٦﴾ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴿٧٦﴾ [النحل: ٧٦]، وفي الآية الأخرى ﴿٧٦﴾ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ** ﴿٧٦﴾ [الزمر: ٢٩]، عبد مملوك لعدة شركاء، هذا يقول له افعل، وهذا يقول له لا تفعل، ويش يسوي؟

فهذا مثل المشرک عبد الشيطان، وعبد هواه، وعبد اللات، وعبد العزى، وعبد كذا، وعبد الكرسي، وعبد المنصب، وعبد القانون، وعبد الحاكم، شركاء متشاكسون، والموحد ربه واحد، ﴿٧٦﴾ **يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴿٧٦﴾ [النحل: ٧٦].

فهذا يدل على لؤم المشرک، وعلى كرم المؤمن، وعلى أن المشرک حري وحقيق بالإهانة في الدنيا والآخرة، وأن المؤمن حقيق بالسعادة والإسعاد في العاجلة والآجلة، ولهذا جعل الله ﷻ لكل داراً ثلاثمه:

• فلما كرم المؤمن جعل الله له دار الكرامة.

• ولما لؤم الكافر جعل الله له دار الإهانة، وهكذا.

فهذه السورة كغيرها من سور القرآن تُذكر بوجوب التوحيد، وحق الله، وأنه أحق الحقوق وأوجب الواجبات، وتنعى على المشركين سوء صنيعهم وقبيح فعالهم، وأنهم ضالون مضلون، هالكون، خاسرون في الدنيا والآخرة، وتبين دلائل التوحيد وبراهينه، ومن ذلك أن الله عَلَّمَ خالق كل شيء، وأنه المتفرد بملك النفع والضر، وأنه المنعم بأنواع النعم، وأنه الذي يثيب بأنواع الجود والكرم، إلى غير ذلك.

وللحديث صلة إن شاء الله. والله أعلم.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



أصول النعم في سورة النحل
الجزء الثاني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فلا زال الحديث متصلاً عن بيان جُملةً من أصول النعم المذكورة في سورة النحل.

يقول الله -جلَّ وعلا-: ﴿الْمَيْرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ [النحل: ٧٩]، هذا تذكير بنعمة من النعم وهي الطير،

بمختلف أجناسها وألوانها وأشكالها، هذا الطير الذي جعل الله ﷻ خلقه آية من آيات التوحيد، ودليلاً من دلائل القدرة.

جعل الله ﷻ له عظاماً مناسبة للطيران، ليست ذات ثقل، وله ريشاً يساعده على الطيران،

وله أجنحة وذيل، وهذه كلها تقتضي الاعتبار من العقلاء، وتقطع المسافات الطويلة حتى أنها

تهاجر من جانب الأرض الشمالي إلى الجانب الجنوبي، تقطع هذه المسافة الطويلة في أيام معدودة، وترجع كرةً أخرى.

ولهذا فنون عجيبة في قيادتها، في زواجها، في ولادتها، في نسلها، في إعاشتها، حتى إنها

تنسج عشها بطريقة هندسية تحير العقلاء مثل خلية النحل، الله -جلَّ وعلا- هو الذي ألهمه

وعلمه، وحتى فيما بين الأزواج منها، بين الذكر والأنثى من العشرة والمعاشرة، ومن التغنج،

تغنج الأنثى للذكر، إلى غير ذلك، حتى أن منها من يصنع عشه قبل الزواج من الطير، الله

الذي ألهمه، ويهيئ عشه بالألوان الحمر والصففر وغير ذلك، يهيئه قبل أن يتزوج من الطير.

وأعظم من هذا وأبلغ الرسالة التي أداها الهدهد، كيف جاء بخبر سبأ إلى سليمان -عليه

السلام-، وكيف انتقد مملكة وملكتها على الشرك، كيف يعبدون من دون الله غيره، لهذا

قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يُقِينِ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ

السَّيْلِ فَهَمُّ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ [النمل: ٢٢-٢٤] ، فانتقدها على الشرك، وحظَّ سليمان على

دعوتهم إلى التوحيد، وكان ذلك من أسباب هداية ملكة سبأ، فهذه من آيات الله.

الصُّرْدُ نوع من الطير نهى النبي ﷺ عن قتله؛ لأنه يسبح الله -جلَّ وعلا-

وفيها من الأسرار وعجائب الأمور ما لا يحيط به العقلاء، والناس يأكلون من لحومها، فإن جملتها حلال، إلا ما كان ذا مخلب؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - حرَّم ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، وناب من السباع، وإلا فجملتها حلال، وما ورد فيه نص كالغراب، والحدأة، والبوم، والصُّرْدُ، وغير ذلك مما ورد فيه نص في عدم قتله، أو في خبثه ووجوب قتله، أو بيان أنه من ذوات المخالب ونحو ذلك، وإلا فالأصل الحِلُّ، فهذا أمة من الأمم،

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ

يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨]، فهم أيضًا يبعثون، ومحشورون، وأيضًا مقضي بينهم بالعدل.

فإذن هذه من نعم الله -جلَّ وعلا-؛ لأن الطير تؤكل لحومها، وهي تخدم الناس وتنفع الناس، تأكل عنهم الدود، كثيرًا من خشاش الأرض، وفيها أمور عجيبة، فلذلك هي من آيات التوحيد، ومن أنواع النعم.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ [النحل: ٨١]، لتستظلوا به؛ من الشجر،

ومن الجبال، وغير ذلك، ﴿مِنَ الْجِبَالِ أَكُنَانًا﴾ [النحل: ٨١]؛ تستكنون بها، تتقون البرد،

وتتقون الحر، تتقون المطر، تتقون الرياح.

وتعرفون قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت في الغار، فجعل الله ﷻ مما خلق ظلالًا

تستظلون به، والنبي ﷺ بنى مسجده من الجريد، من جذوع النخل والجريد وسعف النخل،

وقال: «عَرِيشٌ كَعَرِيشِ أَخِي مُوسَى»؛ يعني هذه الحياة طريق فقط ومؤقته ما هي شيء،

ولذلك عبر الله ﷻ هنا ظللاً، ما يحتاج أنكم تبنون المسلحات، وتبنون أشياء محكمة، ما تستحق فالأمر أبسط من ذلك.

مرَّ النبي ﷺ على قوم يصلحون لهم شيء، فقال: مَا تَصْنَعْنَ؟ فقالوا: خصّا لنا، قد وهى؛ يعني بلي من طول ما استعملناه، قال: «مَا أَرَى الْأَمْرَ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ».

﴿مِنَ الْجِبَالِ أَكَنَّا﴾ [النحل: ٨١]؛ يعني تستكنون به، يعني بيوتكم هذه مؤقتة، مثلما أنكم في الطريق لو صادتكم مطر أو ريح أو غيره وجدتم مغارة أو جبل دخلتموها حتى يزول هذا العارض، فالله تعالى جعل هذا عبرة ليدل على قصر الدنيا، وأنها ليست دار مستقر، وأنها هي ممر، وأن مستقرها في الآخرة، فلينظر العاقل مستقرة أين؟ في الجنة أو في النار، فإنه لا منزل للمرء يوم القيامة إلا ما كان بينه في الدنيا:

لا دار للمرء بعد الموت إلا التي كان قبل الموت
فإن بناها بخير طاب وإن بناها بشر خاب بانيتها

قالوا للحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: ما بالنا نكره الموت؟ قال: (لأنكم عمرتم دنياكم، وخربتم آخرتكم، فلا تحبون أن تنتقلوا من العمار إلى الخراب)، والمعنى اعمرُوا آخرتكم تشاقوا إليها، فتنقلوا من الخراب إلى العمار.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِبِي عَلَى إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ: أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: (بلغنا أن الملائكة يبنون القصر للمؤمن في الجنة، فربما وقفوا، فيقال: مالكم؟ فيقولون: حتى تأتينا النفقة)، أي نفقة؟ الصلاة.

- «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قِطَاةٍ، أَوْ أَصْغَرَ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

- «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْيَوْمِ اثْنَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

- «مَنْ صَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

- «فِي الْجَنَّةِ غُرَفٌ يُرَى بِوِاطِنِهَا مِنْ ظَوَاهِرِهَا، وَظَوَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ».

- بيت الحمد في الجنة يبنى للمؤمن تصيبه المصيبة بفقد محبوبه من ولد، أو نحوه، فيحمد الله ﷻ، ويسترجع، فيقول الله ﷻ للملائكة: «ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد».

هكذا الكلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لبنات في بناء القصور في الجنة، فإذا أبطأت بشيء من هذا أوقفت الملائكة، معذرون، أما إذا غفلت فهي مصيبة، فلهذا ينبغي للإنسان أن يعتبر.

فالله جعل للإنسان ما في الدنيا مذكراً للآخرة، فالبيوت في الدنيا والقصور تُذكر بقصور الآخرة، والأشجار والبساتين تُذكر ببساتين الآخرة، والمشروبات تُذكر بمشروبات الآخرة، حتى النار جعلها الله تعالى تذكرةً ومتاعاً للمقوين، النار في الدنيا نتذكر بنار الآخرة، فإنها جزء من تسع وتسعين جزءاً من نار الآخرة، فلهذا يعتبر الإنسان.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ

سَرَابِيلَ﴾ [النحل: ٨١] من قطن، من صوف، من، من، من، إلى من البترول، نعم ملابس،

﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

في أول السورة: ﴿وَالأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ﴾ [النحل: ٥] ملابس

تلبسونها من الصوف، وهنا تقيكم الحر، تكون من قطن، وناعمة، وباردة، ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ

بَأْسِكُمْ ﴿ [النحل: ٨١] في الحرب، دروع من الحديد وغير ذلك، فهذه نعم أنعم الله بها على الناس، خلقها الله لهم، وسهلها لهم، وهداهم إلى صنعها، ﴿وَعَلَّمَنَّهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَّكُمْ لِيُنْحَصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وكذلك ذكر الله - جلَّ وعلا - قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠]؛ يعني سهولة الحمل، مصنوعة من الوبر، من الصوف، من كذا، من كذا، من أي شيء تصنع، حتى المباني الجاهزة وغيرها، فالله - تعالى - جعل لكم هذه المساكن.

﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ ﴿٨٠﴾ [النحل: ٨٠] تصنعون بيت، وتصنعون الفراش، وتصنعون أواني حتى من سعف النخل تصنع الأواني، فكل هذه من نعم الله - جلَّ وعلا - على العباد، وهي في نفس الوقت براهين ساطعة على وجوب التوحيد، توحيد الله - جلَّ وعلا -، وأدلة قاطعة على بطلان الشرك بالله - جلَّ وعلا -.

فمن اعترف بالنعمة فهو حري أن يوحد الله ﷻ، ومن كفر بالنعمة فهو حري أن يكفر بالله ﷻ، ولهذا قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

﴿٨٣﴾ [النحل: ٨٣]، أكثر الناس كفار؛ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤]، كفار للنعم يجحدون، ويجحدون المنعم، ولذلك الله يعطيهم الأموال ليقول: هذا مالي، ورثته كاملاً وثمرته، أنا وأبوي، وجددي.

والآخر يقول: لا أنا ورايا صنعة، أنا تعلمت في الجهة الفلانية، وأتقنت الصنعة، وأنا سويت، وينسب كل الأمور إلى نفسه، وما ينسب شيء إلى الله ﷻ، وينسبون العمة إلى غير المنعم بها - جلَّ وعلا -، ينسبونها إلى أنفسهم، فلذلك هذا كفر.

فينبغي للإنسان أن يحذر والكفر خطير؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) [إبراهيم: ٧]، فالشكر شكر النعمة الذي ينبنى على أصول ثلاثة:

أول شيء: الاعتراف بالنعمة في قلبك أنها من الله - جلّ وعلا -.

والثاني: تذكير نفسك وغيرك بها، بنعمة الله - جلّ وعلا -، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

﴿الضحى: ١١﴾.

والثالث: استعمالها في مرضى الله ﷻ، والبعد والنهي عن استعمالها في معاصيه - سبحانه تعالى -.

فالشكر يحفظ النعم الواصلة الموجودة بن يديك، ويحفظ النعم الحاصلة، وتُستجنَب به النعم الوافرة، والكفر وجحود النعمة وإنكارها واستعمالها في غير طاعة الله يمنع أو يزيل النعم الحاصلة، ويحول من وصول النعم الواصلة، ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لَئِنْ كَفَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (١٦٧) [الأعراف: ١٦٧].

ولهذا الله ﷻ قال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢]، الله المستعان، الله المستعان، الآية دي عندنا أكيد ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢] إنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

﴿النحل: ١١٢﴾، الله المستعان، الله المستعان، الآية دي عندنا أكيد ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢] إنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

﴿النحل: ١١٢﴾، إنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

﴿النحل: ١١٢﴾.

وإن الذي يمشي في الشوارع، ويرى الاستهانة بالأطعمة وألوان النعم، يخشى من زوال

النعمة، نعم فيه استهانة، والذي يرى البذخ في الإنفاق، والسرف في إنفاق الأموال وهذه

الأمر المحرمة، ومعاصي الله -جلّ وعلا-، يخشى من زوال النعمة بين عشية وضحاها، ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩].

فمن كفر النعمة فهو حري بكفر المنعم -جلّ وعلا-، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٣-٧٤]، لا تجعلوا لله أندادا من خلقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، قال ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

فلهذا يا إخوان ينبغي لنا الحذر من كفران النعم، والغفلة عن حق المنعم، والحذر من استعمال النعم في معاصي الله -جلّ وعلا-.

ولهذا ضرب الله ﷻ مثلا للشاكرين ليكونوا قدوة إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠]، كان على الحق وحده في زمن لم يكن على الحق فيه سواه، وكان منبياً لطاعة الله ﷻ، وكان إماما يقتدى به، وكان مخلصاً لله بالتوحيد -جلّ وعلا- وبريئاً من الشرك، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجَبَّهُ وَهَدَنَهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢]، أنواع من الكرامات في الدنيا والآخرة، ثم أوحينا إليك إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- أشرف الخلق ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وهذا أيضاً تنبيه للأمة

على حسن الاقتداء بإبراهيم عليه السلام في التوحيد والشكر، والاستقامة على صالح العمل
وصالح القول وغير ذلك، والبعد عما يضاد ذلك.

وَفَقَّ اللهُ الْجَمِيعَ لِمَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَجَعَلْنَا أُمَّةً لِّلْمُهْتَدِينَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ.



الحث على المبادرة إلى الخير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:
فإن المتأمل في جملة من الآيات القرآنية المحكمة، والأحاديث النبوية الصحيحة على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التسليم، يلفت نظره أمران:

الأول: الحض على المبادرة إلى الخير والعمل الصالح؛ كقول الله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي

مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَن عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ

﴾ [الأعراف: ١٨٥]، والمعنى أن يبادروا الأجل وصالح العمل، ولا يتأخر؛

- قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَٱلْأَرْضُ

أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

- وقال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَاتِ إِلَىٰ ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

﴾ [المائدة: ٤٨].

- وقال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ [المؤمنون: ٦١].

وقال ﷻ: «أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُّوا إِلَىٰ ٱللَّهِ قَبْلَ أَن تَمُوتُوا»، فساعة الموت معلوم أنها مغيبة،

فالمعنى أنكم بادروا إلى التوبة قبل أن ينزل بكم الموت، وإذا كنتم لا تدرُونَ متى ينزل بكم الموت، فلتزموا التوبة في كل الأحوال، ولا أحد يدعي لنفسه العصمة والكمال.

وقال ﷻ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا»؛ يعني بادروا بالأعمال الصالحة سبعة عوارض، قد

يعرض منها واحد أو أكثر فيشغلکم عنها، «هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُّسِيًّا؟ أَوْ غِنًى مُّطْغِيًّا؟ أَوْ

مَرَضًا مُّفْسِدًا؟ أَوْ هَرَمًا مُّفْنِدًا؟ أَوْ مَوْتًا مُّجْهِزًا؟ أَوْ الدَّجَالَ؛ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ؟ أَوْ السَّاعَةَ؛

فَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ؟».

وقال - عليه الصلاة والسلام - : «**أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا**»، وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «**خُذْ مِنْ شَبَابِكَ لِهَرَمِكَ، وَمِنْ صِحَّتِكَ لِسِقَمِكَ، وَمِنْ غِنَاكَ لِفَقْرِكَ، وَمِنْ فَرَاغِكَ لَشُغْلِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**»، والمعنى انتفع لهذه الأمور قبل أن تزول عنك ويحل بك ضدها.

فلا بد أن يكون من شأن المسلم هذان الأمران:

- المبادرة إلى الخير.
- واغتنام الفرص.

ومن حُسن بركة العمل الصالح أن الإنسان إذا فعل وكرّر، وكرّر مرة أخرى وثالثة، فإنه يرسخ في النفس، ويصير سجية وخلق، ولهذا وصف الله ﷻ أهل الإيمان والتقوى، والإحسان، والبر - جعلنا الله وإياكم من أهل البر - بأكرم السجايا، وأشرف الخصال: الكرم، الصبر، الحلم، التقوى، الخشية، الإنابة، العفو، الحلم، إلى غير ذلك، فالمسلم لا بُدَّ أن يراعي هذا هاتين النقطتين، وهما: المبادرة، واغتنام الفرصة.

فالمبادرة المسابقة، ودائمًا الأمر إذا سابت إليه يكون أيسر إليك مما لو تأخرت، أقرب مثال الآن: تجد الإنسان إذا أُذِنَ للصلاة وقام، تجده منشرح الصدر إذا قام للصلاة، ويحصل له في المشي إلى الصلاة وانتظار الصلاة، ودعاء الملائكة، ودعاءه لنفسه، وجوده في المسجد بين الصالحين، وتشوفون دعوتهم ما يعينه على الخشوع في الصلاة، والحضور، والطمأنينة، والإقبال، وإذا خرج من المسجد بعد الصلاة وإذا صدره أوسع من الدنيا، بينما لو تأخر وفاته الصلاة تجد الصلاة ثقيلة وكأنها كابوس عليه، فهذا مثال.

فالرجل الذي تقدّم بين يدي النبي ﷺ وتصدّق، فقام الناس وتصدّقوا بعده، صار له مثل أجور من تصدّق بعده، وقال فيه النبي ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، فهذا أمر لا بُدَّ من التفطن له.

كيف التطبيق؟ مثلاً: سبق في درس أول الشهر قول النبي ﷺ لمن سأل مرافقته في الجنة: **«أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا حَطِيئَةٌ»**، وذكرنا أن النبي ﷺ كان يحافظ طول السنة -إلا في سفر أو مرض- على أربعين ركعة، ويزيد ما شاء الله، وأن جملة ما رغب فيه النبي ﷺ وفعله، وأقرّ الناس عليه من الصلاة ينيف عن الستين ركعة في اليوم والليلة، وأنه لا بُدَّ للإنسان أن يطبق هذه السنة، ولو مرة في الأسبوع، أول مرة في الشهر، أنه يطبق هذه السنة ويحرص عليها.

الآن مثلاً نهاية الدوام الرسمي يمكن غداً، عندك خمسة أيام قبل نهاية الشهر، إيش عند الإنسان المتفرغ للصيام والقيام غير الصلاة؟ فماذا لو قال: خلاص أنا بكرة من الضحى هذه سأصلي ثنتي عشرة ركعة على الأقل، لما روي عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ صَلَّى مِنَ الضُّحَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ»**.

وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ صلى ثمان ركعات، وصلى ست ركعات، فهذا وقت ضائع على الناس، الآن في رمضان ضائع على الناس، لو تسأل حال الناس تجدهم كلهم نيام إلا من شاء الله، فماذا لو الإنسان اغتتم هذا الوقت، وصلى له خمس تسليمات، أو ست تسليمات، ألا يكون هذا خيراً له وأعلى؟ هذه واحدة مثلاً.

ما بين الظهر والعصر وقت ضائع على كثير من الناس، يا جود اللي يصلي بعد الظهر ونصير نراه، والنبي ﷺ قال في حديث عمرو بن عبس، في صحيح مسلم -رحمه الله-: **«صَلِّ (يعني بعد الظهر إلى العصر) فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ»** مثل الضحى، فلو صلي الإنسان يعني، ثبت أن النبي ﷺ صلى أربع ركعات بعد الظهر وقال: **«مَنْ حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»**، وقال: **«رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا»**.

إذن هذه ثمان ركعات بعد الظهر والعصر ثابتة في الأحاديث، فلو زاد معها ثمان ثمان، ألا يكون أرفع لدرجتك في الجنة، كم تتوقعوا تكون قيمة الدرجة يوم القيامة؟ وأنت تحصلها بركعة، ما تطلع من جيبك ولا فلس! وين اللي يجتهدون في هذا ويتحرون؟

أيضاً ذكرنا أن النبي ﷺ صَلَّى بين المغرب والعشاء، قرن ما بين المغرب والعشاء بصلاة، وذكر عنه في المسند وغيره أنه صَلَّى أربع ركعات، وست ركعات، فهذه نفسها فرصة لو صَلَّى الإنسان أكثر الناس يتعشون قبل المغرب، ما عندك شغل، بعد المغرب ما عندهم شغل، إلا شيء يضرهم إلا ما شاء الله، فلو صَلَّى أربع ركعات بس، ست ركعات، الحمد لله الآن الناس يصلون أول الليل وآخر القيام.

طيب واحد من عاداته يرتاح إذا صارت الساعة ١١ أو ١٢، قبل ما ينام أو يرتاح يتوضأ ويصلي ركعتين أو أربع، كم يجتمع له؟ فبهذا يجتمع للإنسان مئة ركعة في اليوم واللييلة، أتظنون أن المريض سيصلي مئة ركعة في يوم من الأيام؟ ما يستطيع، المشغول سيصلي مشغول الذهن اللي يطالبه الغريب؟ ويطالبه بالمحاكم؟ ما يستطيع، فإذا لماذا لا تغتنم هذه الفرص يعني؟

هو خمسة أيام قبل نهاية الشهر، ما عند الناس شغل ترى وهم، كثير من الناس عندهم أشغال وهمية ما هي بحقيقية، بدليل أنه عنده مشروع، جدول عمل يومي، لكن قيل له: جنازة ابن عمك مات أو أخوك مات، ويش يسوي؟ يلغي المشروع كله ويروح يصلي.

إذا أمر الدنيا هين، فهذه من النقاط اللي ينبغي للناس أن يهتموا بها، وإذا لم تتعود كثرة الصلاة في رمضان، متى تتعود؟ متى تحصل لك فرصة؟ خذ دورة في رمضان في العشر الأواخر على الأقل، الآن الناس عندهم موضة الدورات المكثفة، خذها في رمضان الآن على الصلاة، دراسة على الصلاة، بادروا بالأعمال قبل أن تُشغلوا.

مثلاً استلم الراتب، لو قلنا: أن الإنسان يتصدق كل يوم بريال، يوم يتصدق بخمسة، ويوم ما معه شيء، ويوم ما حصل الفقير، ويوم كذا، ويوم كذا، طيب إذا استلم الراتب يأخذ خمسين ريال، مئتين، خمس اللي يعجبه ويتصدق بها في اليوم نفسه، يكون أدى الشيء المهم عنده، وما بقي من الشهر اللي يجيبه الله خير، منهج في الصدقة.

راح يتقضى من السوق، دخل على الخضار، مقاضي العيال يعني، شاف والله هذا الطيب، هذا الخضرة، هذا النوع كذا، أخذ صندوقين على خمس سرير عشر سرير، هذا النجار، وهذا الفقير، يضره فهذا صيد، يحتاج الإنسان أنه يكون صياد، يكون له همّة في الآخرة، يخشى أن يفاجئه الأجل وهو على نقص عمل.

فالأمر باستباق الخيرات يعني هذا، الأمر بمبادرة الفرص قبل الشواغل يعني هذا، وهذه قاعدة في الشريعة، قاعدة في الشريعة، لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، اغتنم الفرصة، أنت اليوم صحيح، أنت اليوم غني، أنت اليوم فارغ، أنت اليوم كذا، فاغتنم الفرصة دي، أتدري أنك إذا اعتدت العمل الصالح، ثم عرض لك ما يشغلك عنه، أنه يكتب لك ما اعتدت لما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَمَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَاحِحٌ مُقِيمٌ»**، وهذه من مزايا مبادرة العمل واعتياده، ويثبت لك هذا عن الله ﷻ ويكون عند الملائكة ﷺ قاعدة أن يكتب لك العمل الذي اعتدته حتى ولو شغلت عنه، ولا سيما إذا كانت نفسك متعلقة به، ليعلم الله من قلبك أنك لو صارت لك الفرصة فعلت، هذا أكمل أنه يكتب لك.

فاغتنام الشيبية قبل الهرم، والصحة قبل السقم، والفراغ قبل الشغل، والحياة قبل الموت هذا منهج شرعي، والنفوس من طبيعتها أنها تقبل الترويض على الخير وعلى الشر، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا

سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:

٧-١٠]، نفس الإنسان بطبيعتها أمارّة بالسوء؛ لأنه يجتمع معها، يعني هي أمارّة فيها ميل، ويجتمع معها أمران:

- الأمل البعيد والعريض، والذي قد يقطعه الأجل.
- والشيطان الغرور.

فتقوى على الامر بالسوء، وأنها تؤخر الخير، خلوه بعدين، هذا كذا، لا تستعجل، عندك ضيف، عندك كذا، أي خصلة من خصال الخير تجد النفس إذا لم تجاهدها تثنك عن الخير ومبررات وعلل واهية، ما هي بشيء، لكنها إذا جوهدت تحولت من أمارّة بالسوء إلى لوامة، تخشى إنك تأخرت على ضيفك، ليش تسلم تسليمين مثلاً، تقولك كذا يعني، يمكن فاتك الضيف، يمكن موعدك في البنك صار كذا، يمكن في الدوام كذا، فتجدها لوامة، تعرض لك الأقوى؛ لأنها جوهدت.

فإذا استمر الجهاد صارت نفساً مطمئنة، تحب الخير، وتميل إليه، وتأمّر به، جعل الله نفوسنا كذلك، هذه النفس المطمئنة هي أكمل حالات العبد، وهذه أمارّة على حسن الخاتمة، نسأل الله حسن الخاتمة للجميع؛ لأن الملك اللي يرسل ليقبض هذه النفس تصحبه ملائكة الرحمة، معهم حنوط من الجنة، وكفن من الجنة، فيجلسون من هذه النفس مد البصر، فيقولون: (يا أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان)،

كما في القرآن العظيم ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿أُرْجِيئُ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠) [الفجر: ٢٧-٣٠].

فهذه من ثمرة جهاد النفس، ولذا قال -جل وعلا-: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) [العنكبوت: ٦٩]، يعني سبل الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيَهُمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (١)

دَعَوْتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ^٤ وَعَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ [يونس: ٩-١٠].

قال ﷺ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ»، قال -جل وعلا-: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

فثمرة جهاد النفس أن تعتاد الخير، وتطمئن إليه، وتأنس به، فما عملته كُتِبَ لها ولا شك، ولا لم تعمله كتبها؛ لأنها نوته واعتادته، وعليه حديث النبي ﷺ: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَمَا كَانَ يَعْمَلُهُ وَهُوَ صَاحِحٌ مُقِيمٌ».

فهذه التجارة الربحية، الأعمار قصيرة، لكن النيات مديدة إذا صارت في الخير، والأعمال ميسرة، فلهذا يحتاج الإنسان أن يروض نفسه، ولا سيما الفرص هذه، فرص رمضان، فرص استلام الراتب، فرص النشاط، فرص الفراغ، فرص كذا وكذا، فإنها تستعمل فيما يناسب من الطاعة، ولا سيما ما يتعدى نفعه، كتعليم العمل، الدعوة إلى الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إعانة المحتاجين، إسعاف المنكوبين، إغاثة الملهوفين، هداية الحائرين، كل هذه من الأعمال العظيمة.

فالإنسان إما يفعل شيء فيه نفع لنفسه، أو شيء يتعدى نفعه إلى غيره، وهذا أكمل له بعد الفرائض، كل عمل يتعدى نفعه للآخرين بعد الفرائض أفضل من العمل الذي يقصر على نفسه، لكن أحيانا الأعمال القاصرة على النفس مثل الصلاة تكون قوة للعمل المتعدى كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]،

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، إلى غير ذلك.



**العناية بتقوية الإيمان
في
قلوب الناشئة**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:
فمن التطبيقات الدعوية التي ينبغي أن تكون على بال الأب والأم، والولد، والبنت،
والأخ، والأخت، والعم، والعمة، والخال، والخالة، وأي أحد له ولاية:

أن يُعنى أولاً: بتقوية الإيمان في القلوب، وتصحيح العقيدة إذا كان فيه خطأ، ولذلك
رسل الله -عليهم الصلاة والسلام- بُعثوا بما بينه الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فكل رسول من الرسل -

عليهم الصلاة والسلام- يقول لقومه: أن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٢٣﴾﴾.

وقال النبي ﷺ لمعاذ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وفي وصية لقمان

لابنه يقول: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، والآن الناس

يُتَلون الآن بالكفار، الآن الكفار بين ظهراي المسلمين، عمال وخدم وأقارب، وعلاقات
عمل الآن في الشركات والمؤسسات، فكيف الإنسان يكون عنده الكافر، ولا يدعو إلى الله،
ولا يحرص أن ينقذه من النار، يتقرب إلى الله ﷻ بأن يكون افتكاكه يوم القيامة من النار.

فلا بُدَّ من الدعوة إلى الله، لا بُدَّ من هداية الناس إلى الإيمان بالله، واتباع الرسول ﷺ،

المطلوب تكفير أتباع النبي ﷺ، ومطلوب أن الإنسان يسعى في إعتاق الناس من النار، يقول

بعض السلف: (وددت أن لحمي قرض بالمقاريض، وأن الناس أطاعوا ربهم)؛ لأن هذا يدل

على قوة إيمانك، وعلى غيرتك على حرمة الله ودينه.

ويقول الآخر: (لو أن لي مالا لجعلت على كل شرف من الأرض وكل مرتفع رجلاً

ينادي في الناس النار النار)، فهذا ينبغي يكون من شأن المسلم في كل مقام، سواء في العمل،

سواءً في المستشفى، سواءً اللقاءات في المطارات، في أي مكان، إذا اطمأنت إلى الشخص أنه سيصغي إليك ويأخذ منك، افتح معه الباب على طول.

فإما أن تكون مؤسسًا أو مؤكِّدًا، إذا كان أحد تتكلم معه في مرة من المرات على الإسلام تدعوه إليه، فأنت مؤكِّد، وإذا جاء بعدك ثاني، ثالث، رابع، تدعو الشخص.

وإن كان ما سبق إليك الكلام في الموضوع ذا فأنت مؤسس، يجي بعدك واحد يثبت ما قلته، واحد يدعوه حتى يهتدي، وإن كل الدعوة فكرة، فإنك تأخذ فكرة قيحة تسلها من رأسه، وتجيب فكرة جديدة صحيحة فقط، يعني اجعله يفكر فقط؛ لأن الناس جميع أهل الأرض لو تقول له: من ربك؟ يقول: ربي الله، واضح ولا لأ؟

اليهود والنصارى والمشركين أي أحد يقول: ربي الله، ما عندهم نزاع في هذا، فأنت قل له كلمة واحدة: ما حق الله عليك؟ اللي خلقك، وغذاك، وأعطاك، ما هو حقه عليك؟ تقول: يا ربي لك الحمد والشكر، لكن أنا والله أشفق عليك، هل المسلم يدخل الجنة، والكافر يدخل النار؟ أنا كذا، كذا، فتحاول يعني معه، هذا مثل تطبيق للدعوة إلى الله، مفتوح الآن.

الشيخ تق الدين الهلالي رَحِمَهُ اللهُ عالم مغربي كبير، ويجيد سبع لغات بما فيها العبرية، ودرّس في عدد من جامعات العالم، حتى درّس في ألمانيا درّس العبرية، وداعية مثالي، ومع ذلك يقول أنه: أنا أدعو إلى الله في كل مناسبة، وجدت من هو أفضل مني في الدعوة، من سبقني، يقول: أني صار فيا مرض، وراجعت طبيب فرنسي في فرنسا وتعالجت عنده، وأراد الله وشفاني يعني، وإذا بهذا الطبيب مستشرق، ما هو طبيب و فقط، مستشرق داعي إلى النصرانية.

يقول: يوم عالجنى قال لي سؤال يسترشد مني، قال لي: القرآن كلام الله تعالى ولا كلام محمد ﷺ؟ يقول: قلت كلام الله، قال: كيف كلام الله، وأيش الدليل؟ يقول: فإن الله ﷻ قال كذا وقال كذا، ويذكر الأدلة أنه تنزيل من الله، وأن الله كذا وكذا، أوحينا إليك، قال: والله

الكلام هذا صحيح بس ما هو مقنع؛ لأن الإنسان الكافر ما تستدل عليه بآيات القرآن، هو ما يؤمن بالقرآن أصلاً فكيف تستدل عليه! جيب كلام عقلي منطقي.

المهم قال: إني أنا فعلاً طيب، ومستشرق، وداعي مبشر يعني منصر، وجاء عندي الملك فيصل -رحمه الله- عالجتة في العيادة هذه، سألتة السؤال هذا، قلت له: أن القرآن كلام الله ولا كلام محمد؟ قال: كلام الله، قلت له: لا كلام محمد، قال: كيف عرفت أنه كلام محمد؟ وشلون أنت كذا أنت نصراني وتعرف أنه كلام محمد؟ يقول: قلت أنه قرأت تراجم القرآن، وكذا، وكذا، قال: قرأت بلسان القرآن، قرأت القرآن بلسان القرآن العرب، ولا بلسان خصومه؟ يقول: بل بلسان خصومه، قال: تعلم العربية، وقرأ القرآن وستعرف أنه كلام الله.

يقول: فخصصت مدرس من جامعة باريس، يدرس لي كل يوم ساعة، وبعد ستة أشهر أجدت العربية، وأقرأ القرآن، وأعرف أنه كلام الله، وأدخل في الإسلام، شفت كيف؟ همه السياسة ما أشغله عن دعوة إلى الله ﷻ، فالدعوة ميسرة وسهلة، والعالم بحاجة إلى الدعوة.

الآن العالم ينحرون ويقتلون باسم القتل، ليش؟ من البؤس، ما وجدوا طريق، كل طريق

ظلمات، تفتح له طريق النور، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥)

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦] بَيْنَهُمْ

والله ما في الدنيا أحد معه بضاعة مثل بضاعتكم، الإسلام الحق، الدين شرعه الله، والقرآن تكلم الله به، والرسول أرسله الله وعصمه من الضلال والخطأ فيما يُبلِّغ، ما فيه أحد أصح منكم، دين ومنهج وعقيدة وكل شيء، والناس في حاجة لما عندكم، ليش يكتم؟ فهذا موضوع الدعوة الآن، فكل الناس بحاجة لما عندك.

الموضوع الثاني أقرب من هذا وأسهل: الصلاة عمود الدين، وشرط قبول العمل، وشرط النظر في العمل أصلاً، والله عمل بلا صلاة ما ينظر الله فيه، إذا لم توجد الصلاة في العمل لا ينظر الله فيه فضلاً عن أن يزيد عليه.

الصلاة آخر ما يفقد في الدين، الآن عيالكم يؤخرون الصلاة عن وقتها، وتأخير الصلاة عن وقتها ما تقبل الصلاة، «مَنْ أَخَّرَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا عَمْدًا حَبِطَ عَمَلُهُ»، يقول النبي ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ».

يا جماعة لو الإنسان جاء يوم عيد الأضحى الساعة ثمان، وقال أنا وقفت بعرفات الحمد لله، له حج؟ انتهى وقت الحج بطولع الفجر يوم عرفة.

فإذن الصلاة في غير وقتها على غير مراد الله ورسوله، وأنتم تجاهدون أولادكم اليوم الصلاة الصلاة، ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: ١٧]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

أول جزء قاله الله لك: أنها تصلح قلوبهم، ولا تقول: أنا مليت، أنا كل يوم أجاهد أصابني الضغط، أصابني السكر، ولا تقول هذا الكلام ذا، أنت كل يوم على أجر، كل يوم ترتفع درجة عند الله ﷻ، وكل يوم أنت أحرى بصلاح أولادك من أمس، وبعدين كل يوم شكلك بتودع الدنيا، يمكن يكون هذا آخر يوم لك في الدنيا، ترضى أنه يكون آخر يوم لك في الدنيا ومدمن وأيس من روح الله ومن رحمة الله؟

فالجهد على الصلاة جهاد عظيم، هذه دعوة إلى الله ﷻ، فتدعون أولادكم، وتدعون عمالكم، وتدعون جيرانكم، قل خيراً، رغب في الصلاة للنفس، اقرأ عليهم قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٩-١١].

فتذكّر، لو ما تقرأ إلا القرآن فقط يكفيك هذا دعوة، اذكر الآية فقط، ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ

﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢-٤٣] يا ابني ترضى النار، هذا كلام رب العالمين، «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ مِنْ حَافِظٍ عَلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ عَهْدًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»، هذه دعوة يا جماعة، دعوة هذه.

الآن الرقابة الإلهية يا جماعة، الآن عيالكم ما هم بأيديكم الآن، يشاهدون القنوات، ويدخلون الإنترنت، ويشوفون الفواحش، ويشوفون الكفر، ويشوفون عباد الشيطان ولباسهم وشكلهم الآن، ويلبسون لباس عباد الشيطان الآن عيالكم، أترك الإنسان كذا؟ وأنت تمنع ولدك أربع وعشرين ساعة نائم.

فإذن الحل أنك تقوي في قلبه الرقابة الإدارية، ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]، يقول النبي ﷺ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَقُولَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ أَيْنَمَا كُنْتَ»، وأنت تقول: يا ولدي اعلم أن الله يراك، ما تستر من الله، والله ما فيه شيء يسترك من الله، استحي من الله إذا، يا بني أنت في أرض الله، عيب تعصي الله وأنت تأكل نعمة الله، أنت في أرض الله عيب تعصي الله، أنت لن تستطيع الهرب من الله، فإن الله مدركك، أين المفر والإله الطالب.

هذه دعوة، خاف الله يا بني، الله يراك، الله قادر عليك، ملائكة الله محيطين بك، ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الرعد: ١١]، يكتب عليك كلامك، يكتب عليك نظرتك، يكتب عليك كل سماعك.

اتق الله، فتغرس الإيمان في قلبه ورقابة الله في قلبه، فيستحضر في أي مكان، لو أنه في ظلمات من الأرض فإن الله يراه، لو أنه خالي وحده فالله حقا يستحي منه، فتقوية الوازع الإيماني في القلوب هذا أعظم سلاح في صلاح الناس، وتثبيت الناس على الدين، ما هو دائما

هوج أو هجر، هذا انتهى وقته الآن، التوجيه المتواصل والرفق، يا بني، يا وليد، الله يصلحك، الله يهديك، خاف الله، ترى الله يراك، ترى الله كذا، يا وليدي إذا كنت في المستشفى مَنْ ترجي؟ مَنْ ترجي وأنت في المستشفى على السرير؟ من ترجي؟ ترجي الله، اشك لله حتى إذا احتجته يجيلك، فتقوية الإيمان في القلوب هذا سلاح قوي جداً، وهذه دعوة إلى الله.

كذلك الإحسان بالزكاة، والصدقة، والبر، والإعانة، تحب ولدك أنه يعاون الضعيف، وتصدق على الفقير، ويحسن إلى الجار، ويوقر الكبير، ويرحم اليتيم، بحيث أن الولد ينشأ عنده قيم ومبادئ.

لكن عيالكم ما يسمعون شيئاً الحين، لا يحضرون المساجد والدروس، ولا يستمعون للبرامج الإذاعية، وإنما بهاء^(١) أربع وعشرين ساعة، مع الشياطين الآن هم، فلا بُدَّ من شيء، لا بُدَّ من حملة بحيث يتعلمون الناس القيم، وأن الواحد نفسه يكون قدوة لأولاده، يعطيه خذ وتصدق، شوف مسكين وأعطه، هذا كذا، قل له كذا، تأخذه معك المسجد، تجلسه بجانبك، وتخليه يقرأ القرآن ويستمع إليه، وتعطيه هدية، وإذا حفظت القرآن لك كذا، وإذا سويت كذا لك كذا، فهذا أيضاً مما يدخل في الزكاة، والنفقة ابتغاء وجه الله ﷻ.

التربية على الصيام، الصحابة رضي الله عنهم يصومون أولادهم، مع أنهم في جوع أصلاً، ومع ذلك يصومونهم، وإذا أرادوا أنهم يفطرون يشغلونهم، يجيبون لهم لعب من الصوف يصلحونها، ويقولون: العبوا بها، وأنتم ما شاء الله ميسر لكم الألعاب كل الأنواع هذه، بس عشان يتعودون الصيام، الطفل إذا صام سنة وراء سنة سهل عليه إذا بلغ، هذه تربية وهذه دعوة، تشجيع، وإذا صمت يوم لك كذا، وإذا صمت يومين لك كذا، فهذه دعوة إلى الله ﷻ، فنحن بحاجة إلى الأمور هذه الآن.

في نفس الوقت الناس يفهمون أن الدعوة لازم تصير أمام جمهور، وأنه يكون خطيب مفوّه، لا يا ولدي، الدعوة يا أخي هي دعوة شخصية، الأصل فيها أنها دعوة شخصية، والنبى ﷺ بدأ الدعوة فردية، والصحابة الذين أسلموا بدأوا الدعوة مع الأفراد، ودخلوا في الإسلام سرّاً.

فالدعوة فردية، ومن أشهر الدعوة للشخص الواحد فقد عيّره، ومن أسرّها له فقد دعاه، فأنت أخوك يصلي جنبك في المسجد، ترى عليه ملاحظة، تراه يُسيء الصلاة، يُخفف صلواته جدّاً، يُخل بصلواته، تراه مثلاً يُسبل ثوبه، تراه كذا، تجلس معه، وتقول: ما شاء الله، حريص على الخير، وأنت تحب الخير، وأنت ما شاء الله مُيسر لك الخير وموفّق، لكن ترى فيه شيء يحتاج إلى التنبيه، أنه كذا وكذا، فتطمئن شوية زيادة حبة في الصلاة.

النبى ﷺ قال للرجل الذي عجل في الصلاة: **«ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»** ثالث مرة، حتى جاء وقال: لا أحسن غيرها، فعلمه النبى ﷺ، وأرشده للطمأنينة في الصلاة.

المؤمن مرآة أخيه، أنا والله أحب أن تكون أحسن شيء ولذلك أنصحك، فهذه دعوة شخصية، ربما أنك ترى منه جفاء ولا شيء تُهدي له، تفضل يا فلان نجلس مع بعض الله يُحب الجيران مقصرين مع بعض، فيجلس إليك وتجلس إليه، فيصير فيه إلف، وبعدين يقبل منك، الناس إذا لم يحبوك لن يقبلوا منك، وإذا لم يطمئنوا إلى نصحك لن يقبلوا منك، فما هي المسألة مسألة شرهات وعيب عليك، لا هو تحبيب للخير وتقريب.

يعني أنت الآن حضرت لك درس وعرفت أو سمعت برنامج في القرآن، أو عرفت فضل صلاة الضحى، **«رَكَعَتَيْنِ مِنَ الضُّحَى صَلَاةِ الْأَوَّابِينَ وَتَعْدِلُ ثَلَاثِمِئَةً وَسِتِّينَ صَدَقَةً»**، «مَنْ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ أَوْ جَاءَ بِثَلَاثِمِئَةٍ وَسِتُّونَ صَدَقَةً فِي يَوْمِ أَمْسَى وَقَدْ زَحَزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ».

فأنت هداك الله لصلاة الضحى، قلت: خلاص أنا إن شاء الله من اليوم ما تفوتني صلاة الضحى أبداً، أتصرف أنا أعرف أتصرف، فأحاك تشوفه يحب الخير، لكم ما يدري ان فيه شيء اسمه صلاة الضحى، فتعلمه كيف يصلي الضحى، متى وقته وأفضل وقته، وأول وآخر وقته، بعد طلوع الشمس من طلوعه شوي إلى قبل الزوال بعشر دقائق، وأفضله وسط الضحى.

وتقول: له احرص بأي طريقة، يعني لا تفوتك، صلي في البيت، صلي في المكتب، صلي في المسجد، في الطريق رايح جاي، وبعدين يبدأ يصلي، ثلاثمئة وستين يوم كل يوم يصلي ركعتين، كام؟ سبعمئة وعشرين ركعة له فيها سبعمئة وعشرين درجة في الجنة، يحط عنه سبعمائة وعشرين خطيئة، لك مثله أنت، وأنت ما فوتها مرة واحدة في عمرك، ما استغرقت ثلاثة دقائق، هذه دعوة تراها تطبيقية عملية.

فالدعوة تراها الأصل في الدعوة الإسلام الشخصية السرية الفردية، الإسرار، التحبيب أنه يشعر أنك تشفق عليه، أنك تضمه إليك، وأنتك تحب له الخير، وأنتك تريد له الخير، واحد مثلاً فقير يسأل الناس لكن تجده يحلق شعره، فتعطيه خمسين ريال، تقول يا ولدي ترى هذه معصية للرسول ﷺ، ترى النبي ﷺ إذا رآك يوم القيامة يصد عنك؛ لأنك خالفت سنته، يقترب منك وينشرح صدره؛ لأنك أعطيته خمسين ريال، لكن لو قلت له من قبل أن تعطيه لن يقبل، فيتآلف الناس.

كان النبي ﷺ يعطي المال للناس عطاء من لا يخشى الفقر، ويتآلفهم على الإسلام، وييجي الرجل إلى النبي ﷺ وهو أبغض شيء إليه، ويعطيه من المال مرة ومرتين حتى يكون أحب شيء إليه وهو يحب الإسلام كله، فهذه الدعوة، تطبيقات، فعلم أولادك إمطة الأذى عن الطريق.

وأن الشارع ماشي فيه كرتون ملا السكّة، فتقف على جنب وتنزل بنفسك، وتأخذ هذا وتبعده، وتعلّمه أن هذا أدخل رجلاً الجنة، دخل الجنة رجل.



تنوع خصال الخير والبر في رمضان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:
فدرسنا الليلة إن شاء الله في بيان تنوع خصال الخير والبر في رمضان، حيث يجتمع
للمسلم:

- شرف الزمان.
- وشرف العبادة.
- وتيسير الطاعة.
- ومضاعفة العمل، ومضاعفة الثواب.
- والإعانة على طاعة الله ﷻ.

فهذه أمور خمسة ينبغي للمسلم أن يضرب في كل أمر منها بسهم واحد؛ لأن شهر رمضان المبارك متَّجر أهل الإيمان، يتاجرون فيه مع الرحمن -جلَّ وعلا-، بخالص النية، وسديد القول، وصالح العمل، وحسن الخلق، والإحسان إلى الخلق، والبعد عما يضاد هذه الأمور أو ينقصها، فالأمور التي يشترك فيها المكلفون عدَّة:

الأول: أن يأتي العبد ما استطاع مما فرضه الله عليه؛ لقول النبي ﷺ: **«وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا**

مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»، قال الله ﷻ: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا﴾** [التغابن: ١٦]، وقال -جلَّ

وعلا-: **﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** [البقرة: ٢٨٦]، فالواجب أن تؤدي منه ما

استطعت، وما لا تستطيع لا يكلفك الله به، ويكفي أن يعلم الله -جلَّ وعلا- من نيتك محبة الخير، والرغبة فيه أنك لو قدرت عليه لاجتهدت فيه، فهذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: البعد والنأي عما نهى الله -جلَّ وعلا-؛ فإن المكلفين يشتركون في هذا

بوجوب البعد والنأي عما حرم الله ﷻ ونهى عنه، كما قال تعالى: **﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا**

تَقْرُبُوهَا ﴿البقرة: ١٨٧﴾، لا تدنوا من حماها، فبيتعد المرء عما نهى الله عنه، وما نهى الله عنه يبتلى به الناس، من أجل أن يتميز الصادق من الكاذب، والتقي من الشقي، البار من الفاجر، ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ولذلك توجد المخدرات، والمسكرات، والسلاح للقتال في الفتن، والمال الحرام، ودواعي الزنا والفواحش، ودواعي الظلم والبغي، كل هذه موجودة، ويبتلى بها الناس، لكن المؤمن الذي يخاف مقامه بين يدي ربه ﷻ ينأى بنفسه ويبعد، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

فمن خاف مقامه غداً بين يدي ربه نأى وأبعد عنه فلا يحوم حول الحمى؛ فإن النبي ﷺ قال: «مَنْ وَقَعَ فِي الشَّبَهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَوْ يُوَاقِعُ، أَلَا إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ»، فلذلك المسلم ينأى ويبعد. ولما ذكر النبي ﷺ فتنة الدجال - أعاذنا الله وإياكم منه - قال: «وَمَنْ حَضَرَهُ فَلْيَنَأِ عَنْهُ، وَمَنْ سَمِعَ بِهِ فَلَا يَأْتِهِ»، وقال: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمَرْءِ - يعني في آخر الزمن - غَنَمٌ، يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»، كل هذا في النأي عن الأمور المحرمة، وعن الفتن، حتى لا يقع فيها؛ فإن من دنا حول الحمى يوشك أن يواقعه.

الأمر الثالث اللي يشترك فيه المكلفون: وجوب التوبة إلى الله ﷻ من جميع الذنوب، فكل مذنب - وكلنا كذلك -: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»، يجب عليه أن

يتوب إلى الله ﷻ سريعاً، ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٧﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٧-١٨].

فالإنسان يراجع نفسه، كل خطأ وقع فيه هو من ظلمه لنفسه، سواء فيما يتعلق بحق الله ﷻ عليك في العبادات القاصرة؛ كالصلاة، والصيام، وغير ذلك، أو في العبادات التي فيها تعدي على الخلق؛ كأكل أموال الناس بالباطل، والزنا، وغير ذلك من أنواع الظلم، فيتوب إلى الله ﷻ من هذا وهذا، ولهذا قال -جل وعلا-: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١]، وقال: ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣٩]، وقال -جل وعلا-: ﴿**وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات: ١١].

فيجب على جميع المكلفين من الرجال، والنساء، والجن، والإنس، والصغار، والكبار، والأشراف، والرؤساء، والمرؤوسين، وغيرهم أن يتوبوا إلى الله من جميع الذنوب، ولا يحل لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يُصر على ذنب وهو يعلمه، فإن الله -جل وعلا- جعل من موجبات صلي الجحيم الإصرار على الذنوب، ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ**﴾ [٤٥] **وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ**﴾ [الواقعة: ٤٥-٤٦]؛ يعني الظلم والإثم.

وذكر صفة المتقين الفائزين بالجنة -جعلنا الله وإياكم منهم- فقال: ﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا**﴾ [١٣٥] **إِلَّا اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٣٥] ممكن تقع منهم هذه الأمور، بشر غير معصومين، لكن الشأن الاستذكار والتوبة ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥] ذكروا حق الله عليهم، إنعام الله عليهم، وأنهم قادمون على الله، وأن الله ﷻ مجازيهم، ﴿**ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَعَسَىٰ أَلَّا اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ١٣٥] بإيمانهم أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥]، لم يستمروا على المعصية بعد علمهم

بأنها معصية، ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٦]، جعلنا الله جميعاً من الفائزين بهذا الثواب الكريم.

فيجب على كل مكلف أن يراجع نفسه، وينظر في ظلمه لنفسه، بما يتعلق بحق الله ﷻ، وفيما يتعلق بحق الخلق وحقوق الخلق فيتوب إلى الله ﷻ من ذلك، والله -جلّ وعلا-

يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢]، ويقول سبحانه: ﴿

قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، يعني مهما عظمت الذنوب وكثرت، ﴿لَا

تَقْنَطُوا﴾ [الزمر: ٥٣] وتياسوا، توبوا إلى الله يتب عليكم ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

الأمر الرابع: أن ينافس المسلم في خصال الخير؛ لأن هذا من تكميل الفرائض بالنوافل، وهذا من أسباب تكفير الخطيئات، ومن أسباب رفعة الدرجات، ومن أسباب ثقل الموازين، ومن أسباب رضا رب العالمين، ومن أسباب انشراح الصدور، ومن أسباب تيسير الأمور، ومن أسباب تفريج الهموم، ومن أسباب تنفيس الكروب، كلما اجتهدت في العمل الصالح في النوافل، كلما حافظت على الفرائض وثوابها، وكلما شغلت نفسك عن المعاصي وآثامها، وكلما أخذت بأسباب زيادة الخير، أو الخيرات وأسبابها، والناس في هذا مستقل ومستكثر، والأمر واسع، الميدان واسع فسيح، فكل يأخذ ما تيسر له؛ لأن المسألة مسألة زيادة في الخير، نوافل، فأنت تأخذ ما تيسر لك.

بعض الناس عامل كادح في أثناء النهار وأطراف الليل، هذا مسكين ما يستطيع أن يصوم

النافلة، يشق عليه، يقصر في عمله، فيأخذ بالذكر ذكر الله ﷻ، يأخذ بقراءة القرآن.

إنسان يغنيه الله ﷻ من فضله، وجبله على الكرم والجود فينفق، ولا يخشى لومة لائم، ولا يخشى من الله ﷻ إقلاقاً، فينفق بكل ما تيسر له؛ بالدراهم، بالطعام، بالملابس المستعملة، بكذا، بكذا، حتى بالكلمة الطيبة، «الكلمة الطيبة صدقة»، والصحابة رضي الله عنهم أمروا أن يتصدقوا وهم يحاملون على ظهورهم، يحملون متاع الناس في السوق، ما عندهم دخل إلا هذا، يؤجرون أنفسهم، يحملون متاع الناس، ومع ذلك أمروا أن يتصدقوا من الأجرة. أحد معافيه الله، وجعل الله له قدرة في الصيام، ومحبة الصيام، وأنس في الصيام **يكثر** من صيام النوافل، الاثنين والخميس، والأيام البيض، وست شوال، وتسع ذو الحجة، وكذا، وعاشوراء، وتاسوعة، والحادي عشر، فيستغل فرصة في الإكثار من نوافل الصيام؛ لأنه متيسر له.

أحد متيسر له الصلاة، مجبول على حب الصلاة، يشغل وقته بالصلاة، كل وقت ليس فيه نهي يصلي.

حدث أحد الصحابة قال أنه سأله أمه، قالت له: منذ كم أنت من رسول الله ﷺ؟ قال: منذ كذا وكذا، كذا يوم يعني، فقال: أما تستحي أما تخشى يعني أن ينزل فيك قرآن؟ فعاتبته أمه، وقالت: والله لأذهبن إليه ولأطلبن منه أن يستغفر لي ولك، قال: فأتيت النبي ﷺ بعد المغرب، فوجدته يصلي؛ يعني بعدما تفرق الناس يصلي فانتظرت، فصلى حتى أذن لصلاة العشاء، مواصل في المسجد، وهكذا، فكان النبي ﷺ يقوم ليلاً طويلاً.

وقال لعمر بن عباس: «صلي» يعني بعد طلوع الشمس، «فإن الصلاة مكتوبة ومشهودة، حتى يستقبل الظل بالشخص» حتى الزوال، «ثم أمسك عن الصلاة»، وأمرهم بالصلاة بعد الظهر حتى العصر، وأمرهم أن يصلوا بين المغرب والعشاء، وأن يصلوا بين العشاء والفجر.

فإذا تيسر لك الصلاة وشرح الله صدرك لها من نافلتها، فأكثر منها، فإن النبي ﷺ قال: **«إِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ»**.

إنسان ليس عنده هذا ولا هذا، لا مال، ولا عمل، ما عنده جلد على العمل، يا الله يؤدي الفرائض، والآخر ما عنده مال يتصدق به، فهذا يسعى للإصلاح بين الناس، يسعى في إعانة المتصدقين، في إعانة المعلمين، في إعانة الدعاة بنفسه وبما آتاه الله، في إعانة أهل الإحسان، فإن الذي يعين له مثل أجر صاحب العمل الخير المشروع.

فإن الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر في الجنة: صانعاً يحتسب صنعته، ومنبله الذي يضع السهم في النبل، والرامي به، ولذلك النبي ﷺ قال: **«تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لَأُخْرَقَ»**، فكل هذا من عمل الخير، ولا يتوقف على أنك تحدد عمل أنت تقول أن هذا لا بد لي منه، لأخذ ما تيسر لك، كل أنسان يتيسر له شيء.

ولذلك الصحابة -رضي الله عنهم- كل واحد منهم تجده يفوق في شيء، وقليل منهم اللي يفوق في جملة أعماله من النوافل:

- فأحد له همة في الجهاد في سبيل الله، ما يقف أبداً.
- وأحد له همة في الصدقة.
- وأحد له همة في الإصلاح بين الناس.
- وأحد له همة في الدعوة والتعليم العلم، وهكذا.

فالعامل الصالح الذي يتيسر لك خذه خصوصاً ما يتعدى نفعه، ما يتعدى نفعه للناس والخلق خذ منه، ولذلك النبي ﷺ قال: **«تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لَأُخْرَقَ»**، وذكر أقل خصال الخير: **«إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»**، وبين أنه دخل بها رجل الجنة بغصن شجرة محاها عن الطريق، أقل شيء هذا ممكن أن تشتغل فيه.

المهم أن الإنسان يضرب بخصال الخير، كل خصلة يستطيع أن يضرب بها سهم، والأمور التي لا يستطيعه، يشتغل بغيرها مما يستطيع، إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع، بعض الناس إذا صام النافلة يومي الإثنين والخميس ترك صلاة الظهر والعصر، هذا ما هو مأجور على صيامه ذلك، مسكين هذا، فلا يصوم النافلة، يقرأ القرآن، يُعين على الخير، يطلب العلم، يحضر مجالس الذكر، يكثر من ذكر الله ﷻ، وهكذا.

بعض الناس ودّه أن يتصدّق، لكن ما تسمح يده، ما تجود يده، فهذا بركة إذا أدّى الزكاة اللي عليه، ولا يكلف، يؤدي الزكاة، وينفق على أهله، النفقة الواجبة بطيب نفس يكفيه، وهذه صدقة، يكتب له صدقة عند الله ﷻ، وهكذا فكل يتحرّى من خصال الخير ما يتيسر له، ولا يصبر على نفس الشيء يشق عليه، ويجيب له الملل، ويؤخره عن عمل صالح كبير متيسر له.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه. والله أعلم.

وصلّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.



وصية النبي ﷺ :

«وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنِ»

الحمد لله رب العالمين، وصلي الله وسلم وبارك علي عبده ورسوله نبينا محمدٍ وعلي آله وصحبه،
أما بعد:

فقد أوصي النبي ﷺ رجلاً فقال له: «أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس
بخلق حسن».

في هذا الحديث العظيم وصايا جامعة لكل مؤمن بالله واليوم الآخر، ولكل مُريد مصلحة نفسه.
الوصية الأولى: الوصية بالتقوي، تقوي الله -عزَّ وجلَّ-، وهي وصيته سبحانه وتعالى للأولين
والآخرين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].
ووصية النبي ﷺ في آحاد أمته وقادة جيوشه وسراياه، ويودعه لسفرٍ يقول: أتق الله حيثما كنت،
يوصيه في خاصة نفسه بتقوي الله -عزَّ وجلَّ- وبمن معه من المسلمين خيراً.
والتقوي: هي امتثال أوامر الله -عزَّ وجلَّ- قدر المستطاع، واجتناب نواهيه جملةً.
ولذا اتفق العلماء -رحمهم الله- علي أن التقوي: هي العمل بطاعة الله تعالى وترك معصيته، يعني
تحقيق امتثال أوامر الله -جلَّ وعلا- وفعلاً، وامتثال نواهي الله -جلَّ وعلا- تركاً.
ولذا قال أحد السلف: التقوي أن تعمل بطاعة الله علي نور من الله -يعني علي علم- ترجو ثواب الله
وأن تترك معصية الله علي نور من الله تخشي عقاب الله.

وقالوا: أن العبد لا يبلغ حقيقة التقوي وكمالها حتي يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس.
ومن ذلك: إن يتقي الشبهات، ما أشكل عليه من أمر دينه لا يفتحمه بالظن أو الخرص؛ يُؤجِّل
مباشرته حتي يعلم حكمه، فإن كان يحل له باشره وإلا امتنع عنه.

والله -جلَّ وعلا- قد ربَّ علي التقوي خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة؛ فهي جماع الخير، قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾

[الأنفال: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ إِسْرًا﴾ (الطلاق ٤)، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ

يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (الطلاق: ٥)، وقال جل ذكره: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾

[مريم: ٧٢] يعني من النار ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم: ٧٢]، وقال تبارك اسمه: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي

نُورٌ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ [مريم: ٦٣] ، قال عزَّ مَنْ قائل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٥﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٥].

فهذه التقوي وهذه ثمراتها.

ومما قال بعض أهل العلم: إن التقوي إذا قُرنت بالبر أو الإيمان أو العمل الصالح فالمراد بها ترك المنهيات والتوبة إلي الله تعالى من الخطيئات، ويُراد بما قَارَنَهَا من الإيمان أو البر أو العمل الصالح فَعَلُ الطاعات: المفروضات والمستحبات؛ فيختلف معناها بحسب السياق.

فيقول النبي ﷺ: «اتق الله حيثما كنت» يعني: أينما كنت، وفي أي حالٍ وزمان ومكان، لله تعالى عليك حق هو التقوي، فانظر ما حقه عليك؟، فإن كان فَعَل طاعة فبادر إليها أو لِيَعْلَم سبحانه منك أنك لو قدرت فعلتها، وإن كانت معصيةً فاجتنبها وأنا عنها.

فالتقوي في كل مقام بحسبه، ولهذا؛ يُقال للإنسان: اتق الله ودَع ما تصنع إذا كانت معصية، ويقال للآخر: اتق الله وبادر، سابق إلي الخيرات، سارع إلي الطاعات.

فهذه التقوي، «اتق الله حيثما كنت»، فهذه وصيةٌ في حق الله -جَلَّ وَعَلَا-، إن الإنسان يكون حازماً في حق الله تعالى عليه.

وحيث أن الإنسان بشرٌ ما هو معصومٌ، ما عَصِمَ إلا النبيون المرسلون عليهم الصلاة والسلام، فإنه لا بد أن تقع من الغفلة، وأن يرتكب الهفوة؛ بتأويلٍ أو بغير تأويل، فهو بشرٌ، «وكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»؛ ولذا أُرشد ﷺ في الوصية التالية بالحزم مع النفس، أنك كلما أسأت فأحسن، من جنس الإساءة؛ فإذا كانت الإساءة بالتهاون في صلاة الظهر حتى فاتت، فبادر إلي صلاة العصر، بادر للأذان أو بعد الأذان، حزم مع نفسك؛ بعد الاستغفار والتوبة مما اقترفت وجنيت، وإن كانت السيئة تقصيراً في حق الوالدين فبادر بالاعتذار والدعاء لهما والإحسان إليهما بأنواع البر، وإن كانت التقوي في حق جارك بأذيةٍ قوليةٍ أو فعليةٍ فبادر بالاعتذار منه والإحسان إليه ومصالحته، فهذه هي طريقة إتباع السيئة الحسنة، إذا أسأت فأحسن، وإن كانت الإساءة أنك حلفت ألا تصل رحمك أو لا تدخل بيت جارك فكفّر عن يمينك وأت الذي هو خير، لا تجعل اليمين مانعاً من طاعة الله وأداء الحق الذي عليك، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةَ أَيَّمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، وهذا

الإرشاد؛ إنك تتوب من الخطيئة مباشرة؛ لقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ** ﴾ [النساء: ١٧]؛ لأنك إذا لم تتب من قريب، فأول شيءٍ أنها تبرد حرارة السيئة ثم تتهاون أنت بالتوبة، وقد تبثلي بأن يزين لك الشيطان سوء فعلك، فيبرر لك عملك الذي عملته أن هذا من حَقِّك وهذا كذا، والطرف الآخر أساء إليك؛ حتى تُصِرَّ علي خطيئتك، هذه من خطوات الشيطان وكيد الشيطان؛ أنه يسول لك أن تسوف في التوبة.

و الأمر الثاني: أنك إذا نسيت الخطيئة؛ إذا مضى الوقت الطويل على الخطيئة نسيته؛ فكيف تتوب من أمرٍ قد نسيته؟؛ طبيعة الإنسان أنه يذكر حسناته ولا يذكر السيئات.

فلذا قال ﷺ: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**».

ولذا قال ﷺ: «**من حلف بالللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**»، كانوا في الجاهلية يحلفون بالللات والعزى تعظيمًا لهما؛ دينٌ عندهم وعادةٌ، فلما أسلموا عرفوا هذا، وتركوا عبادة اللات والعزى، لكن بقي عليهم الحلف، فيقولونه لفظًا لا معنى؛ لا يريدون المعنى؛ فشق عليهم ذلك فأرشدهم النبي ﷺ إلى أن يتبعوا السيئة الحسنة فقال: «**من حلف بالللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**» هذا هو؛ فهذا تطبيق لهذه الوصية العظيمة، إذا أسأت فأحسن؛ لا تتردد أبدًا؛ قبل أن تقوم من مقامك: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**»؛ لأن الإنسان إذا اتقى السيئة بالتوبة سَلِمَ من شرها من خزيها من فضيحتها في الدنيا ومن شؤمها في تضيق الرزق وعسر الأمر وشتات الذهن ومن دعوات المظلومين، وسَلِمَ من عقوبتها في الآخرة. فليكن المرء حازمًا مع نفسه بحيث أنه كلما أساء يُحسن، كلما أذنب يستغفر، والله تعالى تعهد أن يغفر للعباد ما استغفروه.

قال الله تعالى: ﴿ **فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ** ﴾ [المائدة: ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال جل وعلا: ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾

[النساء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ نَبِيَّ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٥٠].

وهذا يحتاج من الإنسان مراجعة النفس علي الدوام، والتفكر في سابق عمله؛ حتي لا تتراكم عليه الذنوب ولو كانت صغائر؛ فإن النبي ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن علي المرء فيهلكنه» وضرب النبي ﷺ لذلك مثلاً بقوم نزلوا بطن وادٍ فأرادوا أن ينضجوا طيخهم، فجاء هذا بعودٍ، وهذا بعودٍ، وهذا بعودٍ؛ حتي أشعلوا ناراً أنضجت طيخهم، فالذنوب تحرق صاحبها كما تحرق النار الطيخ.

فهذا أمر لا بد فيه من الحزم، ولا يصلح فيه التسويف، والتسويف من خطوات الشيطان وكيد الشيطان وتزيينه، «أتبع السيئة الحسنة تمحها» هكذا قال - عليه الصلاة والسلام -.

الثالثة: في معاملة الخلق:

أن الإنسان يحزم في معاملة الخلق: «خالق الناس بخلق حسن».

الخلق الحسن أن تلق الناس بطلاقة الوجه وبطيب القول، فإن طلاقة الوجه صدقة، وإن الكلمة الطيبة صدقة، فإذا حصل أن تعدي عليك أحدٌ فتحمل منه، بمعنى أنك تكف أذي نفسك أنت، ولو أفحش لك بالقول، ولو تعدي عليك بشيء يسير تصلح المسامحة فيه؛ لقوله ﷺ: «تدع الناس من الشر فإنها صدقة منك علي نفسك» فتتحمل، فتكف أذاك أنت، وتحمل أذاهم ابتغاء وجه الله، وهذا من جليل القرب، ونفيس العمل الصالح، فإن العافين عن الناس ينادون يوم القيامة علي رؤوس الخلائق ويكرّمون علي رؤوس الخلائق حتي يُخيروا من الحور العين من أيها شاءوا.

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠] إذا الإنسان أصلح، قادرٌ هو علي أخذ حقه، لكن تركه لله - عزَّ وجلَّ - علي وجه الإصلاح من غير ذلٍّ ومهانة؛ فإن هذا من جليل العمل الصالح.

فتخالق الناس بهذه الأشياء:

أول شيء: الطلاقة، طلاقة الوجه عند اللقاء، ما تكون مكفهرًا مشمئزًا متكبرًا، لا.

والثاني: طيب القول، كما قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال ﷺ: «الكلمة

الطيبة صدقة».

والثالث: بكف الأذى، لا تبدأ الناس بالأذى، وإن ابتدأوك فتحمل قدر المستطاع، إذا لم تتحمل فانظر في الوسائل الشرعية لدفع الأذى، لكن لا تمد يديك، ليس من حَقِّك، فتدع الناس من الشر؛ صدقة منك علي نفسك، فتكف الأذى؛ لا تؤذ بحق ولا بغير حق، تتحمل أذاهم.

والخامسة: أنك تحسن إلي من أساء إليك.

من أصول أهل السنة والجماعة: أنهم يأمرون المسلم بأن يصل من قطعه ويُعط من حرمه ويعفو عن ظلمه ويحسن إلي من أساء إليه.

فهذا أصل أصيلٌ وحصنٌ حصينٌ تتقي به الفتن والشُرور والمكاره في العاجل والآجل؛ «خالق

الناس بخلق حسن».

كذلك من الخلق الحسن الذي تخالق به الناس: أن تعلمهم، فتعلم الجاهل، وتذكر الغافل، وتشتط المتكاسل؛ لأنه إذا أساء إليك تقول: اتق الله، ليس من حَقِّك هذا، تراك تحمل نفسك علي ظلم عظيم، وكذا وكذا، والله فوق الجميع والله قادرٌ عليك. فتقول كلاماً طيباً يخفف الشر والفتنة ويطرد الشيطان. من ذلك: أنك تستعيد بالله من شر المعتدي، ومن شر اعتداءه.

وكان من سنته ﷺ أنه إذا خرج من المنزل كل يوم يقول: «بسم الله، آمنت بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله. فيقال له: كُفيت وهُديت ويتنحى عنه الشيطان، ويقول لشيطانٍ آخر: كيف لك بشخصٍ قد كُفي وهُدِي ووقِي»، وفي أحاديثٍ آخري في الآثار: أنه يصحبه ملك ويُسدده ويعينه ويحفظه.

ومن دعاؤه ﷺ أن يقول: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل (يعني بنفسي) أو أضل (أن يضلني غيري) أو أزل (يعني بالفعل) أو أزل (أزل لغيري) أو أظلم (غيري) أو أظلم (يظلمني غيري) أو أجهل (علي غيري) أو يُجهل علي».

كل هذا من أسباب حفظ الله لعبده.

«خالق الناس بخلق حسن»؛ هذه معاملة الخلق، تتقي بها الشرور، لو تذهبون إلي الشرط والجهات المسئولة وجدتم أكثر المشاكل والفتن حتي القتل بسبب التعدي أو عدم التحمل، إما باللسان وإما اليد وإما كذا وكذا، بل إن الإنسان قد يفعل يوماً ما، وهو في عافية ثم يُبتلي بمرضٍ شديدٍ من شأنه أن لا يزول

طول العمر إلا أن يشاء الله، من ضغط أو سكر أو غير ذلك من الأمراض أو سكتة بسبب قوة الانفعال؛ لأن الشيطان يحضر في المناسبات هذه؛ فأرشدك النبي ﷺ أن تحذر هذا الموقف وأن تستعد لعودته. وإذا أردت أقرب مثال علي هذا تجده كيف: أن المواطن منها ما هي محظورة من الملائكة ومباركة فيها هدي وطمأنينة، بعض المواطن فيها شر وفتنة.

فالحين عند باب المسجد يلتقي الرجلان وكل واحد يؤثر الآخر على نفسه للدخول في المسجد، والدخول في المسجد ما فيه إيثار، أفضل أنت، إذا دخلت ثاني واحد المسجد قبل صاحبك أفضل، أنفع لك أنت، وتكون قدوة لغيرك، أما كونك تؤثر أنه يدخل قبلك فهذا معناه زهد في الخير، وأن الأمر سيان حصلت لك الفضيلة أو لا؛ فهذا من الزهد المذموم، وليس من الأدب الحسن، الناس يعدونه من الأدب الحسن، الأدب الحسن عند دخول البيت ولا عند الخروج ولا عند ركوب السيارة، لكن المسجد لا، اسمع: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١١]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، في المقابل إذا التقوا في السيارات عند

إشارة المرور ولا عند مخرج أو مدخل ما في واحد - إلا أن يشاء الله - يحترم صاحبه، وقد يلتقي الأخوان في غفلة منهما ولا يسمع أحدهما الآخر وهما أخوان أو جاران؛ لأنها تركب الشياطين مع الناس، ما يذكرون اسم الله إذا ركبوا، يصير الشر والفتنة؛ كل يزاحم لعله يمشي شبراً، يدخل يخرج شبراً فقط، ولا يعرف أحد فضل أحد، ولا يتواضع أحد لأحد؛ لأن الشيطان يؤزهم أزا، والإنسان مأمور أن يكون رقيقاً لينا هيناً ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] يعني يمشون برفق، ما هو متموتين، برفق باختيار ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

المقصود: أن النبي ﷺ أمرك أن تفصل موجب الشر، بقوله: «وخالق الناس بخلق حسن» تكسب الفضيلة وتتقي الفتنة والشر، وتعطي أسوة حسنة تؤجر عليها وتُعافي من الأمراض والوساوس الشريرة. فهذه وصايا جامعة كلمات موجزات في أمور عظيمة، النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً، فيُعبر عن المعنى الكبير بلفظ يسير؛ انظر: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»، فالإنسان لا بد أن يستحضر هذه المعاني في جميع أوقاته وأنائه حتي يكون في حزم في أداء حق ربه - جَلَّ وَعَلَا - عليه، ويكون حازماً مع نفسه فلا تراكم عليه ذنوبه ومظالمه

فتهلكه؛ تسبب له الشرور في الدنيا، والغم في البرزخ والآخرة، وذهاب الحسنات وتحمل السيئات من الناس، وكذلك يُخالق الناس بخُلُق حسن، والأمر سهل ما تروح الدنيا خلال ثلاث ثوان أو أربع ثوان أو خمس ثوان، والكلمة الطيبة صدقة، أن تتصدق بعمل صالح، بدل ما تكسب إثم، تصدق الكلمة الطيبة صدقة وأسوة حسنة، من أسباب إطفاء الفتنة والشر، ومن أسباب طرد الشيطان.

فينبغي التفتن لهذا المعني، وأن تكون هذه الوصايا الجوامع علي بال الإنسان، في كل مقام في كل حال، وأن يبلغ بها غيره ويُذَكِّر بها غيره، «بلغوا عني ولو آية» يقول الرسول ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ أُمَّرَأَ سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرَبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ».

فدعا النبي ﷺ للمبلغين عنه دينه وهدى بنضارة الوجه، ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣] نسأل الله الكريم من فضله، بَلِّغ هذا، وأخص من تبلغ أهلك ومن حولك، زوجتك تحسن معاملتك وتتحمل أذاك وأنت كذلك معها، الأولاد الجيران الإخوان الأقارب هذا من النصيحة، والدين النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم.

وفقنا الله وإياكم إلي ما يحبه ويرضاه، وجعلنا هداة مهتدين.
والله أعلم، وصلي الله وسلم علي نبينا محمد.



خالق الناس بخلق حسن

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:
بقي من الحديث قوله ﷺ: «**وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِ حَسَنِ**»، فهذه الوصية منه ﷺ لكل فرد من
أفراد الأمة بالتعامل مع الناس بالخلق الحسن، والخلق هو صورة النفس الباطنة التي تعكسها
الأقوال والأفعال والأحوال؛

- فإذا كان الإنسان في باطنه كريماً، فإن نفسه تجود بالطيب ويده تبدأ.
- وإذا كان في نفسه بخيلاً شحيحاً، فإنه لا يستطيع أن يجود بالشيء إلا بإكراه
ومجاهدة.

- وهكذا إذا كان في نفسه يحب الكذب، فإنه يتعاطاه في تعاملاته مع الناس.
- إذا كان يحب الصدق ويكره الكذب، فإنه يتعاطى الصدق مع الناس، وهكذا.
فالخلق هو الصورة الباطنة للإنسان، والأقوال، والأحوال، والأفعال هي التي تعكس
هذه الصورة، وترسمها، ولذلك كان النبي ﷺ أكرم الناس، وأحسن الناس خلقاً، ويكفي
شهادة الله ﷻ له بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤].

وقد سُئِلت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن خلق النبي ﷺ، يعني هذا الذي أثنى
عليه الله ﷻ ما هو؟ فقالت: «**كَانَ يَعْمَلُ مَا أُمِرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ**»؛ يعني قوله ﷻ: ﴿**وَسَارِعُوا
إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [١٣٣] **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي
السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، فكان النبي ﷺ ينفق في السراء والضراء؛

- فإن وسّع الله عليه توسّع في الإنفاق.
- وإن قتر الله عليه، أنفق على حسن حاله.

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؛ يعني إذا غضب ما يحقد، وينفر، بل يعفو

ويصفح، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل

عمران: ١٣٤]، وهكذا.

صفة المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ٢ [المؤمنون: ١ -

٢]؛ يعني إذا دخل في الصلاة أقبلوا على الله ﷻ، وانقطعوا إليه، ولم يتشاغلوا بشيء غير مناجاته ﷻ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ٣ [المؤمنون: ٣] يُعرضون عن اللغو، ما لهم حاجة

إلى السباب والشتم، والكذب، والتنفير، والخيانة، فمن صفة أهل الإيمان، وأهل الأخلاق الحسنة القرآنية أنهم يعرضون عن اللغو.

كذلك قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]؛ أي لا يشهدون الزور، لا

يشهدون شهادة كذب عند القضاة والمحاكم، ولا يحضرون مجالس الزور؛ مجال اليانصيب، والأشياء والأمور هذه، والتمثليات، والمسلسلات اللي يتلى الناس بها في رمضان، كلها تعتمد على الكذب، والاستهزاء بالقيم، والفرائض الشرعية، وغير ذلك، فأهل

الإيمان يُعرضون عن اللغو، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ٧٢ [الفرقان: ٧٢] ولم يتجنسوا

بشيء منه، ولا يشهدون الزور، لا يشهدون بالزور ولا يحضرون الزور، وهكذا.

في سورة الذاريات يصف الله ﷻ أهل الجنة الذين وعدهم الله ﷻ بالجنة، فيصفهم -

سبحانه وتعالى - بأنهم ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ١٧ [الذاريات: ١٧]، يصلون ويذكرون

الله بين يديه، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ١٨ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ ١٩ [الذاريات: ١٨ -

١٩] وهكذا.

فتأمل صفات المتقين، صفات المحسنين، صفات المؤمنين، صفات الأبرار، صفات أهل الجنة، هذه الأخلاق الحسنة، والنبى ﷺ هو النموذج التطبيقي، كان مشهوراً بالصدق، مشهوراً بالأمانة، كان مشهوراً بالكرم، مشهوراً بالشجاعة، كل خصلة من خصال الكرم والخير هو قدوة فيها ﷺ.

كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا حمى الوطيس في الحرب يتقون بالنبى ﷺ، من شجاعته - عليه الصلاة والسلام -، وكان أجود الناس، وأكرم الناس، وأصدق الناس، وأحفظ الناس للأمانة، فهذا الخلق الحسن.

ولذلك جاءت النصوص عن النبى ﷺ يقول: **«أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطِئُونَ أَكْنَافًا - المتواضعون يعني -، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»**، والناس يألفون الإنسان المؤدب، حسن العبارات، الذي يقول للناس حسناً، **«الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»**، يتحمل ويصبر، ما يستعجل، يحسن الظن، ما يسيئ الظن، ما يسيئ الظن بأحد، ولو أساء الظن ما عامل إلا بما يقتضيه الشرع، ما بسوء ظنه هو، فالمهم أن الرسول قال: **«أَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»**، فمن أراد مكاناً في الجنة ومجاورة النبى ﷺ فليتحلّ بالخلق الحسن.

الخلق الحسن تكاد تجمعه بخمس خصال:

الأولى: طلاقة الوجه عند اللقاء، لقول النبى ﷺ: **«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ»**، **«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»**، وكان النبى ﷺ يلقي الناس بوجه طليق.

الثانية: طيب القول، كما قال ﷺ: **﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾** [البقرة: ٨٣]، قال - عليه الصلاة والسلام -: **«وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»**.

الثالثة: كف الأذى عن الناس، ما تؤذي الناس، لا بيدك، ولا بكلامك بلسانك، ولا غير ذلك، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**تَدْعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**».

الرابعة: بذل المعروف، لقوله ﷺ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**»، وقوله: «**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِبَجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةً**»؛ لأن الإنسان يبذل المعروف للناس، هذا تسعفه بسيارتك، وهذا تهديله للنجار، وهذا تتصدق عليه لأنه مسكين، وهذا تواسيه لأنه مصاب، وهذا تهنيه لأنه حصل له سرور وغبطة، من عافية من مرض، أو نجاح ولد، أو قدوم غائب، أو غيره من رزق، أو غير ذلك، فيصير الإنسان يبذل الندي، يبذل الفضل القولي والفعلي والحالي.

الخامسة: الإحسان إلى المسيء، أساء إليك شخص جارك تحسن إليه، لا تقابله بمثل إساءته؛ لأنك ترعى حق الجيرة التي أوصى بها الله ﷻ، والتي أوصى بها النبي ﷺ، ولا تقابله بالمثل مهما كان، وكل ما كان أقرب لك، يكون حقه أكبر:

- إذا كان جار غير مسلم له حق الجيرة.
- وإذا كان جار مسلم فله حق الجيرة والإسلام.
- وإذا كان جار مسلم وقريب فله حق الجيرة والإسلام والقربة.

فلو أذاك ما تؤذيه تتحمل آذاه، وتحسن إليه، وإذا مرض تعوده، إذا أصابه حزن أو شيء تواسيه، إذا أصابه سرور تهنيه؛ لأنك ترضى الله ﷻ في هذا، ما ترضوه هو، ترضى الله، فلذلك تحسن إليه، ولو أساء إليك.

ولهذا من أصول أهل السنة والجماعة في التعامل مع الناس -أهل السنة والجماعة هم أئمة الإسلام، وأصولهم مبنية على الكتاب والسنة وفعل السلف الصالح من الأمة- ومن أصولهم أنهم يأمرون أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك؛ لأن هذا الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

ولذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: «**خَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِ حَسَنِ**»، ليش؟ لأنك مخالقتك للناس بخلق حسن عبادة لله ﷻ ترجو ثوابه وذخره وبره، أحوج ما تكون عند الموت، ويوم القيامة، وفي القبر.

والشيء الثاني: أنك بذلك تكف وتتقي أذى الناس، أكثر الجنایات التي تكون بين الناس بسبب سوء الأخلاق، بل إن الإنسان يجني بسوء خلقه وهو على نفسه، فإن الإنسان اللي مثلما يقولون عصبي، تجده مصاب بسكر وضغط، وكذا، وكذا، بسبب سوء تصرفه هو، حتى مع أقرب الناس إليه، مع زوجته، مع أولاده، مع كذا، ومع كذا؛ لأنه ما يتقيد بالشرع، على طول ما يأتي في باله يقوله، فهذا خطأ.

شوف أدب الدخول إلى البيت، أول شيء تدق على باب البيت، حتى ما يدخل معك الشيطان، قل: (بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبَّنَا تَوَكَّلْنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلِجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ)، هذا شيء.

الشيء الثاني: إنك تتسوك، السواك مظهر ووقار، سنة، الناس ما يعرفون السواك إلا ما شاء الله، خصوصاً في البيت ما تجد أحد يتسوك.

الشيء الثالث: أنك تسلم على نفسك، على أهل بيتك، يقول النبي ﷺ: «**إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ**»، لكن بعض الناس أول ما يدخل يهوش، يتكلم ليش هذا كذا؟ وليش هذا كذا؟ وتقع المشاكل حتى يقع الطلاق بينه وبين حبيبته، هذا سوء الخلق، فإذا كان هذا تعامل مع زوجته ومع أولاده، فكيف تعامله مع الآخرين؟ أشد.

فلهذا قال -عليه الصلاة والسلام-: «**خَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِ حَسَنِ**»، لا تطلق يدك، لا تطلق لسانك، اللسان عليك في الغالب عليك، «**وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى**

مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ، لا تمدن يدك، لو لك شيء تأخذه بالقنوات الشرعية، وبالطرق الرسمية، وغيره، وغيره، والاجتماعية وغير ذلك، لكن ما تمد يدك، إذا مديت يدك تفاقمت المشاكل، وعظمت الفتن.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: **«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»**؛ يعني إذا كنت تريد أن كفة حسناتك ترجح، فعليك بالخلق الحسن، أيسر شيء يملأ الميزان ويثقل الميزان، بل أعظم من هذا قال الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخلق الحسن، وحظه عليه -عليه الصلاة والسلام-، وترغيبه فيه، قال: (يا رسول الله، ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا الآخرة؟ يعني جمع خيري الدنيا والآخرة، قال: أجل)، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ (يعني أنا ضامن بيت) فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ»**، تريد أكثر من هذا؟!!

فلهذا ينبغي للإنسان أنه ما يجعل حسن الخلق ما هو مثاليات في الذهن، يجعلها وقائع وأحوال في التعامل، إذا التقى المسلمان وتصافحا، غُفرت خطاياهم، كان الصحابة -رضي الله عنهم- إذا فرّق بينهم شجرة أو حجر أو جدار يُسَلَّم أحدهم على الآخر؛ لأن ما في نفوسهم شيء.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو في المجلس: **«يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»**، فخرج وإذا هو مسح ثيابه بعد الوضوء، ونعليه في يديه، وإذا هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

فلما صار اليوم الثاني وهم جالسين قال: **«يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»**، فخرج وإذا هو على هيئته، والثالث كذلك، فانتدب رجل أو شاب من أبناء الأنصار وذهب عليه وقال: يا عبد الله، إن بيني وبين أبي بعض الشيء، فأحب أن أكون عندك، يعني حتى يزول ما في نفس أبي، فرحب به، فجلس عنده في البيت ونظر يشوفه، يقول: ما رأيت شيء مختلف، مثل الناس يعني مثل الصحابة، فلما مضت قال له أني ليس بيني وبين أبي شيء، لكنني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول كذا وأنه أنت، فأحببت أني أعرف خلقتك، وما رأيت

كبير عمل يعني، ما رأى زيادة صلاة، ولا زيادة صدقة، قال: ما إذا قلت ذلك، فإني لم أبت ليلة وفي نفسي غل على مسلم، لهذا يعني صار من أهل الجنة، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

والناس يشاء أن كل مشاكلهم حول هذا المعنى، والمعنى كما قال الإمام أحمد: (ثوب دون ثوب)، يعني واحد دون الثوب والثاني فوقه، (وطعام دون طعام)، كل واحد له طعام و ثوب وانتهى الموضوع.

أدنى شيء يكفيك بحسب ابن آدم جلف الخبز، يكفيه جلف الخبز، «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ»، وبعض الناس يتأثر عليه الحريم، يتهاوشون العيال، وترفع الحريم شرع، وبعدين العيال يتصالحون، والكبار يتهاجرون، إخوان يتهاجرون بسبب الحريم والأطفال، ما فيه صدر واسع، نفوس ملائنة.

بل أنك تجد الناس في المسجد الآن، في المسجد مقبلين على الله ﷻ، ويبدوون في الصف الأول، ويتنظرون إجابة الدعاء، ومع ذلك تجد كل واحد مكتئب، مشدود، ما يرى عن يمينه ولا عن يساره برخاء وراحة، لَأَ يَفْكَرُ هَذَا مَهْمُومٌ كَذَا، وهذا مهموم كذا، ما هم مهمومين على المسجد نفسه، هذه نقيصة، حتى يصلون جمب بعضهم اليومين والثلاثة والخمسة ما واحد يضع يده في يد الثاني، ليش؟ مشغولين، هذه أخلاق هذه؟! هذه الاخلاق الحسنة، يفوت على الناس الأجر الكثير والناس ما يدرون.

يا ابن آدم فرصتك في العبادة و ثمن الجنة هذه الحياة، فإذا ضاع عليك السواك عند الصلاة فاتتك حسنة، فإذا ضاع عليك التسمية عند دخول المنزل فاتتك حسنة، فإذا ضاع عليك التسمية عند لبس الثوب وحمد الله ﷻ أنه أعطاك إياه ضاعت عليك حسنة، إذا ضاع عليك متابعة المؤذن في الأذان ضاعت عليك حسنة، ذهب عليك الدعاء بعد الأذان فاتت

حسنت، وهكذا تجد الإنسان خسران في المسجد، في البيت، في الشارع، في كل مكان، ليش؟
يُفوت الحسنات، ما يهتم بها ولا يحرص عليها.

وفي الجانب الثاني يكسب السيئات؛ غيبة، نميمة، بهت، سوء ظن، كذا، شماتة، ما أدري
إيش، وهذا خطير؛ لأن الإنسان يغبن يوم التغابن، ليش يغبن؟ عنده أن العمل كثير، العمر
طويل والعمل كثير، لكن هذا عمل داخله الرياء، وهذا عمل فيه سمعة، وهذا عمل مجاملة،
ما هو لله، وهذا على سبيل العادة، وهذه حسنت تفوت، ما فيه حِسْبَةٌ تحري الحسنات..
الحسنت ما فيه، الإحصاءات لا يزيد، والسيئات كثيرة.

ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**تَبَا لِمَنْ غَلَبَتْ آحَادُهُ عَشْرَاتُهُ**»، الآحاد السيئات، والعشرات
الحسنت، فإذا غلبت السيئات الحسنات، والسيئات واحدة والحسنت عشر، معناها أن
الإنسان مغبون وغافل، ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**﴾ [التغابن: ٩]، يفاجئ الناس،
صورة العمل كبيرة وكثيرة، لكن عند التحقيق ما فيه شيء، وهذه المشكلة أن الناس ما
يحتسبون.

أحياناً يكون فيه وازع فيه قصد صالح تتبغى به وجه الله عز وجل، أكثر الناس تجاوزه حتى
تفوته الجنازة؛ لأنه زميله بالوظيفة فتروح تصلي عليه، وذاك ما هو زميله فما تصلي عليه،
الآن موجود هذا، ما فيه حِسْبَةٌ للقيراط والقراطين.

فلا بُد أن الإنسان يكون له حِسْبَةٌ، ومن ذلك التعامل مع الناس، إما أن تكسب حسنت
كبيرة وكثيرة كالجبال، وإلا يكون سبب تحميلك السيئات التي لا تطيقها الجبال، مثلما جاء
في الحديث: «**يَأْتِي بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، ثُمَّ يَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَلَطَمَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا،
وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا فَنِيَتْ
حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ، فَطَرَحَ فِي النَّارِ**».

فلا بُد من مراعاة الخلق الحسن، فالخلق الحسن يجمع الدين كله، كل الدين هو الخلق الحسن، ولذلك عند الناس عُرِف الآن يقولون: (الدين المعاملة)، هم ما يقصدون يعني الدين الحقيقي، لأصالحهم هم يقولون هذا الكلام؛ لأنهم هم يتعاملون بهذا، فالخلق الحسن يجمع الدين كله؛ أنك تحرص على خير حسبة ابتغاء وجه الله ﷻ وعلى السنة، وتترك الشر فراراً منه، وخوفاً من عواقبه، فهذا هو المطلوب من الإنسان.

«خَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنِ» تحصل الخير وتتقي الشر، ويكون الناس شهداء لك عند الله ﷻ؛ لأنهم إذا أثنوا عليك لحسن تعاملك معهم وجبت لك الجنة، إذا أثنوا عليك بالخير. وإذا رموك بالشر وجب لك النار، «النَّاسُ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي آرْضِهِ»، والناس متى يؤدون الشهادة؟ إذا راحت المجاملات أو بموتك، قبل الموت لأيجاملون، لكن إذا مات وانقطع أملهم منك، قالوا كلمة الحق.

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا مباركين أينما كنا، وغفر ذنوبنا، ورحمنا، وأجارنا من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، وأجارنا من النار، وأورثنا الفردوس الأعلى مع الأخيار، ووالدينا، ومشايخنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وأحبابنا فيه. والله أعلم.
وصلَّى اللهُ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.



أحكام الزكاة وفرضيتها

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلِّ الله وسلِّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما

بعد:

في الدرس الماضي تناولنا الحديث عن صدقة التطوع، واليوم إن شاء الله يكون الحديث عن صدقة الفرض صدقة الواجب "الزكاة"، وهي حقٌّ تعريفها مأخوذة مثل صدقة التطوع أنها من الزكاة الذي هو النماء، والزيادة، وحلو البركة، وذهاب الآفة والشر، وأنها تزكِّي إيمان مخرجها، وتزكِّي ماله وتذهب عنه الشر، وأنها تزكِّي الآخذ، وتغنيه عن الحاجة، فهي جميع مدلولاتها فيها دلالة على البركة، والصلاح، والخير، والنماء، والزيادة، وذهاب الإثم، وحصول الفلاح، إلى غير ذلك.

أما في الشرع واصطلاح الشرع فهي: حقٌّ واجب في مال بشرطه، هي حقٌّ لله ﷻ، واجب؛

أي مفروض، في مال؛ يعني مال مملوك، بشرطه:

- من الشرط: تمام الملك.
- من الشرط: بلوغ النصاب.
- ومن الشرط: مُضي الحول في الجملة إلى غير ذلك.

هذه الزكاة العظيمة عَظَّمَ اللهُ -جَلَّ وَعَلَا- شأنها في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، فجاء

ذِكْرُهَا في القرآن العظيم بلفظ الزكاة وبمعناه بما يزيد عن خمسين مرة، وَقُرِنَتْ بالإيمان بالله

-جَلَّ وَعَلَا-، وَقُرِنَتْ بالصلاة التي هي أظهر أركان الإسلام العملية، وذكرت وحدها،

وعاب اللهُ -جَلَّ وَعَلَا- أهل الشرك بما هم عليه من الخصال الذميمة؛

ومن ذلك: البخل بالزكاة، ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٧]، فوصفهم بأنهم لا يؤتون الزكاة، وأثنى ﷺ على أهل الإيمان الذين أوجب لهم رحمته بإيتاء الزكاة، فقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وجعلها الله ﷻ قرينة الصلاة، ذكرها مع الصلاة في أكثر من ١٢ آية، وجعلها آية الدخول في الإسلام، وموجب الأخوة الإيمانية، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وعُنيت السنة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - بالزكاة حتى جاءت في أكثر من مئة وعشرين حديث عن النبي ﷺ، وأعظم شيء يدل على أهميتها وعِظَم شأنها من الدين وعند رب العالمين: أن الله تعالى لم يكل قسمتها إلى نبيٍّ مرسل، ولا إلى رجلٍ صالح، ولا إلى أهواء الأغنياء والفقراء، بل قسمها ﷻ بنفسه من فوق سبع سماوات، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

فهذه العناية الربانية بشأن الزكاة تدل على عِظَم موقعها من الديانة، وخصوصيتها من الأمانة، وأن الذي فرضها ﷻ بنفسه سائلٌ عنها يوم القيامة؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [٨٨] إِلَّا مَنْ آمَنَ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، يوم يترك المرء ما حوله الله ويأتي بنفسه فردًا.

وأخبر النبي ﷺ أنها أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، كما في قوله ﷺ: «بَنِي الإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ» الحديث.

ولما بعث النبي ﷺ معاذًا ﷺ إلى اليمن، قال له: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ - وفي لفظ: وَحَدِّوا اللَّهَ - فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»؛ فجعل الزكاة قرينة الصلاة والتوحيد، وهذا يدل على عِظَم شأنها، وعلى خطر التفريط فيها.

ومما جاء في ذلك أن الله ﷻ جعل في إيتاء الزكاة علامة ولايته: ﴿إِنهَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

وأن الله تعالى جعلها موجب رحمة - جَلَّ وعلا -، لقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] محمد ﷺ، ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧] ولا يكون الإيمان به، واتباعه، ونصرته ﷺ إلا بأداء الزكاة؛ لأنها ثلاثة قواعد الدين العظيمة.

وقد جعلها الله ﷻ قرينة الصلاة في صفة المؤمنين الفائزين المفلحين الذين اختارهم الله ﷻ لهم أعلى المواقع، وأشرف المساكن وأقربها إليه لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ

﴿٤﴾ [المؤمنون: ١-٤] الآيات إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ

﴿١١﴾ هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ [المؤمنون: ١٠-١١] جعلنا الله وإياكم من أهل الفردوس الأعلى.

فهذا كله يدل على عِظَم شأن هذه الفريضة وإن صغرت في عين بعض الناس، وإن تهاون فيها الكثير، وإن بخل بها أكثر، ولكنها لها شأنها عند الله -جل وعلا- أكثر، ولا أدل على ذلك من أن النبي ﷺ كان يكتب في بيان تفاصيل أحكامها، وأنواع أنصبتها، والقدر الواجب فيها إلى عماله.

وفهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا الاهتمام ووضعوه موضعه، فكان عند الصديق كتاب أخذه عن النبي ﷺ فيه تفاصيل أحكام الزكاة، والأنصبة الواجبة، والواجب في كل نصاب، وكان علي عليه السلام عنده ورقة أيضاً مكتوبة في هذا، وكتب كذلك ﷺ إلى عمرو بن حزم، وإلى غيره، فكان الصحابة رضوان الله عليهم يهتمون بهذه الفريضة إلى درجة التأكيد الخاص أنهم يكتبون لأنفسهم كتباً خاصة بهذا الشأن.

وكان الخلفاء من أول الصديق ﷺ ومن بعدهم يهتمون بهذا الأمر العظيم، ويعثون الجبابة الذين يحرصون على الناس أموالهم الزكوية، ويقبضونها منهم، ويصرفونها مصارفها. فهي عبادة عظيمة، وأجمع ما يقال فيها وأبلغ ما يقال فيها: أنها التوحيد المالي، التوحيد لله ﷻ بالمال، أن تبذل المال ابتغاء وجه الله ﷻ على الوجه الذي شرعه الله سبحانه، وبينه نبيه ﷺ.

فهي شعيرة عظيمة، وفريضة^{١٥} حكيمة، لها شأنها، ولهذا أكثر العلماء -رحمهم الله- في تصنيفاتهم من ذكر تفاصيل أحكامها، وبيان شروطها، وبيان ما يستثنى من هذه الشروط، وبيان أهدافها وحكم تشريعها، وبيان ما يترتب عليها من المصالح العامة والخاصة، وأنها فريضة^{١٦} عظيمة، وشعيرة^{١٧} من شعائر الملة، فهي فريضة ينبغي العناية بها والاهتمام بها.

ولا أدل على خطورة التهاون بأمر الزكاة من أن الله ﷻ اقتضت حكمته أن يُعَذَّبَ الباخل بها بماله الذي بَخِلَ بها من أجله؛ فإن الله ﷻ أخبر أن الذين ييخلون ﴿سَيَطُوفُونَ مَا بِخَلُوا بِهِ﴾ **يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴿[آل عمران: ١٨٠]، وقال النبي ﷺ: «أَنَّ الَّذِي يَمْنَعُ زَكَاتَ مَالِهِ يُعَذَّبُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَإِنْ كَانَتْ بِهِيْمَةُ الْأَنْعَامِ كَالْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، فَإِنَّهُ يُبَطِّحُ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي قَاعِ قَرْقَرٍ، تَعُضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، وَتَطَأُهُ بِأَظْفَارِهَا وَأَخْفَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا أُعِيدَ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» -والعياذ بالله-.

وأخبر ﷺ أن الذي ييخل بزكاة النقل المال والتجارة أنه أيضًا كذلك «يُمَثَّلُ لَهُ شُجَاعًا»؛ يعني حية عظيمة جدًا موحشة خطره، «يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ»؛ يعني بشدقيه «وَيَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، وَأَنَّهُ يَهْرُبُ مِنْهَا هَرْبًا شَدِيدًا وَيُدْرِكُهُ، فَإِذَا لَمْ يَرَ مَنَاصًا مِنْهُ، وَضَعَ يَدَهُ فِي فِيهِ»؛ يعني الشجاع الأقرع، «فَيَقْضِمُ يَدَهُ كَمَا يَقْضِمُ الْفَحْلُ» مثل البعير.

وأبلغ من هذا كله قوله -جل وعلا-: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] -والعياذ بالله- ﴿فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

فذكر ﷺ أنهم يُعَذَّبُونَ بأموالهم في هذه الأعضاء التي صدوا بها عن الفقراء لأجل ألا يعطوهم حقهم؛

- فلما كان يُكْفَرُ بوجهه صارت تكوى بها جبهته.
- لما كان يعرض بجنبه تكوى بها جنبه.
- ولما كان يوليه ظهره يكوى به ظهره.

وهذه قاعدة في الشريعة دلت عليها نصوص كثيرة، أن من عصى الله ﷻ بشيء عُدب به يوم القيامة، عُدب بما عصى الله به يوم القيامة، وهذا عدل.

وقد ثبت في الصحيحين أنه ﷺ قال: «مَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَمَاتَ فِسْمُهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»، فمن التهم السم وهذا يدخل فيه المخدرات، وأنواع السموم، والخمر، فمن مات بسبب ذلك عُدب به يوم القيامة، قال -عليه الصلاة والسلام-: «وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَمَاتَ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا»، قال: «وَمَنْ وَجَأَ بَطْنَهُ بِحَدِيدَةٍ -شَقَّ بَطْنَهُ وَانْتَحَرَ يَعْنِي أَوْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ- فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا بَطْنَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا».

وهكذا أخبر ﷺ: «أَنَّ النَّائِحَ الَّتِي تَعْصِي اللَّهُ ﷻ بِخَلْعِ مَلَابِسِهَا وَسِتْرِهَا، أَنَّهَا تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهَا لِبَاسٌ مِنَ النَّارِ، سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ، وَدَرَعٌ مِنْ جَرَبٍ تُعَدَّبُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، في أحاديث كثيرة على هذا.

فلذلك من بخل بالمال الواجب للزكاة يكون عُرْضَةً لَأَنْ بَعْدَهُ اللَّهُ ﷻ بِهَا، فَإِنْ عَذَبَهُ اللَّهُ ﷻ فَعَدَلَهُ وَمَا ظَلَمَهُ اللَّهُ، وَإِنْ عَفَا عَنْهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلٌ لِلْعَفْوِ، لَكِنِ الْإِنْسَانُ يَخَاطِرُ بِمَالِهِ بَحِيثٌ يَكُونُ سَبَبًا لِنَقْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ يُحْرَمُ بَرَكَتَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُعَذَّبُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وهذا شؤم البخل بحق الله الواجب، والله تعالى أخبر أن في المال حقًا معلومًا للسائل والمحروم، وفصل ﷻ هذا الحق المعلوم، بل عاب على المشركين والكفار وطالبوه بالتوحيد أولاً، ومع ذلك عاب عليهم بأنهم لا يؤتون الزكاة، وقال أيضًا عن المجرمين: ﴿مَا

سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ [المدثر: ٤٢-٤٤]

فَعَذَّبُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَعُذِّبُوا عَلَى الْبُخْلِ بِالْوَاجِبِ فِي نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ.

فأمر الزكاة أمر عظيم؛ لأنها عبادة لله ﷻ، ما هي ضريبة تأخذها الحكومات والجهات الرسمية، لأهي عبادة تؤدى من القلب بحيث أن العبد يبذلها لمستحقها مغتبطاً، ويرى أن النعمة والمنة لله عليه إذا أغناه الله ﷻ وجعله يبذلها لله ﷻ.

ولذلك قال بعض العلماء في تعريف الزكاة أنها: تملك جزء من المال لمستحقه، في هذا إشارة أنك ما تمُن على أحد أصناف أهل الزكاة إذا أعطيته الزكاة؛ لأنك تعطيه لله ﷻ، المال الله ﷻ هو الذي اقتطعه من مالك، الله تعالى هو الذي أعطاك المال، فالذي أعطاك المال استثنى منه هذا القدر اليسير، ورتب أيضاً عليه الأجر الكبير، فأنت تعطيه مبتهج النفس، منشرح الصدر، طيب النفس، وتبلغه إياه ما تنوي الرجوع فيه، ولا تمُن عليه فيه. فهذا يدل على عظم شأن الزكاة، وأنها لا تقاس بالضرائب وأنواع الجبايات، لأ، فهي عبادة كالصلاة سر أمانة، وهي شكر ومظهر من مظاهر شكر الله الذي أغناك وجعلك من المتصدقين، لم يجعلك من الآخذين.

وأيضاً الله ﷻ قال: ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا نُلَيْهِمْ جِجْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

فانظر كيف جعل الله ﷻ جزاء إخراج الزكاة، فالله يرزق من يشاء بغير حساب، فيعطيك في الدنيا خيراً كثيراً وبركة عظيمة، ويشيبك يوم القيامة ثواباً عظيماً؛ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (٣٩)

لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]،
وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وفي الحديث القدسي الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ، أَنْفِقْ عَلَيْكَ»، «وَأَنَّهُ مَا مِنْ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا».

وأقسم النبي ﷺ وهو الصادق البار: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»، يشير أنها لا تنقصه بل تزيده في الآيات والأحاديث السابقة.

فالزكاة تُحل البركة في المال، وتُذهب شره وأسباب تلفه، فما هلك مال في بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة، وهي تُزكي إيمان المخرج للزكاة، تُزكي عمله، وترفع درجته ومقامه عند الله ﷻ، وإنما يتجلى ذلك ويحمل العقبى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

إذا أكرم الله ﷻ أهل السمحاء الكرام أهل الفضل، فإنهم أهل المغفرة، وأولى بالمغفرة، وهم أقدم الناس، وأنشر الناس، وأسوتهم في ذلك رسول الله ﷺ الذي كان أجود الناس، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة - صلوات الله وسلامه عليه -.

وَفَقَّ اللَّهُ الْجَمِيعَ لِمَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



أحكام الزكاة: زكاة الفطر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلَّ اللهُ وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:
فمذاكرتنا الليلة إن شاء الله في زكاة الفطر.

أولاً: اسمها زكاة الفطر، فهذا الاسم يدل على أمرين:

الأول: على المعنى، وأنها زكاة؛ أي نماء، وزيادة، وتطهير، وبركة، وأجر، فإن كل هذا من معاني الزكاة، فهي تُزَكِّي بادلها، وتُزَكِّي المال الذي تنفق منه، وتُزَكِّي الفقير؛ لأنها تغنيه عن ذل الحاجة والسؤال، وتدل على صدق الإيمان وتقويه، وتثبتته، وهي من الشكر لله ﷻ على نعمته بالهدى للإيمان والإسلام، وإكمال عدة الصيام، وهذا ينفي موجبات التلف، والنقص، والشؤم، والإثم، والعقوبة، والعذاب، فكل هذا من معاني التزكية والزكاة.

الفِطْر؛ يعني سببها الفطر، المراد به هنا: انتهاء وقت أداء الصيام، يعني انتهاء شهر رمضان، بثبوت رؤية هلاله، أو بإكمال عدته ثلاثين يوماً، فهذا يدل على وقتها، وأنها إنما تجب بخروج رمضان، إذا غربت الشمس يوم الثلاثين من رمضان وجبت الزكاة، وإذا رُئي الهلال ليلة الثلاثين فهي تكون وجبت من المغرب يوم تسع وعشرين.
فإذا سببها الفطر من رمضان، الفطر اللي انتهاء وقت الصيام أداء، ووقت الصيام هو شهر رمضان، فهذه تفيدنا فائدتين:

الفائدة الأولى: أن الوجوب يكون بانتهاء الوقت تماماً، فيجب إخراجها يعني يتعلق بالذمة إخراجها من غربت عليه الشمس يوم ٢٩ إذا رُئي الهلال ليلة الثلاثين، أو يوم الثلاثين إذا انتهت عدة رمضان بإتمامها، فهذا وقت الوجوب.

ووقت الإجزاء بقبل هذا بيوم أو بيومين؛ يعني بثلاث ليال، ليلة العيد وليلتين قبله، هذا وقت الإجزاء يجوز يعني، يُجزى.

والدليل على هذا: ما ثبت في الصحيح في البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وكله على طعام، الطعام إذا أطلق يراد به الشعير أو البر في زماننا، يحرسه، فجاء مخلوق فأخذ يحثو من الطعام، فأمسكه أبو هريرة فقال: دعني ولا أعود، فقير لي عيال، فتركه، فلما صار من الليلة القابلة وإذا هو يحثو على الطعام، فأمسكه، فقال: دعني، فقير ولي عيال ولا أعود، فتركه، فلما جاء الليلة الثالثة جاء، وإذا هو يحثو على الطعام، قال: دعني، لي عيال ولا أعود، قال: أنت قلت هذا منذ ليلتين وتعود، قال: «**دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: (سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٢٥٥) حَتَّى تَخْتِمَهَا، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبَكَ شَيْطَانٌ.**»

فأخذ أبو هريرة فهذه الفائدة وتركه، مادام أنه محتاج وهذا للمحتاجين فكان كل ليلة من الليالي يغدو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويخبره، ويقول له النبي صلى الله عليه وسلم أما أنه سيعود فيعود، فبعد هذه الليلة الثالثة قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**هَلْ تَعْلَمُ مَعَ مَنْ أَنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ شَيْطَانٌ، صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»؛ يعني صدقك في فائدة قراءة آية الكرسي، وهو كذوب ما هو من شأنه الصدق، فكانت هذه الوكالة من النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة على الطعام على صدقات الفطر، ولهذا أخرج البخاري - رحمه الله - هذا الحديث في كتاب الوكالة.

وهذا يفيدنا فائدة أخرى: أنه يمر على الناس في قراءة الحديث أو الكلام عن زكاة الفطر أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يُعطي زكاة فطره من يقبلها، وأكثر العوام وبعض طلاب العلم يظنون أن أي واحد يقابله في الشارع يعطيه إياه، وهو لا، من يقبلها من كُلف بقبولها من قبل ولي الأمر العام، مثل أبو هريرة مع النبي صلى الله عليه وسلم، أو من احتسب قبولها والتزم بأدائها إلى مستحقيها، وهو ثقة وأمين، ما هو معناه أنك تعطيه اللي يجمعون ويبيعون، لا هذا ما هو صحيح، هذا عبث بالشعيرة.

فالمهم أن وقت الإجزاء قبل العيد بيوم أو يومين أو ثلاثة، ووقت الفضيلة والوجوب بغروب الشمس ليلة العيد، وأفضل منه ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد، وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [١٤] و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [١٥] [الأعلى: ١٤-١٥] فمن تزكى: من زكى زكاة الفطر، وصلى: صلى صلاة العيد، وهذا مما تشمله الآية بعمومها، وإلا فالأصل حَمَل النص على عمومها، وعلى أوسع مدلوله؛ فتشمل صدقة الفطر، وصلاة العيد، وتشمل غيرها، من زكى زكاة المال واجبة، وصلى صلاة الفريضة، وغير ذلك.

طيب حكمها: الوجوب، زكاة الفطر واجبة على كل شخص برأسه، فهي زكاة رؤوس، كل شخص تغرب الشمس ليلة العيد وهو حي يرزق فهذا تجب عليه، صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، حرّاً أو عبداً، صحيحاً أو مريضاً، فهذا حكمها الوجوب، فرض، ولهذا قال ابن عمر، وابن عباس، وغيرهم -رضي الله عنهم-: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدَقَةَ الْفِطْرِ»، فهي واجبة.

حكمتها أشرنا إليها في معنى الزكاة، ويدل على ذلك قول ابن عباس -رضي الله عنهما-: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ»، فهذا أَجَلٌ وأظهر حكمتها، أنها طهرة للصائم، تكمل صيامه، وتجبر نقصه، وتسد خلله، وتكمل أجره، «وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ» تغنيهم عن الاشتغال بالمعيشة وهم المعيشة ليلة العيد يوم العيد، حتى يشاركوا الناس فرحتهم؛ لأن إظهار الفرح في العيد من الشعائر الدينية ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

المقدار الواجب: صاع، وصاع النبي ﷺ ما مقداره؟ مقداره خمسة أمداد، من أربعة أمداد إلى خمسة بكفي الرجل متوسط خلقة اليدين، فهذا مقداره أربعة أمداد إلى خمسة، من البُر الجيد، البُر اللي يسمونه اللقيمي، اجمع أربعة أمداد ملئ يديك، واجعلها بعلبة أو كرتون، واعتبر أن هذا صاعك، ويقدر ٢ كيلو وأربعين جراماً، خمسين جراماً، مائة جرام، ٢ كيلو

نص احتياطاً، حتى بعض المشايخ قال: ثلاثة كيلو إلا ربع من الأرز؛ دقائق الحب وأيضاً يحتاج إلى إناء ما يكفي بنفسه، فراعوا هذه المعنى، قالوا: ثلاثة كيلو إلا ربع، فالمقدار هذا هو.

طيب منين؟ من طعام، من طعام الناس اللي يأكلونه غداء وعشاء، قال جابر رضي الله عنه: «كَانَ طَعَامُنَا يَوْمَئِذٍ الشَّعِيرَ»، إذا أطلق الطعام عندهم الشعير، ما عندهم غيره، فيه البر لكن كان قليل، يأتي من أنباط العراق والشام، لكن قليل ما هو موجود في كل بيت ولا عند كل أحد، طعامهم البر والتمر، كان تمضي الشهران والثلاثة ما أوقد في أبيات الرسول صلى الله عليه وآله نار، ما عندهم شيء يطبخ، قيل: فما كان طعامكم، قالت عائشة -رضي الله عنها-: «الْأَسْوَدَانِ: الْمَاءُ وَالتَّمْرُ»، فكان طعامهم الشعير والتمر.

ولذلك فرض النبي صلى الله عليه وآله زكاة الفطر من الأطعمة الموجودة وكانت أربعة أنواع: الشعير، التمر، الزبيب، الأقط، والأقط: اللبن المجفف عند البادية، ففرضها صلى الله عليه وآله من إيش؟ من قوت البلد، فالحكمة أنها من قوت البلد، ما يقتاته الناس يواسون به فقراهم بحسب حالهم، ناس قوتهم الأرز، وناس قوتهم الذرة، وناس قوتهم الشعير، ناس قوتهم التمر، فيواسون من قوتهم، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

طيب اليوم نأتي بمثالين من الأنواع المخصصة:

- الشعير هل هو قوت الأوادم يعني عندنا، لأ، علف للبهائم، يواسي به الإنسان؟ ما

يجوز، ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

- طيب الزبيب الآن هو من الأقوات ولا من المزارات؟ من المزارات، ما هو من

الأقوات.

فإذن الفطر من قوت البلد، وإذا تكلم الناس في ضعف مستوى العلماء أو الفقهاء في مجتمع من المجتمعات، كان العلماء يقولون: الفطرة من قوت البلد، العلماء الناس من حسبهم، من بينهم، ما فيه ملائكة تنزل من السماء لتفتي الناس، يربون مثل يقولون الفطرة من قوت البلد، هذا مثل شائع عبر التاريخ، فالناس يواسون من قوتهم، من واسى من قوته ما قصر جزاه الله خير، فإذا من قوت البلد، لا تكلفك.

هل يجوز إخراج القيمة؟ ننظر إلى العهد الذي شرعت فيه هذه الفريضة، عهد النبي ﷺ، كان عندهم الدنانير من الذهب، وعندهم الدراهم من الفضة، وعندهم البهائم، وعندهم الأثاث أثاث البيوت، ما فرضت عليهم هذه، وإنما فرضت من القوت فقط، فلو كانت تجزأ القيمة لفرضت من القيمة، وهي صاع أو مقدارها، فلما صرف النظر عن المقدار دل على أن المقصود المواساة بالطعام.

ولذلك الآن يجي بعض الفقهاء يطرق الباب، أو المتسولين يطرق الباب، يقول: أبغي طعام، هو لا يريد طعام، لكن يريد أن يستعطف الناس، فإذا أعطي الطعام طلب ثياب، إذا أعطي الثياب طلب نقد، فإذا جاوز البيت وضع الثياب والطعام ومشى، يريد هو النقود فقط، فلو كان المجال هذا كان اختفت الشعيرة، لو صارت نقود لا خفت الشعيرة.

فدل هذا على أنه لا يجوز إخراج القيمة، ولما قيل للإمام أحمد - رحمه الله - أن عمر بن عبد العزيز يأخذ القيمة، قال: (سبحان الله، يتركون سنة رسول الله ﷺ ويأخذون بقول فلان!) فالنبي ﷺ فرضها وسنَّ الأئمة التي تخرجها؛ لأنها موجودة في زمانه، فلا يجوز إخراج القيمة.

إخراج القيمة أيضًا يخفي الشعيرة، كل واحد يسدد من البنك ولا من الصرافة وانتهى الموضوع، وبعدين ما يتعلمون الأطفال الشعيرة، ولا السنة، شراء، وحمل، وكيل، ووزن، وإعطاء، تختفي.

أمرٌ آخر أن القيمة التي يحصل عليها الناس كلهم المحتاج وغير المحتاج، فيحصل تصرف في القيمة، يجي واحد ويجمع قيم من الناس أيام الزكاة، يومين ثلاثة قبل العيد، ويسدّد ويأخر التسديد إلى بعد شهر، قيمة فيصير تجاوزات، فلا يجوز إخراج القيمة، ومن أفتى بهذا فقد تساهل، ولا يجوز تخيير قوله على قول رسول الله ﷺ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، وأمر أن تؤدى قبل الصلاة، تؤدى زكاة ما تؤدى نقود، هذه مسألة مهمة ينبغي التفطن لها.

من يقبلها قلنا من هو؟ العامل الموكّل من قبل ولي الأمر باستلام الصدقة من الناس وإيصالها لمستحقيها، ممثل بيت المال، الزكاة والدخل مثلاً، أو من انتدب نفسه محتسباً وهو ثقة، ما هو كل أحد، ثقة أمين، هذا الذي يعطى الزكاة، أو تعطى لمستحقيها، ومستحقوها صنفان من أهل الزكاة فقط:

- الفقراء، والفقير هنا من لا يجد شيئاً أصلاً، ما عنده قوت ليلة العيد أصلاً، ولا يوم العيد.

- الفقير المسكين من ليس عنده شيء يكفيه، عنده شيء لكن قليل لا يكفيه.

فهذان الصنفان يتغيان الزكاة، أما غيره فلا، لا تعطى الغارمين، ولا الرقاب، والمجاهدين في سبيل الله، ولا العاملين عليها، ولا أي شيء، فالخصوص من أصناف الزكاة الفقراء والمساكين، لازم تسلّم الفقير بنفسك، أو المسكين، أو الوكيل.

وكيل داخل فقال لك: الفقير جارك، ولا قريبك، ولا من اعتدت أن تعطيه إياه، وقال لك والله ها السنة ما أكون موجود آخر رمضان، بعتمر، لكن وكيلي مؤذن المسجد الذي عندنا، أعطني إياه، تراه واصل، هذا وكيل، تعطيه إياه.

أما انك تيجي وترميها عند باب البيت، وأنت ما تدري هو حاضر ولا غائب، وحي ولا ميت، فهذا ما تجزيك؛ لأنها ما وصلت إلى مستحقيها، فخذها وأعطها غيره، وإذا كان غالي عليك لهذه الدرجة، أعطه صدقة ثانية، لكن الزكاة لازم توصل على الطريقة الشرعية، فتسلم إلى مستحقيها، أنت أو وكيلك تسلمها إلى مستحقيها أو وكيله يدًا بيد، ما يصير فيه تلاعب ولا تساهل، ولا تعطى لغير ثقة، ما كل من قال أنا أستقبل الزكاة هو ثقة.

كما قال النبي ﷺ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى رِجَالُ قَوْمٍ أَمْوَالَهُمْ»، يغيرون على الناس يأخذون أموالهم بالقوة بالسلاح، فكيف إذا حصل لهم مالهم بدون شيء، كلام بس، بطاقات، كوبونات، وأشياء من هذه الأمور، أوراق موقعة ومختمة وصور وأوراق، هذا ما يجوز، ما يصير الناس التغفيل إلى هذه الدرجة.

أنتم تدرون أنه وزعت كوبونات في الحج، أضاحي، وهدى، ولو أن لها أصل أو حقيقة، سحبت أموال من الناس، صدقة من هذا المال، كذلك الأضاحي، تؤخذ الأضاحي وتباع، تؤخذ زكاة الفطر وتباع.

الناس على مستوى من الأمانة والثقة، أحد يجهل، وأحد مريض أصلاً داخل للحيلة، وأحد يتأول يقول: خلاص أخذها الحين وأسددها بعدين، فالناس يشهدون عند القاضي شهادة زور بشأن المال، شو اللي به لما يأخذون الزكاة؟ تظنون الزكاة بالمال اليسير، الزكاة أنهار تجري، كل بيت صاع صاعين، عشرة أصواع، إذا شأنها مثل الماء، لو فرضنا أن الزكاة ماء، ما تمشي في الوديان، فإذن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا حُدُودًا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] «لا يُلْدَغُ

مُؤْمِنٍ مِنْ حِجْرٍ مَرَّتَيْنِ»، ما كل من أعطي الزكاة فهو مستحق.

ناس أحبوا يتحرون وراحوا للفقير اللي ما عنده قوت الليلة، فقير مسكين، ومعه وتزكيات من المطاوعة، راحوا عنده دواليب بالبيت مليانه كلها إلى السقف، أكبر من السوبر

ماركيات الكبيرة والبقالات الكبيرة، هذه فقير هذا؟ يجمع ويبيع طول السنة، وهكذا يُعبث بالشعائر، وهكذا يستهين العوام حتى تكون الشعائر على هذا المستوى.

الأضحية تغير، والفترة تغير، والهدى يغير، وتخفى الشعائر، الناس بمنى يأكلون الدجاج، والسمك، وهمبورجر، وين الهدى؟ يصلح هذا؟ وفي يوم العيد مثل هذا، حصل مثل هذا، فتؤخذ وتباع، راحت يمين ويسار وهي في الواقع بعض السنة لو كل واحد عرف ذبيحته فاتته المسؤولية والحرص عليه^٢، فيا إخواني متى يكون هذا الأمر؟ ويكون الدين عند الناس بهذه المهانة والبساطة.

إذا خفت الصلاة عند الناس، وخفت الزكاة، ماذا بقي من الدين؟ والله يا إخواني هذه صدقة، هذه شعيرة، هذه عبادة، هذه قرينة إلى الله ﷻ، وهذه حق لمستحقه في أموالكم، لا تبرأ الذمة إلا بإخراجها، كان عثمان رضي الله عنه يُخرجها عن الحمل؛ لأنه حمل موجود في البطن، فكان يخرجها عن الحمل، أنتم الآن ما تخرجونها عن الحمل، ما نصَّ عليها النص، سنة من سنن الخلفاء الراشدين، إن أحببتم يلزمكم ولا ما يلزمكم.

السواق والشغالة أيضاً هم أغنياء، في باب زكاة الفطر هم أيش؟ أغنياء، يجدون قوتهم ليلية ويوم العيد؛ لأنه كام قيمة الصاع؟ خمس دنانير، عشرة، كلها يجدوه، فتجب على كل واحد برأسه، وأنه هذه زكاتك يعطيها مع الزكاة، ولا أصل زكاتك أنت، إذا بقيت تبرع له تحتسب، فأخبره حتى ينوي، لازم ينوي فهذه عبادة، ما هو يتفطن عند صلاة العيد أنه أخرجنا زكاتك معنا، وين ينوي؟ ما صارت؛ لأنه لا بُدَّ أن تشعره حتى ينوي، وربما أنه يكون هو يكون هناك في بلده من هو أحوج من هنا، فيكلم التليفون يقولون أخرج عنا الزكاة، فلا بُدَّ من الاهتمام بهذه الأمور، ولا بُدَّ من الفقه.

^٢ - هذه الجملة غير واضحة في الملف الصوتي

الفقه من ثمراته القيام بالعمل على وجه شرعي، ومن ثمراته قطع الوسوس والشكوك،
ومن ثمراته قطع الذريعة عن العابثين الذين يضيعون العبادات.
وَفَقَّ اللهُ الْجَمِيعَ لِمَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَرَزَقَهُ الْفَقْهَ فِي دِينِهِ، وَالْإِخْلَاصَ لَوَجْهِهِ سُبْحَانَهُ فِيمَا
يَبْقُونَ وَمَا يَذْرُونَ، وَاتَّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ مَا يَعْمَلُونَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



أحكام الزكاة: مال اليتيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلِّ الله وسلِّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما

بعد:

فبقي من مهمات أمور الزكاة مسائل:

الأولى: مال اليتيم والمجنون هل تجب فيهما الزكاة أم لا؟

الراجع من أقوال أهل العلم -رحمهم الله تعالى-: وجوب الزكاة فيهما؛ لأن الله -جلَّ

وعلا- أوجب الزكاة في أموال الأغنياء، كما قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ

عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فترُدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ».

فشرط الزكاة: الغنى الذي هو تمام الملك، وبلوغ النصاب، ومضي الحول، وقد روي

عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم منهم عمر، وعلي، وجابر بن عبد الله، وجابر بن زيد، وعائشة رضي الله عنها

أنهم كانوا يخرجون الزكاة من أموال الأيتام والمجانين الذين يكونون تحت ولايتهم، فهي

متعلقة بالمال.

كذلك من مهمات الزكاة: ما أشرنا إليه بالأمس في مسألة الدين، فالدين الذي للشخص

عند الناس فيه تفصيل:

- إن كان الذي عليه الدين مليئاً وفيّاً، فيعتبر الدين فيه كأنه في قبضة الدائن،

يُزَكِّيهِ كما يُزَكِّي ببقية ماله؛ لأنه متى أراد أخذه.

- أما إذا كان المدين معسراً أو مماطلاً، فإنه ليس عليه فيه زكاة حتى

يقبضه متى ما قبضه.

فإذا قبضه هل يُزَكِّيهِ عن سنة القبض؟ أو يستقبل به عاماً جديداً؟

فإذا مضى الحول على قبضه وجبت فيه الزكاة، بكلِّ قال فيه جماعة أهل العلم، والراجع

أنه يستقبل به حولاً جديداً، فإذا قبضه ومضى عليه الحول على قبضه وهو عنده بحاله يُزَكِّيهِ.

مثل ما لو استفاد مالاً من غير ربح التجارة ونتاج السائبة، استفاد ميراث، استفاد هبة، المرأة جاءها صداق مهر، فكل هذا يستأنف به حولاً جديداً.

المسألة الثالثة: إذا وجبت عليه الزكاة وعليه دين، هو مدين، الأولى: كان دائن لكن هنا هو مدين، فعنده مال قدره عشرة آلاف ريال في صندوقه في حسابه، وعليه دين قدره خمسة آلاف ريال، هل يُزكى عشرة؟ أو يُزكى خمسة؟

الجواب:

- إن سدد الدين قبل بلوغ الحول بيوم مثلاً أو أكثر، فإن ما سدده يسقط في حسابه لا زكاة فيه، فيُزكى الخمسة الباقية.
 - أما إذا تم الحول وهو لم يسدد الدين، فعليه زكاة العشرة كاملة.
- كذلك من المهمات بشأن الزكاة: الأموال التي للشخص لكنها ليست في قبضته، مثل الدين على المعسر أو المماطل.
- مثلاً شخص دفن مال في مكان ونسي وين دفنه، وضع مال في شركة مساهمة وتبين له فيما بعد أن هذه الشركة وهمية، أو أن فيها تلاعب، أو محجور عليها، أو أفلست أو ما أشبه ذلك، وهو وضع فيها مثلاً مائة ألف، فهذا المال مثل ما يقال في الدين على المفلس: أنه يُزكىه إذا قبضه وحال عليه الحول.

كذلك من المسائل: زكاة الراتب، إنسان له مرتب وظيفي تقاعدي شهري، ويأخذ من حسابه ينفق من حسابه ويبقى فيه شيء، يجتمع له خلال أشهر السنة بقية من كل شهر، فيقال لهذا: اجعل موعد زكاتك مثلاً في رمضان أو أي شهر من الشهور يناسبك، فإذا جاء موعد الزكاة تُزكى الحساب الموجود، تُزكى المال الموجود؛

○ فما مضى عليه الحول فعلى وجهه.

○ وما لم يمضِ عليه الحول فيكون من باب تعجيل الصدقة، تعجيل الزكاة.

وقد عَجَّلَ النبي ﷺ من العباس رضي الله عنهما زكاته سنتين، والأمر في هذا إن شاء الله فيه سعة. إنسان عنده مال في حسابه خمسة آلاف أو عشرة آلاف أو أكثر، وعنده عَمَلٌ أُخْرَى في صندوقه، عنده دولارات، ألف دولار، ألفين دولار، عنده ٥٠٠ يورو، عنده كذا روبية، كذا ليره، كذا دِينَار، فهذه تُجْمَعُ وتُقَوَّمُ بقيمتها التي تساويها اليوم، وتُضَمَّنُ الخمس آلاف اللي في الحساب، ويُخْرَجُ منها القدر الواجب وهو ٥, ٢٪ ربع العشر؛ لأنها كلها أموال، ولا فرق فيها كونه تنوع العمل أو جهات الإصدار، أو كونها ذهب وهذا فضة، وهذا ورق نقدي، وهذه أرض، وهذه بضاعة، كل ما لديه بحوزته من المال ومما أُعِدَّ للتجارة، يُقَوَّمُ في وقت الزكاة بما يساويه، ويُخْرَجُ منه ربع العشر، كل ألف ريال عليه ٢٥ ألف ريال.

كذلك من مهمات الزكاة: إنسان وجبت عليه الزكاة، له مال بلغ النصاب يملكه تمام الملك ومضى عليه الحول، لكنه التفت ولم يجد عنده سيولة ليخرج الزكاة، ما عنده سيولة نقدية، ويصعب عليه أنه يستدين.

- فهذا تكون الزكاة وجبت في ذمته، ويجب عليه أن يُقَيِّدها في وصيته، أو يوثقها بورقة، ويُخْرِجُها إذا تيسرت له.

- ولو مات وهي لم تخرج فهي متعينة في ذمته من ماله، فيُخْرِجُها وصيه أو وليه؛ لأنها دَيْنُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، وقد قال النبي ﷺ: «**اقضوا الله، فدين الله أحقُّ بالقضاء**».

فَتُقَدَّمُ على الوصية بالثلث، وتُقَدَّمُ على حقوق الورثة، تُؤخذ من المال من التركة قبل أن تُقَسَمَ التركة، فلا يخرج ثلث التركة، ولا يُقَسَمُ على الورثة إلا بعد أن تخرج الزكاة؛ لأنها حق الله، وقد استقرت في الذمة.

كذلك فإن من مهمات الزكاة: أنها لها تعلقٌ بالمال، وتعلقٌ بالذمة، بمعنى أن الإنسان الذي وجبت عليه الزكاة، تم الحول وعنده مال ووجبت عليه ولم يخرجها، سواء كان معذورًا لم يتيسر له مثلاً ما عنده سيوله، أو كان متهاونًا مفرطًا، فإنها لا تبرأ ذمته إلا بإخراج الزكاة من ماله.

لو مات فلا بُدَّ أن تُخرج الزكاة من ماله، ولا تبرأ ذمته إلا بذلك، بمعنى أن الوصي أو الولي يهتم بالزكاة أكثر مما يهتم بالوصية بالثلث، أو بحقوق القَصْر، أو بقسمة التركة؛ لأنها متعلقة بذمة الميت، فهي دَيْن، ودَيْن الله أحق بالقضاء كما مضى.

إذا كان الرجل الذي جيء به يصلي عليه النبي ﷺ فسأل عنه: «هل عليه دَيْن؟» قالوا: "نعم دَيْناران"، فقال: «صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ»؛ لأن صلاة النبي ﷺ شفاعة، وهذه الشفاعة لا تُخرجه من حقوق الخلق، لا تدخله الجنة وعليه حق للخلق.

ولما تأخر النبي ﷺ عن الصلاة عليه، تقدّم أحد الصحابة قتادة ؓ وقال: هي عليّ، الدَيْناران عليّ؛ يعني انتقلت من ذمة المتوفى إلى ذمة الحي، فتقدّم النبي ﷺ وصلى عليه، ثم سأل أبا قتادة مرتين، يسأله: "هل أدى الدَيْنارين؟" مرة قال: لأ، ومرة قال: نعم، قال: «الآن بَرَدَتْ جِلْدَتُهُ»؛ يعني الآن أبرأت ذمته من الحق الذي عليه.

فهكذا الزكاة حق لله -جلّ وعلا- فلا تبرأ الذمة إلا بأخذ هذا الحق، ولذلك ولي الأمر إذا أحد منع الزكاة، منع بذل الزكاة وهو مسلم مُقَرَّبٌ بوجوبها، فلولي الأمر أن يأخذها منها بالقوة، وقد روي عن النبي ﷺ قال: «إِنَّا لَأَخِذُوهَا وَشَطْرُ مَالِهِ»؛ يعني عقوبة له.

فلذلك أمر الزكاة عظيم؛ لأنها حق الله، فلا بُدَّ أن يصل إلى مستحقه، فإذا لم يصل إلى مستحقه فإن الله تعالى هو خصمك يطالبك بها، فلذلك الإنسان يهتم بهذا، ولذلك عبر بعض الفقهاء -رحمهم الله- بتعريف الزكاة بأنها: تملك جزء من المال لمستحقه؛ يعني جزء من

مالك تملكه مستحقه أنت، بمعنى أنك تعطيه إياه من غير منة ولا تفضل، وتعتقد أن هذا المال أنه انتقل من ملكيتك إلى ملكية غيرك.

فأمر الزكاة عظيم، والتفريط فيها خطير وكبير جداً، وتساهل الناس ليس حجة على الشرع، كونه يوجد من يتساهل ليس حجة، وإنما يظلم نفسه، ويذهب حسناته، ويتحمل حقوق الآخرين، ويكون الله ﷻ خصمه يوم القيامة.

كذلك من مهمات الزكاة: أن الإنسان يتحرى مستحق الزكاة؛ لأن الله ﷻ قسّمها بين

أهلها من فوق سبع سماوات، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ [التوبة: ٦٠]، فيتحرى مستحق الزكاة، ما كل من ادعى أنه مستحق يصدق، ولا كل ما جاء الناس بأوراق يصدق، لا بُدَّ من البينة أنه مستحق.

ولهذا لم يحل النبي ﷺ المسألة لمن أصابته حاجة أو فاقة حتى يقوم رجلان من ذوي

الحجة فيشهدان أن فلان أصابته حاجة أو فاقة، وقال النبي ﷺ: « لا حظّ في أهل قومي، ولا لذي مرة سوي »، فلا بُدَّ من ادعى الغرم أن يثبت غُرمه بوجوه الإثبات الممكنة:

- خطاب من البنك.

- صك من المحكمة.

- شهادة ذوي عدل.

- العلم بالمصيبة التي أصابته واجتاحت ماله، هذا من جهة.

من جهة أخرى: أن يكون الآخذ ثقة أيضاً؛ لأنه قد يأخذ من هذا للفقراء، يكون وكيل،

يقول أنا عندي فقراء، ما هو بصحيح تصدق هذا، فلا بُدَّ أن تعرف ثقة هذا الشخص، هل هو

ثقة ولا لاء؛ لأنه قد يأخذها منك ويصرفها في وجهٍ آخر، لا تبرأ به ذمتك أنت.

ولهذا اتفق الفقهاء -رحمهم الله- على أن تسليم الزكاة لولي الأمر تبرأ به الذمة بالإجماع، وتسليمها لغيره يحتاج إلى تثبُّت وتبَيُّن؛ فإذا وجد مثلاً:

- لجنة قضائية تعنى بها بشؤون مثلاً السجناء.
 - لجنة أخرى رسمية تعنى بشؤون مثلاً الأرامل والأيتام.
 - وجد مثلاً جهة مختصة موكل إليها من ولي الأمر هذا أمور الزكاة مثل مصلحة الزكاة والدخل، التي وارداتها تصرف في الضمان الاجتماعي.
- فُتْعِي الزكاة، ولا تعطِها أناس تتوهم فيهم الثقة أو الأهلية أو غير ذلك ثم يخلفونك، أو يصرفونها في مصرف يضر الإسلام وأهل الإسلام.

فهذه من الأمور المهمة التي يعنى بها المسلم حتى تبرأ ذمته، يعني أنت أحرص من الناس، وأحرص من كل أحد على براءة ذمتك أن تقع زكاتك موقعها، الصدقة أمرها واسع، لكن الزكاة لا بُدَّ أن تقع موقعها، فإن عرفت بنفسك فذاك، وإن لم تعرف بنفسك فاستعن واستشر أهل الثقة، وانظر إلى الإجراءات الرسمية الممكنة حتى تنتهي مسؤوليتك منها، ولا تروح عليك الأيام وبعد شهرين بعد سنة تتبين أن زكاتك ما وصلت إلى مستحقها.

فأمر الصدقة واسع ولكن أمر الزكاة ضيق؛ لأن الله ﷻ ما جعل قسمة الزكاة لنبيه ﷺ، آمن

الخلق!!

فأمر اعتنى الله ﷻ به لهذه الدرجة واقتسمها بنفسه من فوق سبع سماوات، لا بُدَّ أن توصلها إلى أحد الأصناف التي قسمها الله لهم، فهذا أمر لا بُدَّ من العناية به وإلا فأنت مفرط، وإذا راحت إلى جهة تضر الإسلام قنوات مشبوهة فأنت مع التفريط آثم، ومعين للمبتدع على بدعته، وظالم.

فلا بُدَّ من التحري، ومثلما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٤)

[النمل: ٦٤]، ﴿تَبِعُونِي يُعْلِمِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، فلا بُدَّ من التوثق.

الإنسان لو أراد يأمن جواله، ولا ساعة عند أحد، راح يعرف عن ثقته، والزكاة تعطيها من لا تدري عن ثقته!!! والمسألة ما هي مظاهر، فهذا أمر ينبغي التفطن له والعناية به، لا تصير النتائج عكسية وسلبية.

وفقَّ الله الجميع لما يحبه ويرضاه والله أعلم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



**مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ
تَدَبَّرَ شَأْنَ الدَّعَاءِ
الْجُزْءَ الْأَوَّلِ**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن من تدبر القرآن العظيم أن تتدبر أمر الدعاء وشأنه، فيما جاء في القرآن، وما ثبت عن

النبي ﷺ من البيان، فمن ذلك:

أن الله -جلّ وعلا- أخبر عن الحكمة من خلق الجن والإنس فقال ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨] فبين -جلّ وعلا- أنه خلق الجن والإنس لعبادته، ليس من

حاجة بس ﷻ إليهم فإنه الغني الحميد؛ ولكن لأن حكمته -جلّ وعلا- اقتضت أن تكون

العبادة علامة الاصطفاء، ومعيار الاجتباء، وعنوان السعداء.

وإذا كان ذلك كذلك، قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، وروي عنه ﷺ

أنه قال: «الدُّعَاءُ مَعَ الْعِبَادَةِ»؛ أي خالص العبادة، وهذا بيان لقول الله -جلّ وعلا-: ﴿وَقَالَ

رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عَنِّي﴾ [غافر: ٦٠]؛ يعني الدعاء

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠] حتى قال -جلّ وعلا-: ﴿قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي

لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] فلا يبالي الله ﷻ بكم لولا دعاءه، لولا أنكم تدعونه.

وذلك لأن العبادة والدين دعاء؛ لأن الدعاء أصلاً في اللغة هو الطلب، واستدعاء الشيء،

طلب الشيء، والعابد لله -جلّ وعلا- يدعو الله ﷻ بأفعاله؛ في الركوع، والسجود، والتصدق،

والصوم، والحج، والعمرة، والجهاد، وغير لك من الطاعات الفعلية، يطلب من الله -جلّ

وعلا- ثوابها، ويدعو الله -جلّ وعلا- ويعبده بالأقوال، بالثناء على الله ﷻ بما هو أهله من

صفات الكمال، أسماءه الحسنی وصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال: «يَا رَحِيمُ ارْحَمْنِي»، «يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

ويدعو الله -جلّ وعلا- بسؤال الحاجة: "رَبِّ اغْفِرْ لِي"، "ارْحَمْنِي"، "ارزُقْنِي".

ويدعو الله ﷻ بحاله: "إِنِّي مَسْنِي الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"، ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ

الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

فالدين كله دعاء؛ لأن الداعي ما دعا الله -جلّ وعلا- وتوجّه إليه، واضطرّ إليه إلا لإيمانه بسمع الله لمناجاته وشكواه، وإطلاع الله على حاله، وثقته بغنى الله -جلّ وعلا- بكرمه، وجوده، وقدرته أن يوصل النفع إليه، ويدفع الضر عنه، ويكشف الضر الذي به، فلذا الداعي الذي يدعو الله محتاجاً إليه، يكون مؤمناً بالله ﷻ بأسمائه، بصفاته، بأفعاله، بلطفه، برحمته، بفضله، بقدرته، بعزته.

ولهذا حتى الكفار إذا اضطروا إلى الله -جلّ وعلا- دعوه مخلصين له الدين، يعلمون أنه

ما ينجيهم من الكرب إلا هو ﷻ؛ ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ

بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ

دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبْنَاهُمْ إِذَا هُمْ

يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿٢٣﴾ [يونس: ٢٢-٢٣]، فالله -جلّ وعلا- جعل عطاءه لعباده نوعين:

- نوع يأتي بدون تسبب من الإنسان، بأمر قدرتي يصل إليه ويطلبه كما يطلبه أجله.
- ونوع مرت على السؤال، والضراعة، والإلحاح على الله ﷻ، والتقرب إليه

بصالح العمل، وأسمائه الحسن التي يحبها الله ﷻ.

فلا بُدَّ من هذا وهذا، والإجابة مضمونة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، بنص التنزيل أستجب لكم، فمنكم الدعاء، ومن الله الإجابة، وقال النبي ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ»، فمن لم يوقن الإجابة، فقد أساء الظن بالله -جلَّ وعلا-. ومن الواقع الدعوات التي ذكرها الله -جلَّ وعلا- في القرآن عن رسله وأنبيائه -عليهم الصلاة والسلام-، وصالح عباده، كل دعوة معقبة بالإجابة، إلا دعوة مرتبة على شرط لم يتحقق، وقال النبي ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ لَا تُوَافِقُوا سَاعَةَ يُسْتَجِيبُ اللَّهُ بِهَا الدُّعَاءَ».

فإذا من دعا الله ﷻ يحصل المطلوب، إلا في أحوال استثنائية:

أن تكون الدعوة تعارض قدرًا ماضيًا، مثل قوله -جلَّ وعلا- في الحديث القدسي الصحيح: «وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ تَرَدَّدِي فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ»، فالعبد ما يبغى الموت، كل من حضره أجله يقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِي ۗ ۝١١ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

- إما محسنًا ليزداد.

- وإما مسيئًا ليستعتب.

لكن إذا حضر الأجل ما تقبل هذه الدعوة؛ لأنه مضى قدره وانتهى الموضوع.

أو أن تكون الدعوة باثم أو قطيعة رحم، وهذه قد تستجاب وقد لا تستجاب؛

- فإن استجيبت فهي عقوبة.

- وإن لم تستجب فهي رحمة من الله ﷻ.

ولذا قد يدعو السارق أن يمكن من السرقة ويمكن وييسر له، هل هذا في صالحه؟ ما هو في صالحه، فلهذا ينبغي العناية بأمر الدعاء، والاهتمام بشأنه، وكل أحد مضطر إلى الله ﷻ، البر والفاجر كلهم مضطرين، لكن المؤمن مضطر من جهة أحواله:

• إما في نعمة يرجو من الله ﷻ دوامها وزيادتها، ونمائها، وبركتها، وان تكون عوناً على طاعة الله -جلّ وعلا-.

• أو في محنة أو بليّة يريد من الله ﷻ رفعها.

• أو يحاذر أمراً منتظراً يرجو من الله ﷻ صرفه.

فإذا هو في جميع أحواله مضطر إلى الله -جلّ وعلا-، والذي لا يضطر إلى الله ليس بعاقل سفيه، وأما الكافر الفاجر فهو ما يدعو الله إلا حال اضطراره فقط.

فإذن الفرق بين المؤمن والكافر أن المؤمن يدعو الله لجميع أحيانه، يتقرب إلى الله ﷻ بالدعاء، ويلهج الثناء، ويعلم أنه ما يحفظ النعمة إلا بالمنعم -جلّ وعلا-، ولا يصرف البلاء إلا التقدير ﷻ، فهو دائماً يتضرع إلى الله ﷻ، ذاكراً، شاكراً، شاكياً. وأما الفاجر فهو لاً في

أحوال معينة، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فلهذا يا إخواني ينبغي أن نعرف شأن الدعاء، الدعاء متعلق بالربوبية، فالله ﷻ كما خلق الخلق، وتكفل بأرزاقهم، فهو متكفل بإجابة دعائهم، ولهذا يستجيب للمشركين وهم على الشرك، لما أخلصوا له في لحظة فقط، وأحياناً يصرف عنهم الأمر والعقوبة التي يستحقونها بسبب عمل صالح ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]؛ فالكافر ينتفع من الاستغفار والمسلم يغفل عن الاستغفار!

فأمر الدعاء عظيم، ولهذا أخبر النبي ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ ﷻ مِنَ الدُّعَاءِ، وَأَنَّ

الدُّعَاءُ وَالْبَلَاءُ يَعْتَرِجَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَغْلِبُ الدُّعَاءُ الْبَلَاءَ»، وفي الحديث الصحيح:

«مَا مِنْ عَبْدٍ يُدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا كَانَ بَيْنَ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لَهُ دَعْوَتُهُ فَيَقْضِيَهَا كَمَا دَعَا، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا».

فإذن الدعاء مستجاب، فأكرم بشأن الدعاء، ولا يغفل عن الدعاء إلا جاهل، أو سفيه، أو

مستكبر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ

[غافر: ٦٠]؛ فالذي لا يدعو الله لا بأقواله، ولا بأفعاله، ولا بأحواله مستكبر، وأولهم

إبليس أمر بالسجود والسجود دعاء، فلم يسجد وأبى، ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ

[البقرة: ٣٤].

فلهذا ينبغي الاهتمام بشأن الدعاء، واعلم أن الدعوات المذكورة في القرآن والسنة جامعة

لجليل المطالب، وسمي المراتب في الدنيا والآخرة، ما يمكن أن تحصل على أكمل شيء إلا

بهذه الدعوات المذكورة في القرآن عن رسل الله ﷺ وأنبيائه، وصالح أوليائه، وما جاء من

الدعوات عن النبي ﷺ، فلماذا يتركها العاقل، ويلتمس يمين وشمال دعوات يخترعها هو؟

يظن أنه يحسن وهو يعتدي، مع أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون هناك أقوام يعتدون في الدعاء.

ولذلك الآن تسمع دعوات من بعض الأئمة ما أنزل الله بها من سلطان، يخترعون على

الله، يتشرطون على الله، ما كفاهم القرآن؟ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ

عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذٰلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

[العنكبوت: ٥١]، ما تكفيهم دعوات النبي ﷺ؟! يخترعون أدعية، ويهجرون أدعية القرآن والسنة، ويلقنون العوام دعوات

ما أنزل الله بها من سلطان، حتى تصير كالعرف.

فلهذا ينبغي العناية بالدعاء، وأن نعرف قدره وشأنه، وأن ندعو الله ﷻ صادقين، واثقين

منه ﷻ، موقنين بالإجابة، ما دعاء يجري على اللسان ومر على القلب فإن النبي ﷺ يقول:

«ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

وكل دعوة في القرآن العظيم قف عندها وتأمل، الذين دعوا الله ﷻ بشر مثلنا كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦]، لكن الفرق الوحيد ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [فصلت: ٦]، فإذا نزلت عليهم هي حاجاتهم وهم أعف الناس بشريف الحاجات، وكريم الدعوات -عليهم الصلاة والسلام-، فكل دعوة من الدعوات الواردة في القرآن انظر فيها، تصلح لك ولا لأ، فإذا كانت شيء بخصوص النبي نفسه أو الولي نفسه، فهذه لا تصلح لك؛ كقول سليمان ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] هذه خاصة.

انظر التسلسل الآن في الدعوات، أربع آيات، سورة الفاتحة أجمع الدعاء لمطالب الدنيا والآخرة، في آداب الدعاء الكامل تقديم الثناء ثم السؤال، وطلب الهدى التوفيق للحق، التوفيق للعلم بالحق والعمل به، والعمل على الإخلاص لله -جلّ وعلا-، وعلى الكيفية الماثورة عن النبي ﷺ، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧] ملك

اهدنا طريق العلم النافع، والعمل الصالح الذي هديت له خيار خلقك، المنعم عليهم بذلك ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩] هذا دعاء مستجاب، بل أنت بحاجة إلى أن يهديك الله في كل أمر إلى أرشده، ﴿عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبَىٰ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۝٢٤﴾ [الكهف: ٢٤]، فأنت تحتاج إلى أن يهديك الله في كل امر إلى أرشده، هذه دعوة عامة، دعوة للعلم والعمل.

الثانية: دعوة إبراهيم وإسماعيل ﷺ، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧]، تقبل منا عملنا.

- فإذن السؤال الأول: عن العلم النافع والتوفيق للعمل الصالح.
- والثاني: عن قبول العمل.

بعده ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وهذا سؤال الثبات على الدين، على العلم النافع والعمل الصالح، حتى لقاء الله -جلّ وعلا-، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] دعاء أن يبقى الصلاح في الذرية.

في كل دعوة صالح نافع لك عند غيرك، كل الناس يحتاجون لهذا، ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، أنت ما ترغب أن يجعل الله في ذريتك هداة إليه؟ يهدي عباده إليه؟ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]، فتجعل هذا كما قال -جلّ وعلا- عن عباد الرحمن، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]؛ يعني يجعلنا قدرة حسنة يقتدى بنا في عبادتك بشرعك خالصاً لوجهك، وعلى سنة نبيك ﷺ.

وهكذا لو تدبرتم الأدعية الواردة لوجدتموها كافية مغنية عن الاختراعات والبدع، والدعوات المتأثرة بالأهواء، والاستحسان المضاد للشرع، ولو ما فيها إلا أن هذه الأدعية المخترعة أنها حجب للسنن، لأن من أحيا بدعة حجب مثلها من السنة.

وللحديث صلة إن شاء الله تعالى، ونسأل الله -جلّ وعلا- أن يوفقنا للعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يجعلنا مباركين أينما كنا، ويعيننا على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وأن يتقبل منا أعمالنا، ويتجاوز عن تقصيرنا وإهمالنا، وأن يعتقنا من النار.

ويورثنا الفردوس الأعلى مع الأخيار، ووالدينا، ومشايخنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وأحبابنا

فيه. والله أعلم.

وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.



**مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ
تَدَبَّرَ شَأْنَ الدَّعَاءِ
الْجِزءُ الثَّانِي**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:
 فواصل الحديث - إن شاء الله تعالى - بشأن الدعاء لأهميته، فأقول: أن الله - جلَّ وعلا -
 علّمنا أكمل الدعاء، وأحراه بالإجابة، وذلك في سورة الفاتحة، وقد ثبت في صحيح مسلم
 رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي
 نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»، وسميت فاتحة الصلاة لعظم شأنها، وأنها أحد أركان الصلاة.

فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قال الله تعالى: حمدني
 عبدي.

فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ [الفاتحة: ٣]، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، يعني زاد في
 الحمد وكرره.

فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قال الله تعالى: مجّدي عبدي، والمعنى
 توسع أيضًا في الشاء.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ يعني لا نعبد إلا أنت، ولا نستعين
 إلا بك، فمع الشاء ومع الحمد والشاء والتمجيد، تجديد العهد على التوحيد، فلهذا يقول الله
 - جلَّ وعلا -: «هَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»، فتأمل ولعبدني ما سأل، من الدعاء
 مضمون الإجابة، وهذا يعلمنا أنه ينبغي أن يُقدّم بين يدي الدعاء الشاء، وأن هذا يكون أكمل
 في الدعاء، وأكمل في الأدب، أحرى بالإجابة.

كما قال ذا النون - عليه السلام -: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ فجمع بين الإقرار بانفراد الله - جلَّ وعلا - بخصائص الإلهية،
 واستحقاق العمل، وتنزيهه الله - جلَّ وعلا - عما لا يليق بجلاله وعظمته، والاعتراف بالذنب،

أين الحاجة؟ أين المسألة؟ لمن الله -جلّ وعلا- يعلم الحال؛ لأنه دعا في حال غاية في الكرب والشدة، في ظلمة بطن الحوت، في ظلمة البحر، في ظلمة الليل، انظروا كيف!

طيب، ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] كيف ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾؟ يعني أساء

الظن بالله؟ لأ حاشى وكلا، يعني جزم ﴿الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

﴿البقرة: ٤٦﴾، جزم ألا نقدر عليه أن لن نضيق عليه أبدا، وهذا غاية الثقة بالله -جلّ

وعلا-، ولهذا استجاب الله له ونجاه من الغم ﴿وَكَذَلِكَ نُفَجِّى الْمُؤْمِنِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٨] ليست خاصة بذى النون، وأخبر النبي ﷺ أن دعاء الكرب هو دعاء ذى النون

ﷺ، النون: ذى الأوتة الذى دعا وهو فى جوف الحوت، فقدّم الشاء والحاجة بالحال.

وهكذا سورة الفاتحة فيها الشاء، ثم التصريح بالحاجة، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

﴿الفاتحة: ٦﴾؛ يعنى اهدنا طريق المنعم عليهم بالعلم النافع، والعمل الصالح، ووقفنا

له، وثبتنا عليه، وزدنا منه، وتوفنا عليه، وقد وعد الله ﷻ بأن يجاب هذا الدعاء: «هَذِهِ لِعَبْدِي

وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ ﴿الفاتحة: ٦﴾

[٧-٦]؛ يعنى صراط المنعم عليهم، ﴿عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ يعنى غير صراط

المغضوب عليهم ممن لم يعمل بعلمه، أو لم يرقى بعلم رأسه وهم الضالون.

فهذا أكمل شيء فى الدعاء، ولذا قال النبي ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ (يعنى أشرف الاستغفار،

وأكرمه، وأكمله، وأعظمه، وأحراه بالإجابة) أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ (يعنى إقرار الله ﷻ بهذه الأمور كلها)

أَبَوْ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ (يعنى أعترف لك بنعمتك عليّ)، وَأَبَوْ بِذَنْبِي (أعترف بذنبي

بتقصيري بحقك)، فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».

ما ثواب هذا الدعاء؟ "من قاله موقناً به حين يصبح، فمات من يومه دخل الجنة، ومن قاله موقناً به حين يمسي، فمات من ليلته دخل الجنة"، فهذا من الورد اليومي الذي ينبغي أن يتقيد به المسلم، ففيه تقديم الثناء أولاً، ثم الدعاء ثانياً.

وهكذا جوامع الدعاء في القرآن كما قال -جلّ وعلا-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] وهذا فيه ثناء على الله ﷻ بحكمته في الخلق، وسؤال الحاجة.

ولذا لما سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ».

سمع رجلاً يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، قال: «ادْعُ تُحِبُّ».

فكون الإنسان يقدم بين يدي دعائه الثناء على الله ﷻ، هذا أكمل في الدعاء، وأحرى بالإجابة، وأليق بالمؤمن، أنه يثني على الله ﷻ بصفاته وأسمائه الحسنی، وصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال، وتنزيهه ﷻ عن النقائص والعيوب والمثال، ثم يدعو سبحانه.

يرد سؤال أنه لو تأملنا جملاً من الأدعية الواردة في القرآن وجدناها مبدوءة بربي، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [آل عمران: ٣٥]، وهكذا الدعوات الواردة في القرآن كثير منها ربنا.

هنا السؤال هنا بربوبية الله -جلّ وعلا- الخاصة بأوليائه المرسلين، والنبين، والصدّيقين، الذين يؤمنون بكمال الله -جلّ وعلا- في ذاته، وأسماءه، وصفاته، وأفعاله، والمؤمنون بإنعامه، وأفضاله، فلذلك اختصوا بهذا، نحن مقرين لك يا ربنا بهذه الأمور فاقض حاجتنا.

فالأدعية الواردة في القرآن يا إخواني هي مفاتيح للخزائن العطايا من الله -جلّ وعلا-، فإذا مررت بالآية في القرآن فيها الدعاء، فادع بما يليق بحالك:

واحد يقول: أنا والله أحب أن أتزوج، ولم يتيسر أمري، نقول قل: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ

خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

واحد عنده مشكلة في النسل، وآخر عنده مشكلة في الرزق وقلة ذات اليد، وآخر عنده مشكلة في الثمر والزرع أو الزراعة، أجاب على هذا الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ فكان في مجلسه، فدخل عليه رجل، فشكى إليه أنه فقير وقليل ذات اليد، فقال له: (استغفر الله)، هذا الجواب يعني، هذا الحال، وبعد ذلك دخل آخر وقال: أنه يولد له، تزوج ولكن لا يولد له، فقال له: (استغفر الله)، وخرج، ودخل ثالث، وقال أنه ما عنده ماء في المزرعة، فقال له: (استغفر الله)، دخل الرابع وقال: أنه عنده شجر لكن ما فيه ثمر، فقال له: (استغفر الله)، فتعجب الحضور من أسئلة مختلفة ومشاكل متنوعة، والجواب واحد، والتوجيه واحد، فقال: ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿١٠﴾

[نوح: ١٠]، يعني يغفر لكم مغفرة كبيرة، عظيمة، لا يتعاضم ذنب ان يغفرها، ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ

عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ﴿١٢﴾ [نوح: ١١-١٢].

واحد من إخوانكم يقول أنه عشر سنوات على التوالي إذا مر بقول الله ﷻ عن إبراهيم وإسماعيل كما قال سبحانه: ﴿وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨].

يقول: إني أدعو الله ﷻ أن يريني مناسك لهذا العام، يريني المشاعر ويريني المناسك، ولم أفلت سنة، يقول: عشر سنوات على التوالي تيسر لي الحج، يدعو بصدق من القلب يعني، فعشر سنوات يستجاب الدعوة، ويتحقق الحلم، وهو يظن أنه ما يتحقق، لكنه واثق بالله -جل وعلا-، هذا نموذج من الكنوز التي في الأدعية في القرآن العظيم، والله -جل وعلا- ما جعلها تتلى إلى يوم القيامة إلا لما فيها من خزائن الخير.

﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١]، كل المفسرين يذكرون هذا، أنه من حسنة الدنيا:

- الرزق الحلال.
- والزوجة الصالحة.
- والولد الصالح.

وحسنة الآخرة الجنة وما فيها من الثواب العظيم، والنعيم المقيم. ولذا كان النبي ﷺ ما يترك هذه الدعوة، يدعو وكثيراً ما يدعو بها، ربنا أتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، هذا مع التشهد الأخير، وإذا دعا بدعاء عام، دعا بهذه من ضمن الدعوة، سؤال حسنة الدنيا والآخرة، وسؤال العافية، والتعوذ من الهرم وسوء الكبر، والتعوذ من الهم والحزن، والعجز والكسل، الجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال، كل هذه من الأدعية الضرورية والتي جعلت في الصلاة في الفريضة.

حتى أن طاووس رَحِمَهُ اللهُ لما رأى ولده يصلي وكأنه استعجل في التشهد، قال: (تعوذت بالله من عذاب جهنم؟ وعذاب القبر؟ وفتنة المحيا والممات؟ ومن شر فتنة المسيح الدجال؟ قال: لا، قال: أعد صلاتك)، يريه، هو صلاته صحيحة لكن يريه، ليش يترك الدعاء بهذه الأربع وهي ضرورية؟ يطلب السلامة والأمنة منها.

فلذلك ينبغي العناية بالأدعية القرآنية، وأنه لا يستهان بها، ولا يمر الإنسان عليها مرور العابر، قف عندها وتأمل، انظر إلى قصة زكريا عليه السلام، لما ذكر الله -جل وعلا- ما أنعم به على مريم عليها السلام من الكرامة، ﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَأَتُ إِنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

تذكر زكريا انه هو بحاجة إلى ولد، والذي جاء بالرزق في غير إبانه، في غير وقته، يأتي بالولد وهو على كل شيء قدير عليه السلام، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] فاستجاب الله الدعاء، وبشّره بيحيى نبيا من الصالحين.

فكل هذا يجعل الإنسان يتأمل القرآن، ويتدبر القرآن، ويعرف ثقل الأدعية في القرآن، والأذكار، وأنها جعلت لتعليم الناس لأجل أن ينالوا كريم المطالب، وسني المراتب في الدنيا والآخرة.

وهكذا القرآن كلما تأملته تجد فيه فنون، فنون بائلة معروضة في كل مجال من المجالات، فلهذا يحتاج كل مسلم أن يكون له طريقة في تلاوة القرآن، تلاوة تدبر، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] فتقرأه كأن الله -جل وعلا- يخاطبك به،

وفي نفس الوقت تسأل الله ﷻ به، في نفس الوقت تنظر إلى مراميه ومقاصده، فتقرأ ما تحب أن تصل إلى خاتمة القرآن، تحب أنك تحقق الفقه في القرآن، وأنتك تناجي الله -جلّ وعلا- به. ولذا يسّر الله -جلّ وعلا- يكون لنا عدة موضوعات من القرآن ترينا كيف التدبر، وكيف هداية القرآن في هذه الموضوعات.

نسأل الله -جلّ وعلا- أن يجعلنا من أهل القرآن الذين أهلهم وخاصته يوم القيامة، وأن يجعل القرآن شفيعا لنا، وقائداً لنا إلى جنات النعيم، وحجة لنا، وأن يرفعنا به في الدنيا والآخرة. والله أعلم.

وصلّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.



فضل الاستغفار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:
 فإن الله -تبارك وتعالى- قد شرع لعباده الاستغفار، وجعله من نفيس الكربات، وجليل الطاعات، وأمر به سبحانه في مختلف الأحوال والأوقات، وما ذاك إلا لعظم الحاجة إليه؛ لأن العبد عرضة لسوء العمل، والوقوع في المعاصي والمخالفات، فيحتاج إلى أن يغفر الله له عبده، وخطأه، وجدده، وهزله، غفر الله لنا ولكم ذلك.

ولأن العبد مهما اجتهد في العمل فإنه عاجز عن الكمال، بل عمله ناقص بكل حال، فلذلك يحتاج إلى الاستغفار لأجل أن يسد نقص العمل، ويجبر الخلل، وهكذا فإن الاستغفار زيادة عمل لمن وفقه الله له، ولذلك أثنى الله -جلّ وعلا- على عباده الكُمَّل من المرسلين، والنبیین، والصديقين، والشهداء، والصالحين، لأنهم يكثرون الاستغفار، ويتقربون إلى الله ﷻ بذلك، فالعبد في كل حال بحاجة إلى الاستغفار أستغفر الله وأتوب إليه.
 الاستغفار طلب، استفعال، طلب الفعل، العبد طلب من الله -جلّ وعلا- المغفرة، إذا قال: استغفر الله، أو قال: اللهم اغفر لي، يطلب من الله -جلّ وعلا- المغفرة، والمغفرة تشمل شيئين:

الأول: ستر القبيح، الستر من الفضيحة في الدنيا والآخرة.

والثاني: التجاوز عن العبد بالعفو عنه، العفو عن خطئه، بحيث أن الله -جلّ وعلا- يصرف العقوبة المترتبة على الذنب؛ لأنه ما من ذنب إلا وله:

- عقوبة شرعية: كالحدود.

- أو قدرية: كالهم، والحزن، والعجز، والكسل.

- أو عامة: كالعقوبات الكونية التي يعاقب الله بها الأمم الظالمة، ومن سلك

مسلكها من الطغاة المتجبرين على الله ﷻ.

فإذا غفر الله للعبد ستره من الفضيحة في الدنيا والآخرة، وكذلك صرف عنه العقوبة، عفا عنه، وصرف عنه العقوبة المترتبة على ذنبه، ومن كرمه وجوده أنه تعالى يغفر للمستغفرين، ويتوب على التائبين، ويقبل المنيبين إليه، ويعود بفضلته ومنه عليهم، ولو كانوا أساؤوا فيما سبق.

ولهذا المسلم الموفق - جعلنا الله وإياكم كذلك - يحتاج دائماً إلى أن يتفكر في حاله، وينظر في أعماله، ويستعد لمستقبله ومآله، ولا يكون ذلك ولا يتحقق إلا بالاستغفار الصادق.

والاستغفار الصادق هو الذي يجمع بين الاعتراف بالخطأ أولاً، والندم عليه، والعزم على ألا يعود إليه، والإلحاح على الله ﷻ بطلب الستر والعفو، فيكون الاستغفار صادقاً بهذه الحالة.

أما إذا كان استغفار اللسان، فقد قال بعض السلف: (الاستغفار باللسان أو المقال استغفار الكذابين)، وقال آخر: (استغفارنا يحتاج إلى استغفار)، لماذا؟ لأننا نستغفر باللسان والقلوب مصرة على الأعمال، على القبائح، فلهذا يحتاج الإنسان إلى أن يتفقد نفسه أن يكون صادقاً في استغفاره؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَاتِ﴾

[الأحزاب: ٣٥] الآية إلى قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الاستغفار له صيغ:

• أن تقول: أستغفر الله، وتكررها.

• وأن تقول: رب اغفر لي.

ونحو هذا من الجمل التي تنبأ عن الحاجة، وصدق الافتقار إلى الله ﷻ، في طلب المغفرة، وقد قال النبي ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا مُوقِنًا بِهَا وَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ دَخَلَ الْجَنَّةَ». قبل أن يُصْبِحَ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وبين النبي ﷺ «أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا آوَى إِلَى فِرَاشِهِ فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ».

وهكذا جاء عنه ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطَّهُّورَ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ».

وقال - عليه الصلاة والسلام - «مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ».

وقد أمر الله - جلَّ وعلا - بالاستغفار في ختام العبادات، والطاعات، في ختام الصلاة، وعند إخراج الزكاة، وفي المناسك، وكذلك في الجهاد؛ وما ذاك إلا لأن الاستغفار يكمل نقص العمل، ويسد الخلل، ويرفع درجة العبد عند الله ﷻ، وهو كذلك حلف الصالحين، والمستغفرين بالأسحار، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٣٥].

وقد ذكر الله -جلّ وعلا- في آي محكمة من كتابه نماذج من حسن عواقب الاستغفار:

ومن ذلك في صدر سورة هود -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ

يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا﴾ [هود: ٣]؛ يعني بقواكم، سمعكم، وأبصاركم، وحواسكم، وجوارحكم،

وسائر نعم الله عليكم، ﴿مِنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣]؛ أي كتبه الله لكم، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي

فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣] يتفضل عليكم ﷻ مقابل إحسانكم العمل، واعترافكم بالتقصير في

حقه - عز وجل.

فهاتان ثمرتان عاجلتان من ثمرات الاستغفار، وقال ﷻ على لسان هود -عليه السلام-:

﴿وَيَقَوْمٍ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ

وَلَا تَنُولُوا مَجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]؛ فالاستغفار من أسباب الغيث، وتوفر المياه، والانتفاع

بها.

ومن الأسباب: زيادة القوة وحفظ القوة أولا كما في الآية الأولى، وزيادتها ثانيا، فهذا

فضل من الله ﷻ.

وعلى لسان صالح يقول -جلّ وعلا-: ﴿فَأَسْتَغْفِرُهُ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]

[هود: ٦١] فدل هذا على أن من ثمرات الاستغفار قرب العبد من الله ﷻ، وقرب الله تعالى

من عبده، ومن ذلك من ثمراته إجابة الدعاء، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١] وكما قال

سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي قصة شعيب - عليه السلام - قال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، يرحمكم، ويودكم، ويجعل لكم وداً في قلوب عباده بالاستغفار، وهذه ثمرة عظيمة.

وقال على لسان صالح: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

قال سبحانه عن كفار مكة شركهم وأذيتهم للنبي ﷺ، وعنادهم، وتكبرهم، قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فدل على أن من ثمرات الاستغفار صرف العقوبة ودفعها.

وهكذا كثرت في الآيات القرآنية المحكمة، والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ الإشارة إلى ثمرات الاستغفار العاجلة والآجلة، ولو لم يكن من ثمراته إلا أن الله تعالى يستر على العبد، فلا يظهر قبحه ولا خزيه في الدنيا ولا في الآخرة، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧].

وأن الله - جلَّ وعلا - يصرِّف عنه عقوبة الذنب المترتبة عليه؛ لأنه من حين تجرأ العبد على الذنب استوجب العقوبة، وإذا استوجبها فليس بيده الخلاص منها إلا بالضراعة من الله ﷻ، والإقلاع عن الذنب، والندم عما حصل منه، والعزم على ألا يعود إليه، والإلحاح على الله ﷻ بطلب المغفرة.

وفي قصة نوح - عليه السلام - يقول الله ﷻ عنه أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢] فجعل من ثمرات الاستغفار توفر الأمطار والمياه، وجعل من ثمرات الاستغفار حصول البركة في الزروع والثمار، وجعل من ثمرات الاستغفار أيضاً وجود

الأولاد أو الولادة الصالحة والذرية الصالحة، وكذلك وفرة المال والغنى عن منة الخلق، وهكذا.

فلذلك يغنى للعبد ان يعنى بشأن الاستغفار، وقد كان ﷺ يعد له في المجلس الواحد، يقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» مائة مرة، وربما قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

وإذا كان الذي غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر من ذنبه ﷺ يكثر الاستغفار، فنحن بأمرس الحاجة، فالاستغفار يكون في الركوع، يكون في السجود، يكون في التشهد، يكون بين السجدين، يكون في آخر الصلاة قبل التسليم، وبعد التسليم، ويكون بالأسحار، ويكون عند النوم، ويكون بعد اليقظة، ويكون كذلك في ختام المجلس، وفي ختام العمر.

وكلما تقدم العمر لزم الإنسان أن يكون أكثر إلحاحاً على الله ﷻ بالاستغفار، كما قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، قال ﷺ: "هِيَ عَلَامَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ لِي فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتَهَا قُلْتُمَا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١ ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ٢ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ٣ [النصر: ١-٣]، وإذا كان النبي ﷺ جعل له علامة على أجله، فمن أين لنا نحن العلامة على الآجال!

فلهذا يحتاج المسلم أن يكون في كل يوم أكثر استغفاراً من سابقه؛ لأنه أقرب إلى ربه، وأوشك للوصول إلى لحدّه، وأبعد عن دنياه وأمله، فلهذا يحتاج الإنسان أنه يستغفر صادقاً، ولن يكون صادقاً ما لم يراجع نفسه، ويعترف بذنبه وخطئه، ويخاف من ربه -جلّ وعلا- ويرجو ويطمع في حصول المغفرة، كما في الحديث القدسي يقول الله ﷻ: «يَا بَنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا

دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تَيْتُكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةٌ».

ومن ثناء النبي ﷺ على ربه أنه لا يتعاضمه ذنب أن يغفره، ولا يتعاضمه ﷺ شيء أعطاه، والله تعالى يغفر الذنب الكثير، ولو لم تذبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يستغفرون فيغفر لهم، وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ».

والأحاديث كثيرة التي يوجه -جل وعلا- عباده إلى أن يلحوا عليه بالاستغفار صادقين، نادمين، معترفين، وفيه الوعد بالمغفرة، فما عليك إلا أن تستغفر حتى يفتح لك باب المغفرة، وحتى تنال ما رتب الله ﷻ على الاستغفار من حسن عواقب، وطيب الثمرات. أستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولوالدينا، ومشايخنا، وأزواجنا، وذرياتنا، والمؤمنين، والمؤمنات، والمسلمين، والمسلمات، السابقين، والحاضرين، واللاحقين، فإنه سبحانه.



فضل الإنفاق والكرم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد..
فإنه إذا ذكر الصيام وذكر رمضان، ذكر الإنفاق، والجود، والكرم، وهو قرين الإيمان،
وبرهان من براهينه، ودليل من أدلته، ولذا جعل الله ﷻ الإنفاق والزكاة قرينة الإيمان
والصلاة، فقال -جلَّ وعلا- في أول القرآن: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ٢-٣]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ
هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾
[المؤمنون: ١-٤]، وأثنى الله -جلَّ وعلا- على الذين ينفقون مما رزقهم سرًّا وعلانية،
﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: ٥٤]، وعلى الذين ينفقون أموالهم
في سبيل الله سرًّا وعلانية، وجعل وصف المتقين أنهم ينفقون في السراء والضراء، وجعل من
صفات أهل البر أنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، من أنواع البر إقام الصلاة، وإيتاء
الزكاة.

وكثيرة الآيات في القرآن المحكمة التي تذكر الإنفاق والزكاة، حتى قال -جلَّ وعلا-:
﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِن خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِن خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾
[البقرة: ٢٧٣]، ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، يعني يأتي لكم ببدلٍ وخيرٍ منه.

ونزلت آيات الزكاة قبل فريضة الزكاة ذات الأنصبه، في مكة نزلت آيات الزكاة؛ لأن
الزكاة قرينة الإيمان، الزكاة هي الإنفاق مطلقاً ابتغاء وجه الله، لأنها تزكي الإيمان، وتزكي
العمل، فالإنفاق يزكي الإيمان ويزكي العمل، ويزكي المنفق عليهم، ولذلك المؤمن يرجي
خير، ويؤمن شره، فخير مرجو بلسانه، ويديه، وسعيه، وإنفاقه، وتعليمه، وأمره، ونهيه،
ونصيحته، ومشورته، كلها خير للمؤمن، ومن أهم خيره الإنفاق، وأنه سخي، ليش سخي؟

لأنه يؤمن بالله، ولأنه يؤمن بالخلف من الله، وأقسم النبي ﷺ قسماً باراً: «مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ»، وهذا في الحديث الصحيح، وفي رواية أخرى بسندها مقال، لكن تؤيدها أدلة أخرى، قال: «بَلْ تَزِدُهُ».

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «أَنْفَقَ بِلَالًا وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا» وكان ﷺ أجود الناس على الإطلاق، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يأتيه جبرائيل ﷺ فيدارسه في القرآن، يعني يُسْمِعُ له القرآن، فيسمع منه.

فالإنفاق قرين الصيام، وقرين شهر رمضان، وقرين الصلاة، حتى قال ﷺ عن رمضان من خصائصه: «أَنَّهُ شَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ»، ليش؟ لأن المؤمن ينفق في رمضان، فيزاد فيه برزقه ويبارك له، والإنفاق إذا أطلق يراد به شيئان:

الأول: الإنفاق الواجب، وهو شيئان:

- الأول: الإنفاق على النفس، والزوجة، والولد، فهذا واجب عليك، «كَفِي بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»، وكل الناس ينفقون عن طيب نفس، أو عن رغم عنه، لكن المؤمن ينفق احتساباً لأنه يرى ويعتقد أن الإنفاق على من تجب عليه نفقته أنه دين مأمور به شرعاً، فالله يحب منه ذلك، ويكره منه تركه، ويشبهه عليه، ويخلف عليه، ولذا قال -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»، وأخبر أن أفضل دينار ينفقه الإنسان الدينار الذي ينفقه على نفسه، ثم على زوجته، فهذا إنفاق واجب.

فالناس ينفقون، لكن منهم من يحتسب، ومنهم من لا يحتسب، فمن احتسب الإنفاق طاعة لله ﷻ، وأداءً لحق من وجب عليه الحق، وإعانةً على الطاعة، تكون

نفقته صدقة، «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»، وقال - عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ».

- والإنفاق الثاني الواجب: الزكاة، فإنها فريضة الله كالصلاة، بشرطها أن يوجد المال للزكاة، وأن يمضي عليه الحول إذا كان حولي، تمام الملك، وغير ذلك من الأمور التي مذكورة في الزكاة، وكان السلف الصالح يختارون لزكاتهم رمضان، لماذا؟ لغرضين:

■ الأول: أنه أفضل الأزمنة لإخراج الزكاة؛ لأنه يضاعف فيه العمل، ويضاعف فيه الثواب.

■ والثاني: أنه يحصل فيه إعانة للفقراء على العبادة، على الصيام وغيره.

فيحتسبون إخراج الزكاة في رمضان لهذا الغرض، وكان عثمان رضي الله عنه يخطب الناس في شعبان، ويقول: "أيها الناس، قد أظلمكم شهر زكاتكم، فأوفوا ديونكم، فإنه أخف لزكاتكم"؛ لأن الإنسان إذا عنده مثلاً مبلغ ٢٠ ألف ريال، ومضى عليه الحول، وعليه دين عشرة آلاف، فسدها في شعبان قبل رمضان إذا كان حوله رمضان، فسدها في شعبان، فما عليه زكاة إلا عشرة آلاف التي دخل رمضان وهي عنده، لأن هذا تمام الحول في رمضان، فكان عند السلف أن إخراج الزكاة في رمضان، يتحرون بها البر، فينفق وينفق، لكن كونه ينفق ينفق في الزمان الفاضل، يكون إنفاقه إعانة على الطاعة فأفضل وأخير.

والإنفاق الثاني: الذي هو الإنفاق العام، صلة الرحم، الإهداء إلى الجيران والأصدقاء، الصدقة على المتسولين يتعرضون للناس ويسألونهم، كذلك تفتير الصوام، تفتيرهم عندك أو على نفقتك، فهذا كله إنفاق وكله زكاة، يدخل في الزكاة، لأنه يزكي الإيمان، ولأنه يزكي

العمل، ولأنه يزكي الآخر، فكل هذا زكاة، فلذلك المسلم يغتنم الشهر في كثرة الإنفاق على وفق الشرع، فلا ينفق في حرام لأن هذا تبذير، الإنفاق في الحرام تبذير ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

ولا ينفق في المشروع قدرًا زائدًا عن الحاجة، فإن هذا سرف، ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) [الأعراف: ٣١]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ (٦٧) [الفرقان: ٦٧]، فلم يزيدوا عن الحاجة، ولم ينقصوا، فينفق الإنسان ويغتنم الفرصة في الإنفاق في رمضان، في وجوه البر، فشيء صدقة، شيء صلة رحم، شيء هدية، شيء تفتير صائم، شيء إعانة ابن سبيل منقطع، وهكذا يتنوع؛ لأنه لا يدري أي مصرف من مصارف الإنفاق يكون أفضل وأحب إلى الله ﷻ، فلذلك يتحرى هذا.

وإذا اجتمع للمسلم الصوم الذي يحسسه بالجوع، ويحسسه بمعاناة الفقراء والمحاييج، مع القرآن الذي يحضه على الإنفاق، مع ذكر سنة النبي ﷺ في رمضان أنه أجل ما يكون، وأنه يسأل الله ﷻ آلاء الليل، وآناء النهار، مختلفًا حاجاته، ومتنوع الرغبات، ويريد من الله - عز وجل - أن ينفق عليه، ينفق هو؛ لأن من أحسن أحسن الله إليه، فلذلك يكون المسلم سخي، لأنه واثق بالخلف من الله - عز وجل -، لأن الثقة ما هي اللي في تجوريك أو في حسابك، أو في يتك، الثقة بما عند الله لك، ومن لم يؤمن بأنه إذا أنفق أنفق الله عليه، فليراجع إيمانه، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْفَى اللَّهُ وَعَدَّهُ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) [الروم: ٦]، فمهما أنفقت ينفق الله عليك، «أَنْفَقْ بِلَالًا وَلَا تَخَشْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا».

وكان النبي ﷺ يقول: «مَا يُسْرِنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا، وَإِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ».

إبراء ذمة، وسلامة من أذى غريب فقط، فلهذا يحتاج المسلم أنه يستحضر هذا، ويكون قد استعد لهذا الشهر الكريم من قبل، فعرف ما عليه من ناحية الزكاة الواجبة الفريضة، وأنفق على أهله، والأمور مثلما قال -جلّ وعلا-: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة: ٧-٨]، يعني مثاقيل الذر من الخير ترجح الميزان يوم القيامة، ومثاقيل الذر من الشر تضر صاحبها، إن لم يتب منها، أو يعفو الله عنه.

وأنا أعطيكُم مثال بسيط من سيرة الناس يعني، وفيه شيء من الغفلة: الناس إذا صارت قبل رمضان بعشرة أيام أو خمسة عشر يوم، يبدأوا يستعدون لرمضان، ولا تمر سوق تجاري فيه شيء يتعلق بـرمضان إلا وتجد عليه الزحام كظيظًا، جزاهم الله خير من الاستعداد لرمضان، ومن الاستعداد لما يعين على الطاعة، لكن يا ترى الآن، واحد تكفي يوم تسع وعشرين شعبان، وواحد تكفي يوم واحد رمضان، أيهما أفضل؟ واحد رمضان لأنه أنفق في الوقت الفاضل، في الزمن الفاضل أنفق على أهله، وفي نفس الوقت تجنب الزحمة، خير ويسر، فالإنفاق في يوم واحد رمضان أفضل من تسع وعشرين شعبان لا شك، لكن من اللي عنده فراغ يوازن بين هذه وهذه.

بس تحتاج الأمور إلى تأمل يعني، فالإنسان يكون عنده حسابات دقيقة، لأن حسابات الآخرة دقيقة، معايير دقيقة، فكفة الحسنات تثقل بالذرات، وكفة السيئات تثقل بالذرات، لا تحتقر ذرة من الخير، أو ذرة من الشر، فيحتاج الإنسان أن يتنبه لهذا.

كذلك الإعانة للصوم على تفتير الصائم، أو إعانة أهل البيت الفقير، أو كذا وكذا، في رمضان غيره في شعبان لا شك، فلذلك يحتاج الإنسان أن عنده معايير دقيقة من ناحية الإنفاق، المال اللي في حسابك اليوم هذا الحين، هل تدري هو لك ولا لوريثك؟ ما تدري، أنت تحسب أنه لك، وربما يكون لو ارتك، سأل النبي ﷺ أصحابه، وقال: «أَيُّكُمْ مَالِهِ أَحَبُّ

إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَارِثِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَإِنْ مَالُهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ».

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي! مَالِي! وَقَرَأَ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، وَقَالَ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي! مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ أَعْطَيْتَ فَأَمْضَيْتَ، مَالِكَ لَكَ، وَلِلْوَارِثِ، وَلِلشَّرِيِّ، فَلَا تَكُنْ شَرَّ الثَّلَاثَةِ»، فخمسين ريال تصدقت بها اليوم أو الليلة، أفضل لك من مائة ريال تتصدق بها بكرة، لأنك لا تدري أنت من أهل بكرة ولا لأ، فلماذا يحتاج الإنسان أنه يُعنى بمسألة الإنفاق، ويذكر أنها هي الزكاة بالمعنى الأصلي العام اللغوي والشرعي.

وإذا أريد لزكاة الفريضة في ذات الأنصبه، فهي الإنفاق، وهي الزكاة، وهي البر، وهي الإحسان، وهي الصدقة، وهي المعروف، كل هذه أسماء لهذا الإنفاق، إذا كان من طيب وابتغي به وجه الله -عز وجل-، فطابت به النفس؛ لأن أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى، يعني من النفس، وأفضل الصدقة جهد المقل، لو ما تجد إلا اليسير إذا كان ما عندك غيره، فهو أفضل شيء بالنسبة إليك، فصدقة ريال واحد من فقير تعدل ألفين أو خمسة آلاف من الغني، لماذا؟ لأن الفقير لا يجد إلا هذا، لكن ماذا له إلا: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۗ﴾ [الحشر: ٩]

فيحتاج الإنسان إلى أن يهتم بالجانب هذا، ويكون عنده دائماً حتى في غير رمضان، يكون الإنسان عنده فراغ مع نفسه يقرره هو، في ساعة من الليل، في ساعة من النهار، أول النهار، آخر النهار، أول الليل، آخر الليل، بين الظهر والعصر يراجع حساباته مع نفسه، وينظر في عمله، ويرتب لمستقبله، ويعتذر عن شيء ماضيه، يصحح قبل فوات الأوان، وتضييع ما كان بالإمكان تداركه، هذا الأمر مهم.

وإذا مرت عليكم الآيات في القرآن أو الأحاديث الصحيحة في الإنفاق، في الصدقة، في الزكاة، في البر، في الإحسان، في المعروف، كل هذه تعني بذل الخير للغير؛ ابتغاء وجه الله ﷻ، ولذا قال ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»، وقال: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسِنَ شَاةٍ»، وقال: «يَا أَبَا هَرِيرَةَ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدُ جِيرَانَكَ»، وكان من السلف من لا يأتي المسجد يوم من الأيام وأي وقت من الأوقات إلا ومعه صدقة، خبزة، ريال، كذا، كذا، ما وجد شيء أخذ قص بصلة، قال: أتصدق بين يدي مناجاة الله، لعل الله يسمع مني ويستجيب لي.



خيركم
من طال عمره وحسن عمله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله الذي فسح في الآجال، ومد في الأعمار، حتى بلغنا شهر الصيام، والصلاة والسلام على نبينا محمد، خير من صام وقام، ودعا إلى خصال الإسلام، ونسأل الله - عز وجل - أن يوفق الجميع لصالح القول والعمل، وأن يتجاوز عن التقصير والزلل، وأن يعتقهم من النار، وأن يجعلهم من الوارثين للفردوس الأعلى مع الأخيار بوجهه الكريم، ووالديهم، ومشايخهم، وأزواجهم، وذرياتهم، وأحبابهم.

يقول الله - جل وعلا -: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨)

[يونس: ٥٨]، فأمر الله - جل وعلا - بالفرح بما يصيب العبد من فضل الله ورحمته، وأعظم فضل الله - جل وعلا - القرآن، وأعظم رحمة الله - عز وجل - في الدنيا الرسول - صلى الله عليه وسلم، فالقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - أفضل مفروح بهما في الدنيا، ومن فضل الله ورحمته أن يوفق الله العبد ويفسح له في الأجل حتى يدرك ذلك الشهر العظيم، شهر الصيام، شهر رمضان.

حدث طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - قال: أسلم رجُلان، فهاجرا إلى الله ورسوله، فنزلا عندي في البيت، ثم قُتل أحدهما شهيدا في سبيل الله، وعاش الآخر بعده سنة، فمات على فراشه، فرأيت في المنام أن الذي مات على فراشه أرفع درجة من الذي قُتل في سبيل الله، فعجبت لذلك، فأخبرت النبي ﷺ، فقال ﷺ: «وما ذاك، أليس قد أدرك شهر رمضان؟ أليس قد صلى الله تعالى كذا؟ أليس قد فعل كذا؟ وعدد النبي - صلى الله عليه وسلم - من خصال الخير».

فدل ذلك على أن الذي يفسح له في العمر حتى يدرك رمضان، وحتى يستزيد من خصال الخير، أن الله تعالى قد شرفه وفضله، ولذا قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَهُمَا**» يعني الشهيد والذي مات بعده على فراشه «**إِنَّ مَا بَيْنَهُمَا**» يعني فرق «**كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**».

ولذا قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لَا يَزِيدُهُ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا**»، وقال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَنَ عَمَلِهِ**»، وفقنا الله وإياكم لذلك.

ذلكم يا عباد الله؛ لأن شهر رمضان شهر اختصه الله -جل وعلا-، هو الحكيم العليم الذي يضع الأمور مواضعها اللائقة بها، فجعله الله -عز وجل- زمناً لأداء فريضة الصوم، فأداء فريضة الصوم في رمضان أفضل من أدائها في غيره، ولهذا يحرص المسلم على ألا يفطر من رمضان ولا يوم واحد، إلا لعذر يعذره الله -عز وجل- به شرعاً، لأنه لو قضاه باليوم، عشرة أيام، وعشرين يوم من غير رمضان ما يقابل فضل يوم من رمضان.

ولذا روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ، لَمْ يُجْزِهِ صَوْمُ الدَّهْرِ وَإِنْ صَامَهُ**»؛ لأنه وإن صام وقضى وبرأ ذمته، لكنه ما وقع الصوم في وقته الذي يحبه الله -عز وجل-، ولهذا قال تعالى: ﴿**يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣]، إلى أن قال:

﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥]

ولما بين -سبحانه وتعالى- عذره وتيسيره في التشريع في أول تشريع الصيام، تدرج الله -عز وجل- فيه، ورخص أن الإنسان يفطر، ويطعم مسكين بدل الفطر ولا يقضي، هذا في أول الأمر أول سنة، قال: ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٤] فدل على فضيلة الصوم في رمضان، وأنه له مزية عن الصوم في أي يوم من السنة، ولهذا رمضان سيد الشهور، وخير الشهور، فهذه خصيصة أن يقع الصوم موقعه الذي يحبه الله -عز وجل-.

كذلك من الخصائص ما أشار الله - عز وجل - إليه بقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ

الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فيكون الصوم في شهر القرآن، يكون في القرآن حلاوة، ولتدبره أثر في النفس، أنفع للعبد وأصلح لقلبه؛ ولهذا اختار الله - عز وجل - رمضان لنزول القرآن، لا ابتداء نزوله على أنه نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - مفرقاً حسب الحوادث، أو لنزوله جملة واحدة من عند الله - عز وجل - إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

فكما اختار الله - جل وعلا - شهر رمضان للصيام الفريضة، اختاره الله تعالى لنزول القرآن جملة من عنده - سبحانه وتعالى - إلى السماء الدنيا، ونزوله مفرقاً، وابتداء نزوله مفرقاً بحسب الحوادث على النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن كمل نزوله وتم التشريع، فدل هذا على الصلة الوثيقة بين الصيام والقرآن، وعلى أن وقوع الصيام وتلاوة القرآن في رمضان أفضل من أي زمن من الأزمان، وأنفع للعبد، أصلح لقلبه، وأحسن لعاقبته، وأرفع لدرجته عند الله - عز وجل -، وأعظم لأجره؛ لأنه وقع موقعه اللائق به الذي يحبه الله - عز وجل -، لأنه تعالى يضع الأمور مواضعها اللائقة بها، التي لا يصلح غيرها مكانها.

وهكذا من فضائله أن الصائم في رمضان لا يرد دعاؤه، ويستجاب دعاؤه بالليل والنهار،

ولهذا قال - جل وعلا - في معرض آيات الصيام في ثنايا آية الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي

عَنِّي فَأِنِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

اللهم نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار، فالسؤال والدعاء في رمضان، في جميع أوقاته له خصوصية، وله منزلة عند الله - عز وجل -، ولا سيما إذا رفع العبد يديه يدعو، ولا سيما إذا كان في السجود، ولا سيما في دبر الصلوات المكتوبات، ولا سيما وقت الأسحار وعند

الفطر، ولهذا بين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن «مِنَ الَّذِينَ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ» وفي رواية «حِينَ يُفْطِرَ» فهذه خصوصية.

وَمَنْ مَنَا مَا عِنْدَهُ هَمٌّ، وَمَا يَعَانِي مِنْ كَرْبٍ، غُرْمٌ، وَمِنْ مُشْكَلَةٍ، فَتَبَثَّ الشُّكُورَى إِلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي وَقْتِهَا، الشُّكُورَى الَّذِي يَسْمَعُ فِيهِ الدَّعَاءَ وَيَسْتَجَابُ، وَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الْكَرِيمُ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا خَائِبَتَيْنِ أَبَدًا، فَالدَّعَاءُ مُسْتَجَابٌ:

إِذَا أَنْ يَعْجَلُ.

وَإِذَا أَنْ يَدْخُرُ.

وَإِذَا أَنْ يُصْرَفُ مِنَ الْبَلَاءِ مِثْلَهُ.

وَإِذَا أَنْ تَكْفُرَ الذُّنُوبَ، وَتُمَحَى الْخَطَايَا، وَهَذَا مِنْ كَرَمِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَجُودِهِ.

كَذَلِكَ فَإِنَّ رَمَضَانَ فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ خَيْرٍ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، فَهَذِهِ كُلُّهَا مِنَ الْفَضَائِلِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي رَمَضَانَ، وَالَّتِي جَعَلَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ أَجْلِهَا مَجْتَمِعَةَ الصُّومِ الْفَرِيضَةَ الْوَاجِبَةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَهُوَ تَعَالَى كَمَا أَنَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ، فَهُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ عِبَادَتَهُ، فَالْمَهْمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا نَكَرَ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ مِنَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ.

كَمْ مِنْ أَنَاسٍ قَبِضَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي الْأَشْهُرِ الْمَاضِيَةِ، وَفِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ، وَفِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَعْبَانَ، وَأَنْتَ أَعْطَاكَ اللَّهُ خُصُوصِيَّةً، فَضَّلَكَ، مَكَّنَكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَكْثَرَ لِلَّهِ شُكْرًا، وَأَعْظَمَ الشُّكْرَ الصَّلَاةَ، وَلِذَا كَانَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَثِيرَ الصَّلَاةِ، وَكَانَ يَقُومُ عَلَى قَدَمَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ حَتَّى تَتَفَطَّرَا، فَيَقَالُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَصْنَعُ ذَلِكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ؟ فَيَقُولُ: «أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»، وَقَدْ قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، وَقَالَ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ

الإمام حَتَّى يَنْصَرِفَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، تقوم مع الإمام نصف ساعة، يغفر لك ما تقدم من ذنبك، عطاء غير محدود من الكريم المحمود - جل وعلا-.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨)

[يونس: ٥٨]، فإذا فرحت فأنت ممن أثنى الله - عز وجل - عليه بقوله: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٧٠)

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧١) [آل عمران ١٧٠: ١٧١]

جعل الله الجميع منهم.

نسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا لصالح القول والعمل، وأن يغفر لنا التقصير والزلل، وأن

يعتق رقابنا من النار، وأن يكتبنا مع أهل الفردوس الأعلى الأخيار، وأن يجعلنا مباركين أينما

كنا، فإنه - تعالى - جواد كريم، رؤوف، بر، رحيم، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.



العشر الأواخر
وعشر ذي الحجة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما

بعد:

فإن العشر الأواخر من رمضان عشر لها خصوصيتها من حيث التفضيل، وأن الله -جلَّ وعلا- فضَّلها على بقية ليالي الشهر، وبالتالي فهي أفضل ليالي السنة على الإطلاق على أحد قول أهل العلم -رحمهم الله تعالى-.

كما أقسم الله -جلَّ وعلا- بها في كتابه في قوله سبحانه: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١-٢]، فأقسم ﷻ بالفجر، وهو أول النهار وقت طلوع الفجر، لأنه آية من آيات قدرته، ودليل من دلائل وجوب توحيده، ونعمة من نعم الله ﷻ.

الله -جلَّ وعلا- إذا أقسم بشيء فإنما يلفت النظر - نظر العقلاء أولي الألباب - إلى هذه الأمور الثلاثة:

- أن المقسم به دليل من دلائل قدرة الله -جلَّ وعلا-، فالله تعالى هو الذي أوجده كما قال سبحانه: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].
- والثاني: أنه دليل على وجوب توحيده؛ لأنه القادر على كل شيء، والمنعم بجميع النعم هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد بالحق، فيُعبد وحده بما شرع، ولا يُعبد معه أحد.
- والثالث: التنبيه على أن هذا الشيء المقسم به من نعم الله ﷻ على المكلفين، وأنه ينبغي أن ينتفعوا منه بما يقربهم إلى الله ﷻ؛ رفعة الدرجات، وعلو المنزلة.

فلذلك قال -جلّ وعلا-: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]؛ أي يقسم ﷺ بليال عشر، فكونه -جلّ وعلا- يُقسِمُ بها دليل على خصوصيتها ومنزلتها من الله -جلّ وعلا-، وأنها من دلائل قدرته، وآيات توحيده، ومظاهر نعمه، وأن على المكلفين أن يغتنموها فيما يُقربه من الله -جلّ وعلا-، ويرفع درجاتهم عنده.

وذهب بعض أهل العلم -رحمهم الله- إلى أن هذه الليالي هي ليالي عشر ذي الحجة؛ لأنها ليال معظمة؛ ولأنها جاء بخصوصها أدلة تدل على فضلها، «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْعَشْرِ فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»، فدل ذلك على فضيلة أيام عشر ذي الحجة، وفضيلة ليالي هذه الأيام؛ لأن الليالي مقدّمات الأيام، فالليلة قبل اليوم في الشرع.

وفي هذه العشر -عشر ذو الحجة- يوم عرفة، اليوم العظيم المشهود، وفيها يوم النحر، الذي هو يوم المناسك العظيمة، وفيها أنواع النُسك، ففضّلت الليالي لفضل الأيام، فهذا القول الأول من أقوال أهل العلم -رحمهم الله-.

القول الثاني: أن هذه الليالي هي ليالي عشر رمضان؛ لأنها مخصوصة بخصوصية، ومن خصوصيتها أن فيها ليلة القدر باتفاق؛ لأن ليلة القدر باتفاق العلماء بالشرع أنها في العشر الأواخر من رمضان، ولذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]؛ يعني ليلة القدر، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

فهذا التفضيل وهذا التخصيص بأن فيها ليلة القدر يدل على شرف الليالي.

وفيها أن النبي ﷺ كان يخصها بمزيد اجتهاد؛ ولذلك بالغ ﷺ بالاجتهاد في هذه الليالي لدرجة أنه يربط في المسجد معتكفاً ﷺ لا يخرج، يدخل معتكفاً صباح يوم ٢١، ويخرج

صباح العيد؛ فاعتكف ﷺ منذ فرض الله عليه صيام شهر رمضان حتى توفاه الله، لم يخلف سنة إلا واحدة من السنين عرض له ما عرض فقطع اعتكافه، ثم قضاها العشر الأول من شوال قضاء.

فعاية النبي ﷺ بهذه العشر إلى هذه الدرجة الاعتكاف، المرابطة في المسجد أربع وعشرين ساعة يدل على عظيم ما فيها من الخير، وعلى أثر التعبد لله ﷻ فيها على النفس، وعلى الأهل والعيال، وعلى المجتمع كله، فللتعبد فيها خصوصية ليست للليالي السنة سواها.

وذهب جماعة من أهل العلم -رحمهم الله- وقالوا: أن أيام عشرة ذا الحجة أفضل أيام السنة على الإطلاق، لما فيها من العبادات العظيمة، والمناسك العظيمة، والشعائر الظاهرة، وعشر ليالي رمضان أفضل الليالي على الإطلاق.

وهذا هو القول الذي تجتمع به النصوص، والله ﷻ ما أقسم بالأيام إنما أقسم بالليالي، ويكفي في تفضيل عشر ليالي ذو الحجة على بقية الليالي أنها فيها ليلة القدر، التي قال -جل- وعلا- عنها: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

فالتعبد لله ﷻ فيها خير من التعبد لله تعالى في ألف شهر، لإظهار شأن التعبد لله -جل- وعلا- في ليلة القدر.

إيش المناسبة؟ المناسبة الدليل على الجد والاجتهاد والرغبة في الخير، أن الصحابة -رضي الله عنهم- لحبهم وحبهم للسبق إلى الله -جل- وعلا-، شكوا إلى النبي ﷺ، قالوا: يا رسول الله، نحن نعبد الله -جل- وعلا- لكن أعمارنا قصيرة من ٦٠ إلى ٧٠، وأقلنا من يجوز ذلك! بينما الأمم السابقة يُعمرون ٥٠٠ سنة وألف سنة، فكيف نلحق بهم وهم هذه عبادتهم مدة طويلة؟ ونحن ليس عندنا مدة طويلة؟!

حتى روي أن عيسى بن مريم عليه السلام مر على امرأة تبكي عند قبر، فقال: يا أمة الله اتق الله واصبري، فقالت: هذا ابني مات في ريعان شبابه، قال لها: كم عمره -يرحمك الله-؟ قالت: عمره ٤٠٠ سنة! قال: ماذا لو أدركت أمة أعمارها ما بين ٦٠ إلى ٧٠؟ قالت: لو أدركت هؤلاء لأمضيت عمر أحدهم في سجدة!

ونوح عليه السلام ذكر الله تعالى أنه دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عام، هذه مدة الدعوة، مقابل مدة النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة التي هي كم؟ ٢٣ سنة، فلما تساءل الصحابة رضي الله عنهم في هذا، وأشكل عليهم الأمر، أجيئوا بجوابين:

الجواب الأول: أن الله تعالى أعطاكم ليلة القدر التي العبادات لله تعالى فيها تعدل العبادة في ألف شهر بل أفضل، ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝﴾ [القدر: ٣]، وألف شهر تزيد عن ٨٣ سنة، ليس فيها ليلة القدر، فإذا أدرك الإنسان ليلة القدر ١٠ سنوات في ٨٣ اضرب كده؟ فيدرك المتعبد لله تعالى من هذه الأمة بليلة القدر مثلما أدركت الأمم السابقة في العبادة في المدة الطويلة.

الأمر الثاني: أن الله تعالى ضاعف لهذه الأمة الأعمال، وضاعف الثواب، ولذا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً لهذه الأمة بالنسبة للأمم السابقة اليهود والنصارى أقرب الأمم، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن مثل اليهود -يعني في العمل والأجر مع الله عز وجل- مثل من استأجر أجيراً من الفجر إلى الظهر، فأدى عمله فأعطاه أجره، هذا بالنسبة لهم مع الله تعالى، والنصارى مثل من اشتغل أجيراً لسيده من الظهر إلى العصر، فأدى عمله فأعطاه الله تعالى أجره، ما ظلمه الله، والعامل من هذه الأمة مثل من اشتغل لسيده من العصر إلى المغرب، فأدى عمله وأوفى عمله، فأعطاه الله تعالى عمله ومثل أجري صاحبيه.

فإن الله تعالى أعطى هذه الأمة رحمةً بها، ولطفاً بها، ورحمةً من الله تعالى إليها أن ضاعف لها العمل، وضاعف لها الثواب، بحيث تُدرك مع قصر أعمارها مثل ما أدركته الأمم الطويلة مع

طول أعمارها وشدة عبادتها، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الحديد: ٢١]، نسأل الله أن يُسَدِّدَ الناس على ما آتاهم الله من فضله.

فدل هذا على الخصوصية التي خصها الله ﷻ لك لهذه الأمة في ليلة القدر، وفي هذه العشر، فهذا مبعث الاجتهاد وعلو الهمة في التعبُّد لله ﷻ أن الإنسان يذكر هذا الفضل، ويطمع فيه، ويغتبط، وينشط.

فأنت إذا تعبُدت عشر ليالي، إيش يساوي في مثل عبادة الأمم؟ مئات السنين، ومع ذلك تحصل أفضل منهم على الأجر! فيؤدي العابد العبادة والعمل لله ﷻ وهو مغتبط، يرى أن المنة لله -جلّ وعلا- عليه أن يسر له العبادة، وقصر له الزمن، وضاعف له العمل، وضاعف له الأجر، ولذا يقول -جلّ وعلا-: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

ويشني ﷺ على خُلص عباده فيقول: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٠]؛ يعني مغتبتين بالصوم، مغتبتين بالصلاة، مغتبتين بتلاوة القرآن، مغتبتين بالصدقة، مغتبتين بالمشقة للعبادة؛ لأن الأجر عليها عظيم، ما هو مثل بعض الناس اللي يحرك السيارة ويطلع ٦٠ كيلو ويفطر! ويقول: أنا سافرت! يحتال على الله ﷻ احتيال القروء.

فالمؤمن يغتبط بفضل الله، ويغتبط بأن الله شرفه بالعبادة، والله ما فرض الله عليك العبادة تكليفاً وإنما تشريفاً، وقد عرف هذا أئمة السلف، يقول ابن المبارك -رحمه الله-:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وفخراً
وكدت بأخمصي أطأ الثرى
دخولي تحت قولك: «يا
وأن سيرت أحمد لي نبياً
(وكدت بأخمصي: أسفل رجلي، أحمد: صلى الله عليه وسلم).

فانظر إذا جاء يوم القيامة، وجئت أنت ففي صف أحمد ﷺ، وجئت بصف من يتعبدون لله بالقرآن أفضل الكتب المنزلة على الإطلاق، وجئت من يتعبّد بشريعة الإسلام كأفضل شريعة أنزلها الله -جلّ وعلا-، وإذا العمل مضاعف، والثواب مضاعف، وأسباب حطّ الأوزار ورفعة الدرجات كثيرة لا يحصيها إلا الله -جلّ وعلا-!!!

خذ مثال: أمة من الأمم قبلنا إذا أصابت النجاسة ثوب أحدهم ماذا يفعل؟ يقطع موضع النجاسة من الثوب، قطع وقص، تكليف لا يطاق، إذا أصابت جلده يكشفه الجلد! وأنت ماذا تفعل؟ تغسله! بس وانتهى الموضوع، انظر كيف تكاليف الأمم السابقة، وانظر ما نحن فيه!!
فإذن هذه الليالي ليالي عبادة، ليالي جد، ليالي اجتهاد، والله تعالى يقول:

- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا

﴿٦١﴾ [الأحزاب: ٢١].

- ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا

﴿٦٦﴾ [النساء: ٦٦]؛ يعني على الدين.

- ﴿وَإِذَا آتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ

وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشّٰهِدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ

أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٧-٧٠].

فإذن يكفيك الاجتهاد في هذه العشر أو التسع ليالي أنك تتأسى بالنبي ﷺ في اجتهاده، ما

هو طول العام لأتسع ليالي بس!

ثم أنكم أنتم تعرفون الآن موضوع مضمار السباق، ناس يسابقون بين الخيل، والإبل،

وعلى الأقدام، هل السبق يتبين من الانطلاقة الأولى؟ ولا من ثلث الشوط الأول؟ ولا من

النصف؟ ولا من الأخير؟ من الأخير.

إذن هذه فرصة السباق هنا، إذا ملَّ الناس وتسلَّلوا لوأذاً، ينسحبون من المسجد لوأذاً، كل يوم يتأخر صف، يظهر السابقون الجادون المتأسِّون بالنبي ﷺ، الراغبون فيما عند الله من الفضل، وكلما تأخر الزمن كلما ظهر سبق، قد يكون السبق في آخر خطوة.

فهذا يجعل الإنسان يُعنى بهذا الأجر أيما عناية ولا يأخذها على وجه التكلف والملل والسامة، لأ بنشاط وجد، وكل ليلة يكون أنشط من الأخرى، لأنه أقرب إلى نهاية المضمار، والله تعالى يقول أيش؟ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، السابقون في الدنيا سابقون في الآخرة للجنة، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [١٠] ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [١١] في جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ [الواقعة: ١٠-١٤].

على خلاف هل هم من أول الأمم ولا من هذه الأمة؟ والراجح من أول هذه الأمة، ثلة من أول هذه الأمة وقلة من آخرها، جعلنا الله وإياكم من السابقين الأولين، الفائزين بالجنات وبرضا رب العالمين.

وصلَّ اللهُ وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



التقوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله وسلَّم وبارك على عبد ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فدرسنا إن شاء الله الليلة في شأن التقوى، أمر الله -جلَّ وعلا- بالتقوى نبيه ﷺ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم، وعموم المسلمين، وكافة الناس، وأثنى على أهل التقوى بجليل الصفات، وكريم الاعمال الصالحات، واتقائهم للسيئات.

وجعل التقوى حلية خاصة بأوليائه، ووعد المتقين وعودًا كريمة جاوزت خمس وعشرين وعدًا، ابتداءً بتسهيل الأمور، وتيسير الخير، وتسهيل العمل الصالح، والنصر على الأعداء، وزيادة الهدى، ورفع الدرجة، وسعة الرزق، والتوفيق للعلم النافع، والإعانة على العمل الصالح، والنجاة من النار، ودخول الجنة مع الأخيار، وتوج ذلك -سبحانه وتعالى- بالقرب منه -جلَّ وعلا- والاصطفاء، واصطفائهم له ورؤيتهم، كقوله -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وذمَّ الله -جلَّ وعلا- المجانبين للتقوى، ومن ذلك أنهم إذا قيل لأحدهم: ﴿اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، وأنهم لا يتقون، وأنهم لا يرجون الله اليوم الآخر، حتى جاوزت الآيات التي ورد فيها لفظ التقوى أمرًا وترغيبًا وتبشيرًا وغير ذلك جاوزت ٣٠٠ آية من آيات القرآن الكريم.

وهذا الحشد من الآيات يدل على عظم هذه المنزلة منزلة التقوى، وعلى شرفها، ولذا قال ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ»؛ لأنه ﷺ إمام الناس في التقوى، وأكمل الناس في

التقوى، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَمُّكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

خذ مثلاً:

- قوله - جلَّ وعلا-: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وعد.

- وقوله تعالى عن القرآن: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

- وقوله - جلَّ وعلا-: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ [آل

عمران: ١٢٠].

- وقوله - جلَّ وعلا-: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

- وقوله - جلَّ وعلا- لما ذكر النار وكثرة المحشورين عليها: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ

اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢].

- وقال: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

﴾ [الأنفال: ٢٩].

- قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [٢] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

- وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ إِسْراً﴾ [٤] [الطلاق: ٤].

- ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ [٥] [الطلاق: ٥].

- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ﴾ [٥١] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٥٢] [الدخان: ٥١-٥٢].

فهذا الحشد من الآيات، وهذا الوعد الكريم من رب العالمين ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً

﴾ [النساء: ١٢٢] يستوقف المسلم، الآن نحن في رمضان، وفي وقت القرآن، ووقت قراءة

القرآن، فكان الإنسان حري^ة به أن يمر بهذه العبارات عن التقوى أمراً، وترغيباً، وذكرًا للوعد،

وتثبيتاً للصفات وغير ذلك، فيزن نفسه بهذا الميزان، ويسأل نفسه سؤال يبحث عن جوابه: ما

هي التقوى؟ وكيف أكون تقياً؟

التقوى مأخوذة من التوقي، ولذلك لما سأل أحد التابعين أحد الصحابة -رضي الله عنهم- عن التقوى، قال: مررت بطريق ذي شوك؟ قال: نعم، قال: ما صنعت؟ قال: أتوقى؛ يعني ألبس الحذاء، وأتوقى الشوك.

فالتقوى من التوقى، توقى ماذا؟ توقى المعصية، فتجعل بينك وبين معصية الله وقاية خوفاً من الله، فالوقاية هي الخوف من الله، وعند الطاعة تجد من نفسك دافعاً لتنفيذ الطاعة رجاءً لله -عز وجل-، فتعبد الله تعالى بين الخوف والرجاء الدائم، وهذا يجعلك في وقاية من عذاب الله يوم القيامة، حتى إن الناس يمرون على الصراط، وتقول النار للمؤمنين والملتقين: (يا عبد الله جُز، فقد أطفأ نورك حري)؛ يعني ما لي سبيل عليك؛ فنور التقوى نور الطاعة يكون حاجز بينك وبين النار.

ولذلك لما سئل أحد السلف عن التقوى:

• قال: (أن تعبد الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخشى عقاب الله).

• وقال آخر: (لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به خشيةً مما به بأس).

• وقال ثالث: (التقوى هي العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل -سبحانه وتعالى-، والقناعة بالقليل من الدنيا، والاستعداد ليوم الرحيل).

فكلها تعريفات متقاربة؛ لأن هذه كلها تؤدي إلى غرض واحد وهو أن تتوقى عذاب الله يوم القيامة، وإذا كان الله -جل وعلا- قال لنبيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١] فلا يستنكف أحد إذا قيل له: اتق الله أن يتقي الله؛ لأن الأمر بالتقوى يُذكر العبد بالتقوى، ويحجزه عما يخالف التقوى.

ألا ترون أن مريم عليها السلام لما تمثل لها جبرائيل عليه السلام في صورة رجل عندها في حجرته الله أرسله، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [١٧: مريم]، ليش؟ حتى تألف، فجاء ودنى منها: ﴿قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [١٨: مريم]، لا تدنو مني كيف تدخل علي؟! إني أعوذ وأعتصم وألتجئ وأستجير بالله منك إن كنت تقياً؛ لأن التقى هو الذي يخاف الله.

الرجل الذي تمكن من المرأة حتى قعد بين رجلها يفعل الفاحشة، قالت له: اتق الله! فقام وتركها والمال الذي أعطاها، فهي موعظة، ولذلك الله عز وجل وعظ بها الله نبيه عليه السلام: ﴿آتَقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، النبي عليه السلام يتقى الله ليل نهار!! لكن المعنى: دُم على تقوى الله، واجتهد في كمال التقوى، فهو متصف بأصل التقوى، لكن المعنى دم على التقوى، واجتهد في كمالها، لكنها هي الموعظة، فإذا قيل لك: اتق الله، ينبغي أن يقشعر جلدك وتضطرب؛ لأنك ذكرت بالله ورقابة الله عليك، تقدر على المعصية لكن الله يقدر عليك.

ولذلك قالت مريم أبلغ موعظة في موقف حرج وصعب عليها، هي ما تدر أنه ملك:

﴿قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [١٨: مريم]، فجلى لها الحقيقة، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [١٩]، قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [٢١: مريم: ١٩-٢١].

فدنى منها ونفخ في جيب درعه نفخة ولجت في فرجها، وقال الله: كن، قال لعيسى عليه السلام كن، أمراً من الله عز وجل، فكان بتلك النفخة، خلقه الله من أم بلا أب بقدرته عز وجل.

فالمهم أنها أبلغ الموعظة، ولهذا أكثر الله عز وجل من الأمر بالتقوى حتى يذكرها ثلاث مرات في الآية الواحدة، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، ويرد الأمر بالتقوى في ثلاث آيات خمس سرداً، وما

ذلك إلا لجلالة هذا الوصف، وضحامة هذا العمل، وشرفه عند الله -جلّ وعلا-، وحسن عاقبته في الدنيا والأخرى، فهذا معنى التقوى: التوقّي والتحرُّز من عقاب الله ﷻ بفعل طاعته، وترك معصيته، ودوام خشيته.

كيف تكون تقياً؟

التقوى ما هي ثوب يُلبَس ويُخلَع، لأ التقوى لباس دائم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِبَاسٍ﴾
التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ [الأعراف: ٢٦]، فأنت أصلاً تقي بفطرتك، وتنمو التقوى منك بعملك بشريعة الله -عزّ وجل-، وأكمل التقوى منك بترك المعاصي والسيئات، والتوبة من الزلات، وكلما تقدّم العمر يفترض أن التقوى تعظم، وأنها تختلط بلحمك وبشرك ودمك وعظمتك.
 فيكون العبد أكمل تقوى في آخر عمره، وكلما ازداد علماً ازداد تقوى، كلما ازدادت شكرًا لله ﷻ ازدادت تقوى، كلما ازداد عفة عن الحرام ازدادت تقوى، فالتقوى يا إخواني في كل مكان بحسبه، كل مقام أنت فيه لله عليك تقوى فانظر ما هي.

نبدأ بالتطبيقات:

إذا أذن لصلاة الفريضة، ما هي التقوى؟ أن تتوضأ وتتوجه إلى الصلاة، كان النبي ﷺ كذلك هو وأصحابه في المجلس، فإذا أذن للصلاة، قاموا يلتمسون الماء، ويتوجهون للمسجد.

إذا عُرض عليك الفتنة كصورة المرأة، المال الحرام، إيش التقوى؟ تُقدّم عليها ولا تحجم عنها؟ تحجم عنها.

إذا كنت عند والديك، ما هي التقوى؟ البشّر بالوجه، حسن الادب، وغض البصر، والإجلال للوالد، السمع والطاعة بالمعروف، والتلطف عند الأمر بالمعصية، والاعتذار بلطف.

إذا كنت مع أهلك مع زوجتك، ما هي التقوى؟ حُسن العشرة، وطيب الكلام، والتلطف في المعاملة، والتوجيه برفق، والصبر على الأذى والجور.

المرأة كذلك مع زوجها نفس الشيء تقواها كذا، المرأة مع زوجها تشبه الرعية مع ولي الأمر، يُذكر ويُشكر خيره، ويُصبر على شره، ولا ينازع سلطانه.

المرأة مع زوجها كذلك، تجد منه جفاء، تجد منه بخل فتصبر، تجد منه كرم، تجد منه إعانة، تجد منه حسن عشرة فتشكر، واللاتي لا يشكرن أكثر أهل النار، **«يَكْثُرْنَ الشُّكَايَةَ وَيَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»**.

التقوى إذا حضرت بين اثنين متخاصمين، ما هي التقوى؟ أن تصلح بينهما **«انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»**، فالظالم تمنعه من الظلم وتحجزه، والمظلوم تنتصر له وتعينه على تحصيل حقه ودفع الأذى عنه، فتصلح بين الناس صلحًا ليس فيه حيد لطرف على الآخر، هذه التقوى.

إذا لقيت أخاك المسلم في الطريق إيش التقوى؟ أن تبدأ بالسلام، ما بدأت وبدأك ترد السلام، سئل النبي ﷺ عن المسلمان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام؟ قال: **«أَوْلاهُمَا بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -»**، فلا تنتظر أنه يُسلم عليك ابدأ أنت بالسلام.

فإذن التقوى في كل مقام بحسبه.

إذا كنت أمين عهدَة، أمين على مال للدولة، للشركة، لأحد عندك وديعة، عندك أمانة،

فالتقوى أن تحفظ الأمانة، **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ**

تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

[الأنفال: ٢٧-٢٨]. فهكذا في كل مقام.

أنت أمام قناة فضائية، إيش التقوى؟ تستمع إلى الخير، وتغض البصر عن الشر، وتصون السمع عن الشبهات وعن الضلالات، تغلق الجهاز إذا صار ما فيه خير.

رأيت من يقصر في حق الله الواجب عليك، إيش التقوى؟ تأمره بالمعروف، وترغبه فيه، وتعينه عليه.

رأيت من يقصر في أداء الواجب، التقوى أن تحمله على ما أوجب الله عليه.
فإذن التقوى في كل مقام بحسبه.

طيب تقوى المرأة إذا جاءت للمسجد إيش التقوى؟ التقوى أنها ما تيجي مع السائق وحدها، جئت للفضيلة للسنة وترتكب محرّم، هذا تقوى ولا مو خلاف التقوى؟ خلاف التقوى.

إذا خرجت من بيتها متعطرة هذا من التقوى ولا خلاف التقوى؟ خلاف التقوى.

إذا جاءت متبرجة أو بلباس ضيق أو مفتوح من أسفل هذا تقوى ولا خلاف التقوى؟

خلاف التقوى ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوْرِي سَوْءَ تِكْمَ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِك خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فقرن الله بين هذا وهذا، فلباس التقوى داخل وعلامته حسن اللباس الخارجي، علامته

حسن العمل الخارجي، علامته حسن القول الخارجي ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا

سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨].

أنا عجبت عجباً شديداً جداً؛ كيف امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر وجاءت للمسجد ترجو

ما عند الله ﷻ واليوم الآخر وتأتي مع السائق وحدها، أين الإيمان؟! أين هذا من قول النبي

ﷺ: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ نَالِثُهُمَا».

إذا خرجت متعطرة، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «إِذَا خَرَجْتُ الْمَرْأَةُ مُتَعَطِّرَةً - ينقل عن النبي ﷺ - فَهِيَ كَذَا وَكَذَا»؛ يعني زانية، وقول النبي ﷺ أبلغ: «إِذَا خَرَجْتُ امْرَأَةً فَاسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ» فكيف إذا تعطرت!

والله ﷻ وهو أصدق القائلين يقول: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، إيش معنى ﴿تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]؟ تظنون أن تبرج الجاهلية أن المرأة تطلع مسلوخة ما عليها شيء؟! لا تلبس لباس أشد في الفتنة مما لو كانت عارية، لو كانت عارية كان شرام الناس يصدون عنها، لكن تلبس لباساً أشد فتنة، لباساً ضيق، مفتوح، فيه كذا، فيه كذا، فيه ألوان تفتن قلوب الرجال.

والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، إذا صار عليها خلخال لا تضرب برجلها بحيث لا يسمع صوت الخلخال ووسوسة الخلخال، أيهما أبلغ: وسوسة الخلخال اللي بالرجل أو الطيب في الفتنة؟ الطيب، إذن أين التقوى؟! تخرج تريد نافلة، النبي ﷺ يقول: «صَلَاتُهَا فِي بَيْتِهَا خَيْرٌ لَهَا»، واتفق العلماء على أن صلاة المرأة في مكة في غرفتها في حجرتها أفضل من صلاتها في المسجد الحرام في مكة التي شرفها الله، وبالرياض يخرج من تبرجات ومع الأجنبي، ومتعطرات، ويرد ما عند الله، والله هذا الاستهزاء بدين الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ.

فإذن يا إخواني تذكروا، ويا أخواتي تذكروا وتذكرن التقوى في كل مقام بحسبه، سل نفسك في المقام الذي أنت فيه وابتليت فيه، ما هو حق الله عليك؟! فقط تذكر هذا المقام. إذا صارت المرأة خرجت من باب المسجد، هل تقوى الله أنها تدنو من الجدار وتبعد الرجال، ولا تقوى الله أنها تراحم الرجال بأكتافها؟! والله من تراحم الرجال في المسجد هذا!

الآن المرأة تزاحمهم أشد من الرجال، أين الحياء؟ وبين العفة؟! وبين خوف الله -جل وعلا-
؟ وبين النار؟

يا جماعة ستر المرأة ولزومها سنة النبي ﷺ هو سترها والله من الفتنة في الدنيا، ومن النار
في القبر، ومن النار يوم القيامة، ولهذا قال ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُكَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، وذكر أن أصناف
أهل النار «نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ، عَارِيَاتٌ، مَائِلَاتٌ، مُمِيلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا
يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا»، إنا لله وإنا إليه راجعون، كيف تكون نساء المسلمين مثل
نساء الكفار!!!! والله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فلا بُدَّ كلنا الرجال والنساء في أي مقام أنت فيه إيش التقوى؟؟ ما هو حق الله عليك في هذا
المقام؟ إن عرفت فاعمل به، وإن لم تعرف فاسأل عنه، لكن لا تعمل بضده، فهذه التقوى،
في كل مقام انظر ما هو حق الله عليك في هذا المقام وافعله على أحسن وجه تستطيعه، ولا
تتعمد معصية الله ﷻ فإن الله فوقك، وأن العقوبة تأتيك من حيث لا تشعر.

ذكر الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللهُ أَنْ رجلاً كان في دمشق وكان يشرب الخمر نهار رمضان،
وينصحه العوام عوام الناس حتى المجانين ينصحونه فيأبى، فيوم من الأيام وجدوه على
جانب الطريق محترق، ما جاءت النار من أي جهة يشوفها الناس، نزلت عليه من الله، والله
على كل شيء قدير، والله من ورائهم محيط، ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ
مُسْتَخْفٍ بِالْأَيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ
﴿١١﴾ [الرعد: ١٠-١١].

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وجعلنا هداة مهتدين. والله أعلم.

وَصَلِّ اللهُ وَسَلِّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



صفات المؤمنين الكُمَّل
في
سورة المؤمنون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلِّ الله وسلِّم وبارك على عبده ورسوله سيدنا محمد، وعلى

آله وصحبه. أما بعد:

فقد قال الله -جلَّ وعلا- في محكم تنزيله وصادق قيله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ٢ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ٣ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ٤ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ٦ ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾
٧ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ٨ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ٩ ﴿أُولَئِكَ هُمُ
الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١٠ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١١ ﴿[المؤمنون: ١-١١].

هذه الآيات افتتح الله ﷻ بها سورة المؤمنون، وذكر فيها صفات المؤمنين الكُمَّل الذين

أخلصهم الله لنفسه واصطفاهم -جعلنا الله وإياكم منهم- فبين ما هم عليه من الاعتقاد
الحق، والقول السديد، والعمل الصالح، والخلق الحميد.

فأول السورة قال -جلَّ وعلا-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ ﴿[المؤمنون: ١].

﴿قَدْ﴾: هذه للتحقيق؛ أي تحقق فلاحهم، هذا خبر من الله -جلَّ وعلا- بأنه قد تحقق

الفلاح وقع، وكتب عند الله ﷻ.

﴿أَفْلَحَ﴾: الفلاح هو الفوز بكل محبوب مرغوب، والنجاة من كل مكروه مرهوب في

الدنيا والآخرة، فالمؤمنون الكُمَّل حصلوا المطلوب ونجوا من المرهوب في العاجلة
والآجلة، وهذا من الله ﷻ حفظًا، وكلاءة، وتسديدًا، ورعاية، وإعانة، وتثبيت، وإلى غير
ذلك.

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١: المصدِّقون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، آمنوا بالغيب فوحّدوا الله ﷻ بقلوبهم، واعتقدوا أنه هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد بالحق بما شرع، فلا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحقها أحدٌ سواه.

فوحّدوا الله ﷻ وتبرؤوا من كل معبودٍ سوى الله ﷻ، واعتقدوا أن الله ﷻ كامل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأنه مالك الملك، وخالق الخلق، ومدبر الملك والخلق بعلمه وحكمته.

وآمنوا بما شرع الله ﷻ من الدين وجميع شرائع الدين، كل ما شرع الله ﷻ آمنوا به وقبلوه، واستسلموا له، واستعدوا للإتيان به لله ﷻ ديانة، وآمنوا بالرسول ﷺ أنه مرسلٌ من عند الله، وأنه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ٣ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ٤ [النجم: ٣-٤].

وأنه هو المبلِّغ عن الله دينه، ومبيِّن عن الله أحكامه، وأنه هو الأسوة الفعلية العملية بتطبيق الدين على أكمل وجوهه التي يرضاها الله -جلّ وعلا-، والتزموا باتباعه ﷺ حتى يلقوا الله -جلّ وعلا-.

هذا الإيمان الحق، فأمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره، وبالجنة والنار، وما أعدَّ الله فيهن لأهلهن، وأن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

وأقاموا أركان الدين العملية؛ شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قولاً وفعلاً واعتقاداً، وأقاموا الصلاة، وأتوا الزكاة، وصاموا رمضان، وحجُّوا البيت الحرام، ومن لم يتيسَّر له ذلك استعد للالتزام به وأداءه على الوجه الذي شرعه الله تعالى متى ما استطاع.

وحققوا مرتبتي الإحسان؛ فعبدوا الله عَلَيْكُمْ كأنهم يرونه، أو كأن الله يراهم، فهؤلاء المؤمنون، هذا وصفهم، وهذا شأنهم، فكل ما جاءهم عن الله ورسوله قبلوه وصدقوه وعملوا به على الوجه الذي يستطيعونه، واعتذروا عما لا يستطيعونه، وما خالفوا فيه تابوا إلى الله منه. قال الشافعي - رحمه الله -: "آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله"، فهذا هو الإيمان.

قال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

أول وصف لهم الخشوع في الصلاة، والخشوع هو السكون والإخبات لله عَلَيْكُمْ، والاشتغال بما شرع الله عَلَيْكُمْ في الصلاة من قراءة القرآن، والأذكار، والدعوات، ففي كل ركن من أركان الصلاة يعطونه حقه على أكمل وجه، فيكون شغله في الصلاة ما هو في خارج الصلاة.

الذين يشتغلون خارج الصلاة قلوبهم خارج المسجد فهؤلاء فيهم سهو، عن صلاتهم سهوا، يعني أنهم عندهم نصيب من السهو، ما تركوا الصلاة لكن ساهيين فيها، فلذلك هؤلاء خاشعون، لما رأى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً يعبث في لحيته وهو يصلي، قال: "لو خشع قلبه لسكنت جوارحه".

فالخشوع أنك تستحضر أنك بين يدي الله عَلَيْكُمْ، وأن الله قِبَل وجهك، فتأدب معه كما لو وقفت بين يدي أحد العظماء من الخلق، والله عَلَيْكُمْ أجل شأنًا وأعظم، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسْتَحِي مِنْ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ ذِي هَيْئَةٍ مِنْ قَوْمِكَ».

ومن علامات الخشوع: سكون الجوارح، واشتغال القلب بما شرع الله في الصلاة من القراءة والذكر والدعاء، وأن يصلي المرء صلاة مودع، فمن وفي الصلاة حقها، ووفى الكيل، ومن نقص نقص الكيل، والناس يصلون وينصرفن مختلفين؛

• فمنهم من حاز على أجر صلاته كاملاً لتكميله الصلاة.

- ومنهم من لا يأخذ إلا النصف أو الربع أو الثمن أو العشر.
- وبعضهم أدى الواجب وليس له أجر.

ولذلك يتفاوت الناس، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**أَنَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَمُرٌّ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ لَا تَجِدُ فِيهِ الْخَاشِعَ**»، يسهو الإمام ما يدرون وين سهى وما سهى فيه؟! يعني كل واحد يبيع ويشترى ويكتب ويسوي في شغل الدنيا.

فأول وصف المؤمنين: الخشوع في الصلاة، أن يصلي المرء صلاة مودّع، أن هذه يفترض أن تكون آخر صلاة، فإن فسح الله في عمرك فصدقة من الله عليك.

إيش اللي بعدها؟ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. اللغو ما هو؟

اللغو هو رديء الكلام، محرم الكلام، الغيبة والنميمة من الكلام، الكذب من اللغو، شهادة الزور من اللغو، الاستماع لآلات اللهو لغو، فهم معروضون عن اللغو كله، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، فلم يتدنسوا به، لم يصغوا إليه، ولكم يرفعوا به رأسهم، بل أنهم يكرهونه، وينقبضون إذا رأوه ورأوا أهله، وينصحون أهله بما يناسب ويقتضيه المقام، هذا الإعراض عن اللغو.

الآن الناس يصلون المغرب في المسجد، المسجد يمتلأ بالمصلين، وإذا خرجوا أقبلوا على برامج مليئة بالاستهزاء بشرائع الإسلام؛ الاستهزاء بالصلاة، الاستهزاء بالسواك، الاستهزاء باللباس، الاستهزاء بتعدد الزوجات، الاستهزاء بأمور كثيرة، فمرتبة هذه البرامج على أساس الاستهزاء بالشرائع، وتبغيضها للناس، والتنقص من قدر الملتزمين بها، وهذا كفر، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَدِّبُ طَائِفَةَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

هذه نزلت في أناسٍ مع النبي ﷺ خارجين في غزوة تبوك، اجتمع ثلاثة منهم أو أكثر فقالوا: ما رأينا مثل قرائنا أو علمائنا هؤلاء؛ لأن القارئ في عُرْف السلف يطلق على العالم الفقيه العامل، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: (أنتم في زمان كثير قراؤه)؛ يعني كثير فقهاؤه قليل قراؤه، وسيأتي على الناس زمان كثير قراءه قليل فقهاؤه، فكان القارئ هو الذي يكون فقيه في الدين، ولذلك قال رضي الله عنه: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ».

هؤلاء الثلاثة قالوا: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا!)؛ أكثر أكل يعني، (وأكذب السنة، وأجمد عند اللقاء) -لعنة الله عليهم- من يعنون؟ يعنون النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وأمثالهم، يصفون هؤلاء الخيرة الزهاد العباد المصطفين بهذا الوصف، فسمع أحد الصحابة هذا وقال: كذبت يا عدو الله، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب ليخبر النبي ﷺ، فوجد الوحي قد سبقه، ونزل بشأنهم في صفة المنافقين في سورة التوبة، وإذا النبي ﷺ يتلو الآيات.

فجاء أحد هؤلاء يعتذر متعلق بنسعة ناقة النبي ﷺ، طرف الحبل اللي وراء الناقة، يقول: يا رسول الله حديث الركن، ما قلنا شيء يعني، ما عندنا سوء قصد، حديث الركب نقطع به عناء الطريق، يعني ما أردنا به إلا الخير، فكان النبي ﷺ لا يلتفت عليه ويقرأ القرآن، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

يقول الصحابي رضي الله عنه: كأي أراه متعلق بنسعة ناقة النبي ﷺ تنكب الحجارة رجله وتضرب رجله، والنبي ﷺ لا يلتفت عليه، ولا يزيد عن قراءة القرآن، هذا في وصف واحد وفي مرة

واحدة، لكن كل يوم وكل وقت تعرض حلقات تستهزئ بشريعة من شرائع الإسلام وبتطبيقها والمطبّقين لها.

الذي يشاهد هذه الحلقات مشاهد للزور، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، هذا زور هذا باطل هذا كذب، هذه خطط مرتبة ومنسّقة ومدروسة لأجل صرّف الناس عن شريعة الإسلام؛ لأجل تعليق الناس بالكفرة وما هم عليه من الحال والأخلاق والأعمال.

كل يوم يضربون شريعة من شرائع الإسلام، وكل يوم ينفرون الناس من المستقيمين عليها، وأخطاء الناس ليست حُجّة على الشرع، إذا فرضنا أنه فيه أحد يخطئ في هذا فليس حُجّة على الشرع، شرع الله مطهر معصوم ما فيه خطأ.

أما أن تجعل أخطاء الناس مبررة للقدح في الشرع، والطعن فيه، وصرّف الناس عنه فهذا من الصد عن سبيل الله، وهؤلاء أعداء الله ورسوله، لو كان هؤلاء في ومن عمر ﷺ ما ظنكم كانوا يفعل بهم؟! هل يتركون؟

جاء رجل يقال له صبيغ بن عسل، قال: "يا أمير المؤمنين، في صدري حكمة في شيء من القرآن؛ يعني شيء مشكل عليّ من القرآن، في تأويل القرآن، قال: تجد هذا؟ قال: نعم، فقال: أعطوني الجريد، فجاب الجريد عسفان النخل، فجلده حتى أغمي عليه، ثم أمر به إلى الحبس.

فبعدهما برئ جلده بعد مدة استدعاه، قال: عندك حكمة في شيء من القرآن؟ قال: نعم، قال: عليّ بالجريد، وجلده حتى أغمي عليه، ثم أمر به إلى الحبس، وفي الثالثة قال: عندك حكمة في صدرك في شيء من القرآن؟ قال: نعم، قال: هاتوا الجريد، فجلده حتى أغمي عليه، ثم أمر بالحبس، في الرابعة استدعاه وقال: عندك شيء؟ قال: لا الحمد لله برئت، ما أجد شيء.

عاش هذا الرجل ما شاء الله بعد عمر رضي الله عنه، ولما تأمر الخوارج على عثمان رضي الله عنه، وقاموا بما قاموا به من الفتن والشر، ذهبوا إليه، وقالوا: أنت صار لك كذا مع عمر فتعال معنا، قال: لأنا شفان الله بعصيات عمر، إيه نعم.

فهذا علاج المستهزئين، إذا لم تقطع أعناقهم فإنهم يؤدّبون حتى يقفون عند حدودهم ويمنعون من التعدي على الشرع، هذا ما هو تعدي على فلان وفلان من الناس، هذا تعدي على الشرع، فهذا ليس دورك، هذا دور غيرك.

لكن أنت إيش دورك أنت؟ إيش الواجب عليك؟ أن تصغي؟ أن تنظر؟ أن تعجب؟ لأ، أن تسمح لأهلك أن يصغوا؟ أن ينظروا؟ أن يعجبوا؟ أن يتندر الناس بحديث هؤلاء الفجرة في المجالس؟ أن يعجبهم هذا ويشفي ما في صدورهم؟ هذا نفاق مبطن، وهذا كيد ظاهر للإسلام، فيجب هجر الأمور هذه، هذا من دين الله، كيف أن تؤمن بالله تعالى، وترضى عن واحد يستهزئ بدين الله؟!!! يلتقيان؟ فكيف يكون هذا؟!

والله لو وجد هؤلاء إعراض عمّا هم عليه ما صار لبرامجهم رواج، بل هم وجدوا جمهور مغفل ما يعرف الشرع ولا يعرف شيء، ينظرون للمسلسلات والبرامج يظنونها هادفة، كل يوم يضربون في شريعة من شرائع الله، يضربون فيها، ويقدحونها، ويصدون عنها بحجة أخطاء المخطئين إذا قلنا هذا!

هل أخطاء الناس حجة على الشرع يا جماعة؟! أو الشرع حجة على الناس؟ الشرع حجة على الناس، ولا يجوز للإنسان أنه يستهين بشريعة من شرائع الله بحجة خطأ فلان أبداً، هذا أمر منكر يا جماعة، ويعرض عليكم في أشرف الأوقات، تُقسى هذه القلوب، وتعمى هذه البصائر، وتثبط به الجوارح على الطاعة، ويُغرى الناس بالمنكر والشر، وتعرض عليهم الفتن، تُعرض عليهم صور النساء الفاتنة، كيف يسمح مؤمن بالله صائم من الفجر إلى المغرب وهو صائم، ومع ذلك يفطر على هذه الأشياء!! وين الموقف الحازم؟!

سبحان الله! يصير الأمر لهو ولعب، والهازيّ والمستهزئ، يجب على من ينظر إلى هذه البرامج ويتابعها أن يراجع إيمانه، وأن يتوب إلى الله ﷻ توبةً نصوحةً وإلا يخشى أن يموت على النفاق، ليس النفاق العملي، والله ما هو بالنفاق العملي.

هذا النفاق الاعتقادي، ما يتجرأ على هذه إلا مبغض لدين الله، مبغض للسنة، مبغض لأهل الخير، وين الموقف منكم أنتم؟! يُبلِّغُ الشاهد منكم الغائب واجب عليكم أن تُبلِّغوا هذا عبث، هذا تعديّ على شريعة الله، هذا تعديّ على أصحاب رسول الله ﷺ خير من عمل بشريعة الله، أئمة الناس في العمل.

يعني الصحابة ما هم قدوة؟! سبحان الله كيف هذا؟! ترى أن الله ﷻ الإعراض عن اللغو بالإيمان والخشوع في الصلاة؛ لأن الخاشع في صلاته يُعرض عن اللغو، واللي ما هو خاشع في صلاته ما يعرض عن اللغو.

وكما قلت الناس يصلون في المسجد، وهذا يبيع ويشترى، وهذا يتابع برنامج، وهذا مع الأسهم، وهذا ما يدري وين رايح! ولذلك ما تستغرب أن الناس يسهون مع اللغو، مع الباطل، مع الشر.

والله لو كان أنه استهزاء بفلان معين كان الأمر أسهل، ظلم لفلان ويحكم الله بينهم، لكن الآن استهزاء بشريعة الله ودين الله، كل يوم شريعة من شرائع الله يُصد الناس عنها بأخبث الأساليب، وأعظم الفتن، سبحان الله ديننا يصير سهل علينا إلى هذه الدرجة!!

الصحابة -رضي الله عنهم- يُقتلون من أجل الدين، وأنتم تفرجون على هدم الدين؟! يقول النبي ﷺ عن الأولين: «كَانَ الرَّجُلُ يُؤَنَّى بِهِ فَتُحْفَرُ لَهُ الْحُفْرَةُ وَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجْعَلُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُؤْخَذُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنَ اللَّحْمِ».

والإنسان مفطر من صيام، ويأبى أن يروح للتراويح ويتفرج، ويناظر، ويعجب، ويصفق، ويحدث بكرة شفت ويش صار امبارح؟ صار كذا وكذا، يصير -والعياذ بالله- أشد من الذباب ينقل السموم والشر للغافلين!

أعوذ بالله استغفروا وانتبهوا لهذا الموضوع تراه خطير، ترى ما أخذنا والله الذي لا إله غيره وما غزانا الكفار أشد من هذا الغزو، غزينا من داخلنا الآن، والله الكفار ما سوا هذا! الكفار يقتلون، يأخذون مال، يسوون كذا، لكن الغزو بهذه الطريقة الصد عن شرائع الإسلام، صد بأسلوب مركز مكثف، ومه الفتنة، ما صار هذا من الكفار.

وإذا صار من الكفار ما يستغرب، لكن ابن فلان، وابن فلان، وابن فلان من العوائل المعروفة يصير هذا الشيء، ونسكت عنه عادي! فإذا قصر غيرنا، فنحن في أقل الأحوال نهجم، وين البراءة من الكفر، والبراءة من الفسق، والبراءة من الفاسقين والكافرين؟! هذا كفر، وهذا نفاق، وهذا فسق.

وَفَقَّ اللهُ الْجَمِيعَ لِمَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَجَعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



فضل تلاوة القرآن

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.
أما بعد:

فحديث الليلة إن شاء الله تعالى عن فضل تلاوة القرآن، فالقرآن اسم للمقروء، وهو كلام الله - عز وجل - المتعبد بتلاوته، الذي أعجز الورى على الإتيان بمثله، المنزل على قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - بلسان عربي مبين، المبدوء بال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، المختوم بال ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [٦] [الناس: ٦].

القرآن كلام الله - جل وعلا -، فضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، وهو أعظم آية أيد الله - عز وجل - بها نبياً من أنبيائه - عليهم الصلاة والسلام - على الإطلاق.
ولذلك لما قال المشركون: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [٥٠] [العنكبوت: ٥٠]، رد الله - جل وعلا - عليهم وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ فِي ذَٰلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٥١] [العنكبوت: ٥١].

وجاء في الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا قَبْلِي إِلَّا آتَاهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَىٰ مِثْلِهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فالله - جل وعلا - أيد رسله - عليهم الصلاة والسلام - بآيات عظيمة دليلاً على نبوتهم ورسالتهم، مناسبة لقومهم وزمانهم، أيدهم الله - جل وعلا - بآيات مادية:
فآية نوح - عليه السلام - السفينة التي صنعها الله - جل وعلا - له، وأنه تحدى قومه، قال: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [٧١] [يونس: ٧١]، فتحداهم قال: ﴿ثُمَّ كِيدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ﴾ [١٩٥] [الأعراف: ١٩٥].

وهكذا كل رسول من رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - أيدهم الله بآيات مناسبة.

صالح أيده الله بالناقة التي خلقت من صخرة صماء، ناقة عشراء، وولدت نتجت، وصاروا يشربون لبنها يوماً ولها ماء البئر، ويوم لهم ماء البئر ولا يشربون لبنها، فعقروها فعاقبهم الله -عز وجل-.

وهكذا أيد الله -عز وجل- موسى -عليه السلام- بـ ﴿تِسْعَ آيَاتٍ بَيَّنَّتْ﴾ (١٠١) [الإسراء: ١٠١]، منها: اليد، والعصا، وغير ذلك.

وهكذا كان عيسى -عليه السلام- يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله. فكانت آيات الأنبياء آيات مادية، مناسبة مقنعة لقومهم، مظهرة لحجتهم عليهم، حجة الرسل على القوم.

لكن آية النبي ﷺ نوعان:

• آيات مادية:

- مثل ما انشق القمر.

- ومثل ما حصل من تسبيح الحصى بين يديه.

- وتسليم الشجر عليه.

- وتسبيح الطعام.

- ولكن الآية العظيمة هي القرآن الذي اشتمل على:

* أصول العلوم ومفاتيح العلوم.

* واشتمل على الهداية إلى كل خير، والندارة من كل شر، والبشارة بكل كرامة.

فكان هذا القرآن العظيم آية النبي -صلى الله عليه وسلم- المعجزة؛ ولهذا تحداهم الله -

جل وعلا- أن يأتيوا بمثله، أن يأتيوا ﴿بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلَهُ مَفْتَرِيَاتٍ﴾ (١٣) [هود: ١٣]، فلم يأتيوا

ولم يستطيعوا، وأن يأتيوا بسورة فلم يستطيعوا، وأن يأتيوا بحديث، لم يستطيعوا، أن يأتيوا بآية

لم يستطيعوا، فكان هذا القرآن معجزاً من جميع الوجوه، من جهة بلاغته وسياقه، ومن جهة ما اشتمل عليه من أصول العلوم، وكليات العلوم، ومن جهة ما فيه من التأثير المبارك لصلاح القلوب، ونور البصائر، وصلاح السرائر، وصدق أخباره، وعدل أحكامه، وحسن هديه، ولهذا وصفه الله - عز وجل - بصفاتٍ كريمة دالة على علو شأنه، وعِظَم بركته، وحُسن أثره على تاليه المؤمن به، والمتدبر له.

وصفه الله - عز وجل - بأنه نور وهدى، وأنه موعظة وشفاء، وأنه تبصرةٌ وذكرًا، إلى غير ذلك، ولهذا قال - جل وعلا -: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩١ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٩٢﴾ [الإسراء: ٩١: ٩٢].

وجاءت البشارة مفصلة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٩١ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْنُهُمْ فِيهَا سَلَمٌ ۝٩٢ وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٩٣﴾ [يونس: ٩١: ٩٣]، هذه بشرى.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ۝٢١ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝٢٢ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ [التوبة: ٢١: ٢٣]، جعلنا الله جميعاً من هذه البشرى.

كذلك النذارة صريحة، ﴿فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْظَنُ ۝١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥﴾

الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝١٦﴾ [الليل: ١٤: ١٦].

﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ [الكهف ٤: ٥].

فاشتمل على البشارة والندارة، وفي نفس الوقت الهدى، الهدى التي هي أقوى في كل أمر:

- في الاعتقاد: فهو يهدي إلى صحيح الاعتقاد.
- في القول: فالقرآن يهدي إلى سديد القول.
- في العمل: فالقرآن يهدي إلى صالح العمل.
- في الخلق: فالقرآن يهدي إلى محاسن الأخلاق.

وينذر من ضد هذه الأمور.

بل اشتمل القرآن على أصول كل علم ومفاتيحه:

فتجد في مفاتيح علم الطب وأصوله، وعلم الجيولوجيا، وعلم طبقات الجو، فكل علم يحتاج الناس إليه فالقرآن يهدي إليه، ما يأتي به مفصلاً، لكن يدل على كلياته، وقواعده، ومهامه، ومفاتيحه، فهو معجز بهذا، أخباره الماضية صحيحة وواقعة، كما أخبر - جل وعلا -، وأنباؤه المستقبلية تقع كما أخبر:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرَكَابُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل: ٨].

فالقرآن مشتمل على الهدى بجميع أموره، كل الهدى فيما يهدي للخير، ويقي الشر في العاجلة، وهكذا في الآجلة، فهو مثلاً في الدنيا هدى للإيمان والعمل الصالح، وفي الآخرة

هدى للجنة، وهكذا ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩]؛ ولذا قال - جل وعلا - ﴿ مَا فَرَطْنَا

فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ ولهذا الآن يقف أصحاب العلوم التجريبية أمام

القرآن حيارى، مبهوتين، مذهولين، أي حقيقة علمية يتوصلون إليها لا شك فيها، توجد في القرآن كما هي بأقصر طريقة، وأوضح بيان وبرهان.

ولو أردت المثال: ما جاء في القرآن العظيم من النهي عن الزنا، وأنه ﴿فَلِحِشَّةٍ وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، ساء سبيلاً لاستفراغ الشهوة، لما ينبنى عليه من الشرور الكثيرة، والمصائب، والجنايات العظيمة على الأديان، وعلى الأنفس، وعلى الأعراض، وعلى الذرية، والنسل، وعلى الاجتماع، وكذا، وكذا، وما ينتج عنه من الأمراض العظيمة الخطيرة المهلكة؛ ولذا اليوم أجمع العالم كله على أنه لا خلاص من مرض الإيدز إلا بترك الزنا، ما في أي علاج آخر، حقيقة علمية توصلوا إليها، لكنها موجودة في القرآن.

القرآن جاء بالهدى وبينه النبي -صلى الله عليه وسلم- بما أوحى إليه ربه -جل وعلا-، ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- عن الخمرة: «إِنَّهَا دَاءٌ، وَلَيْسَتْ بِدَوَاءٍ»، والآن يجمعون على أنها داء بكل وجه من الوجوه، ليس فيها دواء، ليس فيها شفاء.

وهكذا كل العلوم تجد أصولها وقواعدها ومفاتها في القرآن، لكن أهل كل فن واختصاص يعرفون من القرآن ما هو من اختصاصهم، ويخفى عليهم ما ليس من اختصاصهم.

فالقرآن هدى، وفي نفس الوقت هو بشرى، وفي نفس الوقت هو تذكرة يذكر، ولهذا يذكر الإنسان بأصله، ومعدنه، ومن أين نشأ، وكيف نشأ، وكيف خلق، ثم يذكره بمآله، وبما تكون إليه حاله، ويحُضُّه على أن يغتنم حياته لما يصلحه في حياته وبعد مماته، فهو تذكرة يذكر بنعم الله -عز وجل-، وأجناسها، وأصناف كل جنس، وأنواعها، وأفرادها، ويحض على شكرها، ويبين السبيل إلى الانتفاع منها أكمل الانتفاع، ويحذر من امتهاها، وكفرها، وهكذا، فتجده تذكرة في نفس الوقت تذكرة.

فالقُرآن إمام؛ من ائتم به اهتدى لما يسعده في الدنيا والآخرة، ومن جعله وراء ظهره أو أعرض عنه كان حجة الله عليه، والله - جل وعلا - كلف نبيه ﷺ أن يبين ما نزل إليه من ربه، وقد فعل ﷺ فبين القرآن، بينه بسنته ﷺ.

- فإن سنته أنواع:

* منها ما هو مواطئ للقرآن وموافق له: مثل ما جاء الأمر بالصلاة، والزكاة، والذكر، والدعاء، وغير ذلك.

* ومنها ما هو بيان وتفصيل للقرآن:

إما بتقييد المطلق.

وإما بتخصيص العام.

وإما بزيادة حكم من الأحكام.

وإما بإخراج فرد من أفراد ما يدخل في عموم النص.

وبهذا بين ﷺ بالمناسبة، إما بحسب السؤال، وإما بالمناسبة التي كانت فيها، ودعت الحاجة أن بينها - عليه الصلاة والسلام -، وإما أن يكلفه الله - عز وجل - أن يبلغ الناس شيئاً، فكانت حياته ﷺ كلها تبييناً للقرآن بأقواله، وأفعاله، وأحواله، وتقريراته لما فعل بحضرته موافقاً لما جاء به، وإنكاره لما حدث بحضرته مخالفاً ما جاء به، وبيانه وجه الصواب فيه.

كل مدة النبي ﷺ في قومه في الأمة، بعد أن بعثه الله - عز وجل - إلى أن توفاه، كلها بياناً للقرآن، ولهذا قال الصحابة - رضي الله عنهم -: "توفي النبي - صلى الله عليه وسلم - وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وعنده منه خبر".

يكفي قول الله - عز وجل -: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا

بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿٦٧﴾ [المائدة: ٦٧].

فلهذا ينبغي لنا أن نعي هذا المعنى، وأن نتدبر هذا القرآن، فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وهو بيان، فتجد بيان صفات المتقين، صفات المؤمنين، صفات المحسنين، صفات الكافرين، صفات المشركين، صفات المنافقين، وفي نفس الوقت آيات أخرى تبين ما أجمل في الآيات التي قبلها، والسنة جاءت تبين القرآن.

وجمع أهل العلم التفسير الذي يبين معاني القرآن، وصار بإمكان الإنسان ألا يتجاوز ثلاث آيات من القرآن، حتى يتعلم ما فيها من العلم والعمل، وهذا ميسر الآن مقروءاً ومسموعاً، ليس للناس حجة، وليس لهم عذر، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ

وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ [الزخرف: ٤٤]، ﴿وَلَعَلَّكُمْ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: ٨٨].

وللحديث صلة إن شاء الله.

والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.



فضل صلاة الجماعة

فأول ما يُنظر من العمل الصلاة، فإن وجدت نُظِرَ فيه، وإن لم توجد رُدَّتْ، ورُدَّ سائر عمله، ثم يُنظر في الصلاة، فإن كانت تامة كُتِبَتْ تامة، وإن كانت ناقصة قال الله تعالى للملائكة -عليهم السلام-: «**انظروا هل لعبدي من نوافل؟ فيتم بها ما انتقص من فريضته**»، ثم يُسار بعمله على هذا النحو.

وجاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أنَّ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَيَّ صَلَاةِ الْفَرْدِ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**»، وفي حديث آخر: «**بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ**»، ولا منافاة، فإنه ذكر للنبي -صلى الله عليه وسلم- خمس وعشرين أولاً ثم زيد وصارت سبع وعشري. كمال الأجر في الصلاة، وعظم المثوبة عليها ينبي على الإتيان بما ينبغي له من السنن القبلية والبعديّة، ومن كفيات الأداء، ومن تحقيق الخشوع، إلى غير ذلك، ومن الصلاة مع الجماعة، وفي المسجد، واستكمال الخطى.

فبكمال هذه الأمور يكمل حظ العبد من الصلاة، وينقصها ينقص، فما ظلمه الله، ولذا قال ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «**الصَّلَاةُ مِكْيَالٌ**» يعني مثل الصاع «**فَمَنْ وَفَى وَفَى اللهُ لَهُ، وَمَنْ طَفَّفَ**» يعني نقص وبخس «**فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الْمُطَفِّينَ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ﴾ [المطففين: ١]**»

هذه الصلاة لها أمور تجب مراعاتها، فمن ذلك:

أن الإنسان إذا سمع النداء للصلاة، يتوضأ في المكان الذي هو فيه، سواء في البيت، أو خارج البيت، ويأتي إلى المسجد طاهراً، فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكون هو وأصحابه في المجلس، فإذا أذن للصلاة قاموا يلتمسون الماء، وأخبر -عليه الصلاة والسلام- «**أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيتَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ**».

فإذن من كمال الأجر في الصلاة أن تتوضأ من المكان الذي أذن وأنت فيه، وتأتي طاهراً

لماذا؟

لأن المشي إلى الصلاة مع الطهارة صلاة، كأن أحدكم في صلاته وهو يعمد إلى الصلاة، كما أن انتظار الصلاة صلاة.

● **فإذن هذا الأمر الأول:** أن يتوضأ في المكان الذي أذن وهو فيه، وأن يمشي كامل خطواته وهو على طهارة، فإذا قال: أنا أتوضأ من دورة مياه المسجد، معناه أنه ضيع الطريق هذا وصار أجره ناقصاً، فحسر هذا الأجر، وهو بإمكانه تلاقيه وتداركه كما ذكرنا في الدرس الماضي.

● **الأمر الثاني:** أن يتخلى عن الروائح المؤذية، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى من أكل الثوم والبصل أن يقرب من المصلي، وكان إذا وجد الريح من الرجل وهو في المسجد -رائحة الثوم والبصل- يُخرج إلى البقيع، يخرج من المسجد ويفوت صلاة الجماعة، وهكذا الروائح الأخرى كالكراث، وهكذا الروائح الثانية روائح الزيوت، وشحوم السيارات، والبنزين وغير ذلك، ومثله من ابتلي برائحة الصنمان الذي يؤدي من حوله، كل هذا معذور ما يأتي للجماعة، ولا يحل له أن يتعاطى شيء من هذه الروائح من أجل أن يتأخر عن الجماعة، لا يجوز له.

● كذلك يلبس أحسن ثيابه، بعض الناس يجي بثياب النوم، وبعض الناس يجي بثياب العمل، وابن عمر -رضي الله عنهما- رأى رجلاً يصلي حاسر الرأس (ما على رأسه شيء)، فقال: **«يَا هَذَا لَوْ أَنَّكَ ضَيْفٌ، أَكُنْتَ تَفْتَحُ لَهُ وَأَنْتَ هَكَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ:**

فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَجَمَّلَ لَهُ» وَقَدْ قَالَ اللَّهُ -جل وعلا-: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًّا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ

مَسْجِدٍ ﴿٣١﴾ [الأعراف: ٣١].

من الزينة الظاهرة، زينة الثياب، نظافة الثياب، المراد النظافة، فهذا أيضا من الآداب التي تراعى.

المرأة ما تلبس الثياب اللي فيها شهرة، ثياب الزينة لمناسبات الحريم والأفراح، ما تلبسها في المسجد، إذا خرجت من البيت ما تلبس هذا، يخرجن تفلات يعني تخرج بثياب المطبخ، ولا ثياب البيت، ما تتجمل للخروج للمسجد، لأنها منهية عن ذلك بعكس الرجل، فالرجل يلبس الزينة، يأخذ الزينة، وأول الزينة ستر الواجب، ستر العورة، ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًّا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿٣١﴾ [الأعراف: ٣١]، فهذا أيضا من أمور الصلاة.

• من الأمور الثانية في الصلاة بإضافة أنه في الطريق للمجيء إلى الصلاة يأتي بسكينة ووقار، يعني بهدوء، وخشوع، وطمأنينة، ولا يلتفت، ولا يضحك، لأنه في عبادة وفي صلاة، وأن أحدكم في صلاته حين يعمد إلى الصلاة.

كذلك يشتغل بالأذكار المشروعة، فإذا خرج من بيته يقول: «بِسْمِ اللَّهِ حَرَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ وَلِجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبَّنَا تَوَكَّلْنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَخْرَجِ، وَخَيْرَ الْمَوْلِجِ»، يقول: «بِسْمِ اللَّهِ، آمَنْتُ بِاللَّهِ، اعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ أَنَا إِلَيْكَ، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا رِيَاءَ وَلَا سُمْعَةً، خَرَجْتُ طَلَبًا لِرِضَاكَ وَالْجَنَّةِ، وَاتَّقَاءَ سَخَطِكَ وَالنَّارِ، أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، هذا من الذكر المشروع في الذهاب للمسجد.

لا يتحدث في أمور الدنيا، في الذهاب للمسجد لا يتحدث في أمور الشراء والبيع والأسعار وغير ذلك.

وفي الفجر خاصة يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا» إلى آخر الحديث، فإذا وصل المسجد يقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ويقدم رجله اليمنى في الدخول، ويقول: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، فهذا أيضا من الأمور الصلاة التي ينبغي مراعاته أن تؤخذ ويستكمل الأجر بها.

• إذا دخل المسجد ينظر إن وجد مكان وراء الإمام فيذهب، يبادر إليه، لقول

النبي ﷺ: «تَقَدَّمُوا بِي»، أي تقدموا فائتموا بي، ولقوله ﷺ: «لِيَلِينِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ» أي الرجال الكبار البالغين، أهل العقل، والمروءة، والشرف، والديانة، والصيانة.

فالصف في الصلاة يبدأ من وراء الإمام، ما هو يبدأ من الأطراف، ومن الأعمدة مثلما يفعل بعض الناس، لأ، من وراء الإمام.

ثم يرجح جانب اليمين يمين الصف، لقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مِيَامِنِ الصُّفُوفِ»، ولقول حذيفة - رضي الله عنه - : «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبَلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: «رَبِّي قَنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبَعَتْ عِبَادَكَ» أو قال: «تَجْمَعُ عِبَادَكَ»، فإذا طال اليمين يعني ازداد عن النصف أو كذا يكون اليسار أفضل، فالأفضل وراء الإمام، بعده يمين الصف ما لم يطل، بعده يسار الصف كذلك، فإذا تم الصف فأيمينه أفضل من أيسره، ولا يقال: يبدأ في الصف الثاني إلا إذا كمل الصف الأول بالطول

المعتاد في صفوف المساجد، أما إذا كان في صفوف العيد الصف الأول يكون كيلو مثلاً أو هكذا، فهذا ما هو عبء؛ لأن العبء أنك تقتدي بالإمام، وتسمع صوت الإمام، وتقتدي به، فيبدأ الصف الثاني مثل الأول، من وراء الإمام، وهكذا، والثالث والرابع والعاشر.

وقال ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ، لَأَسْتَهْمُوا» يعني بالقرعة لفضله، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «أَلَا تَصِفُّونَ كَمَا تَصِفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَصِفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: يَتَمُّونَ الصَّفِّ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»، فلا يترك في الصف فُرج، ولا يتقدم الصبيان يكون هم اللي وراء الإمام، فينبغي أن تراعى هذه الأمور، هذا من أدب الصلاة، ومن حق الصلاة، ومن تعظيم الصلاة، وإذا هان قدر الصلاة على المسلم، دل ذلك على هونه على الله -عز وجل- بحسب ذلك.

فإذا أردت أن تعرف قدرك عند الله - سبحانه وتعالى -، فاعرف قدر الصلاة عندك، بكلياتها وجزئياتها، بأركانها وواجباتها، وسننها، ومستحباتها، وغير ذلك.

● يكون انتظار الصلاة أيضاً، الصلاة، فإن أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة هي تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة، والملائكة يصلون على أحدكم يعني على منتظر الصلاة، ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه، يقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لم يؤذي فيه، ما لم يحدث فيه، ما لم يعبث، ما لم يسيء، ما لم يتكلم في أمور الدنيا، أو ينتقض وضوؤه، فهذه أيضاً انتظار الصلاة من أسباب الخشوع في الصلاة، كلما طال انتظار الصلاة كان هذا أدعى للطمأنينة في الصلاة، ولذا تجدون المبكرين هم آخر من يخرج من المسجد، والمتأخرين هم أول من يخرج، ما أخذوا حظهم، فهذه من الأمور التي تنبغي مراعاتها في أمر الصلاة.

لو جاء وهو مسبوق؛ يعني جاء بعد إقامة الصلاة، وسمع الإمام يكبر للركوع، لا يجوز الإسراع، لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ، فَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعُونَ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فاقْضُوا»** وفي رواية **«فَأْتِمُوا»**.

ولمَّا ركع بعض الصحابة وراء الصف حرصًا على إدراك الركعة، قال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«زَادَكَ اللهُ حِرْصًا وَلَا تَعُدْ»**، لا تفعل مرة ثانية هذا.

فالحريص على الصلاة يبكر، لكن تسيئ وتسوي جلبة وإزعاج للإمام والمصلين فهذا من أمور الجاهلية، هذا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، فالإنسان يكون على طمأنينة.

ما أدركه مع الإمام من الصلاة هو أول صلاته، وما بقي يكمله بعد تسليم الإمام، بمعنى إذا دخل مع الإمام في الركعة الثالثة، فهي في حقه الأولى، ويستفاد من هذا أنه يقرأ الفاتحة وما تيسر من القرآن، لأنها في حقه الأولى، وفي الرابعة مع الإمام هو يقرأ ما تيسر من القرآن لأنه مسبوق، والرابعة في حقه الثانية، وهكذا، فما أدركه مع الإمام هو أول صلاته، لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا»**، وفُسِّرَت فاقضوا بمعنى أتموا، فإن رواة **«أْتِمُوا»** أفضل وأكثر عددًا.

هنا فيه مشكلة الآن: بعض الناس وخصوصا الشباب المتأخرين، العمال اللي لا يفقهون في الدين، إذا جاء والإمام قد صلى ركعة، هو يصلي ركعة ثم يدخل مع الإمام، هذا غلط، صلاته باطلة، لا يقبلها الله منه، لا صرفًا ولا عدلاً.

النساء بلغني عنهن الآن في المسجد هذا نفس الشيء، إذا جاءت والإمام قد صلى الصلاة، صلت ما فاتها من الصلاة، ثم دخلت مع الإمام، وهذه الصلاة باطلة، ومن فعلت

هذا تعيد صلاتها ولو هي مئة صلاة، لأنها صلت على غير وجهها الشرعي، وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ».

أيضا النساء عندها مشكلات :

الواحدة تخرج من بيتها تريد ما عند الله، تصلي التراويح، «مَنْ صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»، تخرج متعطرة، تخرج مع السائق بدون محرم، تخرج عليها عباءة مخصرة، وتصلي بالبنطال، وهي جنازة مزودة في كفنها قطعتين عن الرجل، الرجل يكفن في ثلاث قطع، والمرأة في خمس، أترونها محترمة ومعظمة وهي ميتة وليست محترمة وهي حية؟! الفتنة في الموت ولا في الحياة!؟

طيب في الصلاة أعظم الاحترام، كونها تصلي بالبنطال، فيه تشبه بالكفار، وفيه ضيق، وربما تنحسر عنها العبادة، وربما يكون كذا، وربما كذا، فهذا أمر منكر، لا شك أنه منكر، والتي تريد ما عند الله بهذه الطريقة نقول لها: اجلسي في بيتك، فإن صلاتك في بيتك أفضل من صلاتك في المسجد، وصلاتك في مخدعك في غرفة النوم أفضل من البيت أيضا، أما تكون الأمور مظهرة بهذا الشكل ضرب بأحكام الشرع، وأحكام الصلاة عرض الحائط ومع الخير أيش أقرأ، نصلي وهنا بس.

هذه مثل ما قال الشاعر في المثل:

أمطعمة الأيتام من كسب فرجها كفى بك لوًا لا تزني ولا تصدقي

نقول لهذه: اجلسي في البيت أستر لك، ويش رحتي للمسجد، هذا منكر، هذا ضرر، هذه قدوة سيئة، الآن البنات الصغار تتعلم منك، عجائز بالخمسين والستين يصلوا بالبنطال، وبالعباءات المفصلة، وبروائح الطيب، ما يمر الإنسان عند باب المسجد مدخل الحريم من الطيب، وأبو هريرة -رضي الله عنه- لما سمع أو رأى المرأة اللي تطيب، قال أن النبي -

صلى الله عليه وسلم - قال: أنها كذا وكذا، يعني زانية، أيتقرب إلى الله بالطيب من النساء؟
عند المسجد وعنده في الشارع؟!

يا إخوان ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ ﴿٦﴾

[التحريم: ٦]

، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤]، فيكون التهاون بأحكام الشرع ،

وأحكام الصلاة بهذه الطريقة! فترى الناس يكسبون من الآثام والأوزار أعظم بأضعاف مضاعفة ما يرجون من الأجور والحسنات، وأمور كثيرة يحتاج بسطها إلى وقت، لعل الله أن ييسر الوقت.



آداب الإسلام
في
سورة الحجرات
الجزء الأول

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن سورة الحجرات من السور المدنية، المشتملة على أحكام حكيمة، وآداب عظيمة، أدب الله - جل وعلا - بها أهل الإسلام، وهذب بها سلوكهم، وكمل بها عبادتهم، وألزمهم بها بالتطبيق العملي بسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم -، وخلقه، وهديه، فجدير بالمؤمن قارئ القرآن أن يقف عند كل آية منها، وأن يزن نفسه بموازينها، حتى يتبين له صدق إيمانه، وكمال إيمانه، وحسن إيمانه من ضد ذلك.

يقول الله - جل وعلا - : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ [الحجرات: ١]، كلكم

تقرؤون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١] خطاب محبب، يخاطب الله - عز وجل -

الناس بأحب صفة إليهم وهي الإيمان، وهو بهذا يستجيش همهم، ويقوي عزائمهم، للإنصات، والإصغاء، لما يسيرك عليهم من أجل أن يقبلوه، ويفهموه على وجهه، ويعملوا به، ويحققوه تطبيقاً بالعلم والعمل.

﴿لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ﴾ [الحجرات: ١].

أيش معنى ﴿لَا نُقَدِّمُوا﴾ [الحجرات: ١]؟

يعني لا تقولوا في دين الله - عز وجل - بقول حتى تعلموا قول الله، وقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - في هذا الأمر الذي ستتكلمون فيه، فلا تتكلمون في دين الله بالخرص، والظن، والتخمين، ولكن اعملوا حكم الله في المسألة محل البحث أو الحادثة، وقولوا بما يوافق قول الله - جل وعلا -، وقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - ﴿لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ

﴿١﴾ **وَرَسُولِهِ** [الحجرات: ١]، كما قال - سبحانه وتعالى - في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا

تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴿١١٦﴾ [النحل: ١١٦]، يعني من غير بينة، لا

تقولوا حلالا من غير بينة، ولا تقولوا حرام من غير بينة، فاجعلوا قولكم تبعا لبينة، والله - عز

وجل - جعل القرآن كله بينات، وكلام النبي - صلى الله عليه وسلم - كله بيان في القرآن، فلا

تقولوا في دين الله، ولا تقولوا على الله إلا بإذن ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾

[الأنعام: ١٤٣]، هاتوا برهانكم.

﴿١﴾ **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ** ﴿١١٦﴾ [النحل: ١١٦]،

يعني إذا قلت هذا حلال وهذا حرام بغير علم فأنتم كاذبون، مفترتون على الله، ﴿لِنَفْتَرُوا عَلَى

اللَّهِ الْكُذِبَ ﴿١١٦﴾ [النحل: ١١٦] فهذا شيء خطير جدا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ

لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ [يونس: ٦٩]. لا يفلحون أبدا؛ لأن الله - عز وجل - نفى عنهم الفلاح،

والفلاح هو الفوز بكل محبوب مرغوب، بتحصيل كل محبوب مرغوب، والسلامة من كل

مكروه مرهوب، وإذا نفى الله الفلاح معناه الشقاء، والخسارة، والبؤس يوم القيامة، وهذا

يدل على خطورة القول على الله - عز وجل -، وفي دينه بغير علم؛ لأنه تشريع، إذا قلت على

الله بغير علم فقد شرعت للناس، ونازعت الله فيما هو من خصائصه، والنبي - صلى الله عليه

وسلم - مبلغ فقط، النبي ما يشرع - عليه الصلاة والسلام - يبلغ فقط، ويقول: هذا حكم الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ [يونس: ٦٩]، ولو أعطاهم الله

الصحة، ولو أعطاهم الله المال، ولو أعطاهم الله القبول من الناس في الكلام، ولو أعطاهم الله

الجاه، فإن الأمد قصير محدود، له أجل ستنتهي إليه، ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

[النحل: ١١٧]، ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيَلْهَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ [الحجر: ٣]

وإذا رأيت الآن المهاترات الكلامية في الإنترنت، وفي الصحف، والكلام، والخطب في دين الله - جل وعلا-، عرفت خطورة الآية هذه، وعرفت الحكمة من تنزيل هذه الآية، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَانْقُوا اللَّهَ ۝١﴾ [الحجرات: ١] خافوا الله، اخشوا الله، فإن الله فوقكم، فإنه يراكم، ويسمع سركم ونجواكم، فراقبوه وخافوه، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ انْقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدَ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۝٣٣﴾ [لقمان: ٣٣].

ولهذا قال: ﴿وَانْقُوا اللَّهَ ۝١﴾ [الحجرات: ١] ، خافوا الله، اخشوا الله قبل أن تتكلمون، ولذا جعل اللسان بين فكين، عشان ما يتحرك إلا برخصة من العقل، والقلب، فإذا كان الكلام في الصالح يتكلم، وإذا كان ما هو بصالح لا يتكلم.

ولذا قال -صلى الله عليه وسلم-: «وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»، لما قال له معاذ -رضي الله عنه-: "يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟ قال: «تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ» أو قال: «عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ»؛ يعني من يضمن لي لسانه ما يتكلم إلا بحق، أو بغير باطل، ويضمن لي فرجه، «أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ».

ويش معناه الضمان؟

يعني معناه أن الثمن كبير جدًا؛ لأن الخطورة كبيرة أيضًا وتحتاج مجاهدة.

كان ابن عباس -رضي الله عنهما- يؤخذ بلسان نفسه، ويقول: "يا هذا، قل خيرا تغنم، ولا اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم"، جاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كُلُّ كَلَامٍ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ وَمَا وَالَاهُ».

﴿لَا تُفَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾ [الحجرات: ١] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾ [الحجرات: ١] راقبوا

الله، لماذا؟

لأن مردكم إلى الله؛ ولأن ما تنفوهون به سيكتب عليكم، مسجل عليكم، وأنتم تنسون، وهو يبقى في السجل عند الملائكة، وينشر يوم القيامة، ﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَهُ طَيْرَةٌ فِي عُنُقِهِ ۗ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۚ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۚ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ ۗ وَزَرَّ أُخْرَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١٣: ١٥].

أيش معنى ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ ۗ وَزَرَّ أُخْرَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١٥]؟

يعني لا تحمل نفس ذنب غيرها، كل نفس تحمل ذنبها هي، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۚ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقد بعث الله الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأنزل الكتاب.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾ [الحجرات: ١] ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۚ﴾ [الحجرات: ١].

ليش ما قال غفور رحيم؟ ليش ما قال علي حكيم؟

لأن المسألة تتعلق بالأقوال، وتتعلق بالنيات بالمقاصد، فالله تعالى يسمع أقوالكم، ويرى أحوالكم، ويعلم نياتكم وما اشتملت عليه ضمائركم.

أيش الدافع للقول؟ إثبات الموقف؟ الممارسة والمباهاة؟ المجادلة؟ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق؟ التعصب؟

لا، فإذن ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۚ﴾ [الحجرات: ١] فلا تقولوا في دين الله بشيء حتى تعلموا قول الله - جل وعلا - في هذا الشيء، وهدى نبيه - صلى الله عليه وسلم - في هذا الشيء، فقولوا بقول الله تعالى، وقول رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ولا تكلفوا أنفسكم، أدب عظيم جدًا.

﴿لَا تُفَدِّمُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] لا تقولوا في دين الله وعلى الله بغير علم، لا تقولوا حتى تعلموا قول الله تعالى، وقول رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولا تقولوا وأنتم تعلمون قول الله تعالى، وقول رسوله -صلى الله عليه وسلم- إلا بنية الإصلاح، وبنية إظهار الحق، وبنية رد الباطل، فإنه متعلق بالنيات، والله تعالى مطلع على الضمائر والنيات، ويعلم كل الغيبات.

﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ① ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ ② [الحجرات: ١: ٢]، فإن رفعتم أصواتكم وجهرتم، فأنتم على خطر أن تحبط أعمالكم ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ③ [الحجرات: ٢].

فإذا التقدّم بين يدي الله ورسوله هذا تعدي على حق الله -عز وجل- في التشريع، التعدي على حق الله في التشريع ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾ ① [الحجرات: ١].

ورفع الصوت على النبي -صلى الله عليه وسلم-، والجهر له بالقول، تعدي على حق النبي -صلى الله عليه وسلم- بالبلاغ، ومن ذلك إذا قرأ الحديث فأنصت واسكت، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ④ [الأعراف: ٢٠٤]، وهكذا لو كنت بحضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتكلم، لا تنازعه، لا تتكلم وهو يتكلم.

وهكذا إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ، استمع، أصغ، تأدب، لا تبادر، حتى لو عندك سؤال انتظر حتى يفرغ من الحديث، ثم اسأل المتحدث من أهل العلم.

ومن ذلك إذا كنت عند حجرة النبي ﷺ، فلا ترفع صوتك، حتى بالسلام على النبي ﷺ، تكلم سلم عليه بسلام منخفض.

﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ﴾ [الحجرات: ٢] عند خطابه،
 ﴿بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢] يعني من أجل ألا
 تحبط أعمالكم؛ لأنكم إذا رفعت صوتكم وجهرتم، حبطت أعمالكم لسوء الأدب مع
 الرسول ﷺ.

انظروا كيف التطبيق.

كان رجلاً عند رسول الله ﷺ من أصحابه، وكان جهوري الصوت خلقة، فلما سمع
 الآيتين ذهب لزم بيته، ما يصلي الجماعة، ما يصلي مع الجماعة ما يطلع، فسأل النبي ﷺ عنه
 هل هو مريض ولا لا؟ لأنه من عادة النبي ﷺ وأصحابه إذا فقدوا الرجل ثلاثة أيام سألوا
 عنه، حفوا عنه حق، جارهم، أخوهم في الله، فإن كان مريضاً عادوه، زيارة المريض،
 يطمئنونه، ويواسونه، ويدعون له، ويظهرون حزنهم عليه، ومحبتهم له ويواسونه، وإن كان
 مسافراً حفظوه في أهله.

اجتمع ثلاثة، خمسة من الناس، وقالوا: والله فلان غائب مسافر، أهله لا بد يكون لهم
 حاجة، من يذهب إليهم؟ واحد يرسل زوجته، واحد من محارم الزوجة يرسلونه، واحد من
 الجيران اللي لهم خصوصية يروح هو ويأ أهله، يا آل فلان هل لكم حاجة؟ تبون شيء من
 السوق، تبون كذا، تبون ماء، تبون كذا، حاجاتهم المعتادة؟ فيقومون بالواجب نحو أخيهم،
 ويخلفونه في أهله بخير، هذا أدب الإسلام.

إذا لم تكن لا هذه ولا هذه، أسأؤوا به الظن، كيف تخلف عن الجماعة هذه المدة؟ ما
 يتخلف عن الجماعة كما قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «إِلَّا مُنَافِقٌ قَدْ عَلِمَ نِفَاقَهُ أَوْ
 مَرِيضٌ»، ثم استدرك أيضاً، لا تفهمون صاحب الزكام يتأخر على المسجد، لا، قال: «وإن
 كَانَ الْمَرِيضُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»، وهو مريض، ما كل مرض

يمنع المسجد، وأسوتهم ﷺ جيء به يهادى بين العباس وعلي -رضي الله عنهما- معصوب الرأس، تخط رجلاه الأرض ما يعتمد على رجله من وهن المرض، ومع ذلك جيء به إلى المسجد، وما شاء الله الآن مجرد زكام ولا حر الشمس الظهر ولا شيء ما يجي إلى المسجد، وهو من أهل الروضة، يترك اللي الطيشان، لا، من أهل الروضة، وهو أراه عنده زكام، مزكوم أخاف أعدي الناس، تعدي الناس في المسجد وأنت تروح للتجارة والمكتب؟! تكذب على الله!

فالمهم أنهم يسألون عنه، إذا كان إنه ما يصلي بالمسجد فمعناه أنه أسأؤوا به الظن، ما يسيئون به الظن يتهمونه كذا، لا، يشفقون عليه، يخافون أن يكون قد نافق، مع أن المنافقين في زمانهم يصلون الظهر والعصر والمغرب، أشكل ما عندهم الفجر والعشاء لأنها ظلمة، وما فيه لمبات، ولا كهرباء، يكون الواحد ما يدرون عنه الناس، لو فيه كهرباء لصلى، المنافق في زماننا لا، ما يصلون حتى الظهر، أعجبوا لهذا! وهذا خطير ترى يا جماعة.

فإذن النبي ﷺ سأل عن هذا الرجل، ثابت بن قيس بن شماس -رضي الله عنه- كان هو خطيب النبي ﷺ ما هو بسهل، خطيب مصقع، أرسل له النبي ﷺ رجلاً يشوفون ويش حال الرجل في البيت، فقال: لا أنا ما بي بأس، لكني سمعت الله تعالى يقول كذا: ﴿وَأَنقُوا لِلَّهِ إِنَّا لِلَّهِ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ

بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ۝٢﴾ [الحجرات ١: ٢] كحديث بعضكم مع بعض، هذا كبير في حق النبي

ﷺ، وأنا رجل جهوري الصوت، فخشيت أن يحبط عملي، وأصير من أهل النار، أو قال:

إني من أهل النار يقول عن نفسه، ليش؟ قال: لأني جهوري الصوت، ورفعت صوتي عند النبي

ﷺ، فجاؤوا وأدوا الرسالة إلى النبي ﷺ: والله فلان في البيت يبكي على نفسه، يقول: أني أنا

جهوري الصوت، ورفعت صوتي على النبي ﷺ، فأنا في النار، ما أروح برة، ما أخرج من البيت حتى أعرف ويش أنا حالي.

فإذا بالوحي ينزل، فقال النبي ﷺ: «بشروه»، أو قال: «أخبروه أنه من أهل الجنة»، فبشّر بالجنة وهو يمشي على الأرض، لا فيه مرض ولا فيه شيء، لحسن أدبه مع الله ورسوله. انظروا كيف، انظروا الآيات كيف تعمل بالناس، الآن الواحد يقرأ القرآن من أوله لآخره ما يتأثر، وهذا آيتين وقف عندها، ما وقف جلس، انحبس بالبيت، يقول: ما اطلع من البيت حتى أسمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- أيش حكمي؟ أيش وضعي يعني؟ أنا ما أستطيع، أنا خلقتي جهوري الصوت، فإن كنت ما دخلت للنار الآن، بأدخلها بكرة بسبب جهوريتي للصوت، فأخبره النبي ﷺ أنه معذور؛ لأنه ما أراد إساءة الأدب، هذه خلقتة.

فلذلك يا جماعة ينبغي للإنسان أنه يعقل، إذا مر بالآيات هذه يقف عندها، يا جماعة تفسير السعدي -رحمه الله- موجود عندكم هنا، آية واحدة تشكل عليك من القرآن، كله ما شاء الله تقرأه من أوله لآخره ما في آية تستوقفك! عجيب هذا يا جماعة، عجيب الفهم، قرآن كلام رب العالمين، رسالة ربانية مطولة، ثلاثين جزء، ومع ذلك ما في هذا المصحف آية تستوقفك! لا وعد، لا وعيد، لا خبر، لا أمر، لا نهي، لا قصص، كل هذا ما همك، ما جه على قلبك؟!

إذا اتهم نفسك، يصير القرآن على بعض القلوب مثل المطر الذي يضرب على إناء مكفي، وجهه إلى الأرض، «كالكوز مجخياً لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً»، هذا خطير، أي واحد منكم الآن يسأل نفسه كم ختمت من يوم دخل رمضان؟ واحدة، ثنتين، ثلاث؟ ما شاء الله بعض الإخوان ترى أنا أعرفهم يختمون كل ليلة بعد المغرب، ولا يقول واحد هذا هذر للقرآن، لا لا، الجزء يقرأ قراءة طيبة جدًا في نصف ساعة، واليوم أربعًا وعشرين ساعة، فيكفي وزيادة، أنا أعرف ناس في الصيف طول النهار يختمون الفجر، عشان تصلي عليهم

الملائكة من الفجر إلى المغرب، أذكاء، في الشتاء منشان طول الليل يختمون المغرب عشان
تصلي عليهم الملائكة من المغرب إلى الفجر، فأنت إذا كنت ختمت القرآن مرة واحدة -
كلكم بسألکم أنا الآن -، ما في آية من كلام الله استوقفتك؟ فاسألوا أنفسكم. والله أعلم.
وصلی الله وسلم وبارک علی نبینا محمد، وعلی آله وصحبه.



فَضْلُ الْإِكْتِثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ.

فإنَّ اللهَ - **تبارك وتعالى** - أمرَ بِذِكْرِهِ، والإِكْثَارِ من ذِكْرِهِ في سائرِ الأوقاتِ والأحوالِ، وفي خصوصِ من الأحوالِ والمناسباتِ؛ فقال - **جَلَّ وَعَلَا** -: ﴿ **وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وأخبر عن خاصَّةِ خلقِهِ أن يذكرون اللهَ قِيَامًا وقعودًا وعلى جُنُوبِهِمْ، وأثنى على الذاكرين ثناءً كثيرًا، ووعدهم أجرًا كبيرًا؛ فقال سبحانه: ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ورتَّبَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْفلاح** على الذِّكْرِ؛ فقال: ﴿ **وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾، بل إنَّه سبحانه يذكُرُ الذاكر إذا ذكَّره؛ كما قال تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** **وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال - **جَلَّ وَعَلَا** -: ﴿ **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا** **اللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا** ﴿٤١﴾ **وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب] يعني بعد الفجرِ والعصرِ، ثمَّ بينَ فوائد ذلك؛ فقال: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ** ﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ يعني هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: يذكركم في الملائكة الأعلَى على الوجهِ الثناءِ عليكم، والملائكة تسألُ ربها أن يذكركم مُثْنين عليكم وثمره ذلك؛ قال: ﴿ **لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ أي يرحمهم - **جَلَّ وَعَلَا** - والمؤمنون هم الذاكرون؛ وقال سبحانه: ﴿ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ** ﴾ [الأحزاب: ٤٤]؛ يعني يوم القيامة، يوم لقاء الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - تحيتهم سلامٌ يُسلِّمون على أنفسهم، وتُسلِّم عليهم الملائكة وأعظم من ذلك أن الله يُسلِّم عليهم ﴿ **سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ** ﴾ [يس: ٥٨]، ومن دعائهم: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، حينئذ يا ربنا بالسلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

فهذا كله من ثمرات ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - ذكر العبد لربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فلذا ينبغي للمسلم أن يُكثر الذكر فإنه ينال هذا الأجر العظيم، والثواب الكريم، ويُقبل عمله ويرفع، وترتفع درجته في الجنة، ويحرز من الشيطان، ويغفر الله له، ويفوز بمعية الله له التي مقتضاها الحفظ والكلاءة والتأييد والصيانة والستر، فينبغي للإنسان أن يُكثر من ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - في سائر أوقاته وأحيانه في المناسبات.

وما جاء به الشرع أن يذكر الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - به أو بعده حتى يكون الإنسان من الذاكرين الشاكرين، والله تعالى يقول عن العبد الذاكر: **«وأنا معه ما ذكرني وتحركت بي شفثاه»**، وإذا كان الله معك؛ فاسعد واطمئن، لأن الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - يُيسر لك الخير، ويصرف عنك الشر، ويُثيبك على يسير العمل فضلاً عن كثيره، ويغفر لك كبير الزلل فضلاً عن قليله.

فلذلك الإنسان يُعنى بذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، وذاكر الله يكون بالقلب؛ تعظيماً لله، وإجلالاً له، وخوفاً منه، وحباً له، وإنابةً إليه، وذلاً بين يديه، ويكون باللسان لهجاً بذكره ثناءً عليه بأسمائه الحسنى، وأوصافه العلى، وأفعاله الحكيمة، وأنعامه العظيمة يكون باللسان ويكون باليد والرجل بالجوارح يعني بمعنى أن الإنسان يفعل الطاعة، ويترك المعصية، ويتوب إلى الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - من الخطيئة، فإن الإنسان لا يفعل ذلك إلا وقد ذكر الله، فخافه ورجاه، وتقرب إليه بما يرضيه.

فيكون الذكر في سائر الأحوال، وهذا دين المسلم أنه لا يغفل قلبه عن ذكر الله، ولهذا الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - نهى نبيه: أن لا يجالس أهل الغفلة قال: **﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف: ٢٨] فجالس الذين يُعينونك على ذكر الله، وخير عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله، جعلني الله وإياكم منهم.

فالإنسان يتعلق بالله، ولن تتعلق بالله إلا بذكره، وهذا أمر مهم جداً، اجعل الله -عزَّ وجلَّ- على بالك في سائر أحوالك، فإنك إذا كنت كذلك حمّلك ذكر الله -عزَّ وجلَّ- على الإقبال على الطاعة والرغبة والاعتباط بها، والانكفاف عن المعصية، والانتقباض منها، والخوف من الله -عزَّ وجلَّ- أن يعاقبك وأنت عليها، فلهذا الإنسان يتحلى بذكر الله -جلَّ وعلا- على الدوام، وأشرف ذكر الله تعالى وأفضله؛ القرآن العظيم، لأنه أشرف الذكر، وهو ذو الذكر، يُذكر بالله -عزَّ وجلَّ- وبحقه على عباده، ويُذكر العبد بما يسعده، ويحضه عليه في عاجل أمره وآجله، ويُذكره بما يشقيه، ويزجره عنه، ويمنعه منه، فالقرآن العظيم أشرف الذكر، وهو كلام الله -جلَّ وعلا-، فضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، فلذلك الإنسان يتعود قراءة القرآن ويكثر منها كان السلف يُعنون بذلك، ويوصي بعضهم بعضاً بذلك حتى يقول قائلهم: «إذا ودّع صاحبه في السفر؛ قال: عليك بذكر الله؛ تلاوة القرآن، فإنني رأيت الحاجة تُقضى معه»، فإذا أردت أن تيسر أمرك؛ فعليك بتلاوة القرآن في ذهابك لحاجتك، وكان من عنايتهم للقرآن؛ أن بلغ الأمر إلى أنهم يقيسون المسافات والطرق بين القرى وبين الأبصار بأجزاء القرآن مما يدل على شدة تعلقهم به.

ثم يلي القرآن الأذكار الموظفة في وقتها؛ كأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم واليقظة، وأذكار الأكل والشرب والفراغ منه، وأذكار دخول الحمام والخروج منه، وأذكار دخول المسجد والخروج منه، ودخول المنزل والخروج منه، وأبلغ من ذلك الأذكار دُبر الصلوات المكتوبات أنك تهلل الله -عزَّ وجلَّ- ما شاء الله وبعد الفجر وبعد المغرب عشرًا تقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»؛ ثم

تقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» عشر مرات، بعد الفجر وبعد المغرب خاصّة، وما سواهم من الصلوات تقول ما تيسر لك، وبعد الفراغ من صلاة الفجر، والفراغ من صلاة العصر تقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» مائة مرة، وتقول: «**سبحان الله وبحمده**» مائة مرة، تستغفر الله -**عزّ وجلّ**- تقول: «**رب اغفر لي وتبّ عليّ إنّك أنت التّوّاب الغفور**» سبعين مرة، وإن قلت مائة مرة فهو أفضل.

المهم أنك تُعنى بكلّ ذكر في مكانه، فبعد الصلاة فوراً لا تأخذ المصحف تقرأ أول شيء تذكر الله -**عزّ وجلّ**- الذّكر المشروع، ثمّ تُسبّح ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً وثلاثين، وتكبر ثلاثاً وثلاثين، وتقول تمام المائة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»، وبعد ذلك تدعو ما تيسر، وبعد ذلك تأخذ المصحف وتقرأ، لكن ما تُقدّم قراءة القرآن على الذّكر بعد الصلاة المكتوبة، لأنّ هذا الذّكر مُكَمَّل للصلاة وصلة بها يجبرُ نقصها وكسرها، ويسدّ خللها، ويكَمِّل أجراها، وهكذا بعد الفجر وبعد العصر إذا فرغت من الصلاة، تقول: الذّكر المشروع في الصباح والمساء قبل قراءة القرآن، ما تفوت الشيء عن محله، فلذلك الإنسان يتعوّد هذا الشيء أنه يذكر الله -**عزّ وجلّ**- كما شرع الله - سبحانه وتعالى- وليس على هواك، ولا تُقلّد غيرك وأنت ما تدري هو على علم ولا لا، لا اتبع ﴿ **اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ [الأعراف: ٣]، ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب: ٢١] فهكذا ينبغي، هذا ذكّر الله - **عزّ وجلّ** -.

المهم لا تفوت الذّكر عن محله، وإن تخرج من المسجد أو تدخل لا يشغلك الحديث مع صاحبك عن ذكر الدخول والخروج من المسجد لأنك تُضَيِّع عليك فرصة إذا قلت بعد ذلك بزمن ما أفادك الذّكر كما يفيدك إذا قلت في مكانه، وهكذا قبل دخول الحمام وبعد الخروج منه تذكر الله الذّكر المشروع، وهكذا عند الدخول للمنزل تذكر الله الذّكر المشروع

تقول: «بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبَّنَا تَوَكَّلْنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ»، وإذا خرجت تقول: «بِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا وَبِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبَّنَا تَوَكَّلْنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَخْرَجِ وَخَيْرَ الْمَوْلَجِ» وهكذا.

المقصود أن كل ذكر بمناسبة الذكر عند النوم، عند اليقظة أول ما توضع على فراشك؛ اذكر الله الذكر المشروع عند النوم، وإذا قُمت من النوم استيقظت أول ما تحس بحياتك وعافيتك أذكر الله وأنت على الفراش لا تقوم حتى تفرغ من الذكر المشروع، لا تفوت الشيء عن وقته فذكر الله -عزَّ وجلَّ- في كل مقام بحسبه، وفي هذا المقام لا يقبل الله غيره، والشيطان يحاول أن يمنعك الذكر، فإذا عجز منعك الأفضل وأشغلك بالمفضول، وهذا من مكر الشيطان فتجده بعد الصلاة على طول يقول لك: أقرأ القرآن، ما هو هذا وقت قراءة القرآن هذا وقت الذكر بعد الصلاة ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]

فهكذا كل مناسبة لها ذكرها الخاص بها إذا هاجت الريح، عصفت الريح؛ تقول: «اللهم إني أسألك خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت أو أرسلت به، وأعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت أو أرسلت به»، سمعت الصواعق؛ تقول: «سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ» ما تفوت فكل شيء بمناسبة، فهذا ذكر الله.

فإذا أردت الفلاح، إذا أردت معية الله -عزَّ وجلَّ-، إذا أردت المغفرة والجنة، إذا أردت رفعة المقام في الآخرة؛ يقول النبي ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ -يعني: الجهاد في سبيل الله- فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بلى يا رسول الله،

قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ» أفضل من الجهاد، وأفضل من الصدقة، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ يعني أكبر من كل شيء، فما شرعت الصلاة، ولا الزكاة، ولا الصوم، ولا الحج، ولا الجهاد، ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا الدعوة إلى الله إلا لإقامة ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فذِكْرُ اللَّهِ أكبر من كل شيء ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ يعني ذِكْرُ اللَّهِ أكبر من هذه كلها.

فلذلك الإنسان يُعني بذكر الله، وذكر الله باللسان بمثابة الغسيل للقلب يُطهر القلب من دنسه، ويذهب سواده ويضيئه فإن ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- ضياءٌ في الوجه ونورٌ في القلب، وقوة على الطاعة، وحرزٌ من الشيطان، وعِصمة من المعصية، وأخذٌ بأسباب الأجر ورفعُ الدرجة في الدنيا والآخرة، وعونٌ على كل خير، ووقاية وعِصمة من كل شرٍّ، فهكذا ينبغي للإنسان فذِكْرُ اللَّهِ في كل مكان ومقام بحسبه، وأنت في مقامك أذكر ما هو واجب عليك ما هو حقُّ الله عليك في هذا المقام؟ تعود، عود نفسك أنك تسأل نفسك ما حقُّ الله عليك في هذا المقام، ولذا جاء عن النبي ﷺ قال: «ما من قوم يجلسون مجلسًا لا يذكرون الله تعالى فيه، ولا يصلون على نبيه إلا كان عليهم من الله ترة -يعني: نقص وخسارة- وقاموا عن مثل جيفة حمار» جيفة حمار متن وهكذا، قال ﷺ: «ما من أحد يضطجع مضطجعًا لا يذكر الله تعالى فيه إلا كان عليه من الله ترة» يعني: حسرة وندامة يوم القيامة، وهكذا ما من أحد يسلك طريقًا يذهب لحاجة ويرجع لا يذكر الله فيه إلا كان عليه من الله ترة حسرة وندامة يوم القيامة.

ففي كل مقام أذكر ما حقُّ الله عليك، أذكر الله، فإذا رأيت المنكر فذكر الله أن تنهى عنه، إذا رأيت التقصير في الواجب، أو الغفلة عن الصلاة، ذكر الله أن تأمر بذلك وهكذا في كل مقام، اسأل نفسك ما حقُّ الله عليك؟، وما هو ذِكْرُ اللَّهِ؟، ما هو الذي تذكر به الله -عَزَّ وَجَلَّ-

؟، فهو في كلِّ مقام بحسبه، وهذا يُهتدى إليه بواسطة الشرع أنك تعرف الأذكار المشروعة عند الدخول والخروج، والذهاب والإياب، والنزول والصعود وهكذا في كلِّ مقام، إذا ركبت السيارة في ذكر تقوله، إذا خرجت من المسجد في ذكر، لازم الإنسان يتعود، تأخذ لك أقرب مُختصر من كتب الأذكار، وتحفظ ما يتيسر لك على الأقل ذكر واحد في كل مناسبة، وميزة الأذكار أنها تتحول إلى عمل صالح بأنك تعتادها، وتعبّد الله بها، فيزداد عملك يكثر عملك كثرة عظيمة ما تتصورها، فلهذا الإنسان يحتاج أن يكون كتاب الأذكار في متناول يده، وخصوصاً عند وسادته في فراشه يكون قريب حتى أنه يقرأه وهو مضطجع، ويتحفظ ما يتيسر له كل يوم يحفظ جديد ويلتزم بالجديد هذا ذكر الله -عزَّ وجلَّ-.

فلما رتب الله -عزَّ وجلَّ- على ذكره الفلاح، والمغفرة، والجنة، والرفعة، وقبول العمل، وتكميل العمل، صار متعين على العاقل، ولذلك الله -عزَّ وجلَّ- ختم العبادات بالأذكار ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] هكذا الصلاة ختمها بالذكر، الجهاد ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، حتى وأنت في الجهاد في سبيل الله تذكر الله -عزَّ وجلَّ- ما يشغلك.

حدث علي رضي الله عنه أمير المؤمنين، أن فاطمة رضي الله عنها احتاجت خادماً يخدمها جارية، فذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تطلبه أن يعطيها جارية، فلم تجد النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم، ذكرت له عائشة رضي الله عنها حاجة فاطمة رضي الله عنها؛ يقول علي رضي الله عنه: فأتى إلينا النبي صلى الله عليه وسلم متى؟ بعد العشاء، وقد أخذنا مضاجعهما نام علي وزوجته فاطمة رضي الله عنهما في فراشهما، علي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم هي زوجة علي، قال: فجلس بيننا وأدخل رجله تحت لحافنا ثم قال: «ألا أنبئكم بما هو خير لكم من

الخدام»، قالوا: بلى، قال: «تُسَبِّحان الله؛ فإذا أويتما إلى فراشكما فتسبِّحان الله ثلاثاً وثلاثين؛ يعني قولوا: سبحان الله ثلاثة وثلاثين مرة، «وأحمداً الله ثلاثاً وثلاثين، وكبِّرا الله أربعاً وثلاثين يعني: تمام المئة، فذلكما خيرٌ لكما من خادم»، يعني ما يحصل لكما من الإعانة في الليلة واليوم الذي يليها على أمر دينكما ودنياكما خيرٌ لكم ما يحصل بإعانة الخادم، قال عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فما تركت ذلك، يعني: هذا الذكر في وقته عند النوم منذُ سمعته من النبي ﷺ، يعني: أبداً ولا ليلة واحدة، فقالوا: ولا ليلة صفيين؟ ليلة الحرب، قال: ولا ليلة صفيين.

ولذلك لأن النبي ﷺ قال في هذه الكلمات؛ قال: «أجرها كثير، ومن يعمل بهن قليل»، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟، قال: «يأتي الشيطان أحدكم فينومه» هذا من قديم، والآن جاء شيطان جديد عند الناس، جاء الجوال والإنترنت، يأخذه عند النوم ويتلهى فيه حتى يغلبه النوم ويكون كالجيفة -والعياذُ بالله-، ينام على غير ذكر ويقوم على غير ذكر، هذا حدثٌ جديد وخطرٌ عظيم أنه صار شغل للناس عن عبادة الله -عزَّ وجلَّ- حتى تجد من يجلس في المسجد ويلهو بهذا عن ما جاء له في المسجد، وهذا من كيِّد الشيطان، لأنه تعهد بإغواء بني آدم والتزيين لهم، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠].

فلا تكن ولياً من أولياء الشيطان لا تغفل؛ يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيَّتِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]؛ من غفل عن ذكر الله فهو من حِزْبِ الشيطان فهو الغافل الخاسر من لهي، وإذا كان اللاهي بالتجارة خاسر عن ذكر الله، فكيف باللاهي على غير ذلك؟ ما هو أدنى من ذلك؟ يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَأَنْلَهُكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْخَسِرُونَ ﴿ [المنافقون: ٩]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فالمطلوب أن الإنسان يُعنى بذكر الله، ويعرف أن ذكر الله هو الصلة بينك وبين الله -جَلَّ وَعَلَا-، وأنت إذا قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خير ما طلعت عليه الشمس، تصوّر ما في الدنيا من المتاع هذه الكلمات خير لك من الدنيا وما فيها، ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، أربع كلمات يطفن حول العرش، لهنّ دويّ كدويّ النحل، يُذكرن بصاحبهن، فكيف إذا قلت هذه الكلمة: سبحان الله، أو الحمد لله، أو لا إله إلا الله، أو الله أكبر مائة مرة؟ أكثر، إذا قلتها: ألف مرة أكثر بل أن هذه الكلمات تُبنى بها قصور الجنة، وتُغرس بها بساينها.

فلذلك ينبغي للإنسان أن يُعنى بذكر الله، وأن يكون مولعاً به، فخير عباد الله المُستهترون بذكر الله؛ المُستهترون معناها المولعون الذين يلهجون بذكر الله كما يلهج الطفل الصغير بذكر أبيه وأمه، والتفسير الثاني: أنهم هم الذين يستخفّ بهم الناس ويحتقرونهم يرمونهم بالوسواس؛ لكثرة ذكركم لله -عزَّ وجلَّ-، فكن من هؤلاء هذا هو أحب عباد الله إليه؛ المولع بذكره الذي إذا سكت عن الكلام مع الناس اشتغل بالذكر، ولا يتكلم مع الناس إلا بما فيه فائدة، لأنّ كلّ كلام بني آدم عليه لا له؛ إلا ذكر الله وما ولاه.

ينبغي للإنسان أن يُعنى بالذكر، ويُجدد علاقته بالأذكار، ويحفظ كلّ يوم ذكرين، ثلاثة ممّا جاء في القرآن العظيم، وفي السنة المُطهّرة حتى يزيد عمله لأنّ العُمُر ينقص فإذا لم تزد العمل اجتمع عليك نقص العمل ونقص العمر وتلقى الله وأنت غافل به حين غرة وغفلة لكن إذا تشبّث بالأذكار، عوضك الله -عزَّ وجلَّ-، ولذلك قال رجل للنبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مرني بشيءٍ أتشبّث به، قال: «عليك بذكر الله»، قال: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله» فهكذا.

وفقني الله وإياكم لما يُحِبُّه ويرضاه، وجعلنا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، وأعاننا على ذِكْرِهِ وشكره
وحُسْنِ عبادته، وتقبَّلَ حسناتنا، وكفَّرَ سيئاتنا، وأعظمَ مَثُوبَتنا، ورفعَ درجاتنا، وأجارنا من
النار، وأدخلنا الجنةَ مع الأخيارِ ووالدِّينا، ومشايخنا، وأزواجنا، وذُرِّيَّاتنا، وأحبابنا فيه، والله
أَعْلَمُ،

و صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



الإشارة
إلى
جُملة من خصائص وفضائل
شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أما بعد:
فقد جاءت أحاديث عن النبي ﷺ ما بين صحيحة وحسنة ودون ذلك تبين خصائص
شهر رمضان بما يسر قلب المسلم، وينشط همته، ويحمله على الجِدِّ والاجتهاد في صالح
العمل، فأول ذلك قوله ﷺ: «**وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ**»؛ يعني:
البخار الذي يظهر من معدة الصائم لجوعه يكون عند الله - **جَلَّ وَعَلَا** - أطيب من ريح
المسك؛ لأنه أثر عبادته، وإجهاد للنفس.

ومن ذلك: أن الملائكة - **عليهم السلام** - يستغفرون للصائم حتى يفطر، والملائكة -
عليهم السلام - خلق كرام ما ارتكبوا الآثام وما أكلوا الحرام، وكونهم يستغفرون لك نعمة
من الله - **جَلَّ وَعَلَا** - عليك، فالله تعالى ما أذن لهم أو كلفهم أن يستغفروا إلا ليغفر لك،
فجعل استغفارهم سبباً لمغفرته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لك، فكيف إذا انضم إلى ذلك استغفارك؟ .

كذلك: فإن الله تعالى عتق من النار كل ليلة من ليالي رمضان، ثم في آخر الشهر يُعتق
سبحانه من النار مثل ما أعتق من أول الشهر الى آخره، كذلك أن رمضان شهر إجابة الدعاء؛
فمعناه أن الإنسان مفتوحة له أبواب الإجابة في الليل والنهار، في أول النهار، في آخره، في حالة
الصوم، في حال الإفطار، في اليقظة وفي النوم، فالأبواب مفتوحة لإجابة الدعاء، ومن ذلك أن
العمل الصالح يُضاعف، فالنافلة مثل الفريضة في ثوابها، والفريضة تعدل سبعين فريضة في
غير رمضان، فإذا هو موسم تجارة مع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لن تبور، ولذا قال سبحانه: ﴿ **إِنَّ**

**الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً
لَّن تَبُورَ ۖ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ (٣٠)

[فاطر: ٣٠].

كذلك من الخصائص: أن فيه ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر العمل فيها خيرٌ من العمل في ألف شهر، وهكذا تنوع الخصائص حتى أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُنْشِطُ الصَّائِمِينَ عَلَى الْعَمَلِ، وَيُشْرِحُ صُدُورَهُمْ، فَلِذَلِكَ تُصَفِّدُ الشَّيَاطِينَ؛ يَعْنِي: عَنِ الصَّوَامِ، تُصَفِّدُ مُرَدَّةَ الْجَنِّ حَتَّى لَا تُغْوِيَهُمْ، وَتُغَلِّقُ أَبْوَابَ الْجَحِيمِ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ كُلِّ هَذَا مِنْ أَجْلِ شَرْحِ صُدُورِ الصَّائِمِينَ، وَإِعَانَتِهِمْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يَشْتَغَلُوا بِالتَّجَارَةِ الَّتِي لَنْ تَبُورَ، فَهَذِهِ خِصَائِلٌ عَظِيمَةٌ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَذَكَّرَهَا دَائِمًا وَيُحَمِّدُ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- عَلَيْهَا، وَأَنْ يَتَهَيَّأَ لِللَّيْلِ مِنْهَا أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا بِحُظٍّ وَافِرٍ، مَنْ يَمْنَعُكَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ؟ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّعَاءِ؟ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنَ الصَّدَقَةِ؟ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنَ الصَّلَاةِ؟ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنَ الذِّكْرِ؟ كُلُّ هَذَا يُضَاعَفُ لَكَ وَيُدْخِرُ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى قِيلَ: أَنَّهُ إِذَا صَارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمِظَالِمُ النَّفْسِ وَمِظَالِمُ الْخَلْقِ تَأْخُذُ مِنَ الْحَسَنَاتِ إِلَّا حَسَنَةَ الصِّيَامِ يَدْخِرُهَا اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لِلصَّائِمِ لَا تُنْقِصُ أَبَدًا، وَهَذِهِ غَنِيمَةٌ مِنْ غَنَائِمِ الدَّهْرِ.

فلا ينبغي أن يكون شهر رمضان كغيره من الشهور العاقل يغتنم الفرصة، كم نفس قبضت بعد رمضان الماضي؟ كم نفس تقبض في رمضان هذا؟ فخذ استعدادك وخذ حذرَكَ، واغتنم فرص الشهر حتى أنه جاء في الحديث: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَزِينُ جَنَّتَهُ فِي رَمَضَانَ، يَقُولُ: **يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمْ الْمُنُونَةَ وَالْأَذَى وَيَصِيرُوا إِلَيْكَ**»، يرتحلوا إلى الجنة ينقلوا من الدنيا إلى الجنة، فهذه نعمة عظيمة .

قيل للحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: ما بالنا نكره الموت؟ ، قال: لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم، فلا تحبوا أن تنتقلوا من العمار إلى الخراب؛ والمعنى اعمرُوا آخرتكم حتى تنتقلوا إليها.

فينبغي للإنسان يجتهد ما يدري متى يأتيه الأجل، وهذه فرص نادرة ما حصلت للأمم قبلنا، ولا سيما في وقتنا هذا في البلاد هذه الناس الآن ينامون في رمضان، ما عندهم تعب ولا عندهم شيء، قليل من يتعب، والتعب بحقه، متفرغون فينبغي أن يروا الله - عز وجل - من أنفسهم خيراً: تارةً في الذكر، وتارةً في الدعاء، وتارةً في تلاوة القرآن، وتارةً في التفقه في الأحكام، وتارةً في الصلاة، وتارةً في الصدقة، بحيث أن المسلم يضرب كل عمل صالح بسهم وافر، ولذا الصائمون يُدعون من باب الصيام، والمتصدقون يُدعون من باب الصدقة، والمصلون يُدعون من باب الصلاة، والمجاهدون يُدعون من باب الجهاد، كل عمل صالح له باب من أبواب الجنة .

ومن كان يساهم في كل باب دُعي من الأبواب يتخيل أن يدخل من أي أبواب الجنة شاء، أبواب الجنة ثمانية، فينبغي التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، والتناصح، وحفظ الوقت والانتفاع منه قدر الإمكان، أنتم تعرفون التجار ماذا يفعلون في مواسم التجارة؟ من الاجتهاد والجد والعمل والدعاية وكذا وكذا، أنت اليوم في موسم تجارة مع الله - عز وجل - ولا تدري ما نصيبك من هذا اليوم، من هذا الموسم ما تدري؟ الآجال بيد الله يسرى عليها ويراح.

وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه وجعلنا هداة مهتدين،،،



الحَضُّ عَلَى
الدُّعَاءِ بِشَهْرِ الصِّيَامِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد قال الله - **جَلَّ وَعَلَا** - في ثنایا آیات الصیام: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾
أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ جِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ،
 ففي هذا إخبار من الله - **جَلَّ وَعَلَا** - عن قربه من عباده عامة، وقربه من داعيه خاصة، وكان
 هذا جواباً على سؤال من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قالوا يا رسول الله: أقرب ربنا فنناجيه، يعني:
 همس بيننا وبينه، أم بعيد فنناديه؟ يعني برفع الصوت، فأنزل الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - جواباً على ذلك
 ﴿ **فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾ [البقرة: ١٨٦]، يعني ادعوا بيني وبينكم كما قال سبحانه: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ**
تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٥٥) **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا**
وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦] ، ﴿ **فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾ .

من ثمرات هذا القرب؛ الإجابة، إجابة الدعاء ﴿ **أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦]
 أحقق المطلوب، وأدفع المرهوب، وأغفر الذنوب، فهذا من كرمه وجوده
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ **أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ ، و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان يعني: منذ
 أن قال الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - ذلك إلى أن يأتي الله بأمره، متى ما دعا الداعي استجاب الله له؟ وهذا
 يدل على كرمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وجوده وأن أبواب خزائنه مفتوحة.

ولذا روي عن النبي ﷺ أن الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - لا يشرح صدر عبده للدعاء إلا وقد أذن له
 بالإجابة فشرح صدره ليعطيه، ومن فقه عمر أمير المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: « والله إنني لا
 أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فأنني إن ألهمت الدعاء، علمت أن الإجابة معه ».

فالله تعالى أخبر وهو أصدق المُخبرين بأنه قريب يُجيب دعوة الداعي إذا دعا، وقال في الآية الأخرى: ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال في الآية الثالثة: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٠] فأمر سبحانه بالدعاء، وأردف بالإجابة، ولم يجعل بينهما فاصلاً ولا حرف واحد، ما قال: وأستجيب أو سأستجيب، لا ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾، ولذا جاء عن النبي ﷺ: **إِنَّ الدَّاعِيَ لَللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -** بين ثلاثة أمور: إما أن يُجيب الله دعوته ويقضي حاجته كما طلب، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، وإما أن يدخرها الله له ليوم القيامة أحوج ما يكون إليها.

فإذن الدعاء مُستجاب في الجملة، وأمانة ذلك أن ينشرح صدرك للدعاء، ويذل لسانك بالدعاء، ويحصل منك الإقبال على الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - بالضراعة والسؤال ﴿ **قَرِيبٌ أَجِيبُ** **دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦] متى ما دعان؟ هذا المعنى، وقد قال ﷺ: « **خزائن الله مملأى ويدها سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض، أو لم ينقص مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر** ».

والأحاديث في هذا كثيرة الدالة على الإجابة، وفي الحديث القدسي الصحيح حديث أبي ذر المشهور خرجه مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيحه أن الله تعالى يقول: « **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ اللَّهُمَّ أَهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطَعْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ** » اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وأغننا بفضلك عن سواك، اللهم إنا نسألك العلم نافع، ورزقاً طيباً وواسع، وعملاً مُتقبلاً، فإذن ما عليك إلا الدعاء والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه الإجابة، وعد الله؛ لا يُخلف الله وعده.

ولهذا قال هنا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] يعني: يستجيبوا لي بأيش؟

مثل ما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] استجب لله؛ فادعوا الله، اسأل

الله، مثل ما قال: ﴿فَأَنقُوتِ﴾ [البقرة: ٤١] حقق التقوى، ومثل ما قال: ﴿وَأَطِيعُونَ﴾ التزم

بطاعة الله والاستقامة على شرعه، فهذا أمر مهم ينبغي التفطن له.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ يفلحون بطلبتهم

وتتقضى حاجتهم، وترفع شدتهم، ويغاثوا من لهفتهم، فالإنسان يسأل الله -عزَّ وجلَّ- من

خير الدنيا والآخرة، ولذلك الله -جلَّ وعلا- ضمنا كتابه العظيم أدعية عظيمة جامعة

لمطالب الدنيا والآخرة، من دعوات البلاء كالمقربين، ودعوات المرسلين ودعوات النبيين

-عليهم الصلاة والسلام-، ومن دعوات المؤمنين، فكل دعوة تمر بها تليق بحالك اسألها

الله -عزَّ وجلَّ-.

فإذا قرأت قول الله -جلَّ وعلا-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥] ادع بهذا؛ قل: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ إِنِّي تُبْتُ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥] قل: رب تقبل مني إنك أنت السميع العليم، «ربنا

اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات» قل هذا الدعاء، فهذا هو الاستجابة لله -جلَّ

وعلا-.

فجاءت أدعية عظيمة جامعة لمطالب الدنيا والآخرة في القرآن العظيم، حتى لا تقول: ها

ما أدري هو صحيح لا لا؟ هو ثابت لا لا؟، وجاءت أدعية عن النبي ﷺ والنبي بشر

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مثلنا إلا أنه يُوحى إليه، فهو يحس بالألم، ويحس بالراحة، ويحس بالجوع،

ويحس بالشعب، ويحس بكذا وكذا، فأدعيته تطابق لنا، أدعية مأثورة جامعة لمطالب الدنيا والآخرة، وهو أعرف ﷺ بالدعاء، وما ينبغي للدعاء، فلذلك ينبغي للإنسان أن يستفيد هذا، وما ذكرت الآية في معرض آيات الصيام إلا للتنبيه على شأن الدعاء وعلاقته بالصيام والقيام، وأن المسلم الصائم القائم يستجيب الله -عَزَّ وَجَلَّ- له لخصوصه، ولذا ذكر النبي ﷺ أن من الذين لا تُردُّ دعوتهم «الصائم حتى يُفطر»، والحديث الآخر: «حين يفطر»، فهذا هو استجابة الدعاء.

فلهذا ينبغي للإنسان أن يُعنى بشأن الدعاء في جميع أحواله، ولا يغفل لا تكن من الغافلين، فعند الطعام؛ أحمد الله وأشكره على ما رزقك، وعند الشراب كذلك، وعند النوم كذلك، وعند اليقظة كذلك، وفي الصلاة كذلك، قبل الصلاة وفي الصلاة وبعد الصلاة، وفي اجتماعك مع الناس، وفي افتراقك عن الناس، الزم الدعاء في جميع أحوالك، كل ما تحس به ويهمك شأنه، ادع الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يُيسر لك وأن يقضي لك حاجتك، وما تخافه وتكرهه وتحاذره أدعو الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يصرفه عنك وأن يعافيك منه، فلذلك هذا أمرٌ عظيم

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

[البقرة: ١٨٦]؛ فكون الآية هذه تذكّر بين آيات الصيام، وأحكام الصيام، تنبيه على علاقة الدعاء بالصيام والقيام، وعلى فضل الله -عَزَّ وَجَلَّ- على الصائمين القائمين، وعلى عموم فضله -جَلَّ وَعَلَا- على الداعين، حتى أنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يُجيب المُضْطَرَّ إذا دعاه ولو كان كافراً، فكيف بالمسلم؟.

والفرق بين المسلم والكافر أن المسلم يدعو الله -جَلَّ وَعَلَا- في كل أحيانه : ذاكراً، شاكراً، مُثْنِياً، متضرعاً، مُسْتَزِيداً من الفضل، مُسْتَغْفِراً من الذنب، طالباً العفو والعافية من البلياء والمصائب، ويدعو الله في جميع أحواله، أما الكافر فما يدعو الله إلا عند الاضطرار،

هذا هو الفرق، فلا يكون المسلم كالكافر تعرّف من الله في الرخاء يعرفك في الشدة ﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ** ﴾ [الصفات: ١٤٣] من الداعين، ﴿ **لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ (١٤٤) ﴿ **فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ** ﴾ (١٤٥) [الصفات: ١٤٥]، فدل ذلك على فضل الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - ورحمته على عباده، وأنه فتح خزائنه وأبواب فضله، وعرض جوده على الطالبين وعلى الذين لم يطلبوا فاضطروا أن يطلبوا.

فلا يليق بالمؤمن أن يعرض عن هذا، ويقرأ هذه الآيات قراءة عادية لا، قفّ عندها وتأمّل، وأعرض حالك على هذا الموضوع، وأنظر إلى صلتك وعلاقتك بالله - **جَلَّ وَعَلَا** -، حتى تستدرك ما قد تكون غفلت عنه، وتصحّح ما أخطأت فيه، وتغطبت بما أصبت فيه، وتدوم على جنسه هذا هو المطلوب .

وفقني الله وإياكم إلى ما يُحِبُّ ويرضاه، وجعلنا هداة مهتدين، والله أعلم.
وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّه مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه.



ليلة ٢٧

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإنه قد ثبت عن أبي بن كعب الصحابي الجليل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه كان يقسم بالله العظيم أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين (ليلة ٢٧)، وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ**، والإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ** هو أوسع الأئمة اطلاعًا على السنن والآثار؛ لأنه تلميذ إمامين؛ الشافعي، والشافعي تلميذ مالك، فعلمهما اجتمع عنده، وكان معاصرًا لأصحاب الإمام أبي حنيفة؛ كأبي يوسف وغيره فكان مذهبه في هذا أقرب وأحرى.

وإذا صادف ليلة جمعة مثل ما هو في هذه السنة ليس في العشر جمعة إلا هذه الليلة؛ وقد ثبت عن النبي ﷺ قال: **«إن في الليل ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه»**، وذلك كل ليلة، وفي الجمعة ساعة، في يوم الجمعة ساعة كذلك لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرًا إلا أعطاه إياه فهذا بين ساعتين؛ فالمؤمن الذي يدعى الله ﷻ يتحرى هاتين الساعتين ويصادف وقت النزول الإلهي إلى السماء الدنيا، فإن الله ﷻ ينزل على ما يليق بجلاله إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه إلى السماء الدنيا، ثم ينادي عباده: **«هل من سائل فأعطيه؟ ، هل من مُستغفر فأغفر له؟ ، هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى ينفجر الفجر»**.

فهذا كله يجعل المسلم يطمع في فضل الله تعالى ورحمته في هذه الليلة، والله تعالى يقول: **«أنا عند ظن عبدي بي»**، فإذا ظن المسلم بربه خيرًا أعطاه الله -عزَّ وجلَّ- إياه.

وقد ثبت في الصحيح قوله ﷺ: **«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»**، فكل هذا يجعل اللسان يعتني بالدعاء في مثل هذه الليلة، وله على ربه ما احتسب، فإن الأجر على قدر النصب

والنفقة، وهو كذلك على أجر قدر الحسبة ، فإذا احتسب المرء أن هذه الليلة ليلة القدر، فالله تعالى لا يُخَيِّبه يعطيه مثل أجر من وافق ليلة القدر لو لم يوافقها.

فعلينا أن نجتهد بالدعاء، وسؤال الله -عَزَّ وَجَلَّ- من خيري الدنيا والآخرة، والاستعاذة به من الشر والفتن في العاجلة والآجلة، ندعوا لأنفسنا ولوالدينا وأزواجنا وذرياتنا وإخواننا في الدين ولا سيما في هذا الظرف العصيب الذي تسلط فيه الكفار على المسلمين، وأهل الأهواء تسلطوا على المسلمين، فعظمت البلية، واشتدت الكرب، وضاق الأمر فيدعى أن الله يفرج المسلمين ويلطف بهم ويوليهم خيارهم ويكفيهم شر شرارهم، ويكف عنهم كيد الأعداء والمنافقين وأهل الأهواء، لا بد للإنسان يستحضر في باله، ويُخلص الدعاء، يخلص الدعاء لنفسه ولذريته: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. رب من علي ففني عذاب السموم فإنك أنت البر الرحيم، رب زدني علماً وإيماناً وهدى وآتني الحكمة والتقوى، وودني واجعل لي وداً، وابعدني عن النار واجعل الفردوس لي نزلاً.

كل هذا من الدعاء السائغ جاءت في معناه أحاديث صحيحة وآيات محكمة يذكر الإنسان من الأدعية ما ثبت عن النبي ﷺ وما جاء فيما معناه ما هو بحاجة إليه، والله -عَزَّ وَجَلَّ- لما ذكر الأدعية في القرآن، أدعية الصالحين والمرسلين والنبين وأتباعهم أعقبها بالإجابة، وفي هذا التنبيه على أن المسلم يدعو بهذه الأدعية ما يناسب حاله، ويكون موقناً بالإجابة «ادعوا الله وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ»، اسأل الله بأسمائه الحسنی، وصفاته العُلا أن يفقهنا في دينه، وأن يرزقنا الإخلاص لوجه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما نأتي وما نذر وحسن إتباع نبيه ﷺ في كل أمر، وأن يرزقنا بر والدينا والإحسان إلى مستحقه ابتغاء وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن يسبغ علينا نعمه وأن يرزقنا شكره، وأن يمنحنا الاستعانة بها على طاعته، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن

عبادته، وأن يُلطف بعباده المؤمنين والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وما بين ذلك،
وَيُنَجِّيهِمْ مِنْ ظُلْمِ الظالمين وكَيْدِ المجرمين وعدوان الكافرين، كما أسأله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَنْ
يُؤمِّنَ أوطان المسلمين، وأن يجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين أنه
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، والله أعلم .
وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى صحبه أجمعين.



وانتصفَ الشهرُ

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن من أمارات العقل وعلامات التوفيق أن المسلم إذا انتصف شهر رمضان يزداد في الاجتهاد بالعبادة، والرغبة بما عند الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - والشح بالوقت الشريف أن يمضي دون كبير استفادة، ذلكم لأن الإقبال على الطاعة في نصف الشهر وما بعده دليل على زيادة الإيمان

وقوته؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ **وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى** ﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا**

زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ ﴾ [محمد: ١٧]، ويقول - جل وعلا -: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا**

ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال: ٢]، فبتلاوة القرآن

والاجتهاد في الطاعة يزداد الإيمان ويقوى، وتعظم الرغبة فيما عند الله - **جَلَّ وَعَلَا** - .

الثاني: كون الإنسان تبدو عليه أمارات الكسل والملل؛ هذا دليل على ضعف الإيمان،

ودليل على النقصان، ولذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: « **فَوَ اللَّهُ لَا يَمَلُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**

حَتَّى تَمَلُّوا » .

فلا ينبغي للمسلم أن يظهر الممل والسامة والكسل والتأخر هذا ليس من أخلاق

المؤمنين بل من أخلاق المنافقين الذين يتسللون لوإذا ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ**

مِنْكُمْ لُوَاذًا ﴾ [النور: ٦٣].

الثالث: أن الانسان يدرك أنه إذا مضى أكثر الشهر، فما بقي إلا الأقل فيحرص على أن

يجتهد في صالح العمل من أجل أن يعوّض النقصان، حتى يعوّض نقصان الشهر فيكون في

زيادة العمل لتعويض النقص هذا العاقل يهتم بهذا الأمر وهذا الجهد، كذلك فإن الناس في

ميادين السباق لا يعتبرون بالتقدم إلا بعد نصف الشوط وما يقرب من آخره حتى يحصل النتيجة، أما السبق في أول الشهر، في أول الشوط لا يدل على الرغبة ولا على الفوز بالسبق، لكن إذا صار في آخر الشوط يتقدم ويسبق غيره دل على أمارة وبشارة بأنه من أهل السبق وأنه سيحقق الله له ذلك، فالاعتبار بآخر الميدان لا بأوله، وإلا ساعة الانطلاق واحدة لكن الكلام على ما بعد، ما بعد النصف وما هو أقرب إلى نهاية الشوط، والإنسان يطمع في فضل الله ورحمته، ثم أنه لا يدري ما يكتب له من الشهر، كم من مُدركٍ أول الشهر لا يُدرك آخره، يسرى عليها ويُراح، والآجال مُغيبّة، فيكون عند الإنسان شح في الزمن الشريف والوقت الشريف، ويكون عنده حرص على العبادة، ولأنه بالاتفاق أن آخر الشهر خيرٌ وأكرم وأعظم من أوله وفي كل خير، فيهيئ الإنسان نفسه ليكون نشيطاً في آخر الشهر، أما إذا بدأ بالسامة والملل والتأخر والكسل فهذا - والعياذ بالله - جندٌ من جند الشيطان يُثبّط به الهمة، ويحول بين الإنسان وبين الخير وربما صرفه - والعياذ بالله - عن الخير.

فالمطلوب التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، والمنافسة في العمل الصالح، والتوبة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - من القبائح، والضراعة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - بأن يختم بالتوفيق والقبول والسبق، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]؛ السابقون في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح هم السابقون في الآخرة ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [١١] ﴿فِي جَنَّاتٍ تُعْمَرُ﴾ [١٢] ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ [١٣] وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [١٤] [الواقعة].

وفقني الله وإياكم لما يُحبّه ويرضاه، وجعلنا هداةً مُهتدين، والله أعلم.
وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا مُحمّد وعلى آله وصحبه.



الأموالُ الزكويَّة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه،
أما بعد:

فإن الأموال الزكوية ثلاثة أنواع :

النوع الأول: أموال ظاهرة:

وهي بهيمة الأنعام، والخارج من الأرض، الزروع والثمار، والحَب والثمر، وهذه منوطة بوليِّ الأمر العام أو نائبه هو الذي يبعث العمال الجباه يخرصون على الناس أموالهم، ويقدرّون ما فيها من الزكاة ويقبضونها منهم، فإن فعل وليِّ الأمر فذاك؛ وإلا فهي تُسَلَّم له، فهذه في الغالب أنها تُصرف أو تُعطى لبيت مال المسلمين، سواء طلبها أو لم يطلبها على الراجح، وتبرأ الذمة بذلك إجماعاً.

إذا سلّم الزكاة لبيت المال، لوليِّ الأمر، أو نائب وليِّ الأمر فإنها تبرأ الذمة بالإجماع، وهو المسئول وليِّ الأمر مؤتمن على ذلك ومسئول أن يصرفها في مصالح المسلمين في بيت مال المسلمين، فيعطى مستحقها الذي شرع الله -عَزَّ وَجَلَّ- له فإن الله تعالى قسم الصدقات بين أهلها من فوق سبع سماوات، فلم يجعل قسمتها للنبي ﷺ ولا لأحد الناس هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خصص أصناف عن أهل الزكاة وسماهم في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾** [التوبة: ٦٠]، فهذه الأموال الظاهرة منوطة بوليِّ الأمر، إن طلبها وأخذها فذاك، وإلا فتُدفع له أو إلى نوابه، وإن لم يحصل هذا ولا هذا، فصاحب الزكاة يستفتي عن زكاته وماله وكيف يصفها؟ يستفتي أهل العلم أو جهات الفتوى.

والنوع الثاني من الأموال الزكوية:

الأموال الباطنة التي هي عند أهلها وفي يد أهلها، ولا يعلم عن مقدارها ومقاصدهم فيها وغير ذلك إلا هم، لا يعلم ذلك إلا هم من الناس، والله تعالى مُطَّلَعٌ عَلَى الْجَمِيعِ وعالم بكل شيء، فهذا النوع أيضًا نوعان: الأثمان الذي هي الذهب والفضة وما يقوم مقامها من العمل التي يتداولها الناس بمختلف مُسَمِّيَّاتِهَا ووجهات إصدارها، والثاني عروض الجارة وهو ما يُعَدُّ لِلْبَيْعِ.

فهذه مسئوليتها منوطة بأهلها بملاكها، وهي أمانات عندهم ولا تُعْطَى لولي الأمر إلا إذا طلبها أو شاء صاحبها، وإلا فهم مؤتمنون عليها ومسئولون عنها، فالأصل أنها بأيديهم وأمانات عندهم، يخلصون أنفسهم من شؤمها وشرها، لأن الزكاة لا تخالط مالًا إلا أفسدته، ومن خرج زكاة ماله ذهب عنه شره.

والنوع الثالث: الأموال النادرة:

التي تكون لأحد من الناس قلة لأنها نادرة، ومن ذلك الركاظ ما يوجد من دفن الجاهلية، مال مدفون قديم مضى عليه قرون يعثر عليه إنسان بأي طريقة من الطرق، فهذا زكاته يخرج خُمُسَهُ من حين يقبضه، ومن ذلك المعادن إذا كانت أعطاها ولي الأمر لأحد من الناس، منجم ذهب، منجم فضة كذا كذا من الأمور التي هي المعادن فهذه أيضًا كذلك نادرة، والأصل أن المعادن في الأزمان المتأخرة من مسئولية الدولة، لكن إن قُدِّرَ أن ولي الأمر أقطع إنسان أرضًا فيها معدن، فيخرج الزكاة خمس ما يجد من المعدن.

والبحث في الأموال الباطنة التي هي الأثمان وعروض التجارة، فالأثمان الذهب والفضة سواء كان مضروبين مثل: الجنيهات الذهبية، أو الدراهم الفضية، أو كانت خامًا أو كانت تُلبس، تُصنع للبس فهذه فيها الزكاة مطلقًا، فإن الله تعالى أظهر بها وتوعد من يبخل بزكاتها

بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٥].

وأقل ما تجد فيه الزكاة من الذهب عشرون مثقالاً، عشرون ديناراً، والدينار أربع جرامات وربع، فإذا صار عند الإنسان من هذا خمس وثمانين جرام من الذهب، أو كان عنده مئتين من الفضة، مئتي درهم، ووزنها قدر خمسمائة وخمسة وتسعين جرام من الفضة، فهذا القدر وما زاد فيه الزكاة وفيه اثنان ونصف في المئة وما زاد بحسابه.

وهكذا العمل النقدي؛ الريالات، الدنانير، الدولارات، الجنيه الاسترليني، اليورو أي عملة تقوم بهذا العيار، خمسة وثمانين جرام أو بعض أهل العلم قال: اثنين وتسعين جرام، أو خمسمائة وخمس وتسعين جرام من الفضة، فيعرف سعر الجرام بالسوق ويعرف قدر الموجود ويخرج اثنان ونصف في المائة منه.

أي مال مملوك لشخص حتى ولو كان صغير لم يبلغ، حتى لو كان عبد على قول بعض أهل العلم مملوك، حتى لو كان لمجنون، أي مال مملوك فإنه يقدر بعيار الذهب أو الفضة، ويُخرج اثنان ونصف من قيمته، فمثلاً يكون في الألف ريال خمسة وعشرين ريال، والمائة اثنين ونصف وهكذا، جميع العمل الموجودة في الدنيا ملحقه بالذهب والفضة على خلاف بين أهل العلم هل هي تقوم بالذهب أو بالفضة؟، والأكثر على أنها تقوم بالفضة هذا هو الأكثر.

وإذا وجد فضة معدن الذي يسمونه الخام، أيضاً يقدر قيمته بالريالات أو بالعمل الموجودة، يُخرج اثنين ونصف في المائة من قيمته مثل ما يوجد من الذهب أو فضة عند الصاغة، أو يوجد في الصناديق الحديدية البنكية للناس، لأحاد الناس.

وأما بيت مال المسلمين فلا زكاة فيه، لأنه عامّ، ملك عامّ للمسلمين، وهكذا الأموال المرصودة للبرّ فهذا ما فيه زكاة، والموقوف ما فيه زكاة، والمال الذي يستعمله الإنسان؛ كملابسه وسيارته ومنزله وأثاثه ما فيه زكاة، لأن الزكاة في المال النامي الذي يحتمل الموساة منه، وهكذا عروض التجارة نفس الشيء؛ الذي يملك معدّات صناعية، يملك أقمشة، يملك أطعمة، يملك عقارات، أي شيء مما يُعدّ للبيع يتجر به، فهذا نفس الشيء يُقوّم عند تمام الحول بما يساوي في وقته ويُخرج ربع عشر قيمته اثنان ونصف في المائة قليلاً كان أو كثيراً.

فصاحب البقالة مثلاً، أو صاحب السوق المركزي، أو صاحب المعارض الكبار، مختلف البضائع كل ما يُباع ما دام أنه حلال ومملوك لصاحبه فهذا فيه الزكاة؛ يقول جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كان النبي **ﷺ** يأمرنا أن نخرج الزكاة مما نعدّه للبيع، ولم يختلف أهل العلم إلا في الذهب أو الفضة المستعمل، التي تستعمله النساء للتزيّن، وهذا الراجح أنه إذا كان على قدر الحاجة ما فيه زيادة، ويستعمل ويُعار، فهو لا زكاة فيه، وأما أنه إن كان أكثر من الحاجة، فإنما زاد ينبغي أن يُزكى، فالمقصود أن هذه الأموال الباطنة التي هي العمل أو الذهب أو الفضة أو الأشياء التي يتجه الناس فيها ويتبايعونها هذه فيها الزكاة بشرط أن تكون مملوكة للشخص وأن يمضي عليها الحول، وما أفاده المال من ربح طول السنة، فحوله حول أصله، وإذا كان الإنسان عليه دين وسدد دينه قبل حلول الحول فما سدد من الدين سقط بحسابه، ما فيه زكاة، وتكون الزكاة في الباقي إذا كان نصاباً فأكثر، فهذا أمر ينبغي التفطن له في زكاة عروض التجارة والذهب والفضة والعمل.

هذه مسئولية الشخص نفسه وهي أمانة عنده، فما زكاه بارك الله فيه كان به كمال دينه وأخلف الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - عليه خيراً مما أنفق، وصار من المحسنين، وأخذ بأسباب الثواب العظيم والأجر الكريم، وأبعد عن موجبات العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، **﴿وَمَنْ يَبْخَلْ﴾**

فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ^٤ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴿٣٨﴾ [محمد: ٣٨]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا
ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:
١٨٠].

إذا كان الإنسان مثلاً له دخل شهري، مرتب وظيفي أو تقاعدي، أو مُخصَّص يأتيه من
جهة أو شخص، فهذا إذا مضى الحول، ما بقي في حساب يزكيه، بدل ما يزكي كل شهر ينتظر
إلى الحول ويزكي الباقي وما صرفه على نفسه؛ كالذهب ليس به زكاة، لكن ما بقي يزكيه.
وهذا هو أهم شيء، ويُقدَّر الباقي بسعر الفضة، أو معيار الفضة أو الذهب وينظر السعر
في الوقت نفسه، وينبغي للإنسان أن يعتني بهذا الشيء، ويعلم أن الله -عزَّ وجلَّ- أعطاه الخير
الكثير وابتلاه من أوجب في ماله القدر اليسير، يسير جداً اثنين ونصف في المائة في الجملة،
وما أنفقه في الزكاة فهو قرض استقرضه الله منه يرده عليه أفضل منه وأبرك ويثيبه ثواباً عظيماً،
ويتخلص بذلك من شؤم البخل ومن شؤم الشح، ومن شر المال، ويكتب عند الله -جلَّ
وعلا- من المحسنين، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُمْ^٥ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ^٦
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَأِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله
وصحبه وسلم .



الْحَضُّ عَلَى فِعْلِ النَّوَافِلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أما بعد:

فَإِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ، أَنْ جَعَلَ لَهُمْ نَوَافِلَ مِنْ فَرَائِضِ الطَّاعَاتِ، يَسْتَكْثِرُونَ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَيَسْتَدْفِعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ، وَيَسْتَزِيدُونَ بِهَا مِنَ الْفَضْلِ، وَيَتَحَبَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ - **جَلَّ** وعلا-، وَيَأْخُذُونَ بِأَسْبَابِ رِفْعَةِ الدَّرَجَاتِ، وَحَطِّ الخَطِيئَاتِ، وَكَثْرَةِ الحَسَنَاتِ، جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ - **جَلَّ** وعلا- يَقُولُ: «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيئِهِ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ»؛ يَتَضَمَّنُ هَذَا الْحَدِيثُ ذِكْرَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَثُوبَةِ عَلَى الْمُسْتَحَبَّاتِ، عَلَى النَّوَافِلِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا تُحِبُّ الْعَبْدَ إِلَى اللَّهِ - **عَزَّ وَجَلَّ** -: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»، وَهَذَا مَطْلَبٌ لِكُلِّ مَوْمِنٍ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُحِبَّهُ اللَّهُ - **عَزَّ وَجَلَّ** -، لِأَنَّ الشَّأْنَ لَيْسَ فِي أَنْ تُحِبَّ اللَّهُ أَنْتَ، وَإِنْ كَانَ هَذَا مَطْلُوبًا، لَكِنَّ الشَّأْنَ فِي أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ - **عَزَّ وَجَلَّ** -، وَلِذَا لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» تَسَابَقَ الصَّحَابَةُ فِي طَلَبِ الرَّايَةِ، وَكُلُّ تَمَنَّاها، هَذَا الْإِخْبَارُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ يُعْطَى الرَّايَةَ، فَهَذِهِ ثَمَرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ ثَمَرَاتِ النَّوَافِلِ.

والثمرة الثانية: قوله تعالى: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»؛ والمعنى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْفَظُ الْعَبْدَ الْمُتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ - **جَلَّ** وعلا- بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ، يَحْفَظُهُ فِي جَوَارِحِهِ تِلْكَ، فَيَمْتَعُهُ بِهَا مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى

أَجَلِهِ، وَيَزِيدُهُ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِهِ، وَيُسَدِّدُهُ فِي اسْتِعْمَالِهَا، وَيَحْفَظُهُ مِنَ الْمُؤْذِيَاتِ فِيهَا، وَهَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ جِدًّا.

الفائدة الثالثة: قوله تعالى: «**وَلَيْنِ سَأَلْنِي لَأُعْطِيَنَّهَ وَلَيْنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»؛ والمعنى أن الله تعالى يَسْتَجِيبُ لَهُ الدَّعَاءَ، وَيَقْضِي لَهُ الْحَاجَةَ، فَيُعْطِيهِ سُؤْلَهُ عَلَى أَكْمَلِ شَيْءٍ، وَأَحْسَنِ شَيْءٍ، وَيُجِيرُهُ مِمَّا اسْتَجَارَ بِهِ مِنْهُ مُطْلَقًا، وَأَعْظَمَ شَيْءٍ أَنْ الْإِنْسَانَ يَسْأَلُ اللَّهَ -**عَزَّ وَجَلَّ**- الْجَنَّةَ وَرِضَاهُ، وَيَسْتَجِيرُ بِهِ، وَيَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ وَمِنْ سَخَطِهِ، فَهَذِهِ ثَلَاثُ فَوَائِدَ لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ -**عَزَّ وَجَلَّ**- بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أَزَدَتْ بِهِ دَرَجَةً، وَرِفْعَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ**»، فَبَنَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَنْ الْاجْتِهَادَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ أَنْهَ تَرْتَفِعُ بِهِ الدَّرَجَةُ عِنْدَ اللَّهِ -**جَلَّ وَعَلَا**- كُلَّمَا ارْتَفَعَتِ الدَّرَجَةُ، تَحَقَّقَ الْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ -**عَزَّ وَجَلَّ**- كُلَّمَا ارْتَفَعَتِ الدَّرَجَةُ؛ اتَّسَعَ الْمُلْكُ، وَعَظُمَ النِّعِيمُ، نَسَأَلَ اللَّهُ الْكَرِيمُ مِنْ فَضْلِهِ.

فهذه أيضًا مِنْ فَوَائِدِ النَّوَافِلِ أَنَّهَا تَرْتَفِعُ الدَّرَجَةُ، وَأَنْهَ يَعْظُمُ الْأَجْرُ، كَذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**أَنَّ أَوَّلَ مَا يُنْظَرُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ وَجِدَتْ تَامَّةً؛ كُتِبَتْ تَامَّةً، وَإِنْ وَجِدَتْ نَاقِصَةً؛ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِلْمَلَائِكَةِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -: أَنْظِرُوا! هَلْ لِعَبْدِي مِنْ نَوَافِلٍ؟ فَيَتَمُّ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ، ثُمَّ يُسَارُ بِعَمَلِهِ هَكَذَا**»، فَرِيضَةُ الصَّلَاةِ تُكْمَلُ مِنْ نَافِلَةٍ الصَّلَاةِ، وَفَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ تُكْمَلُ مِنْ نَافِلَةِ الصَّدَقَةِ، وَفَرِيضَةُ الصَّوْمِ تُكْمَلُ مِنْ نَافِلَةِ الصَّوْمِ، وَفَرِيضَةُ الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ تُكْمَلُ مِنْ نَافِلَةِ الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ، فَهَذِهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ، أَنَّهَا تُكْمَلُ مِنَ النَّوَافِلِ تُكْمَلُ بِهَا الْفَرَائِضُ، نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لِأَنَّ الْعَمَلَ مَهْمَا اجْتَهَدَ الْإِنْسَانَ لِابْتِدَائِهِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ نَقْصٌ، إِمَّا بِسَبَبِ قِلَّةِ الْعِلْمِ، وَإِمَّا بِسَبَبِ غَلَبَةِ الْهَوَى، أَوْ الشَّهْوَةِ، أَيْ الشُّبُهَةِ الَّتِي تَحُولُ دُونَ كَمَالِ الْعَمَلِ، أَوْ التَّأْوِيلِ، وَالتَّسْوِيفِ، أَوْ الْعَجْزِ، فَإِذَا كَانَتِ النَّوَافِلُ رَصِيدًا تُكْمَلُ

مِنْهُ الْفَرَايِضُ، فَهَذِهِ نِعْمَةٌ، وَهَذَا مَطْلَبٌ نَفْسٍ لِأَوْلِي الْأَبَابِ، فَلَا بُدَّ أَنْ الْإِنْسَانَ يُرَاعِي هَذَا الشَّيْءَ، كَذَلِكَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَاوَمَ عَلَى الْعَمَلِ، وَأَكْثَرَهُ النَّوَافِلَ، لِأَنَّ النَّوَافِلَ أَوْسَعُ وَقْتُ مِنَ الْفَرَايِضِ، لِأَنَّهَا أَكْثَرُ جِنْسٍ، وَلِأَنَّهَا أَكْثَرُ كَمِّيَّةً، فَهَذَا الشَّيْءُ يَجْعَلُ الْعَبْدَ عِنْدَهُ رَصِيدٌ عِنْدَ اللَّهِ - **جَلَّ وَعَلَا** - كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ، وَهُوَ صَحِيحٌ مُقِيمٌ**» فَهَذِهِ فَائِدَةٌ.

وَلِذَا كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ دِيمَةً، كَانَ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، يَعْنِي اسْتَمَرَ عَلَيْهِ، وَدَاوَمَ عَلَيْهِ، فَهَذِهِ مِنْ فَائِدَةِ النَّوَافِلِ، وَأَنَّهَا يَحْصُلُ بِهَا هَذَا الْخَيْرِ الْكَثِيرِ حَتَّى أَنَّهُ إِذَا عَجَزَ عَنِ الْعَمَلِ، أَوْ شُغِلَ عَنْهُ كُتِبَ مَا اعْتَادَهُ مِنَ الْخَيْرِ.

وَهَكَذَا تَتَنَوَّعُ فَوَائِدُ النَّوَافِلِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا أَكْثَرُ كَمِّيَّةً مِنَ الْفَرَايِضِ، الْفَرَايِضُ الصَّلَوَاتُ مِثْلًا سَبْعَةَ عَشْرَ رُكْعَةً، مَا تَسْتَطِيعُ تَزِيدَ رُكْعَةً، تَجْعَلُهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ وَلَا رُكْعَتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَةَ، لَكِنَّ النَّوَافِلَ الصَّلَاةَ صَلًّا مَا شِئْتَ، صَلِّ الضُّحَى مِنْ أَرْتِفَاعِ الشَّمْسِ طَوَّلَ الْإِنْسَانَ، وَيَدُهُ فَوْقَهُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ وَقْتُ الزَّوَالِ، وَصَلِّ مِنْ بَيْنِ الظُّهْرِ إِلَى الْعَصْرِ، وَصَلِّ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْعِشَاءِ، وَصَلِّ مِنَ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ، كُلُّ هَذَا وَقْتُ صَلَاةٍ، قَدْ حَضَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى كَثْرَةِ الصَّلَاةِ بِقَوْلِهِ: «**إِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي رُكْعَاتٍ كَثِيرَةً تَجَاوِزُ خَمْسِينَ رُكْعَةً فِي الْيَوْمِ، وَاللَّيْلَةَ غَيْرَ الْفَرَايِضِ، فَالْسُّنَنُ الرَّوَاتِبُ الَّتِي مَعَ الْفَرَايِضِ ثَلَاثًا عَشْرَةَ، وَالْوُتْرُ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَصَلَاةُ الضُّحَى أَكْثَرَ مَا حَفِظَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ثَمَانِ رُكْعَاتٍ، وَحَضَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَرْبَعِ رُكْعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ، وَكَانَ يَزِيدُ السُّنَّةَ الرَّاتِبَةَ بَعْدَ الظُّهْرِ رُكْعَتَيْنِ إِلَى أَرْبَعَةٍ بَدَلَ رُكْعَتَيْنِ، وَكَانَ ﷺ يُصَلِّي بَعْدَ الْمَغْرِبِ، رُبَّمَا يَقْرُنُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي الصَّلَاةِ، وَهَكَذَا.

فالنوافل أكثر، وأوسع وقت، لأن وقت النوافل مفتوح، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «**الصلاة خير موضوع، والناس مستقل ومستكثر**».

ومثل هذا الزكاة: الزكاة الواجبة قدر معلوم في المال في الجملة اثنان ونصف في المئة، لكن الصدقة مالها حد محدود، تتصدق بما شئت، حتى إن الصديق رضي الله عنه مرة تصدق بماله كله، وعمر تصدق بنصف ماله وهكذا، وعثمان رضي الله عنه اشترى بئر رومة، وجهاز جيش العسرة بأحلاسها، وأقتابها من ماله، وشري من العبيد، وأعتقهم لله هذا الشيء الكثير، وهكذا الصديق رضي الله عنه، فكانت الصدقة بالمال أوسع من الزكاة، وهكذا الصوم، الصوم الواجب أن تصوم شهر رمضان، لكن ست شوال، وما تيسر من عشر ذي الحجة، وما تيسر من المحرم، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام الاثنين، والخميس، وصيام أكثر شعبان، هذا أكثر من الصيام الواجب.

فدل ذلك على أن نوافل العبادات أنها تجارة لن تبور، لأنها مع الله سبحانه وتعالى فلذلك ينبغي للإنسان أن يستكثر من النوافل دائماً، وفريضة التوحيد تكمل من نافلة الذكر، والدعاء، وفريضة الصلاة تكمل من نافلة الصلاة، وفريضة الزكاة تكمل من نافلة الزكاة والصدقة، وفريضة الصوم تكمل من نافلة الصوم، وفريضة الحج، والعمره تكمل من نافلة الحج، والعمره، فالنوافل تجارة عظيمة، والناس مستقل ومستكثر، ومهما جد الإنسان مهما بذل، فإن الله يعطيه أكثر، فالله تعالى أكثر، ولذا لما قال الصحابة رضي الله عنهم لما عرفوا فضيلة الدعاء، قالوا: إذا نكث، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**الله أكثر**»، الله أكثر، فينبغي للإنسان أن لا يستهن بالنوافل.

ومن فائدة النوافل أنها تكون سبباً في الطمأنينة في أداء الفرائض، ورقة القلب، والحرز من الشيطان الرجيم، ففوائدها كثيرة في عاجل الأمر، وآجله، في عاجل المرء وآجله، في الدنيا، والآخرة، كثير من الناس يغفلون عن النوافل، أو يستهينون بها، وهذا من كيد الشيطان، ومن

تَسْوِيفِهِ، وَمَكْرِهِ بِالنَّاسِ، وَمِنْ خُطُواتِهِ، فَلَا بُدَّ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ حَازِمًا، وَمِنْ حَزْمِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ إِذَا كَانَ اسْتَحْدَثَ عَمَلًا دَاوِمًا عَلَيْهِ، وَإِذَا عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ عَنِ الصِّيَامِ النَّافِلَةِ قَضَاهُ، قَضَى النَّافِلَةَ، وَلِذَا قَالَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: لَا تَكَادُ تَرَاهُ صَائِمًا، إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا تَكَادُ تَرَاهُ مُفْطِرًا، إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَقَالُوا: كَانَ يَصُومُ، حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ، يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنَّهُ يُعْنَى بِهَذِهِ النَّوَافِلِ، وَيَجْعَلُ لَهُ سَهْمٌ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنَ النَّافِلَةِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً - يَعْنِي صَدَقَةٌ - أَدْنَاهَا مَنِحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءً مُوَعِدِهَا، وَتَصَدِّقَ ثَوَابِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»، فَإِذَا كَانَ بِالْعَنْزِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بِإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بِالتَّسْبِيحِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَهَذَا خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَتِجَارَةٌ رَابِحَةٌ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٣٠]

وَفَقَّنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَجَعَلْنَا هُدَاةً مُّهْتَدِينَ، وَأَعَانَا عَلَى ذِكْرِهِ، وَشُكْرِهِ، وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَاسْتَعْمَلْنَا فِي طَاعَتِهِ، وَأَوْزَعْنَا شُكْرَ نِعْمَتِهِ، وَأَنْجَانًا مِنَ النَّارِ، وَرَزَقْنَا الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى مَعَ الْأَخْيَارِ، وَوَالِدَيْنَا، وَمَشَائِخِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّتِنَا، وَأَحْبَابِنَا فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الزكاة قرينة الصلاة

الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه .

أما بعد:

فقد أمر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - بإيتاء الزكاة، كما أمر بإقامة الصلاة، ورتب على إيتائها الرحمة، والمغفرة، والجنة إلى غير ذلك من الأجور العظيمة، والوعود الكريمة من الربُّ الرؤوف الرحيم - **جَلَّ وَعَلَا** - .

فقال تعالى في أكثر من آية: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾، فالصلاة والزكاة مع التوحيد هي قواعد الإسلام، وأصوله العظام قال - **جَلَّ وَعَلَا** - : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ** ﴾ [البينة: ٥]، قال سبحانه: ﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ** ﴾ [التوبة: ١١]، ﴿ **تَابُوا** ﴾؛ أي وحدوا الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - وانتهوا عن الشرك، ﴿ **وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ** ﴾؛ أي الصلوات الخمس، أقاموها في أوقاتها وعلى الصفة التي شرعها الله - **جَلَّ وَعَلَا** - خالصة لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ﴿ **وَأَتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ أعطوها عن طيب نفس، وعن حِسْبَة ابتغاء مرضاة الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، رتب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على ذلك الأخوة الإيمانية الدينية ﴿ **فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ** ﴾؛ فدل على أن الذي لا يُؤتى الزكاة ليس من اخوان الموحدين والمُصلين في الدين، ليس من اخوان أهل الإسلام، وذلك يدل على خطورة الأمر، وشناعته قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ** ﴾ [التوبة: ٥]؛ ومعنى ذلك أن الذي لا يُؤتى الزكاة لا يُخلى سبيله، بل تؤخذ منه الزكاة قهراً، ولو بالمقاتلة.

وإنما ربط الله - **جَلَّ وَعَلَا** - وله العلم والحكمة بين هذه الفرائض العظيمة والقواعد الحكيمة لما بينها من الارتباط الوثيق، فالتوحيد هو العلم والاعتقاد في توحيد الله بتفرد الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - في خصائصه وحقه، وأنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو المتفرد بأفعاله، وبأسمائه وأوصاف كماله، وتنزهه عن النقائص والعيوب ومثاله، وهو الإله الحق، المستحق أن يُعبد بالحق، وأنه لا شريك له ولا نداً من الخلق كائناً من كان، فهذا هو التوحيد أصل الأصول كلها، وقاعدة الشريعة، وأساس الملة.

ثم ذكر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هذا مقروناً بالصلاة، وأن التوحيد عن علم واعتقاد وقول، وتحقيق ذلك بالعمل، فأعمال القلوب؛ كالمحبة، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والإنابة وغير ذلك وأعمال الألسن؛ كطلب العلم، وتعليم العلم، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والآذان وغير ذلك، والنصيحة للخاص والعام من أهل الإسلام، والتوحيد بالأفعال وأول الأفعال: الصلاة، لأن الصلاة هي التوحيد الفعلي، ولذلك إذا صار يوم القيامة، أول ما يُنظر من العمل؛ الصلاة إن وجدت فيه نُظر في العمل، وإن لم تُوجد فيه لم يُنظر فيه أصلاً مردود على صاحبه، وهذا من أدلة كفر تارك الصلاة.

فالصلاة هي التوحيد الفعلي الترجمة للتوحيد العلمي والاعتقادي، وهي توحيد من أفعال، ولا يوجد عمل مثل الصلاة في التوحيد، والإلحاح على الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، وصدق الافتقار واللجوء إليه، والذل والتعظيم له، لأن الإنسان يذكر الله تعالى، ويثني عليه، ويدعوه: قائماً، وراكعاً، وساجداً، وجالساً، وساجداً في جميع الأحوال متوجه إلى الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، وإذا استحق المُصلي أن يكون الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - قبل وجهه وهو في الصلاة، ولهذا نُهي أن يبصق أمامه وهو يُصلي، لأن الله قبل وجهه، وما ذاك إلا لأن الصلاة هي التوحيد الفعلي، القولِي الحالي، فإنها قول بتلاوة كلام الله - **عز وجل** - وذكره، وبذلك التوحيد، وتسبيحه - **عَزَّ وَجَلَّ** - وتنزيهه عن النقائص والعيوب، وتمجيده بوصفه بأوصاف العظمة والكمال

والجلال والجمال: ففيها التوحيد القولي في الصلاة، وفيها التوحيد الفعلي: الركوع والسجود إلى غير ذلك، وفيها التوحيد الحالي أن الإنسان خاضع لله -عزَّ وجلَّ- حتى وهو قائم خاضع لله سبحانه مُنكس الرأس بين يدي الله -عزَّ وجلَّ-، متوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يلتفت يمنةً ولا يسرةً، ولا ينشغل بشيء إلا بمناجاة الله -جلَّ وعلا-؛ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ

﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢]

هكذا الزكاة هي التوحيد في المال: أن الإنسان يبذل المال لوجه الله -عزَّ وجلَّ- طاعةً له وتقرباً إليه، وشكراً له على انعامه، وحذراً من غضبه وانتقامه، فيؤدي الزكاة، والزكاة اسم ابتغاء وجه الله أعم من الفريضة، فالنفقة على النفس والأهل عن حِسبة زكاة، والهدية للجار والصديق وغير ذلك زكاة، والإنفاق في الحجِّ والعمرة يُعتبر زكاة، والإنفاق للجهاد في سبيل الله زكاة، وإعطاء المساكين، والفقراء، والمؤلفة قلوبهم، والغارمين، وإعتاق العبيد وغير ذلك زكاة كله يدخل في الزكاة، وهكذا إخراج الزكاة ذات الأنصبة والفروض؛ كبهيمة الأنعام، والخارج من الأرض الحَبِّ والتمر، وعروض التجارة، والأثمان الذهب والفضة، والركاز ما يوجد من دفن الجاهلية من الأموال القديمة، فهذه هي الزكاة الأصلية المفروضة، وما سوى ذلك فهو إما واجب، وإما مُستحبٌّ لكن هذه الزكاة ذات الأنصبة المُحددة نسبتها في المال، والمؤقتة بالحول بشروطها هذه الزكاة المفروضة، وهي المقرونة بالتوحيد والصلاة قرنت بالتوحيد والصلاة في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله ﷺ.

في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ» وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

وجاء أناس يسألون النبي ﷺ عن الإسلام، فأول ما أمرهم بعبادة الله وحده ، أو بالشهادتين، والمعنى أن تعبد الله -عزَّ وجلَّ- مُخلصًا له الدين، مُتبعًا لرسوله الأمين ﷺ، قال: «ولتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة»، وفي رواية: «تقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة»، فكان ﷺ يقرن بين هذا وذاك .

وفي حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ له وهو يُوصيه حينما بعثه إلى اليمن: « فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله » وفي رواية: «أن يوحدوا الله»، وفي رواية ؛ «أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّد عبده ورسوله»، قال: «فإن هم أطاعوك ذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم أو تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»، فكان ﷺ في كل مناسبة يقرن بين الصلاة والزكاة والتوحيد.

ولمَّا تُوِّفِي النبي ﷺ وارتدَّ المرتدُّون من العرب، وكان من جملتهم من منع الزكاة، فقاتل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المرتدين عزم على قتالهم؛ لردتهم عن الإسلام ولشكهم في النبي ﷺ، ولإيمان بعضهم لمسيئمة الكذاب وغيره من مُدعي النبوة، ولجحودهم للزكاة، وقاتل كذلك من منع الزكاة ولو من غير جحود، ولو أعلن التوحيد وأقام الصلاة ، فراجعهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الأمر؛ فقال: «إنها لقرينة الصلاة في كتاب الله، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عِقَالًا (عقال بعير)، أو عناقًا كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»، وهذا كله يدلُّ على عِظَم شأن الزكاة في الإسلام وأنها التوحيد المالي، والله -عزَّ وجلَّ- قرن الإيمان والجهاد بالأموال يبذل المال ابتغاء وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وجعل ذلك من جليل القُرب ونفيس الطاعات، وموجبات الجنة، والنجاة من النار.

فأمْر الزكاة عظيم، ومن لم يُعْظَم الزكاة، لم يُعْظَم الله -عزَّ وجلَّ- ، ومن لم يُعْظَم الزكاة، لم يُعْظَم الصلاة، ومن استهان بالزكاة فهو على خطر من النفاق العظيم قال تعالى:

﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾؛ يعني عن الإنفاق ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٦٧) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكَفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة]، بينما قال سبحانه في المؤمنين: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] رحمنا الله وإياكم برحمته.

ثم فسر هذه الرحمة؛ فقال: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتِ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢] نسأل الله الكريم من فضله، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (٢٩) لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ [فاطر: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١١) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٧] نسأل الله الكريم من فضله، جعلنا الله جميعاً فائزين بهذا الوعد الكريم من الرب الرحيم، ناجين من النفاق والعذاب الأليم.

فأمّر الزكاة عظيم، يكفي أنها مقرونة بالتوحيد والصلاة، وأنها ثلاثة أركان الإسلام، وقواعده العظام، وأن الإنسان بإخراجها يبرأ من النفاق والكفر، ومن البخل إلى غير ذلك فأمّر الزكاة أمر عظيم، ويكفي في الدلالة على عظم شأنها: اسمها؛ فسميت زكاة لأنها تزكي

إيمان صاحبها، وتدلل على ثقته بالله - **عَزَّ وَجَلَّ** - في الإنفاق والخلف ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩]، وتدلل على الحسبة، وانتظار الجزاء الكريم من الله - **جَلَّ وَعَلَا** - في الدنيا ويوم القيامة، فتزكي الإيمان، وتزكي العمل، عمل العابد، تتمه وتوفره، وتكمل أجره وترفع الدرجة لصاحبها، وكذلك تزكي الآخر، تغنيه وتعفه، وتعينه على طاعة الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - .

وسميت صدقة؛ لأنها تصدق الإيمان، وتدلل على صدق مودة المؤمن الغني لأخيه الفقير، وعن التصديق بما جاء عن الله ورسوله، بشأن الزكاة من الثواب العظيم، والأجر الكريم، وعلى التصديق بالبعث والجزاء، وعلى التصديق بالوعد العظيم الذي ادخره الله لأهل الإيمان في الجنة على الإنفاق ابتغاء وجهه وفي مرضاته.

ولهذا قرن الإنفاق بهذين الأمرين؛ ابتغاء وجه الله، وابتغاء مرضات الله، وقال تعالى:

﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْفَمًا عَلَىٰ حَيْبِهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ ﴾ (٨) ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ ﴾ (٩) إِنَّا

نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ۗ ﴾ [الإنسان: ١٠] يوم عظيم خطر شديد الهول، قال تعالى:

﴿ فَوْقَهُمْ أَعْيُنُ اللَّهِ رَابِعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَتَّبِعَهُمْ يَشْرَهُمْ لِيَتَّخِذَ مِنْهُمْ سُلُوكًا مِمَّنْ شَاءَ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۗ ﴾ (١١) ﴿ وَجَزَاءُ مَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا ۗ ﴾ [الإنسان: ١٢]

نسأل الله الكرم من فضله.

فهذا كله يدل على عظمة شأن الزكاة في الإسلام، وعلى أنها من قواعد العظام، ومبانيه الأساسية، وأنه لا إيمان، ولا توحيد، ولا فلاح إلا بإخراج الزكاة عن طيب نفس، وثقة بالله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، ورحمة وشفقة للضعفاء والمحاييج، إلى غير ذلك، وللحديث صلة إن شاء الله.

ونسأل الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - أن يرزقنا الفقه في دينه، والإخلاص لوجهه - سبحانه وتعالى -

فيما نأتي وما نذر، وحسن اتباع نبيه ﷺ في كل أمر.

وأن يجعلنا من أئمة المتقين إلى آخر الدهر، وأن يُنجينا من النار، ويدخلنا الجنة مع الأخيار، والله أعلم .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه.



المبشرات لعباد الرحمن

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، أَمَا بَعْدُ:

فقد قال الله - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر: ١٨] جعلني الله وإياكم من أهل هذا الوصفِ الكريمِ، وَيَبِينُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا يُبَشِّرُ بِهِ، وَأَنَّهُ أَنْوَاعٌ مِنَ الْبَشَارَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى عِبَادِهِ، وَأَيْضًا جُودِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَنَّةٍ وَلُطْفِهِ؛ بَأَن يُوفِّقَهُمْ لِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْخَطِيئَاتِ؛ لِيُوَهِّبَهُمْ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْكِرَامَةِ فِي الْجَنَاتِ.

فَتِلْكَ الْبُشْرَى أَنْوَاعٌ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ تَكَفَّلَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بَيَانِ هَذِهِ الْمُبَشِّرَاتِ، وَالْبَشَارَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَدَلَّتِ الْآيَاتُ الْمُحْكِمَاتُ عَلَى أَنْوَاعِ مَا يُبَشِّرُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عِبَادَهُ، مِمَّا يَكُونُ مِنْ كِرَامَتِهِمْ عِنْدَهُ، وَرِفْعَةِ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ -جَلَّ

وَعَلَا -: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] جعلنا الله جميعاً من أهل هذه البُشْرَى.

فالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ دَلَّتْ عَلَى مُقَدِّمَاتِ هَذِهِ الْبُشْرَى، وَأَسْبَابِهَا، وَأَنَّهَا مِنْ مَنَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَلُطْفِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَتَسْدِيدِهِ، فَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، يَعْنِي يُوفِّقُهُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، بِأَدِلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ، هَذَا هُوَ الْفِقْهُ فِي الدِّينِ، الْفَهْمُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ وَمَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ، «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، فَكُونِ الْإِنْسَانَ يَعْتَنِي بِأَمْرِ الْفِقْهِ فِي دِينِهِ، فَيَعْرِفُ الْحَلَالَ، وَيَعْرِفُ الْحَرَامَ، فَيَأْخُذُ بِالْحَلَالِ، وَيَتْرُكُ الْحَرَامَ، وَيَعْرِفُ الْعَقَائِدَ الصَّحِيحَةَ، وَالْأَحْكَامَ الْحَكِيمَةَ، وَالْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ،

والأقوال السديدة، ويتحلى بها، ويترك أضدادها، هذه أمارة، وعلامة، وبُشْرَى، إن الله - **جَلَّ** **وعلا** - قد أراد به الخير، وفي هذا ما يحفز العاقل، من الرجال، والنساء على أن يُعْنُوا بالفقه في دينهم، وإذا كان الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** يأتي أحدهم رسول الله **ﷺ** فيقول: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُنِّي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتَهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ.

ويقول الآخر: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ.

ويقول الثالث: ذُنِّي شَيْءٌ أَتَشَبَّثُ بِهِ، أَوْ إِذَا عَمَلْتَهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، ذُنِّي عَلَى مَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، وَيُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ.

فكان همُّهم في الليل، والنهار، التفقه في الدين، والعمل بما علّموا الله - **جَلَّ** **وعلا** -، فهذه البُشْرَى الأولى.

الثانية: أن يُوفَّقَ الإنسان، للعمل بما علّم، ابتغاء وجه الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - وعلى الوجه الذي شرع؛ بمعنى أن يحصل له النية الصالحة، والإتباع للسنة، والثبات على ذلك، حتى يلقي الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - عليه، نسأل الله أن يوفّقنا، وإياكم لذلك، قال **ﷺ**: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» - في رواية - قال: «عَسَى لَهُ»، قالوا: كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قال: «يَفْتَحُ لَهُ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ، بَابَ عَمَلٍ صَالِحٍ، حَتَّى يَقْبِضَهُ عَلَيْهِ»؛ يعني يختم له به، فيوفّق الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - من يشاء من الناس، للاستقامة في آخر عمره، ويثبت، حتى يلقي الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - على ذلك، يوفّق الله المستقيم إلى أن يسلك باباً من أبواب البر، والمعروف، والخير، إما في كثرة الصداقات، وإما في بناء المساجد، وإما في الإعانة على العلم، والإعانة لطلب العلم، وإما في الإنفاق على المساكين، والمُحتاجين، وإما في تلاوة القرآن، وإما في الاشتغال بأنواع الأذكار، والدعوات، فتجد كل أحدٍ من الناس له باب من أبواب الخير، وفقه الله له في ثنايا عمره، وثبته عليه، حتى ختم له به، نسأل الله الكريم من فضله .

فهذه بشرى، إذا تيسر الخير للإنسان، وانشرح صدر الإنسان له، ووفق لحسن أدائه، وثبتته الله - عز وجل - عليه، حتى يلقي الله تعالى فتلك بشرى، يفرح بها الإنسان، ويغتبط، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، كذلك من البشرية، أن الإنسان يثبت على الخير، حتى يصبح ساجية له، وحتى يشتهر به، وقد يريه الله - عز وجل - رؤيا سالحة، تسره، تحمله على الاستمرار، والثبات على الحق، أو يريه غيره من الصالحين، ولذلك قال ﷺ: «**لم يبق من المبررات إلا الرؤيا السالحة، يراها الرجل الصالح، أو ترى له**»، فيكون شيء يثبت على الصلاح، ويزده من حسن العمل، والاجتهاد، وكذلك من البشرية، أن تلهج السنة الصالحين، والأخبار بالثناء على الرجل، أو المرأة، الذي وفق للتفقه في الدين، والعمل به الله - جل وعلا - على السنة، وثبت على ذلك، حتى أشتهر به، وعرف به، فتلهج السنة الناس بالثناء عليه، لقوله ﷺ: «**أنتم شهداء الله في أرضه، فإن أنبئتم عليه خيراً، وجبت له الجنة**»، والعبرة بالثناء الذي يكون يوم موت الإنسان، وما بعد موته، حين ينقطع عمل الناس منه، وتذهب المجاملة، فيقول الناس كلمة الحق، يقولون كلمة الحق، ويوفقهم الله لذلك، ويجعل هذا بشرى لصاحب هذا الخير، وهذا المشروع الخير، هكذا.

كذلك من البشرية في الدنيا قبل الآخرة، أن الإنسان إذا احتضر، وجاءه الموت عند النزاع، يهون الله - عز وجل - عليه الموت، وإن كان شديداً، لأنه يريه ما يرغبه، مما أعد الله له، قالت عائشة رضي الله عنها وقد سمعت النبي ﷺ يقول: «**من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه**»، قالت: يا رسول الله، أهو الموت؟ فكأننا نكره الموت، فقال لها النبي ﷺ: «**لا يا ابنة الصديق، ولكن المؤمن، إذا كان في إقبال من الآخرة، وإدبار من الدنيا، أرى مقعده من الجنة، فلا يكون غائب أحب إليه من الموت فعندئذ، أو حينئذ يحب لقاء الله، والله - تعالى - قد أحب لقاءه**»، أو كما قال ﷺ.

فهذه بشرى، أن الإنسان، وهو على فراشه، وبين مغادرة روحه لجسده، يرى ما يسره، فيطمئن بأن يرى مقعده من الجنة، فيحب الموت، ويحب لقاء الله - **جل وعلا** - فهذه من نعم الله على العباد، ونسأل الله التوفيق لذلك، ولحسن الخاتمة.

فهذه بشرى، كذلك البشري في البرزخ، إذا وضع الإنسان في قبره، وتولى عنه مشيعوه، فإنه يأتيه الملكان: المنكر، والنكير، فيسألانه: من ربك، ما دينك، من نبيك؟، فإذا كان في الدنيا على الاستقامة على ما سبق ذكره، فإنه يثبت الله - **عز وجل** - في القبر، فيقول: ربّي الله، وديني الإسلام، ونبيّ محمد ﷺ فيقال: كيف عرفت ذلك؟ فيقول: قرأت القرآن، وعملت بما فيه، فيقال: نعم! قد علمنا إن كنت لموقناً، ثم يفتح له باب إلى النار، وباب إلى الجنة، فيقال: أنظر! هذا مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، ويفتح له باب من الجنة على قبره، فيأتيه من روحها، وريحانها، ونعيمها، فيقول: شوقاً إلى ذلك، ربّي أقم الساعة، فهذه بشرى.

فهذه بشارات متوالية، آخذ بعضها بحجز بعض، كحلقات السلسلة أولها، ومبتدأها، وأصلها العناية بالفقه في دين الله - **جل وعلا** - ومعرفة سنة النبي ﷺ ثم العمل بذلك، ثم الثبات عليه، ثم الاجتهاد فيه، وتنويعه، ثم أن يوفق الإنسان عند الموت بحسن الخاتمة، ثم يثبت في القبر، نسأل الله التوفيق.

وجاءت البشري بأنواع ذلك في الآخرة، وهي مترتبة البشارات في الآخرة على هذه الأمور

الدينية، قال الله - **جل وعلا** -: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا** تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ **نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي**

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ **نُزُلًا مِّن**

غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٢]؛ فتتزل الملائكة على المؤمن عند النزاع، وتنزل عليه في

القبر، وتستقبله عندما يقوم من قبره يوم القيامة في الحشر، وعلى أبواب الجنة تطمئننه، وتبشّره، قال الله -جلّ وعلا-: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] نسأل الله الكريم من فضله، فهذه تفصيلات لهذه البشارات، وقال -جلّ وعلا-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] نسأل الله الكريم من فضله، وقال -جلّ وعلا-: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢٢].

فهذه بشارات، تطمئن القلوب، وتثلج الصدور، وتحفز الهمم على الاجتهاد في الطاعة، والإخلاص لله -عزّ وجلّ-، وعلى تحريّ السنّة، وأن الإنسان لا بد أن يأخذ بأسباب ذلك في الدنيا، وهي التفقه في الدين، والعمل بالعلم ابتغاء وجه الله -عزّ وجلّ-، والاجتهاد في نفع الخلق، والثبات على ذلك، حتى يكون الخير، والعمل الصالح سجيّه للإنسان، وأن الله -عزّ وجلّ- من كرمه ينطق الألسنة بالشهادة له بالخير، والثناء عليه، ثم يثبته الله عند الموت، وفي القبر، ويوم الحشر، والنشر.

فالإنسان ينبغي أن يتحرى ذلك، لأن بشارات الآخرة منبئية على بشارات الدنيا، وبشارات الدنيا أنت تطلبها، وتتسبب فيها، فإذا اجتهدت سدّدك الله تعالى، وأعانك، ووفّقك، وثبّتك، نسأل الله ذلك كله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

يَهْدِيهِمْ رُحْمًا يُبِينُهُمْ ۖ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَأَخْرَجُوا مِنْهَا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ [يونس : ٩ - ١٠].

نسأل الله -عزَّ وجلَّ- بأسمائه الحُسنى، وصفاته العلى، أن يوفِّقنا للإيمان، والعملِ
الصالح، وأن يُثبِّتنا عليه، وأن يجعلنا من أهل المتجرِ الرابع، وأن يتوبَ علينا، ويعصمنا من
المُنكراتِ، والقبائح، وأن يُثبِّتنا على الحقِّ حتى نلقاه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه غير مُبدلين، ولا
مُغيِّرين، وأن يجعلنا أئمةً المُتقين، وأن يُزحِّزنا عن النار، ويدخلنا الجنة، الفردوس الأعلى
مع الأخيار، ووالدينا، ومشايخنا، وأزواجنا، وذريتنا، وذوينا، بفضلِهِ، وجودِهِ، وكرمه، والله
أعلم.

وصلى الله عليه وسلم على نبيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.



المفطرات عليها،
والمختلف فيها
مع
تنبيه مهم: بشأن التقويم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِهِ، وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أما بعد:

فقد قال الله - **جَلَّ وَعَلَا** - في ثنايا آياتِ الصيامِ مِنْ سورة البقرة: ﴿ **وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، ففي هذا القَدْرِ مِنَ الآيَةِ، يُبَيِّنُ اللهُ - **عَزَّ وَجَلَّ** - أنواعاً مِمَّا يَجْتَنِبُ الصائِمُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَيَحِلُّ لَهُ فِي لَيْلِ رَمَضَانَ فَالْأَوَّلُ، قَوْلُهُ: ﴿ **وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ يَعْنِي مِنْ زَوْجَاتِكُمْ، فَأَذِنَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَعَاشِرَةِ زَوْجَاتِهِمْ فِي اللَّيْلِ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ الْفَجْرُ، ﴿ **وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾؛ يَعْنِي مِنَ الْوَالِدِ، وَالْمُتَعَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا أَوَّلُ مَمْنُوعٍ فِي الصِّيَامِ إِيَّانَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَمَنْ أَتَاهَا فِي نَهَارِ رَمَضَانَ أَثِمَّ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَعَلَيْهِ كَفَّارَةٌ صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، فَهَذَا أَكْبَرُ مَحْظُورَاتِ الصِّيَامِ، أَكْبَرُ مَمْنُوعَاتِ الصِّيَامِ، وَأَخْطَرُ مَمْنُوعَاتِ الصِّيَامِ، الَّذِي أَتَى أَهْلَهُ فِي رَمَضَانَ، قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: هَلَكْتُ، قَالَ: « **وَمَا أَهْلَكَ؟** »، قَالَ: أَتَيْتُ أَهْلِي وَأَنَا صَائِمٌ؛ فَأَقْرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَوْلِهِ: هَلَكْتُ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُلَاكَةٌ، وَالْهَلَاكَةُ، وَهُلَاكٌ، هَذَا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ الَّذِي يَجْتَنِبُهُ الصائِمُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ.

الثاني: الأكل، الطعام، كل ما يؤكل، يُسْتَمْتَعُ بِهِ، يُتَلَذَّذُ بِهِ.

والثالث: الشُّرْبُ، كل ما يُشْرَبُ، وَيُسْتَمْتَعُ بِهِ، وَيُتَلَذَّذُ بِهِ، فَهَذَا مَمْنُوعٌ فِي نَهَارِ الصِّيَامِ، إِيَّانَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَالْأَكْلَ، وَالشُّرْبَ، هَذِهِ مَمْنُوعَةٌ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ كَمَا فِي الْآيَةِ، وَبِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَبِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَبِالْقِيَاسِ الصَّحِيحِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مَمْنُوعَةٍ، وَيُفْطَرُ بِهَا الصائِمُ، إِذَا تَعَاطَى شَيْئاً مِنْهَا فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، يُفْطَرُ بِهَا الصائِمُ.

كذلك جاءت السُّنة الصحيحة بأن المرأة الحائض والنفساء لا تصُم، بل يَجِبُ عليها الفِطْر، ولا يصحُّ منها الصيام، وتَقْضِي مِنْ أَيامٍ أُخْرٍ، فإذا جاء الحيض، أو النفاس المرأة في نهار رمضان، فإنه يُبْطَل صَوْمُهَا، هذه حَمْسَةٌ ممنوعات، أو مَحْظُورَات للصيام في نهار رمضان باتفاق أهل العلم، بإجماع الأمة، ما فيها خلاف هذه، مسائل ما فيها خلاف أصلاً.

وهناك مُفْطَّرَات أُخْرَى فيها الخِلاف لِتَجاذِبِ الأدلة، فَمِنْ ذَلِكَ: الحِجَامَةُ للصائم؛ فجمهور أهل العلم على أن الحِجَامَةَ مُفْطِرَةٌ للصائم لقول النبي ﷺ: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»، رأى رجلين، يَحْجِمُ أحدهما الآخر في رمضان فقال: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»، وجاءت أحاديث صحيحة، مفادها أن النبي ﷺ احتجم، وهو صائم، لكن كان في سفر، وكذلك جاء إنه رُخص في الحِجَامَةَ، وهذا مَوْقُوفٌ على الصحابة، ليس مَرْفُوعاً إلى النبي ﷺ حديث أبي سعيد، ما جاء في معناه: هذا مَوْقُوفٌ لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، ولا يجوز أن يكون ناسخاً لقوله ﷺ: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»، فالجمهور؛ جمهور أهل العلم على إن الحِجَامَةَ مُفْطِرَةٌ للصائم إذا تعاطاها في نهار رمضان، وإذا تكرر هذا فيلحق بهذا أمران:

الأول (الفِصَاد): قطع العِرْق لاستخراج الدم الذي فيه، فهذا يُلْحَق بالحِجَامَةَ، لأن ما يخرج من العِرْق أكثر مما في الحِجَامَةَ، لأن الحِجَامَةَ ما هي قطع عِرْق، الحِجَامَةَ: بَشَطٌ للجلد فقط، فالفِصَاد أبلغ من الحِجَامَةَ، مثل ذلك التَّبْرُع بالدم، أبلغ، وأكثر، ومثل ذلك أخذ الدم للتحليل، أخذ الكمية لبرواز مثل الإصبع، برواز، أو أكثر، فهذا يُعْتَبَرُ بمعنى الحِجَامَةَ، وأبلغ، لأنه يُؤْخَذُ مِنَ العِرْق نَفْسَهُ، أما الشيء اليَسِير الذي يُرَادُ مِنْهُ نوعية فصيلة الدم مثلاً، أو الشيء الذي يُؤْخَذُ لِلسُّكَّر مثلاً لمعرفة قياس السكر أو نحو ذلك، فهذا لا يَضُرُّ، أو الجَرَح

اللي يكون في الإنسان مِنْ غَيْرِ قصد، جَرَحَ في بشرته فيطلع دم، هذا غير مقصود، فهذه الثلاثة مُلْحَقَةٌ بِالْحِجَامَةِ، الفِصَادِ، وَالتَّبْرُوعِ بِالدَّمِ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ لِلتَّحْلِيلِ، التَّحْلِيلُ يُؤْخَذُ كَمِيَّةً، بِرِوَاظٍ، أَوْ بِرِوَاظِينَ أَكْثَرَ، أَوْ أَقَلَّ، يُقَدَّرُ مِثْلُ ثُلُثِي فَنِجَانِ الْقَهْوَةِ، هَذَا وَمَا زَادَ يُعْتَبَرُ دَاخِلًا فِي مَعْنَى الْحِجَامَةِ، الْإِبْرُ الْمُغَذِّيَّةُ الَّتِي تُعْطَى لِلْمَرْضَى عَلَى الْأَسْرَةِ، هَذِهِ مُغَذِّيَّةٌ بِمَعْنَى الْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ لِأَنَّهَا مُغَذِّيَّةٌ، وَمُقْوِيَّةٌ، بَلْ إِنْ الْمَرِيضُ يَعِيشُ عَلَيْهَا مُدَّةً مُتَّفَاوِتَةً، فَهَذِهِ فِي مَعْنَى الْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، لَكِنَّ الْإِبْرَ الَّتِي تَكُونُ فِي الْعِضْلِ، أَوْ فِي الْجِلْدِ مِثْلُ: إِبْرِ السُّكَّرِ، مِثْلُ: إِبْرِ الْعِضْلِ، الْبَنْسَلِينَ، وَغَيْرِهَا مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، هَذِهِ هِيَ الَّتِي فِيهَا الْخِلَافُ، لِأَنَّهَا مَا تُوَافِقُ عِرْقًا، وَلِأَنَّهَا مَا تَذْهَبُ لِلْمَعِدَةِ، قَدْ يَجِدُ نَكْهَتَهَا فِي تَنْفُسِهِ، أَوْ كَذَا، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَذَا، فَلِذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يُرَخِّصُ فِيهَا، يُلْحَقُ بِهَذَا بِخَاخِ الرَّبْوِ، فَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يُرَخِّصُهُ، وَيَقُولُ: لَيْسَتْ فِي مَعْنَى الْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، لَيْشَ؟ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مُغَذِّيَّةً، وَلِأَنَّهَا لَا تُعْطَى مَعَ الْمَجْرَى الْمُعْتَادِ، وَلَا تُعْطَى مَعَ الْعِرْقِ، وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنَّهَا مُفْطَرَّةٌ، لَيْشَ؟ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى مَادَتَيْنِ: سَائِلٍ، وَبُودْرَةٍ، فَالسَّائِلُ مَاءٌ، وَالْبُودْرَةُ دَوَاءٌ، فَهَذِهِ يَكُونُ مِنْ جِنْسِ الْجَرَحِ الَّذِي يُعَالَجُ، وَالَّذِي يَقُولُ الْفُقَهَاءُ أَنَّهُ يُفْطَرُّ، الَّتِي هِيَ دَوَاءُ الْجَائِفَةِ، وَالْمَأْمُومَةِ، الْجَرَحِ الْعَمِيقِ فِي الْجِسْمِ، فَإِذَا كَانَ فِيهِ نِزَاعٌ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَالْتَّقْوَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجْتَنِبُ هَذَا فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، فَإِنْ احتاجَ إِلَى ذَلِكَ فَالْأَحْوَابُ إِنَّهُ يَقْضِي.

غَسِيلُ الْكَلْبِيِّ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ لِلْجَمِيعِ - هَذَا بِإِقْرَارِ الْأَطْبَاءِ أَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى مَوَادِّ مُغَذِّيَّةٍ، وَمَوَادِّ كِيمِيَائِيَّةٍ، فَهُوَ مُفْطَرٌّ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْفَتْوَى فِي هَذَا الْعَصَبِ، لِأَنَّهُ جَدِيدٌ، فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ مُفْطَرَّةٌ، لِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَجَنَّبَ هَذِهِ الْأُمُورَ.

التَّقْيُؤُ عَمْدًا الْاسْتِفْرَاغَ مِثْلًا يَتَسَبَّبُ فِي إِخْرَاجِ مَا فِي مَعِدَتِهِ، وَضَعُ إِصْبَعِهِ فِي فَمِهِ، أَوْ أَنَّهُ يَشْمُ رَائِحَةَ كَرِيهَةٍ، أَوْ مَنْظَرَ كَرِيهٍ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، إِذَا تَعَمَّدَ أَفْطَرَ، وَإِذَا غَلَبَهُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَلَا يَضُرُّهُ، فَهَذِهِ أُمُورٌ يَنْبَغِي التَّنَبُّهُ لَهَا، لِعُمُومِ الْبَلْوَى بِهَا، وَمَسَائِلُ طَبِيبَةٍ كَثِيرَةٌ يَسْأَلُ عَنْهَا مَنْ

أُبتلي بها، يُسأل عنها المُختص بالجانب الطبي أيش فيها؟، ثم يُسأل المختص بالجانب الشرعي، حتى يجعل الدليل على الحالة، ويستخرج الحكم.

قال تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ [البقرة:

١٨٧] ، الفجر فجران: فجر كذوب، يُسمى الكذوب: هو شعاع من الشمس يجيء قبيل الفجر، مُستطيل في السماء من الشرق، مُمتد إلى وسط السماء، يكون لا هو أسود، ولا أبيض، يُشبه ذيل الذئب، نقول: كذنب السرحان هذا يأتي عمود، وبعدين يتلاشى، ويضمحل، هذا لا يُعتبر، وإنما المُعتبر هو البياض المُعترض من الشمال إلى الجنوب، الذي يجعل كأن بين السماء، والأرض فتحة، لأنه بالليل يظهر صورة السماء مُنطبقة على الأرض، فإذا تبين الفجر، بانت فتحة من جهة الشرق، مُستطيلة من الشمال إلى الجنوب، خط أبيض، ويتلوه حُمرة، هذا هو الفجر المُعتمد، وهذا هو ﴿ **الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ** ﴾ [البقرة: ١٨٧]، الخيط الأبيض: طرف النهار، والخيط الأسود: طرف الليل، فمتى ما يتبين أمسك الإنسان عن الأكل، والشرب، وغير ذلك من الأمور، وَجِبَ عَلَيْهِ، فيحتاج الإنسان أن يتبين، الناس اليوم يَعْتَمِدُونَ على التقويم، مع أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أحالنا إلى آيات ظاهرة، ظهور الفجر آية ظاهرة من آيات الله .

﴿ **وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ** ﴾ [التكوير: ١٨]، والغروب ظاهر، كِلْنَا نَشْهَدُهُ، ما نحتاج خلاف أصلاً

هذا، وَمِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أنه جعل مواقيت العبادات آيات ظاهرة، يَشْتَرِكُ في إدراكها، الخاص، والعام، الرجل، والمرأة، الكبير، والصغير، العالم، والجاهل، فالمراد هنا التبين، يتبين لكم الصبح، فالتقويم الآن: الناس يُؤذِنُونَ عليه، وهو ما هو دقيق، لأن التقويم سُوى قبل سنين؛ حسابي، فهو ما هو دقيق، يعنى يكون فيه فرق دقائق، فالفجر مُمكن يكون فيه فرق من خمس دقائق وزيادة يمكن أحياناً في بعض الأوقات إلى ربع ساعة، وفي المساء،

الغروب يكون فيه فرق دقيقة ونصف إلى ثلاث في الغالب، فمن مُتَابَعْتِي مِنْ خِلالِ السِّنِينَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، المغرب مِنْ دقيقة ونصف إلى ثلاث دقائق يكون الفرق بين التقويم، وبين الواقع.

أما الفجر فهو لا فيه فرق، يعني خمس هذه ما فيها شيء، والزيادة مُحْتَمَلَةٌ، وهذا يَنْبَهَنَا إلى أمرٍ آخَرَ، الأول: أن الإنسان اللي يأكل، ويشرب إذا أَذِنَ على التقويم، فلا بأس أنه يتعاطى خمس دقائق إذا احتاج، لأنه بعض الناس يقوم على الأذان أحياناً، إنسان غلب على نفسه واستيقظ وهو يُؤذِن، لا تحرم نفسك الأكل، والشرب اليسير، تتقوى على العبادة، وهذا وقت السُّحْرِ، فلا تَحْرِمَ نَفْسَكَ، أو تحرم ولدك الطفل، أو المرأة، فالأمر واسع في ذلك، مادام يأكل وقت الأذان، أو أثناء الأذان، بعد الأذان بدقيقة، بدقيقتين، إلى خمس دقائق، الأمر واسع جداً ما في إشكال.

الأمر الثاني: أمر صلاة النساء في البيوت، لا يصح أن تصلي المرأة في بَيْتِهَا الفريضة الفَجْرَ إلا بعد عشر دقائق إلى ربع ساعة، لأن الصلاة يُحْتَاطُ إِذَا صَلَّتْ قَبْلَ الْوَقْتِ ما تصح الصلاة، هذا أمرٌ يحتاج إلى تَبَهُ، وإذا عرفنا أن التقويم حساب، وأنه تقريبي، ما يستغرب وجود هذا الشيء، لأنه حسابي اصطلاحى، وتقريبي، فذلك يتبه الإنسان ﴿حَتَّى يَتَّبِينَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ

مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ والمعنى أنه يتجلى الصبح يظهر، بحيث أنه ما يختلف فيه اثنين، إذا شاهدوا الصبح في المشرق، وقت طلوع الفجر، ما يختلف اثنين أو ثلاثة، يقول: واحد ما شوفه أنا، إذا صار ما يشوفه معناه ما طلع لا بد من هذا، أن يُعرف، حتى لا يضيق الناس على أَنْفُسِهِمْ، بل قد رُوِيَ مِنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: لأنه لا بد أن ينتشر الصبح يتجلى، ولذلك يَنْصُونَ على أنه تَبِينُ الحُمْرَةِ التي بعد الصبح، خيط أبيض، ويتلوه خيط أحمر عريض الحُمْرَةِ، هذا مثل الشفق في المغرب، اللي بعد غروب الشمس بالضبط

يصير فيه حمرة، هذا المراد فالحمرة بعد الشمس في المغرب، وقبل الشمس في المشرق، بعد طلوع الفجر يعني، هذا المعنى، فلذلك لا بد من التنبه خصوصاً لصلاة النساء في البيوت والرجال المعذور من حضور الجماعة؛ كالشيخ الكبير، والمريض، وغير ذلك، إنهم ما يصلون إلا بعد ما يزيد عن عشر دقائق على الأقل، وأنا اليوم مشكلة، شاهدت مساجد، مريت بمساجد، وأنا جاي الفجر، يصلون بعد عشر دقائق من التقويم، وهذا خطأ، فيه إشكال، لذلك يحتاج إلى احتياط ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ يعني أمسكوا عن هذه الأشياء التي كانت مباحة لكم، فالصيام هو الإمساك عن ما حرم الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - في نهار رمضان بنية التعبد لله - **عَزَّ وَجَلَّ** - نية الصوم، من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

﴿ **ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ [البقرة: ١٨٧]، الليلي: هو غروب الشمس، أن يختفي قرص الشمس، يختفي تماماً فإذا اختفى قرص الشمس، فما بقي من الشعاع، الخطوط التي في السماء، ما تضر، الحمرة كذلك ما تضر، ولذلك يقول ﷺ: « **إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا وَأُشَارَ لِلْمَشْرِقِ، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا وَأُشَارَ لِلْمَغْرِبِ، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ** »؛ يعني حكماً، ولا يبين السواد في المشرق إلا باختفاء قرص الشمس، وهذا معلوم يعني، لحد قرص الشمس بين، ما تبين الظلمة من جهة المشرق.

ولذلك قارن النبي ﷺ بين الثلاثة: « **إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ** »، فإذا احتاط الإنسان على التقويم، دقيقة ونصف، دقيقتين للإفطار، اطمئن، ما في إشكال، بالنسبة للسنة هذه يعني، فيكون هكذا، فيؤخر الإنسان السحور طلباً لبركته، ويعجل الإفطار إذا تحقق بالشرط طلباً للبركة، وأعظم البركة إتباع السنة، ولذلك يقول ﷺ: « **لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ أَوْ لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا أَخَّرَ النَّاسُ** »

السُّحُورَ وَعَجَّلُوا الْفِطْرَ»، هذه السُّنَّةُ، وهذا مُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ، السُّحُورَ لِأَبَدٍ أَنْ يَشْتَمَلَ عَلَى التَّمْرِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «نِعْمَ سَحُورَ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ»، فالذي يتحاشى التمر، مِنْ عِنْدِهِمُ السُّكَّرُ يَقْتَصِدُ، يَأْخُذُ وَاحِدَةً، أَكْثَرَ، أَوْ أَقَلَّ حَسَبَ حَالِهِ، لَكِنْ يَجِي عَلَى التَّمْرِ، لِأَنَّ هَذَا مِنْ لَدُنِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَالتَّمْرُ مُفِيدٌ لِلْجِسْمِ، وَلِذَلِكَ طَوَّلَ الصِّيَامَ، طَوِيلَ عَلَى اللَّيِّ عِنْدَهُ سُكَّرٌ، يُضَعِّفُ الْمَادَةَ، فَلِذَلِكَ هُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى ذَلِكَ، قَدْ يَزِيدُ وَقْتُ السُّحُورِ، لَكِنْ يَنْقُصُ فِيهَا بَعْدُ، يَتَلَاشَى.

الْفِطْرَ الْأَفْضَلَ الرُّطْبَاتِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَالتَّمْرَاتِ، لِأَنَّ الْفِطْرَ يَكُونُ الْجِسْمُ قَدْ احْتَاجَ إِلَى السُّكَّرِ، أَصْلًا خَلَقَهُ الْمَادَةَ الْحَالِيَةَ، وَالرُّطْبَ أَسْرَعَ وَصُولَ لِأَجْزَاءِ الْجِسْمِ الْحَسَّاسَةِ الْمَعْنِيَةِ بِهَذَا الشَّأْنِ مِنَ التَّمْرِ، التَّمْرُ يَسْتَعْرِقُ وَقْتُ، لَكِنَّ الرُّطْبَ مَا يَسْتَعْرِقُ وَقْتُ، وَهَكَذَا الشَّيْءُ الْحُلُوُّ، نَفْسُ الشَّيْءِ فَكَانَ ﷺ يُفِطِرُ عَلَى رُطْبَاتِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَتَمْرَاتِ، أَوْ تَمِيرَاتِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنَ الْمَاءِ، شَرِبَ مَاءً قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ، لِأَنَّ هَذَا فِيهِ مَبَادِرَةٌ لِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَالسُّنَّةُ جَاءَتْ بِحِفْظِ الصِّحَّةِ، فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُرَاعِيَ هَذَا، وَيَكُونُ عِنْدَهُ حِسْبَةٌ، أَنَّهُ يَتَّبِعُ السُّنَّةَ، يَقْتَدِي بِالنَّبِيِّ ﷺ يُؤَجِّرُ عَلَى ذَلِكَ، فَهَذَا أَمْرٌ لِأَبَدٍ مِنَ الْعِنَايَةِ بِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
و صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



**بعض الأحكام
المتعلقة بسفر ومرض الصائم**

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ، وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدًا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أما بعد:

فقد قال الله - **جَلَّ وَعَلَا** - في سياق آيات الصيام: ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٤]؛ فهذه الآية بيان لما أجمل في الآية السابقة وأن الصيام في حق هذه الأمة ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ وبيانها قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾ [البقرة: ١٨٥] أن هذه الايام المعدودات هي شهر رمضان، ففي قوله تعالى: ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ تقليل لهذه الايام، وأنها قليلة، ويسيرة، وهذا بالنسبة لمن كانوا قبلنا لأنهم كانوا يصومون أكثر من ذلك، ويسر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - على هذه الأمة، وجعل صومها شهراً معلوماً من السنة هو أفضل شهور السنة للصيام؛ ولذلك جعله الله - **جَلَّ وَعَلَا** - ظرفاً لأداء فريضة الصيام.

﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ** ﴾؛ والمعنى سرعان ما تنقضي على الحي، فهي يسيرة، وسرعان ما تنقضي، وأيضاً المُخاطب الحي ما يدرى ما نصيبه منها، فالآجال مُغَيِّبَةٌ ما يدرى إذا أدرك أول الشهر هل يدرك نصفه؟ إذا أدرك نصفه هل يدرك آخره؟ أم لا؟ فكم من أرواح تُغْتَرَبُ في الشهر كغيره من الشهور، وإذا مدَّ الله في عمره وأكمل الشهر فإنه سرعان ما ينقضي ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ فهذه مدة الصيام شهر وهو أيام؛ إن تم فهو ثلاثون يوماً، وإن نقص فهو تسعة وعشرون يوماً، فلا يزيد عن ثلاثين، ولا ينقص عن تسعة وعشرين هذا الشهر.

فالذي يشهد الشهر يصومه بمعنى يدخل الشهر وهو حاضر في البلد، ويعلم بدخول الشهر، فالواجب عليه أن يصومه مع المسلمين، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] فإذا اشتُهرت رؤية الهلال وجب عليه الصوم لقوله ﷺ: «صوموا لرؤيته»؛ يعني هلال رمضان، «وأفطروا لرؤيته»؛ يعني هلال شوال، قوله ﷺ: «لا تصوموا حتى تروا الهلال»؛ يعني رمضان، «ولا تفطروا حتى تروا الهلال» يعني شوال.

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٥] من أدركه الشهر وهو مريض يُشَقُّ عليه الصيام، أو على سفر والسفر مظنة المشقة؛ فيفطر ويقضي بعدد ما أفطر من أيام آخر بعد رمضان، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾؛ والمعنى أفطر ﴿فَعِدَّةً﴾؛ أي: فيصوم عدة، ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ بعدد ما أفطر فهذا حكم الله، وهذا تيسيره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لعباده، والذي يجب عليه الصوم هو المسلم البالغ العاقل القادر السالم من الموانع، فخرج من المسلم الكافر، لأنه لا يصح صوم الكافر، لا يقبل منه، وإن كان يطالب به ويُعاقب عليه، لكن هو مُطَالَب بالإسلام أولاً، فما دام لم يُسلم فلا يقبل منه صومه ولو صام، والبالغ؛ خرج بذلك الصغير، فالصغير المُمَيِّز يُؤمر بالصوم على وجه التمرين والتعليم والتربية الصالحة على الإسلام، كان الصحابة - **رضوان الله عليهم** - يصومون أطفالهم ويصنعون لهم اللعب من الصوف يلهون بها، فإذا طلبوا الطعام أشغلوهم باللعب حتى تغيب الشمس، فالصغير إما أن يكون مُمَيِّزاً يعني من سبع فأكثر فيؤمر بالصيام، ويؤكد عليه، تربيةً له، ولأنه من عشر يكون من ضمن البلوغ فيؤكد عليه، وما دون السبع لا يكلف لأنه دون السبع غير مكلف ولا يعقل التمرين وغير ذلك.

والعاقل؛ خرج بذلك المجنون فاقد العقل، فهذا لا يصح منه الصوم لأنه ما عنده نية أو قصد، غير مكلف رُفِعَ عنه القلم، فعن الصغير حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق.

والمُقيم ؛ يعنى عدم المسافر، لا يكون مسافراً؛ فالمقيم يجب عليه الصوم، والمسافر مُرخص له الصوم لأنه مظنة المشقة .

القادر؛ يخرج بذلك المريض شديد المرض الذى لا يُرجى برؤهُ عادةً، أو الذى يضرهُ الصوم بسبب له مرضاً شديداً، وخارج بذلك الكبير الذى ضعف لكبره فلا يستطيع الصوم لكبره، لأنه فى حكم الصبيان يشق عليه، ولا أمل أن يشب حتى يصوم، فهذا يفطر، فالمريض الذى لا يُرجى برؤهُ، والكبير الذى تنهى كبره، يفطران ويُطعم عن كل يوم مسكيناً بعدد أيام رمضان، أما إذا كان الكبير لا يعقل ، قد هزى أو خرّف؛ فإنه لا صيام عليه ولا قضاء ولا إطعام، لأن الحكم منوط بالعقل، وليس عنده عقل، هذا فى حكم المجنون غير مكلف، أسير الله فى أرضه.

و السالم من الموانع؛ خرج بذلك المرأة النفساء والحائض، فإنهما تطيقان الصيام، لكن يمنعهما النفاس والحيض دون الصوم، ولا يصح الصوم منهما، فهذا الذى يجب عليه الصوم؛ المسلم البالغ، العاقل، القادر، السالم من الموانع .

﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ ﴾

[البقرة: ١٨٥] فيفطر ويقضى بعدد ما أفطر؛ المريض الذى يشق عليه الصوم مع المرض أو يزيد المرض فيفطر؛ والكبير الذى لا يستطيع، والمسافر الذى هو فى السفر مظنة المشقة عليه؛ فيفطر ويقضى، كل واحدٍ منهم يفطر ويقضى، ولا فدية عليه.

قال: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ﴿ الَّذِينَ

يُطِيقُونَهُ ﴾ فسرت بأحد تفسيرين:

الأول: ﴿ الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ يعنى يقدرّون على الصوم لكن لا يحبّون أن يصوموا كان

هذا فى أول الإسلام من شاء صام، ومن شاء أفطر، وأطعم عن كل يوم مسكيناً، فكان هذا

مُرْخَصَ لَهُمْ مَوْقَاتًا ثُمَّ نُسِخَ هَذَا التَّرْخِيفُ بِالْإِلْزَامِ بِالصِّيَامِ؛ فَهَذَا مَعْنَى ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ يَعْنِي يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ لَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ رَغْبَةٌ فِي الصَّوْمِ فَإِنَّهُمْ لَهُمُ الْفِطْرُ، وَيُطْعَمُونَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤]؛ فَالصِّيَامُ خَيْرٌ مِنَ الْإِفْطَارِ مَعَ الْإِطْعَامِ، لَيْسَ؟ لِأَنَّهُمْ قَادِرُونَ، وَلِأَنَّهُمْ رُخِّصَ لَهُمْ فِي الْفِطْرِ مِنْ بَابِ التَّدْرِجِ فِي التَّشْرِيعِ مَوْقَاتًا ثُمَّ عُزِمَ عَلَيْهِمْ بِالصِّيَامِ.

وَالْقِرَاءَةُ الثَّانِيَّةُ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤] قُرَأَتْ يُطَوَّقُونَهُ يَعْنِي يُكَلِّفُونَهُ، فَيَشْتَقُّ عَلَيْهِمُ الصَّوْمَ مَعَ رَغْبَتِهِمْ فِي الصِّيَامِ، وَهَمُّ الْمَرِيضِ الَّذِي لَا يُرْجَى بَرُّوهُ، وَالْكَبِيرِ الَّذِي لَا يُرْجَى أَنْ يَعُودَ إِلَى شَبَابِهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الصَّوْمِ يُطَوَّقُونَهُ يَعْنِي يُكَلِّفُونَهُ، وَيَشْتَقُّ عَلَيْهِمْ فَيَفْطِرَانِ وَيُطْعَمَانِ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا، سِوَاءً كَانَ الْإِطْعَامُ قَبْلَ الصِّيَامِ أَوْ مَعَ الصِّيَامِ أَوْ بَعْدَ الصِّيَامِ، فَأَنَّسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا كَبِرَ وَعَجِزَ أَنْ يَصُومَ لِأَنَّهُ جَاوَزَ التَّسْعِينَ أَفْطَرَ رَمَضَانَ، وَجَمَعَ ثَلَاثِينَ مَسْكِينًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَعَشَاهُمْ فَأَطْعَمَ ثَلَاثِينَ مَسْكِينًا بَعْدَ أَيَّامِ الشَّهْرِ، وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَعْلَمَ بِمَرَادِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- بِكَلَامِهِ، وَمَرَادِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سُنَّتِهِ.

﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤] هَذَا فِي مَنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى الصَّوْمِ وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَصُومَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، أَوَّلُ مَا شُرِعَ الصِّيَامُ فَخَيْرٌ بَيْنَ الصِّيَامِ وَالْإِفْطَارِ وَالْقَضَاءِ، أَوْ أَنْ لَا يَقْضِي وَعَلَيْهِ فِدْيَةٌ فَقَطْ، وَقِيلَ لَهُ أَنَّ الصَّوْمَ أَوْلَى ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ فِي تَشْرِيعِ الصَّوْمِ فِي أَوَّلِهِ، فِي التَّدْرِجِ فِي تَشْرِيعِهِ، فِي مَرَاعَاةِ أَحْوَالِ النَّاسِ فِي الصِّيَامِ، وَالتَّيْسِيرِ عَلَيْهِمْ فِي الْعِبَادَةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فِي آخِرِ الْآيَاتِ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

[البقرة: ١٨٥] ، فهذا من تيسيره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على عباده، فمن وجوه التيسير أن من شاء صام في أول الأمر، ومن شاء أفطر وأطعم على كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليه.

ومن وجوه التيسير أن المريض والمسافر الذين يُشَقُّ عليهما الصوم مع القدرة عليه أنهما يفطران ويقضيان، ولا إطعام، ومن وجوه التيسير، أن المريض الذي لا يُرَجَى بُرُؤُهُ، والكبير الذي يُشَقُّ عليه الصوم يُفطران ويُطعمان ولا قضاء عليهما، وهذا دليل أن الدين يُسر، ودليل أنه لا يُشَدَّد على الناس إلا جاهل بأحكام الدين، وأنه لا ينبغي للناس الترخُّص برخصةٍ لم يدلَّ الدليل على أنهم من أهلها؛ مثل ما أن الدين يُسر لا يجوز لأحد أن يترخَّص بدعوى أن الدين يُسر وهو يستطيع الصوم، فيُفطر من غير عذر؛ لأن من الناس من يحتال على الفطر يخرج مسافة خمسة كيلو أو عشرة كيلو خارج البلد، ويقول: أنا سافرت ويرجع ويفطر هذه حيلة على الله، وهذه الحيلة هي التي عاقب الله بها اليهود؛ أن مسخهم قردهً وخنازير لما احتالوا على الله تعالى ولم يغاروا على حرماته .

فالدين يُسر في حق كل أحد، ولا يستعمل يُسره من ليس من أهل ذلك اليُسر، ولا يُشَدَّد أحدٌ على نفسه في دين الله فيتسبَّب في إهلاك نفسه من أجل العبادة، فإن هذا جهل وتنطع وتكلف، وقد نهانا الله -**عَزَّ وَجَلَّ**- عن الرهبانية والتكلف، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبيِّنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلم.



تأملات في سورة المجادلة

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أما بعد:

فالسورة التي سَمِعْتُمْ طرفاً مِنْهَا، وَقَفْنَا عَلَيْهَا تُسَمَّى سورة المُجَادَلَة أو المُجَادِلَة، وَسببُهَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ الصَّحَابَةِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْنِينَ ظَاهِرٍ مِنْ امْرَأَتِهِ، غَضِبَ عَلَيْهَا وَظَاهَرَ مِنْهَا، قَالَ: هِيَ عَلَيْهِ كَظْهَرِ أُمِّهِ، وَكَانَ هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُعَدُّ طَلَاقًا فِرَاقًا أَبَدِيًّا، تَحْرِمُ عَلَيْهِ، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَسْتَفْتِيهِ فِي الْأَمْرِ، تَرْجُو أَنْ يُلْطِفَ اللَّهُ - **جَلَّ وَعَلَا** - بِهَا، وَبِزَوْجِهَا، وَأَوْلَادِهَا، وَأَلَّا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا.

فَلَمَّا عَرَضَتِ الْأَمْرَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَجَابَهَا بِقَوْلِهِ: «**مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتَ عَلَيْهِ**» وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَفْتَى النَّبِيُّ ﷺ بِمَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَمَوْجُودٌ فِي الْوَقْتِ، وَهَذَا رُبَّمَا إِنَّهُ مِمَّا بَقِيَ فِيهِمْ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فَكَانَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فِي الْحُجْرَةِ، وَعَائِشَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** فِي الْجَانِبِ الْآخَرَ، مَا بَيْنَهُمَا حَاجِزٌ، وَلَا سِتْرٌ.

فَلَمَّا سَمِعَتْ جَوَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ تَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ - **جَلَّ وَعَلَا** -، وَتُنَاجِيهِ فِيمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ، وَتَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ صَبِيَّةً، إِنْ ضَمَمْتَهُمْ إِلَيْهِ؛ يَعْنِي إِلَى الزَّوْجِ ضَاعُوا، وَإِنْ ضَمَمْتَهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا»، يَعْنِي إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الْحُكْمُ، فَالْفُرْقَةُ الْأَبَدِيَّةُ، فَهَذِهِ مُشْكَلَةٌ، كُلُّ مَا رَاجَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ فِي ذَلِكَ، أَجَابَهَا هَذَا الْجَوَابُ: «**مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتَ عَلَيْهِ**» وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، فِيمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ اللَّهِ - **عَزَّ وَجَلَّ** -، تَقُولُ عَائِشَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: سُبْحَانَ مَنْ وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، إِنَّهَا تُجَادِلُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، وَأَنْتِي مَا أَسْمَعُ صَوْتَهَا يَعْنِي مَا أُمِيزُ كَلَامَهَا، فَانزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]؛ فَأَثْبَتَ اللَّهُ - **عَزَّ وَجَلَّ** - لِنَفْسِهِ السَّمْعَ، وَالْبَصَرَ، لِذَلِكَ اسْمُهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، فَالسَّمِيعُ الَّذِي يَسْمَعُ الْمَسْمُوعَاتِ، وَالْبَصِيرُ الَّذِي يُدْرِكُ الْمُبْصَرَاتِ، فَلَا

يُفَوِّتُهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ، لَا مَا ظَهَرَ، وَلَا مَا بَطَّنَ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى إِطْلَاعِ اللَّهِ - **جَلَّ وَعَلَا** -، وَإِحَاطَتِهِ بِخَلْقِهِ، وَقُرْبِهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فَيَعْلَمُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّرَائِرُ، وَمَا أَكْتَنَتْهُ الضَّمَائِرُ، وَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ - **عَزَّ وَجَلَّ** - بِهِذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ، أَنَّهُ **سُبْحَانَهُ** أَنْزَلَ حُكْمَ الظُّهَارِ، وَأَنَّ فِيهِ الكَفَّارَةَ، عِتْقَ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحْصَلَ مِنْهُمَا الْجَمَاعُ ﴿ **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا** ﴾ [المجادلة: ٤]، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ﴿ **فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا** ﴾ [المجادلة: ٤]؛ فَجَعَلَ اللَّهُ - **عَزَّ وَجَلَّ** - الكَفَّارَةَ بَدَلَ التَّحْرِيمِ الْأَبَدِيِّ، وَلُطْفَ اللَّهِ - **عَزَّ وَجَلَّ** - بَبَقَاءِ عَقْدِ الزَّوْجِيَّةِ مَعَ الكَفَّارَةِ، وَإِرَادَةِ الْإِصْلَاحِ، وَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ شَرِيعَةً لِلْأُمَّةِ إِلَى آخِرِ الزَّمَنِ.

وَبَيَّنَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إِنْ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ الْمُظَاهِرَةِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِنْ هَذَا مِنَ الْمُنْكَرِ، مِنَ مُنْكَرِ الْقَوْلِ، وَأَنَّهُ زُورٌ، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعْدِي عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْعَبْثُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ، وَأَنَّ هَذَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْدُرَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَبَعْدَ هَذِهِ يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ، فَلَا يَسْتَهِينُوا بِأَحْكَامِ النِّكَاحِ، وَلَا يَسْتَعْجِلُوا بِالطَّلَاقِ، وَلَا يَأْتُوا بِعِبَارَاتٍ غَلِيظَةٍ مِثْلَ هَذِهِ؛ كَالْمُظَاهِرَةِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْإِيْلَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ التَّعْدِي لِحُدُودِ اللَّهِ، فَلِذَلِكَ زَجَرَهُمُ اللَّهُ - **عَزَّ وَجَلَّ** - زَجْرًا عَظِيمًا، وَجَعَلَ ذَلِكَ مَوْعِظَةً لَهُمْ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَحْضِرُوا رِقَابَةَ اللَّهِ - **جَلَّ وَعَلَا** - لَهُمْ، وَإِحَاطَتَهُ بِهِمْ، وَإِطْلَاعَهُ عَلَيْهِمْ، وَقُدْرَتَهُ عَلَيْهِمْ، فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ** ﴾ [المجادلة: ٧] ﴿ **ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [المجادلة: ٧]، ﴿ **أَحْصَنَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [المجادلة: ٦]، وَانظُرْ كَيْفَ التَّعْبِيرُ ﴿ **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ [المجادلة: ٧]؛ مَا قَالَ ثَالِثُهُمْ لِأَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِمْ، فَاللَّهُ تَعَالَى

هو الخالق وحده، وما سواه مخلوق، وأنه معهم سُبْحَانَهُ بِمَعِيَّتِهِ الْعَامَةِ التي مُقْتَضَاهَا الْعِلْمُ، والاطلاع، والاحاطة، والقدرة، في هذا مِنَ التَّخْوِيفِ، والتهديد للعُقلاء، ما تَقْشَعِرُ مِنْهُ الْجُلُودُ، وأن من تعدى حدود الله على خطر من العقوبة التي قد تُفَاجِئُهُ، وأن يجعله الله -عَزَّ وَجَلَّ- عِبْرَةً لأمثاله، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كِتُوبًا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَوَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة: ٥] هذا ما يكون إلا من الكفار، فكيف المسلمون يعبثون بشرع الله، وأحكامه، ويُطْلِقُونَ لِأَسِنَّتِهِمُ الْعِنَانَ، فيتكلمون دون رَوِيَّةٍ، ومُرَاعَاةٍ لِأَحْكَامِ الشَّرْعِ، لا يكون.

وفي هذا التنبيه على أن الأعمال، والأقوال، والنيات العازمة مُحْصَاهَا، وَمُسَجَّلَةٌ عَلَى الْعِبَادِ، وسوف ينبئون بيها يوم القيامة، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا، فليأخذ العبد حِذْرَهُ ﴿أَحْصَنَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦] ﴿ثُمَّ يَنْتَبِهُمُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]؛ فدل ذلك على ضرورة مُرَاقَبَةِ اللَّهِ، ومهما كان الإنسان خالياً، فإن عليه رقيباً، فإن الله رقيباً عليه.

ولهذا جاء في قصة وصية لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه، قال: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]، يعني لطف حتى صار أقرب لكل شيء من نفسه، وهذا من كمال لطفه -جَلَّ وَعَلَا- واطلاعه على بواطن الأمور، فاللطيف هو الْمُطَّلِعُ عَلَى مَوَاطِنِ الْأُمُورِ، وهو الذي يَلْطَفُ بِعِبَادِهِ، فيحْكُمُ لَهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ مَا فِيهِ الْيُسْرُ، والسهولة في رفع العنت، وزوال الحرج، فهذا من لطفه، فالخبير الْمُطَّلِعُ عَلَى مَوَاطِنِ الْأُمُورِ، واللطيف الذي يَلْطَفُ بِالْعِبَادِ، ومن ذلك أنه يَصْفَحُ عَنْهُمْ الْعُقُوبَةَ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُمَهِّلُهُمْ لِيتوبوا، لا يعاجلهم بالعقوبة إلى غير ذلك.

ثُمَّ اِسْتَمَلَتِ السُّورَةَ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْاَدَابِ الْاِسْلَامِيَّةِ الَّتِي اَدَّبَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِهَا اَهْلَ الْاِسْلَامِ، وَمِنْ ذَلِكَ التَّنَاجِي: حَدِيثُ الشَّخْصِ لِصَاحِبِهِ، التَّنَاجِي غَيْرِ السَّرِّ، وَغَيْرِ النِّدَاءِ، فَالسَّرُّ: الَّذِي يَكُونُ فِي النَّفْسِ، وَالتَّنَاجِي: حَدِيثُ الْاِنْسَانِ مَعَ صَاحِبِهِ هَمْسًا، وَالنِّدَاءُ: مَا يَكُونُ بِرَفْعِ صَوْتٍ، فَنَهَى اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنِ التَّنَاجِي بِالْاِثْمِ، وَالْعُدْوَانِ، وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ ﴿ اِذَا تَنَجَيْتُمْ فَلَا تَنَجُوا بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجُوا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المجادلة: ٩] بِالطَّاعَةِ، وَتَجَنَّبِ الْاِثْمَ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ اِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]؛ فَهَذَا فِيهِ تَخْوِيفٌ، وَتَهْدِيدٌ لِلْعُقُلَاءِ، وَأَنَّ الْكَلَامَ مَحْفُوظٌ عَلَى صَاحِبِهِ، وَلِذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «كُلُّ كَلَامٍ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ اِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَاوَاهُ»، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ اِلَّا فِي مَا يَعْنِيهِ».

ثُمَّ اَمْرٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّفْسُحِ فِي الْمَجَالِسِ، وَأَنَّ الضِّيقَ فِي الْاَنْفُسِ لَيْسَ فِي الْمَجَالِسِ، وَأَنَّ النَّاسَ اِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اَحَدٌ وَهَمَّ فِي الْمَجْلِسِ يَنْبَغِي اَنْ يَتَقَارَبُوا، وَيَفْسَحُوا لَهُ، لَا يَجْعَلُوهُ يَنْظُرُ يَمِينًا، اَوْ شِمَالًا مَا يَدْرِي اَيْنَ يَجْلِسُ؟، يَتَقَارَبُونَ، وَيُوجَدُ لَهُ مَكَانٌ، وَيَتيسَّرُ الْاَمْرُ، يَتَفْسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ، هَذَا مِنَ الْاَدَبِ الشَّرْعِيِّ، حَتَّى اِنَّ اللَّهَ يَفْسَحُ لَكُمْ، وَيَفْسَحُ لَكُمْ فِي اَرْزَاقِكُمْ، وَيَفْسَحُ لَكُمْ فِي اَجَالِكُمْ، وَيَفْسَحُ لَكُمْ فِي اَحْكَامِهِ سُبْحَانَهُ الَّذِي شَرَعَ لَكُمْ، وَيَفْسَحُ لَكُمْ حَتَّى تَتُوبُوا اِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الْمَعَاصِي، وَالذُّنُوبِ، وَيُوسِّعُ الْاُمُورَ عَلَيْكُمْ، وَاِذَا ضَايَقْتُمْ اَنْفُسَكُمْ، تَسْبِيتُمْ فِي تَضْيِيقِ اللهِ عَلَيْكُمْ، فَلهَذَا الْاِنْسَانُ يَكُونُ سَمَحًا، وَلِهَذَا الْعَوَامُّ يَكُونُ الضِّيقُ فِي النُّفُوسِ، وَالنَّاسُ يَجْتَمِعُ الْخَلْقُ مِنْهُمْ فِي مَنَى فِي خِيْمَةٍ وَاَحَدَةٍ، وَلَا يَجِدُونَ فِي اَنْفُسِهِمْ حَرَجًا لِعَلِمِهِمْ اَنَّ الْمَكَانَ ضَيْقٌ، وَأَنَّ لَا بُدَّ مِنَ التَّحْمَلِ، فَهَكَذَا فِي مَا سِوَاهُ مِنَ الْاَمْرِ.

﴿ اِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اَنْشُرُوا فَاَنْشُرُوا ﴾

[المجادلة: ١١]، اِذَا قِيلَ لَكُمْ اَخْرَجُوا، اَطْلَعُوا مِنَ الْمَجْلِسِ، اَطْلَعُوا لَا تَخْرُجُونَ الْمَضِيفَ،

تُثَقِّلُونَ عَلَيْهِ فِي طَوْلِ الْإِقَامَةِ عِنْدَهُ، لَا كُونُوا مُرَاعِينَ لِلأَدَبِ، لَا تُخْرِجُوا صَاحِبِكُمْ ﴿وَإِذَا قِيلَ
 أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾ اطلعوا روحوا، اطلعوا خلاص، وَبَيْنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّهُ يَرْفَعُ الَّذِينَ آمَنُوا،
 وَالَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ، يَعْنِي الَّذِينَ عَمَلُوا بِعِلْمِهِمْ فحَقَّقُوا إِيمَانَهُمْ، يَرْفَعُهُمْ دَرَجَاتٍ فِي
 الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ، يَرْفَعُ الْعُلَمَاءَ دَرَجَاتٍ لخصوصية الْعِلْمِ، وَالْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، وَنَفْعِ الْخَلْقِ،
 وَيَرْفَعُ عَامَّةَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَمَلِهِمْ وَإِتْبَاعِهِمْ لِلْعُلَمَاءِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وهذا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِالتَّذْكِيرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَسْعَى فِيمَا يَرْفَعُ قَدْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ -عَزَّ
 وَجَلَّ-، وَيُعَلِّي مَقَامَهُ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَتَحَلَّى بِالطَّاعَةِ، وَالتَّقْوَى، يُمَثِّلُ
 الْأَوْامِرَ قَدْرَ الْإِسْتِطَاعَةِ، وَيَجْتَنِبُ النِّوَاهِيَ جُمْلَةً، فَهَذَا أَدَبٌ، وَمَنْ الْآدَابُ الَّتِي شُرِعَتْ، وَلَمْ
 تُنْفَذْ نُسِخَتْ قَبْلَ التَّنْفِيزِ حَتَّى لَا يَكُونَ مَشَقَّةً، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْتُمْ الرُّسُولَ
 فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صَدَقَةً ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، يَعْنِي إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَفْتُوا
 النَّبِيَّ ﷺ أَوْ تُحَدِّثُوهُ فَتَصَدَّقُوا أَوَّلًا، أَدَبٌ لِمَاذَا؟ حَتَّى لَا يَتَسَارَعَ النَّاسُ فِي الْكَلَامِ، وَلَا
 يَتَسَارَعُوا فِي السُّؤَالِ، فَيَسْأَلُوا عَنْ شَيْءٍ فَيُحَرِّمَ بِسَبَبِ مَسْأَلَتِهِمْ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الضِّيقُ،
 وَالْعَنْتُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَحَتَّى لَا يَسْئَلُوا الْأَدَبَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَيَسْأَلُوهُ تَكْلِفًا، أَوْ تَعْجِيزًا.
 فَهَذَا شَرَعٌ حَتَّى يُحْجِمَ النَّاسَ عَنِ الْجُرْأَةِ عَلَى السُّؤَالِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، أَوْ السُّؤَالِ فِي
 فُضُولِ الْمَسَائِلِ، أَوْ السُّؤَالِ عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّتِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْإِعْتِرَاضِ عَنِ الشَّرْعِ، وَمَعَ ذَلِكَ
 لَطْفُ اللَّهِ بِالْعِبَادِ، فَنَسَخَ هَذَا الْحُكْمَ قَبْلَ أَنْ يُطَبَّقَ، لَكِنَّهُ بَقِيَ حُكْمًا يُتَلَى، حَتَّى يَتَذَكَّرَ النَّاسُ فِي
 هَذَا، فَهَذَا مِنَ الْآدَابِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَكَانَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ- مَنْ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيُصَلِّيَ،
 أَخَذَ مَعَهُ شَيْءٌ يَتَصَدَّقُ بِهِ، وَلَوْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا كِسْرَةَ الْخُبْزِ، أَوْ الْبَصْلَةَ، وَيَقُولُ: «إِذَا كَانَ اللَّهُ -عَزَّ
 وَجَلَّ- قَدْ شَرَعَ الصَّدَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مُنَاجَاةِ رَسُولِهِ ﷺ فَالْصَّدَقَةُ بَيْنَ يَدَيْ مُنَاجَاةِ هُوَ سُبْحَانَهُ

أولى»، فيقول: «أنا أريد أن يغفر الله -عز وجل- لي»، فهذا من الأدب الذي نبه الناس عليه، وخفف عليهم.

كذلك من الآداب إن المسلم ما يتولى الكفار، لا يحبهم، ولا ينصرهم، بل يبغضهم، ويمقتهم، ويعتبط بدينه، ويجاهر بالغبطة في دينه، ويبين ضلال الكفار، وحماسة الكفار، ويرأى إلى الله منهم، ومن دينهم ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٢] لا شريك له. وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [١٦٣]. [الأنعام: ١٦٣].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤].

فهذه الملة الإبراهيمية الحنيفية أن الإنسان يحب أهل الإيمان، ويواليهم، وينصرهم، ويحب لهم من الخير ما يحب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويبغض أهل الكفر، والشرك، والإلحاد ويمقتهم، ويرأى إلى الله منهم، ويجانبهم، ويجاهر بعداوتهم، كل هذا من دين الله، وهذا الذي يحفظ به الإيمان، فلا ولاء لله ولرسوله، إلا بالبراءة من الشرك وأهله، ومن الشيطان، ومن كل طاغوت.

ولهذا أكد على هذا، وأن الذين يصغون للكفار، ويجاملونهم، ويتكلموا معهم، ويزكونهم، هؤلاء منافقون، فحذر الله -عز وجل- من ذلك، ونبه على أن صفة حزب الله -عز وجل- المفلحين أنهم يحب بعضهم بعضاً ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولِيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ فيبغضون الكفار، ويحبون المؤمنين الأخيار، يحبون المؤمنين بحسب إيمانهم، كل ما كمل الإيمان، كملت المحبة،

وحصل التعاون على البر، والتقوى، والتناصح، والتناهي عن الإثم، والعدوان، والاعتباط بالمسلمين، والفرح بهم، والرفق بهم، والتلطف لهم، وحسن المعاملة لهم، وعدم الغش لهم، فهؤلاء هم المؤمنون، هم حزب الله المفلحون، الذين رضي الله عنهم وأرضاهم، فرضوا عنه.

وأما الآخرون فهم حزب الشيطان ﴿ **أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ** **أُولَئِكَ حِزْبُ**

الشَّيْطَانِ **أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المجادلة: ١٩]، ومن حزب الشيطان الذين يتآمرون على الإسلام، وأهله، ويبيتون للفتن، ويسعوا في شق صف المسلمين، ويشككون في علماء الشرع، ويحملون الناس على الافتيات على الولاية، كل هؤلاء منافقون، وكلهم أهل بدع، وأهواء، كلهم من حزب الشيطان، يجب الحذر منهم، وتحذيرهم، والبراءة منهم، وما يعملون، وأن يكون المرء مع أهل الإيمان، حتى يحشره الله - **عزَّ وجلَّ** - معهم، ولا يكون مع أهل النفاق، والأهواء، والبدع؛ كالروافض، والصوفيَّة، والخوارج، وغير ذلك، فهؤلاء أعداء لله، ولرسوله، هؤلاء ساعون في هدم الإسلام، وتخويف دولة الإسلام، وفي إحداث الفتنة في المجتمع، وفي تسليط أعداء الإسلام على المسلمين، وفي جعل المسلمين بالتفرق، والاختلاف، شماتة لأعداء الإسلام، وفي الصد عن سبيل الله - **عزَّ وجلَّ** - وتبغيض الإسلام للناس، فهؤلاء حزب الشيطان، ﴿ **أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ** **أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ** **أَلَا**

إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

وفقنا الله جميعاً لما يحبُّه ويرضاه، وجعلنا هداةً مهتدين، والله أعلم.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه.



تحري مواطن الإجابة

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

قد قال الله - **جَلَّ وَعَلَا** -: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر: ٦٠]، وصحَّ عن النبي ﷺ قوله: «الدعاء هو

العبادة»، وقوله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة».

ففي هذه الآية والأحاديث بيان لعِظَم شأن الدعاء، وأن الدعاء مقرون بالإجابة فضلاً من

الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: إن عسى في القرآن إيجاب. أي ما بعدها واجب

الوقوع، في دعاء ابراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قال: ﴿ **وَادْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** ﴾ [مريم:

٤٨]، وذكرياً **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ذلك: ﴿ **وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾ [مريم: ٤]، فكل هذا يبين

سعادة الداعي، وأنه يحظى بطلبته، وتُقتضى حاجته على أحسن الأحوال ما أخلص الله الدعاء،

وأيقن بالإجابة، وأبتعد عن الاعتداء في الدعاء، هذا في الجملة.

ولذا قال الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أطيعوا الله فيما أمركم، يُنجز لكم ما وعدكم»، والله تعالى

أمر بالدعاء، ووعد بالإجابة.

وقال **عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «والله إنني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكنني أحمل همَّ الدعاء، فإنني إن

ألهمت الدعاء، علمتُ أن الإجابة معه»، وجاءت أحاديث عن النبي ﷺ وآثار أن الله - **عَزَّ**

وَجَلَّ - إذا أراد أن يعطي العبد، شرح صدره للدعاء وذللَّ به لسانه.

فإذا كان ذلك في سائر الأوقات والأحوال ومن كل أحد، فإن المُضْطَرَّ أُحرى بالإجابة،

لأن الله - **جَلَّ وَعَلَا** - تعهَّد بإجابة المُضْطَرَّ؛ ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** ﴾ [النمل: ٦٢]

فالدعوة حال الاضطرار مُستجابة، وكل واحد منا مُضْطَرَّ، إلى أن يُعتق الله رقبتَه من النار،

وإلي أن يدخله الله الجنة مع الأخيار، وكم له من حاجة لا يُؤمل حصولها الا من الله - **جَلَّ وَعَلَا-**، فحاجات الخلق كثيرة، والله تعالى قال: «**استهدوني أهدكم، استطعموني أطعمكم، استكسوني أكسكم، استغفروني أغفر لكم**» كما في حديث أبي ذر الصحيح المعروف.

فإذا كان ذلك في الأحوال، فكيف في رمضان، فإن الله تعالى قال في ثنانيا آيات الصيام:

﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي** ﴾

لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ أي يُرشدون بطلبتهم وحاجاتهم، وجاء عن النبي ﷺ

قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ** وذكر منهم **الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ**»، وأخبر ﷺ: «**أَنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ**

دَعْوَةٌ لَا تُرَدُّ»، فإذا كان ذلك كذلك، فإن النبي ﷺ سئل أيضًا: أي الدعاء أسمع؟ يعني أخرى

بالإجابة، فقال: «**جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَدُبْرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ**»؛ يعني: في آخر الليل بعد

منتصف الليل، وفي آخر الصلاة بعد التشهد، والصلاة على النبي ﷺ وقبيل التسليم فهذا

أخرى ما يكون بإجابة الدعاء، وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا**

بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ نَزَلَ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعِظَمَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُنَادِي: هَلْ مِنْ

سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ؟، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ»؛

فدل ذلك على فضل الدعاء عمومًا، وعلى فضله في آخر الليل خصوصًا، وأنه حريٌّ بالإجابة،

فإذا اجتمع الدعاء، واليقين بالإجابة، والإخلاص لله تعالى، والتحريُّ مظان وأحوال الإجابة،

وكان ذلك في آخر الليل، وكان ذلك في السجود، لأن أقرب ما يكون العبد أقرب من ربه وهو

ساجد، وفي دبر الصلوات المكتوبات، فإنه يدعو بما يشاء .

فينبغي للمسلم أن يعتني بأمر الدعاء، وأن يبثَّ نجواه وشكواه الى الله - **جَلَّ وَعَلَا-**، وأن

يسأله الحاجات ما **جَلَّ** منها وما **دَقَّ**، فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من كرمه وجوده لا **مُكْرَهَ** له، ولا

يتعاضمه شيءٌ **عَظِيمٌ** أعطاه، خزائنه ملأى ويداها **سَحَّاءَ** الليل والنهار، قال النبي ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ**

مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا عِنْدَهُ، إِلَّا كَمَا يُنْقِصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

وفي الحديث القدسي الصحيح أن الله تعالى قال: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، وَفِي رَوَايَةٍ: وَرَطْبُكُمْ وَيَابِسَتْكُمْ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يُنْقِصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

فلذلك ينبغي أن تكون نهمة المُصلي في الدعاء، وأن يلح على الله -عزَّ وجلَّ- ويسأله الحاجات كلها، ويسأله أن يستجيب له الدعاء، وأن يجعل الإجابة خيرا له، وأن يدعي لنفسه ولوالديه، وزوجه وأهله، وذريته وإخوانه، وذويه وأرحامه، وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، هكذا ينبغي المسلم يحرص على الدعاء، وما شرعت الصلاة آخر الليل إلا من أجل الدعاء والإجابة، وأن الله تعالى يعطي السائلين، ويغفر للمستغفرين، ويتوب على التائبين، فلذلك يلهج الإنسان بالدعاء، ويوقن الإجابة، وأفضل الصبر انتظار الفرج .

فالله -عزَّ وجلَّ- إذا سأله العبد بين ثلاث؛ إما أن يُعجل له دعوته فيعطيها إياه كما طلبها، وإما أن يصرف عنه من سوء مثلها، وإما أن يدخرها لها إلى يوم القيامة أحوج ما يكون إليها مع أن الدعاء بحد ذاته عملٌ صالح، تُغفر به الخطايا، وتعظم به الحسنات، وترفع به الدرجات، فإذا دعا الداعي ربه فإن الله -عزَّ وجلَّ- يعطيه عشر حسنات ويغفر له عشر خطيئات، ويرفع له عشر درجات، فهو مستفيد، ولو لم يكن من الدعاء إلا ذكر الله -عزَّ وجلَّ- والثناء عليه، فهذا أعظم العبادة، وأخص العبادة، وأحب العبادة إلى الله -جلَّ وعلا-.

اسأل الله -عزَّ وجلَّ- بأسمائه الحسنی وصفاته العلاء أن يوفقنا جميعاً لما يُحبه ويرضی، وأن يجعلنا مباركين أينما كنا، وأن يفقنا في دينه، وأن يرزقنا الإخلاص لوجهه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وحسن إتياع نبيه ﷺ وأن يقضي حوائجنا، ويُغيث ملهوفنا، وأن ينفس مكروبنا، ويُيسر

عسرنا، ويقضي ديوننا، وينضرنا على عدونا، ويكف بأس الذين كفروا والذين نافقوا عنا فإنه تعالى أشد بأساً وأشد تنكيلاً، كما أسأله تعالى أن يُعتقنا من النار، ويُدخلنا الجنة مع الأخيار، وأن يجمع شملنا بوالدينا وأزواجنا وذريتنا وذوينا في الجنة؛ كما قال تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۗ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۗ﴾ [الرعد: ٢٤].

وفقني الله وإياكم بما يُحبه ويرضاه، وجعلنا هداة مهتدين، والله أعلم.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



تفسير بديع لآية الكرسي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

ففي ما سمعنا من تلاوة الصلاة؛ آية الكرسي ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى آخرها؛ وسميت آية الكرسي لأنها ذكرت فيها الكرسي ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهذه الآية أخبر بها النبي ﷺ أنها أعظم آية في كتاب الله - عز وجل -، أطول آية؛ آية الدين في آخر سورة البقرة، وأعظم آية هذه آية الكرسي، وإنما كانت أعظم آية لما اشتملت عليه من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وأفعاله الحكيمة، وتدبيره سبحانه وتعالى لخلقه ومملكه، وجاء في الحديث: « **أن من قرأها حين يأوي إلى فراشه حتى يختمها، لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان** »، وسن النبي ﷺ للأمة قراءتها دبر الصلوات المكتوبات بعد الذكر أن تقرأ مرة واحدة بعد الذكر، وأن يقرأ بعدها سورة الإخلاص والمعوذات: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾، ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾، ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾؛ فهذه السور تقرأ كذلك مرة واحدة إلا في الفجر والمغرب تقرأ ثلاث مرات.

فقوله - **جَلَّ وَعَلَا** -: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ إخبار من الله - **جَلَّ وَعَلَا** - عن نفسه، فهو تعالى تعرف على عباده وعرفهم بنفسه بقوله سبحانه: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾، (الله) علم على ربنا - **جَلَّ وَعَلَا** -، لا يُسمى به غيره، وترجع إليه الأسماء الحسنى والصفات العلى، ومعناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، أي: هو وحده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المستحق أن يؤله وأن يعبد وحده، فلا يشرك معه أحد سواه، كائناً من كان، وهو المستحق بالعبودية وحده فلا يلتفت بشيء منها إلى غيره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كائناً من

كان، فالألوهية صفته - **جَلَّ وَعَلَا** - والعبودية حقه على عباده، فالله اسمه والألوهية أو الإلهية صفته، والعبودية حقه على عباده أن **يُعْبَدُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بما شرع، وعلى طريقة نبيه ﷺ الذي أرسله الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيُطَاعَ وَيُتَّبَعَ** .

فالله إثبات لاسم حسن، من أسمائه الحسنی، أو أعظم أسمائه الحسنی، مُتَضَمِّنٌ لصفة الثبوتية كذلك وهي الإلهية، ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾؛ نفی الإلهية عن كل ما هو سوى الله كائناً من كان، من ملك مقرب أو نبي مرسل، أو عبد صالح، أو عبد طالح، أو صنم ما عبد من دون الله، وهو على صورة حيوان، أو وثن وهو ما عبد من دون الله وهو على غير صورة حيوان؛ كالشجرة والقبر والبنية والحجر وغير ذلك.

﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ نفی الإلهية عن ما سوى الله - **جَلَّ وَعَلَا** - وإثباتها لله وحده، وهما ركننا شهادة التوحيد، ف ﴿ **لَا إِلَهَ** ﴾ نفی، و «إلا الله» إثبات، ولا بد من الجمع بينهما؛ لأن النفي ليس بشيء إذا صار وحده بل هو إلحاد ومكابرة، ﴿ **لَا إِلَهَ** ﴾ يعني أبداً في الخلق، في الكون، في الوجود، في آلهة كثيرة عُبِدَتْ، فالله معبودٌ بالحق، وغيره معبودٌ بالباطل فلذلك النفي ليس بشيء، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة، فلا بد من الجمع بينهما، ولهذا كانت هذه الكلمة هي علامة الدخول في الإسلام، في أول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»، «من قالها مخلصاً دخل الجنة، ومن قالها غير شاك دخل الجنة، ولا إله إلا الله مفتاح الجنة»، وما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك، وإلا لم يُفْتَحَ لك، فلا إله إلا الله مفتاح وأسنانها الشرائع، الفرائض التي فرضها الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - امتثالاً للمأمور، وتركاً للمحذور، وتسليماً للمقدور، فلا بد من هذا ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ .

﴿ **الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ هذا اسم آخر لله - **جَلَّ وَعَلَا** -، الاسم الأول ﴿ **اللَّهُ** ﴾ وهذا الاسم الثاني، و﴿ **الْقَيُّومُ** ﴾ الاسم الثالث، ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾؛ الحي هذا اسمه، والحياة صفته والقَيُّومُ اسمه، والقَيُّومِيَّةُ صفته.

فالحَيُّ دالٌّ على كماله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في ذاته، والقَيُّومُ دالٌّ على كماله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في أفعاله، فإذا ﴿ **الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ ترجع جميع معاني الأسماء والصفات الذاتية، الخبرية، والمعنوية، والفعلية المتعدية واللازمة، والذاتية الفعلية التي هو موصوفٌ بها **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أصلاً، وآحاده متعدّدة ومتجددة ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾.

قد ذكر النبي ﷺ أن اسم الله الأعظم في الآية هذه، وفي فواتح سورة آل عمران، وفي خواتيم سورة الحشر، وفي دعوة ذا النون عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ **أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وذلك يشير - والله أعلم - أن الاسم الأعظم هو أي اسم من أسماء الله الحسنی اقترن بكلمة التوحيد، بلفظ الله أو بضميره، ضمير الخطاب ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ** ﴾ أو ضمير الغيبة ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وبهذا تجتمع النصوص التي أخبر الله بها النبي ﷺ فيها أن اسم الله تعالى في تلك النصوص، لأن أسماء الله كلها حسنى، ويزيدها حسناً إذا اقترنت بكلمة التوحيد التي جمعت بين النفي والإثبات؛ نفي الإلهية عن سواء الله كائناً من كائن، وإثباتها لله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿ **لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ لكمال حياته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وقَيُّومِيَّته، لا تأخذه سِنَّةٌ ولا نَوْمٌ، الـ ﴿ **سِنَّةٌ** ﴾ الإغفاءة اليسيرة، إغماضة العين اليسيرة وهي مقدمة النوم، والـ ﴿ **نَوْمٌ** ﴾ المستغرق، فلكمال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا تأخذه سِنَّةٌ ولا نَوْمٌ، لكمال حياته وقَيُّومِيَّته،

وكمال إلهيته التي استحق بها **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الحمد والمجد، والتنزه عن النقائص والعيوب، ومواساة الخلق بما هو من خصائصهم، وأن يُعبد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وحده بما شرع، وعلى طريقة نبيه الذي أرسله الله - **جَلَّ وَعَلَا** - لِيُطَاع وَيُتَّبَع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿ **لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ** ﴾؛ هذا نفي، وهذا فيه أن القاعدة المُستنبطة باستقراء نصوص الكتاب والسنة أن الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - قد جمع فيما سمي ووصف به نفسه بين النفي والإثبات، نفي النقائص والعيوب وهذا في الخلق، وما يُنافي كماله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وإلهيته، وإثبات أنواع كمالته وعلو صفاته وحسن أسمائه وحكمته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في قدره وفي شرعه وفي جزائه، والقاعدة الأخرى أن الإثبات في الغالب يأتي مُفصَّلاً، لأنه أبلغ في الدلالة على كمال الذات، وتنوع الكمالات، ولذا قال: ﴿ **اللَّهُ** ﴾ ﴿ **الْحَيُّ** ﴾ ﴿ **الْقَيُّومُ** ﴾ وهكذا، والنفي غالباً يأتي مُجملاً، لأنه أبلغ في الدلالة عن التنزه، وعن النقائص، والعيوب، وما في المخلوقات وما لا يليق بكماله وجلاله - **جَلَّ وَعَلَا** -.

وقوله ﴿ **لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ** ﴾؛ ولا نوم تفصيل في النفي، على خلاف القاعدة، اقتدى وجود من وصف الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - كاذباً مُفترياً بما لا يليق بجلاله وعظمته، كما زعمت اليهود أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأنه استراح يوم السبت، لهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ** ﴾ [ق: ٣٨] ما مسنا من تعب، فلما كان في إبطال دعوة مدعين، وتفنيذ افتراء مُفترين، جاء النفي مُفصَّلاً على غير القاعدة؛ لأن ذلك استدعى التفصيل ﴿ **لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ** ﴾؛ الإغماضة اليسيرة، ومن باب أولى النوم المُستغرق، وما ذاك إلا لكماله - **عَزَّ وَجَلَّ** - ولغناه ولقوته وعزته، لا تأخذه سنة ولا نوم.

ثم قال سبحانه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ إخبارٌ عن كمال مُلكه -جَلَّ وَعَلَا- وسعته، وعمومه للخلق، وأن الخلق كله تحت قبضته -جَلَّ وَعَلَا- وتدبيره، يُصِرُّه كيف يشاء بعلمه وحكمته وفضله ورحمته، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ يعني ما في العلوّ الذي لا يُحيطه به إلا الله -جَلَّ وَعَلَا-، والخلق كلما ارتفع، عَظُم واتسع، وأستغنى أعلاه عما دونه له ما في السماوات ومن باب أولى أن له ما في الأرض **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لأن الأرض أصغر حجمًا وأقل موجودات، وأهون موجودات من جهة الخلق، ولكن الأرض فيها عبادة الله -عَزَّ وَجَلَّ- التكاليفية الابتلاء بالأوامر والنواهي، والسماوات فيها عبادة الله -عَزَّ وَجَلَّ- الجبليّة، والتكاليفية أفضل من الجبليّة لأن فيها الابتلاء والاختبار يترتب على ذلك النجاح والخسران، جعلني الله وإياكم من المفلحين.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ فدل ذلك على سِعة مُلكه -جَلَّ وَعَلَا- وعلى إحاطته بخلقه علوه وسهله، وعلى أن الخلق جميعه في قبضته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتحت تصرّفه، فلا يعزب عنه شيء لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يسبقه شيء، ولا يفوته شيء -جَلَّ وَعَلَا- ولا يخرج شيء عن سلطانه.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ ومما يملكه -جَلَّ وَعَلَا- الشفاعة التي تعلق بها المشركون، فاتخذوا آلهة مع الله -عَزَّ وَجَلَّ- يزعمون أنها تقرّبهم عند الله زلفى، وتشفع لهم وتدنيهم، وتحقق مطالبهم، وتقضي حاجاتهم، لأنهم يزعمون أن هم مُذنبون ظالمون لأنفسهم، وأنهم ليسوا أهلاً أن يسألوا الله -عَزَّ وَجَلَّ- كفاحاً مواجهةً من غير واسطة، وهذا من الأعيب إبليس بهم فإنهم هنا أظهروا التواضع وحطّموا أنفسهم ليُبرروا الشك، وهم بهذا يتنقّصون الله -عَزَّ وَجَلَّ- أعظم التنقّص، ويفترون عليه أبلغ الافتراء، لأنهم جعلوه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بمنزلة ملوك الأرض الذين لا يدرون عن ويفترون عليه أبلغ الافتراء لأنهم

جعلوه سبحانه وتعالى بمنزلة ملوك الأرض الذين لا يدرون عن أمور رعيتهم إلا أن يُعرفوا بذلك، ولأنهم لا يحققون مطالب مَنْ طلبهم إلا بالوسطاء والشفعاء، الذين يُؤثرون عليهم، والله تعالى هو خالق الخلق ومالك المُلْك، وهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الغني الحميد القوي القدير العزيز الحكيم، ولذلك قال: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أن لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، إلا شفيع يشفع بإذنه، والله تعالى لا يأذن لشفيع إلا لكرامته عليه لكمال توحيدهِ وإخلاصه له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولا يشفع لهذا الشفيع أن يشفع إلا لمن رضي الله قوله وعمله، فعاد الأمر كله إلى التوحيد، إلى توحيده - **جَلَّ وَعَلَا** - في أسمائه وأوصافه وسائر خصائصه وحقه، وتوحيد الخلق له بما شرع أن يوحده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به.

فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المُشَفِّع، مالك الشفاعة ﴿ **قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا** ٦ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ٧ ﴾ [الزمر: ٤٤]، فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو المُشَفِّع وهو الشافع عند نفسه أيضًا، ولهذا جاء في الأحاديث التي فيها إخراج العُصاة من النار؛ شفيع المرسلون والنبيون والملائكة المقربون والصالحون، وبقيت شفاعة أرحم الراحمين، فيخرج الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - أقوامًا من النار بغير شفاعة، وما ذاك إلا لعظم حلمه، وسعة جوده، وتنوع كرمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ وما ذاك إلا لتمام مُلكه - **جَلَّ وَعَلَا** -، وعظمة شأنه، وعز سلطانه.

﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ٦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ يعني يعلم ما يستقبلون منذ ما خلقهم الله وبعد أن يتوفاهم، وما خلفهم ما مضى قبل وجودهم، وما يكون بعد رحيلهم من الدنيا، فالله تعالى أحاط علمًا بالأوائل والأواخر، والظواهر والبواطن أحاط بكل شيء علمًا، وسع كل شيء رحمةً وعلمًا، ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ٥ ﴾ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا**

يُحِيطُونَ ﴿ [البقرة: ٢٥٥] الخلق كلهم الملائكة المقربون، والمرسلون والنبيون -عليهم الصلوة والسلام- جميعاً، والصالحون، وسائر المخلوقات.

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] كَيْفِيَّاتِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا مَا أَطْلَعَهُمْ عَلَيْهِ، وما يحيطون بشيءٍ من معلومه، من قدره وشرعه وجزائه إلا ما أطلعهم عليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن عظمة سلطانه، عظمة شأنه وعز سلطانه أنه ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾؛ والكرسي مخلوق بين يد العرش، تحت العرش وأمام العرش، قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه كالمرقاة للسرير، فالكرسي هذا مخلوق ليس شيئاً بالنسبة للعرش؛ لعظم العرش وصغر هذا المخلوق مقارنة بالعرش هذا المخلوق الذي هذا وصفه وسع السموات والأرض، بمعنى أنه أحاط بالسموات والأرض، كل هذه المخلوقات السموات والأرض في جوف العرش، وذلك لأن السماء الدنيا مُحِيطَةٌ بالأرض من جميع جهاتها، فالأرض كُرِّيَّةٌ، والفلك كُرِّيٌّ، والسماء الدنيا كُرِّيَّةٌ مُحِيطَةٌ بالعرش مثل إحاطة قشر البيض وزلال البيض بصفار البيض من باب التقريب وإلا لا مناسبة.

فهذه السماء الدنيا فهي مُحِيطَةٌ بالأرض وتفضلها آلاف المرات، وبين السماء الدنيا وبين الأرض الكواكب السيارة التي لا يُحْصِي عددها إلا الله، ولا يعلم عظمتها وسعتها وما احتوت عليه إلا الله، ولا يدبرها ويُسيرها ويسخرها إلا الله -**جَلَّ وَعَلَا**- ﴿ **وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [يس: ٤٠].

فهذه الكرة المُحِاطَةُ بِالسَّمَاءِ الدُّنْيَا كَامِنَةٌ هِيَ أَيْضًا فِي جَوْفِ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، وَالسَّمَاءِ الثَّانِيَةِ تَفْضُلُهَا الْمَرَاتِ الْكَثِيرَةُ وَالْكَبِيرَةُ وَلَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَهَا، فَالْمَسَافَةُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

مسيرة خمسمائة عام، كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماءٍ وسماء مسيرة خمسمائة عام؛ مسيرة بريد الخيل؛ السبوق، أو ثنتان وسبعون سنة من سير الإبل المحملة بالتجارة أو ثنتان وسبعون بسير البريد، فهذا يدل على عظمة الخلق، السماء الثانية وما احتوت عليه مُحاطة بالسماء الثالثة، وهكذا كلما ارتفع الخلق، كلما عَظُم واتسع، فهذه السماوات السبع والأرضون السبع في جوف الكرسي هكذا وصفه ابن عباس.

هذا الكرسي؛ أو السماوات السبع بالنسبة للكرسي كسبعة دراهم ألقيت في طشت لا تساوي شيء من عظم الكرسي وساحته، فالكرسي الذي هذا شأنه كأنه حلقة ألقيت في فلاة، بين ظهري فلاة صحراء سييريا أو غيرها من الصحارى العظيمة الواسعة لا تأخذ من مساحتها شيء، فالكرسي بالنسبة للعرش ليس شيئاً، وبين الكرسي والعرش؛ بحر الماء الذي لا يُحيط به إلا الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، وفوق بحر الماء العرش، الذي هو أعظم المخلوقات وسقف المخلوقات.

وأخبر ﷺ أن جنة الفردوس هي أقرب شيء للعرش؛ يقول ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ الْجَنَّةَ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْفَرْدَوْسَ - فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَسَقْفُهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ**»؛ هذا أعلى مكان يسكنه العباد، ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾** ﴾ [القمر]، ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾** ﴾ [المؤمنون]، جعلني الله وإياكم من أهلها ووالدينا ومشايخنا وأزواجنا وذرياتنا وأحبابنا فيه، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفَرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾** ﴾ [الكهف] لا يبغون تحولا منها لكمالها، وجمالها، وعظمة النعيم فيها، وسعة الملك، فإذا كان جنة الأبرار التي هي دون هذا بكثير؛ يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾** ﴾ [الإنسان: ٢٠]، فكيف

بالفردوس؟!، أعظم وأعظم ، قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٧] هذا نعيم الأبرار، وهذا سكن الأبرار، هذا سكن ونعيم المقربين والذي قال الله تعالى فيه: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا** ﴾ هذا جنة الأبرار وسكن الأبرار ونعيم الأبرار وبينهم ومن التفاوت ما يحيط به - **جَلَّ وَعَلَا** -، فهكذا العرش سقف المخلوقات، والعرش مُستغنى عما تحته؛ كالقاعدة السابقة أنه الخلق كلما ارتفع، عَظُم واتسع، واستغنى أعلاه عما دونه، والله - **جَلَّ وَعَلَا** - مستوٍ على العرش على ما يليق بجلاله وعظمته، استواءً يليق بجلاله وعظمته، ومعنى استوى: علا وارتفع وصعد، وقال بعض أهل العلم: واستقرَّ إن كان هذا فيه نظر أيضًا.

فهو مستوي على عرشه على ما يليق بجلاله وعظمته، لا يعلم كيفية ذلك إلا هو، ولذا لما سُئل أئمة السُّنة كابن المبارك وغيرهم: بما تعرفون ربكم؟ قالوا: نعرف بأنه مستوٍ على عرشه فوق جميع خلقه، بائنٌ عن خلقه، فهذا العرش أعظم المخلوقات، والله - **جَلَّ وَعَلَا** - مستوٍ عليه استواءً يليق بجلالته وعظمته.

﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا** ﴾؛ أي لا يُكِنِّثه لا يكلفه حفظ السماوات والأرض لعظمته - **جَلَّ وَعَلَا** - وقوته وقدرته وحكمته وفضله ورحمته ، ﴿ **وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾؛ العَلِيُّ اسم من أسماء الله الحسنى العظيمة، العلي الذي فوق كل شيء، وليس فوقه شيء وليس معه شيء - **جَلَّ وَعَلَا** -، العَلِيُّ الذي له العلوُّ بجميع أنواعه، له علوُّ المُلْك؛ فالملك كله في قبضته وتحت قهره وتصرفه، علوُّ القدر وله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** علوُّ الذات؛ وهو الكمال المطلق من كل وجه وبكل اعتبار علوُّ القدر، فهو الغني الذي لا أغنى منه، والقوي الذي لا أقوى منه، وهكذا سائر أسمائه الحسنى وهو

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ عُلُوُّ الذَّاتِ؛ أَي أَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَحْتَاجُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، بَلْ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ وَهُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ.

﴿هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ الَّذِي لَا أَعْظَمُ مِنْهُ، عَظِيمٌ -جَلٌّ وَعَلَاءٌ- فِي ذَاتِهِ، وَعَظِيمٌ فِي سُلْطَانِهِ وَعَظِيمٌ فِي شَأْنِهِ، وَعَظِيمٌ فِي سَائِرِ أَوْصَافِهِ، وَعَظِيمٌ فِي أَنْوَاعِ كِمَالَاتِهِ، وَعَظِيمٌ فِي تَنْزُّهِهِ عَنِ النِّقَاصِ وَالْعِيُوبِ فِي ذَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ، فَلِهَذِهِ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ الْجَلِيلَةِ الْبَدِيعَةِ صَارَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ.

رَزَقَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ الْعِلْمَ النَّافِعَ، وَوَفَّقَنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ الْمُتَّقِينَ، وَمَنْ عَلَيْنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعَتَقِ مِنَ النَّارِ، وَوَرَّثَنَا الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى مَعَ الْأَخْيَارِ وَوَالِدِينَا وَمَشَايخِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَأَحِبَابِنَا فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



يا عبد الله :
لِيُحِبَّكَ اللَّهُ كُنْ مُحْسِنًا
المجلس الأول

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، و صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا مُحَمَّد، وعلى

آله وصحبه.

أما بعد:

فإن الله - تبارك وتعالى - قد أمر بالإحسان، وأخبر بمحبته لأهله، كما قال سبحانه:

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وأمر النبي ﷺ أن يبشّر المحسنين، فقال:

﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]، والمعنى بشّرهم بما أعدَّ الله لهم من ألوان الكرامة،

وعليّ درجات المثوبة، والإحسان بين النبي ﷺ أنه أعلى مراتب الدين، فمراتب الدين

ثلاث:

الأولى: الإسلام، والاستسلام لله - عزَّ وجلَّ - ظاهراً بالأقوال، والأفعال الظاهرة،

الاستقامة ظاهراً على الشريعة، مع الإتيان بالشهادتين، وفرائض الإسلام.

وأعلى من الإسلام، وأكمل الإيمان، وهو الاستسلام لله - عزَّ وجلَّ - ظاهراً وباطناً،

يكون القلب خاضع وذليل، وراغب إلى الله - عزَّ وجلَّ - ورهبة مما عنده، والجوارح كذلك،

فيكون الإنسان مُتديناً في الظاهر، والباطن، صادق التدين، فالإيمان أكمل من الإسلام، فكل

مؤمن مُسلم، ولا عكس، ولذلك النبي ﷺ لما سُئِلَ عن الإسلام قال: «أن تشهد أن لا إله إلا

الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت

الحرام»، وفي حديث آخر قال: «تعبّدوا الله ولا تُشركوا به، وتقيم الصلاة المكتوبة. وتؤدي

الزكاة المفروضة. وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام».

وقال عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر

خيرِه وشرِه»، وبين أن هذا اتفاق الظاهر، والباطن هو الإيمان، قال: «أمركم بالإيمان بالله

وَحَدَّهُ، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ».

والإحسان أكمل من الإيمان، وأعلى، وأفضل، فهو أكمل مراتب الدين، ولذا عرّفه النبي ﷺ بقوله: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَرَاكَ»، والمعنى أن تكون مُسْتَسْلِمًا لله -عَزَّ وَجَلَّ- ظاهراً، وباطناً، وتعامل الله -جَلَّ وَعَلَا- على إحدى مرتبتين أدناهما أن تعلم أن الله يراك حيثما كنت، فتستحضر هذا دائماً، وهذا يحملك على فعل الطاعة، وترك المعصية، وأعلى من ذلك مرتبة المشاهدة «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ -تعالى- كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وهذا لا شك أكمل، فالإحسان مرتبتان، مرتبة المشاهدة وهي الأكمل، ومرتبة المراقبة وهي دون ذلك، فهذا الإحسان شأنه عظيم، ولذا قال سبحانه: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، فإسلام الوجه هو الانقياد إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- بما شرع، رغبةً، ورهبةً.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ الإحسان إتباع السنة، أن تكون عبادتك على وفق السنة، فما تفعل على وفق السنة، وما تترك على وفق السنة، فهذا هو الإحسان ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ولهذا أخبر الله -جَلَّ وَعَلَا- أنه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وأعدَّ جنته للمُحْسِنِينَ، وأثنى في محكم كلامه على المُحْسِنِينَ، وجعل المُحْسِنِينَ في أعلى درجات الجنة مُجاورين إلى الرَّحْمَنِ، وهذه يدلُّ على فضل الإحسان، وأنَّ الإنسان يُجاهد نفسه على أن يتحقَّقَ بمرتبة الإحسان، لأنها أكمل، وأجمل، وأشرف، وأرفع مراتب الدين.

فالإحسان يكون في أمرين:

الأول: في عبادة الله - **جَلَّ وَعَلَا** - أن تعبد الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - بما شرع، لا تزيد، ولا تنقص، وأن تحقق العبادة على طريقة النبي ﷺ لأنه هو إمام **المُحْسِنِينَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فلن تكون **مُحْسِنًا** إلا باتباع **السُّنَّةِ**، فالسُّنَّةُ هي الإحسان، فهذا في مُعَامَلَةِ الله، أن تعامل الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - بالإحسان في عبادته.

والثانية: هي أن تُحَسِّنَ إلى الخلق، تعامل الخلق بالإحسان، فتلقاهم بوجه طليق، وتكف الأذى عنهم، وتحمل أذاهم، وتبذل لهم المعروف، فتكون مع الناس على خير، دائماً على خير، إن لم يتفعلوا منك لم يتضرروا، وقصاراه، وغايته، أن « **تَحِبَّ لِأَخِيكَ مِثْلَ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ** » من الخير، تكره له مثل ما تكره لنفسك من الشر، يحتاج المسلم إنه يستحضر مقام الإحسان، لأنه أشرف المقامات، ولهذا إذا لقيت أحداً من الناس، تبدأه بالسلام أنت، لتكون من **المُحْسِنِينَ**، وتقول الكلمة الطيبة، لتكون من **المُحْسِنِينَ**، وتفعل الفعل الجميل، لتكون من **المُحْسِنِينَ**، وتترك الخطأ، والمخالفة، وتخلص في التوبة، وتستقيم على الشريعة، لتكون من **المُحْسِنِينَ**، فتعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.

فهذا الإحسان جزاءه عظيم، ومن ذلك ما بينه النبي ﷺ بقوله: « **إِذَا أَحْسَنَ المرءُ إِسْلَامَهُ، لَمْ يَأْخُذْ بِمَا عَمِلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ** »، إن الله يعفو عنه، عن ذنوبه التي عملها حال جهله، وفي الجاهلية، فهذه من ثمرات **حُسْنِ الإِسْلَامِ**، وإذا أحسن المرء إسلامه كذلك فإن الله يُضاعف له الثواب، يزيد الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فهذا الإحسان. كذلك من فوائد الإحسان، أن أهله هم أهل **مَحَبَّةِ الله**، وهم خاصته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ومن فوائده كذلك إن الحسنة تُضاعف، فإذا أحسن إسلامه، فكل حسنة يعملها بعشر أمثالها مُضاعفة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فبالإحسان يُضاعف العمل، وبالإحسان كذلك تُغفر الخطايا، والذنوب، فهذه من ثمرات الإحسان، ولذلك قال الله - **جَلَّ وَعَلَا** -:

﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا**

يُوعَدُونَ ﴿ [الأحقاف: ١٦] ، فيتجاوز الله عن خطيئات المُحْسِنِ، يعفو الله عنه، ويجزيه على عمله بمَعَدَلِ الأَحْسَنِ، لا الأَوْسَطِ، ولا الأَدْنَى، فيكون مِيعَارَ الجِزَاءِ على العملِ الأَعْلَى، الأَكْمَلِ.

فلذلك يكون ثوابه عظيمًا، وأجره كريمًا ثمَّ هذا الأَحْسَنُ الذي جُزِيَ به يُضَاعَفُ له الحسنة بعَشْرِ أمثالها إلى سَبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، فهذه من ثمرات الإِحْسَانِ، ومن ثمرات الإِحْسَانِ كذلك، أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يزيد المُحْسِنِ ثوابًا من عنده غير مُقَابِلِ عمل ﴿ **لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ** ﴾ [فاطر: ٣٠] وهذا أجر عظيم، لأنه لا يُحِيطُ به، ولا يَحُدُّهُ إلا الله -جَلَّ وَعَلَا- عَظَمَ جِزَاءَ المُحْسِنِ، فلا بُدَّ لِلإنسانِ أن يَسْتَحْضِرَ هذا الشيء.

ولن يكون الإِحْسَانُ إلا بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لأنه ﷺ إِمَامُ المُحْسِنِينَ، هو الذي عبد ربه -جَلَّ وَعَلَا- على أكمل وجوه العبادة، فلن تُصِيبَ أَكْمَلُ وَجُوهِ العِبَادَةِ، إلا إذا التزمت بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وإذا التزمت عُرِفَتْ بها، وأثنى الناس عليك خيرًا، ومَن أثنى الناس عليه خيرًا، وجبت له الجنة، إلى غير ذلك.

فالمهم أن الإنسان يُقَدِّمَ الإِحْسَانَ أولاً، يسعى أن يكون مُحْسِنًا في جميع الأحوال، وقُصَارَاهُ أنه لا يظلم، يُعْطِي كل ذي حَقِّ حَقَّهُ، لكن لا يظلم، فإن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يُحِبُّ الظالمين، ولا يُحِبُّ الظلمَ، وحرَمَ الظلمَ على نفسه، وجعله بين عِبَادِهِ مُحْرَمًا، لكن يُحِبُّ المُحْسِنِينَ، ويجزيهم أَحْسَنَ الجِزَاءِ، ويرفع مقامهم، ويثيبهم، فكل هذا من فضله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على الإِحْسَانِ، فإذا أردت أن تكون مُحْسِنًا، فأجمع بين الأمرين:

الأول: الإِخْلَاصُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- في القصد، والنية.

والثاني: التَمَسُّكُ بِالشَّرْعِ من حيث المَشْرُوعِيَّةِ، لا تَزِيدُ، ولا تَنْقُصُ.

والثالث: أن تتبّع النبي ﷺ في الأداء، والكيفية، وبذلك تكون مُحسِنًا، لأن النبي ﷺ إمام المُحسِنين، ومن كان من أهل الإحسان في الدنيا، فهو من أهل الإحسان في الآخرة، حتى أن الله -عزَّ وجلَّ- لِيُشَفِّعَهُ في والِدَيْهِ، وفي قراباته، وذَوِيهِ، في إخوانه، وأصدقائه، فضلًا من الله -جلَّ وعلا- ولذلك الإنسان كل ما مر بذكر الإحسان، والمُحسِنين في القرآن، يقف عندها ويتأمل، ينظر، ما هي أعمالهم؟، ما هي أخلاقهم؟، لماذا رضي الله عنهم؟ لماذا نوه بذكرهم؟ حتى يقتبس منهم، ويتأسى بهم فيما كانوا عليه من حُسن العبادة على الوجه المشروع؛ والله أعلم.

و صلى الله وسلم على نبيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.



يا عَبْدَ اللَّهِ :
لِيُحِبَّكَ اللَّهُ كُنْ مُحْسِنًا
المجلس الثاني

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أما بعد:

قد قال الله - **جَلَّ وَعَلَا** - في ختام آيات الصيام: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٨]؛ ففي هذه الآية الكريمة، ينهى الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - أهل الإيمان الذين كُتِبَ عليهم الصيام، والذين حُوطِبُوا بما يتعلق بالصيام من الأحكام، فيقول لهم - **جَلَّ وَعَلَا** -: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ** ﴾؛ يعني لا تتفَعُوا بالأموال التي أخذتموها من وجوه مُحَرَّمَةٍ، باطلة، ومن ذلك الرِّشوة، ولذا قال: ﴿ **وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ** ﴾؛ يعني للقضاة، والمسؤولين، وغيرهم من أجل أن يُعْطَوْكم حق غيركم، ويحكموا لكم بخلاف الحق، ﴿ **لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ** ﴾ لتأخذوا فريقًا، أي: قدرًا من أموال الناس بهذه الحِيل، وأنتم تعلمون إنها حِيل على الله - **جَلَّ وَعَلَا** -.

كيف تَحْتَالون على الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -؟ كيف تأخذون المال الحرام؟ فالمعنى لا تتفَعُوا بالمال الحرام بأي وجه من الانتفاع، وإنما عَبَّرَ بالأكل، لأنه أغلب وجوه الانتفاع، والناس يأخذون الحرام ليُصْرِفُوا على أَنْفُسِهِمْ، وذَوِيهِمْ، والعِيَاذُ بِاللَّهِ، فينهى الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - أهل الإيمان عن أخذ المال من غير طريق شرعي، أي طريقة كانت، سواء كانت رِشوة، أو كانت سرقة، أو ربا، أو أخذ المال قهراً، أو حيلةً، أو ثمنًا لمواد مُحَرَّمَةٍ، أو غش في الكيل، والوزن، أو خديعة، فأى طريق مُحَرَّم يُؤْخَذُ به المال، فهذا لا يجوز، لمُخَالَفَتِهِ للشرع، فكيف يُدْخَلُهُ الإنسان إلى جوفه، ويلبسه على جسده، ويُنْفِقُهُ على أهله، أو يَغْتَرُ فيتصدق به؟.

جاء عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَّالًا من حَرَامٍ فَيُنْفِقَهُ فَيَبَارِكُ لَهُ فِيهِ، أَوْ يَتَصَدَّقَ بِهِ فَيُقْبَلُ مِنْهُ، أَوْ يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ - يعني لورثته - إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ**»،

فبهذا تحذيرٌ شديد، خطير جدًّا، وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما وروي مرفوعًا: «**إنَّ الإنسان إذا صلى وعليه ثوبٌ بعشرة دراهم، منها درهمٌ حرام فإن الله - تعالى - لا يقبل صلاته**» .

والأحاديث كثيرة في هذا، فكأن الله - **عزَّ وجلَّ** - يقول لأهل الإيمان: يا مَنْ صُمْتُمْ عن الحلال الطيب في نهار رمضان لتبتغوا مرضاتي، لا تُفْطِرُوا على الحرام، لا تأكلوا من الحرام، لا تُتَفَقُوا الحرام، لماذا؟ لأن الحرام شُوِّمَ من كل وجه، فإنه يُقَسِّي القلب، ويُعْمِي البصيرة، ويثبِّط الهِمَمَ، والجوارح عن الطاعة، ويصْرِفُ عن الخير، حتى إن آكل الحرام، وشارب الحرام، ولابس الحرام، يَبْعُدُ أن يُسْتَجَابَ دُعَاؤُهُ، ولو أُسْتَجِيبَ الدُّعَاءُ قد لا يكون في صالحه.

ذَكَرَ النبي صلى الله عليه وسلم: «**الرَّجُلُ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يُطِيلُ السَّفَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ**» ، هذه كُلُّهَا أسباب إجابة، فكونه «**أَشْعَثَ أَغْبَرَ**» متواضع، وهذا يَقْتَضِي من الله - **عزَّ وجلَّ** - أن يَرْحَمَهُ، وكونه «**يُطِيلُ السَّفَرَ**» في غُرْبَةٍ، وَمَسْكَنَةٍ، وحاجة إلى الله - **عزَّ وجلَّ** - تَقْتَضِي أن الله تعالى أن يَرْحَمَهُ، وكونه «**يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ**» يدعو «**فإنَّ الله - تعالى - إذا رَفَعَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ إِلَيْهِ يَسْتَجِيبُ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**» ، يعني ليس فيهما شيء، خائبتين، ويُناشِدُ الله - **عزَّ وجلَّ** - «**يَا رَبِّ يَا رَبِّ**» بربوبيته ، كل دعوات المرسلين، والنبيين، والصالحين تجدونها بلفظ «**يَا رَبِّ**» الربوبية الخاصة، كأنهم لقوة صلَّتْهم بالله - **عزَّ وجلَّ** - وإقرارهم، واعترافهم بفضل الله - **عزَّ وجلَّ** - عليهم، بالخلق، والرزق، والعافية، والهداية، والصلاح، وكذا، وكذا، رَبَّاهُمْ بِنِعْمِهِ حالاً بعد حال، حتى بلغوا حدَّ التمام ، يسألون الله بهذا ، أن يَسْتَجِيبَ لهم، ولذلك قُرِنَتْ الدعوات في القرآن التي بلفظِ الرَّبِّ بالإجابة، فهذا يقول: «**يَا رَبِّ يَا رَبِّ**» يكرِّر، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يَسْتَبْعِدُ أن يُسْتَجَابَ لهذا، لماذا؟ قال: «**مَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!**» .

فالحرام خدعة من الإنسان لنفسه، لأن الإنسان يأخذه في وقت يكون قادر عليه، غش في سلعة، كذب في بيع، احتال بطريقة، دفع رشوة، صار كذا ثم ينسى، ويروح، ويختلط المال بالمال، ويزيد، وبهذه الطريقة فيعود شؤمه على الإنسان، لا يستجاب لآكله الدعاء، ولا تقبل له الصلاة، ولا تقبل النفقة منه، لا يؤجر على النفقة منه على نفسه، وعلى أهله، ولا تقبل الصدقة، لأن «الله - تعالى - طيب لا يقبل إلا طيباً»، فيعود على صاحبه بالنقص، حتى إن الحاج إذا ركب، وضع رجله في الغرز، غرز الراحلة، وركب قال: لبيك اللهم لبيك، يرد عليه: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ومطعمك حرام، ومشربك حرام، فهذا يدل على شؤم الحرام، والإنسان بطبيعته مجبول على الاشراف والتحري للمال، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، ومجبول على شح المال، فإذا دخل الحرام عليه، يصعب خروجه منه، ثم يكثر في ماله، ثم العياذ بالله يصير خديعة له، يتصدق لأنه نسي إن هذا المال من حرام، يُنفق لا يقبل منه، يتصدق لا يقبل منه، يلبس لا يؤجر، ولا يقبل عمله.

فهذا خطير جداً، فالحرام أظهر شيء على الإنسان، أظهر من السموم على الأبدان، ولذا النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ»، يعني يعلمه عامة الناس، لو تستعرض أهل المسجد، تقول له: هل الربا حلال؟ يقولوا: لا حرام، ما تأخذه الزانية على زناها حلال؟ يقول: لا حرام، الغش، والكذب حرام، لكن عند التفصيلات، وعند الابتلاءات، يروح هالمعلوم ذا، ويأتي التأويل الباطل، «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ»، يعني فالحلال خذوه، والحرام أتركوه، لا تقولون: ما حل بيدي حلال، لا، الحلال شرعاً خذوه، ما دام جاءك من طريق حلال، الحرام شرعاً، لا تأخذه، ولو اقتحم عليك بيتك، لأنه فتنة، بليته تبلى به أنت، فالحلال خذوه، والحرام أتركوه.

يَبْقَى النوع الثالث مُشْتَبِه، لا يُدْرَى عنه من الحلال، أو من الحرام، أتركوه حتى يَتَبَيَّن أمره، تَوَقَّفُوا فيه، فإن كان من الحلال خُذُوهُ، وإن كان من الحرام أتركوه، ثُمَّ مضى ﷺ في الحديث حتى قال: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»، اربط بين أول الحديث، وآخر الحديث، تجد إن آخر الحديث مُرتَّب على أول الحديث، إن الحلال يُصْلِح القلب، وإن الحرام يُفْسِد القلب، هل تأخذ مادة تُفسد قلبك؟ الناس الآن يتجنبون ما يُفسد قلوبهم حَسِيًّا من الأمراض، والمشاكل، فكيف يُفسدون قلوبهم معنويًّا؟ بما يُضعِف الإيمان، يُذهب الإيمان، فالأمر خطير جداً يحتاج الإنسان أن يدَع الحرام، ويَحذِر الحرام، ولا تقول: لأني قدرت، غلط، إذا قدرت على الحرام، حيلة، وغير ذلك، اذكر قدرة الله عليك، اذكر إن الله يراك، من فوق سبع سموات، اذكر أن الله تعالى لو يُؤَاخِذُكَ بسرعة شل يدك، فلذلك خِفَ الله، لا تأخذ الحرام.

ولذا قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا**

أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩] ﴿ **إِلَّا** ﴾ هنا بمعنى لكن، يعني لا تأخذون المال بالحرام، لكن خُذُوهُ بالتجارة الربحة الحلال، وهم بالحيل، والوسائل المُلتوية، لكن عن تجارة، خُذُوا المال عن تجارة، عن تراضٍ بينكم، بما لا يُخالف الشرع، ولو تراضى الناس عن الربا، فالرضا لا يُحلل الحرام، ولو تراضوا على الرِّشَا التراضي لا يُحلل الحرام، لو تراضوا عن بيع سلع مُحرمة، فالتراضي لا يُحلل الحرام، الحرام حرام، فالإنسان يحتاج إلى أن يتنبه، ويَحْتَاط لِنَفْسِهِ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْخَطِيرِ، لأن المال إذا دخل يَصْعُبُ خُرُوجَهُ مِنَ الْإِنْسَانِ، يَشِحُّ بِالزَّكَاةِ، فكيف هذا؟

فلذلك ينبغي للإنسان يَحذِر، ولذلك والله أعلم ختم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** آيات ذكر أحكام

الصيام، وتفصيلات الأحكام بقوله: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ** ﴾ [البقرة: ١٨٨]؛ يعني

بوجوه التعاملات الباطلة، الفاسدة، المخالفة للشريعة، أيا كانت تلك التعاملات، وخص منها مثال لأنها تعم به البلوى، وُجد في جميع الأمم، وهو الرشوة التي تُدفع للقضاة، للمسؤولين، الإداريين، لغيرهم، أو المالىين، أو المهندسين، أو المشرفين، أو للأطبة، أو لغير ذلك من أجل، أن يُعطوا الإنسان ما لا يستحق، ويحرموا مُستحق الشيء من حقه، ﴿وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:

١٨٨]، تعلمون هذا إثم، لكن تتأولون، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٩] أيش؟ ﴿عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾، فهذا غلط التأويل من تسويق الشيطان، ومن تسويل الشيطان، ومن إضلال الشيطان، إنه يأتيك في لحظة عرض الحرام عليك، ويقول: لا خذُه، وبعدين تُخرجه، خذ هذا، وبعدين يمكن في رخصة، امسكه وقتاً عندك وبعدين استفتي، كل هذه من حيل الشيطان، والشيطان عدو للإنسان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

[فاطر: ٦]

فينبغي للإنسان أن يُحاذر الحرام، لأنه خطير، دخوله سهل، وخروجه صعب، وبعدين أثره على الإنسان يبقى مدة طويلة، وبعدين الإنسان ينسى فينفق من الحرام، ويتصدق من الحرام، ويظن أنه عمل صالح عند الله، وهو العيادُ بالله عمله طالح، لأنه على غير وجه الشرعي، لأن «الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً»، ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، «وإذا تصدق الرجل بعدل تَمرة، بمقدار تمرة،

من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب؛ فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربّيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه، مهر الحصان، حتى تكون مثل الجبل العظيم، أو مثل أحد.

فالحلال يُبارك، والحرام سُحت، وذمّ الله -عزّ وجلّ- ضلال اليهود والنصارى بقوله:

﴿ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة: ٤٢] يأكلون السُّحت، وهذه المسألة يُبتلى بها مَنْ يتصدى

للناس في الإشراف، والمراقبة، والولاية، الإدارة، والقضاء، وغير ذلك، والعياذُ بالله، يأكل، فإذا أخذ مرة، مرتين استساغ خلاص صار عادي عنده، لأنه يفسد ذوقه، وهذا خطير جدًّا، وبعدين تبعته يوم القيامة خطيرة لأن الإنسان يموت، ويترك ما وراه تركة، فينتفع به من بعده، وإثمُه عليه هو، يُسأل عنه، يأخذ ثواب صلاته، وصيامه، وزكاته، وصدقته، هذا خطير جدًّا.

فلذلك ينبغي للإنسان أن يضرب ألف حساب مثل هذا، درهم حرام يدفع عليك شؤم،

ولا يغرنك سهول الدخول، ولا يغرنك إنه لا يرك أحد من حولك، فإن الله يراك.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فاحذر الحرام، لأنك تستغني عنه لحظة، يُغنيك الله عنه، تأخذه تنشب به، والعياذُ بالله،

من ترك شيئاً لله تعالى؛ عوّضه الله خيراً منه، ومن أخذ شيئاً حرام، ابتلي بشؤمه، صار نقيصةً

عليه، حتى والعياذُ بالله الإنسان يكون محافظ على الصلاة، ويبتلى بالحرام؛ يترك الصلاة،

يكون محباً للصدقة، يبتلى بالحرام؛ يترك الصدقة، بسبب ماذا؟ بسبب قسوة القلب، ولهذا

أنظر إلى الموظفين، والناس اللي في الشركات الربوية، تجدهم أقسى الناس قلوباً، لا

يرحمون الناس أبداً، وهذا من شؤم الحرام الذي أكلوه، فهذا خطير، خطير.

ولهذا الله -عزّ وجلّ- ختم آيات الصيام بهذا التوجيه الرباني الكريم، وهذا فيه اغتنام لركة

القلوب بالصيام، يا مَنْ رقت قلوبكم الصيام، يا مَنْ ابتغيتم ما عند الله -عزّ وجلّ- بالصيام، يا

مَنْ كَذَا، لَا تَصُومُوا عَنِ الْحَرَامِ نَهَارًا، وَتُفْطِرُوا عَلَيْهِ لَيْلًا، لَا تَصُومُوا، وَتَكْمَلُوا صِيَامَكُمْ
 بِالصَّدَقَةِ، وَهِيَ بَاطِلَةٌ لِأَنَّهَا مِنْ حَرَامٍ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَزْوَاجِكُمْ،
 وَذُرَارِيكُمْ، وَوَالِدِيكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، (١٩ : ٠٤) الْحَرَامِ، وَلَوْ قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ،
 فَإِنَّهُ شُؤْمٌ، وَإِنَّهُ أَضْرَ عَلَى الْقُلُوبِ، وَالْأَبْدَانِ مِنَ السُّمُومِ، وَاللَّهُ إِنَّهُ أَضْرَ مِنَ السُّمُومِ، وَأَضْرَ مِنَ
 الْمَخْدَرَاتِ، وَأَضْرَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُسْتَعْصِيَةِ كَالسَّرَطَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، لِأَنَّ عَاقِبَتَهُ خَطِيرَةٌ فِي
 الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ - وَلِيَعُوذَ بِاللَّهِ - .

اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنِ حَرَامِكَ، وَبَطَاعَتِكَ عَنِ مَعْصِيَتِكَ، وَأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَنِ مَنْ
 سِوَاكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَّقِبًا، اللَّهُمَّ قَنِّعْنَا
 بِمَا رَزَقْتَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَاخْلِفْ عَلَيْنَا كُلَّ غَائِبَةٍ لَنَا بِخَيْرٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
 وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



وانتهت العشر

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.
أما بعد:

فإن الذكرى تنفع المؤمنين، جعلنا الله جميعاً ممن ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿ [الزمر: ١٨] ثم إن ليالٍ العشر الأخير من
رمضان، هي أفضل ليالٍ الشهر، ولها خصوصية لما أودع الله -عزَّ وجلَّ- فيها من الخير
والذخر والبر لأهل الإسلام، ولذا كان النبي ﷺ يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها، طلباً
لفضلها وشكراً لله -عزَّ وجلَّ- على الإنعام بها، وحفاوةً بآخر الشهر، لأن المؤمن الحق هو
الذي كلما طال أمدُّ العبادة، زادت رغبته فيها، كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا
هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

فكان ﷺ يُعنى بالعشر الأواخر من رمضان، لماذا؟ لما جعل الله -عزَّ وجلَّ- فيها من
الخير لأهل الإسلام، ولأن خصائص الشهر في جملتها في العشر، فأولاً هي الليالي التي
أنزل في إحداها القرآن العظيم، فقول الله -جلَّ وعلا-: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ المراد به الليلة التي
أنزل فيها القرآن، وهي من ليالي العشر قطعاً، وهي ليلة أربع وعشرين من الشهر، وهي في
تلك السنة التي أنزل فيه القرآن؛ هي ليلة القدر؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

ففيه أنزل القرآن في العشر الأواخر، في أربع وعشرين من الشهر؛ أنزل القرآن، وهذا يدلُّ
على اختصاصه بمزيد فضله، لأن القرآن هو أصل الهدى وأساس العلم، وهو كلام الله -عزَّ
وجلَّ-، الذي خاطب به خلقه، يأمرهم بالخير، وينهاهم عن ضده، ويرغبهم في الفضيلة،

ويزجرهم عن الرذيلة، ويبشّرهم بالوعد الكريم والثواب العظيم، ويُنذِرهم من العذاب الأليم والعقاب الشديد.

كذلك فإن ليلة القدر لها خصوصية غير إنزال القرآن؛ وهو قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ

مِنَ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، قال المفسّرون -رحمهم الله تعالى-: إن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر خالية منها .

وهذا تزيد عن ثلاثة وثمانين سنة، وذلك أن النبي ﷺ، ثم من بعده الصحابة رضي الله عنهم قارنوا بين أعمارهم وأعمار الأمم السابقة؛ وإذا أعمار الصحابة وهذه الأمة ليست شيئاً بالنسبة للأمم السابقة، فقالوا: كيف نبلغ ما بلغوا من العمل مع قصر الأعمار؟، فإن أحداً من الأمم السابقة جاهد في سبيل الله حمل السلاح ألف سنة مدة عمل فكأنهم تساءلوا كيف نبلغ ما بلغت الأمم السابقة من عبادة الله تعالى وطاعته مع قصر أعمارنا، وأين نحن من هؤلاء؟ نوح عليه السلام أمضى ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهو يدعو قومه إلى الله -جَلَّ وَعَلَا-، فأنزل الله -عَزَّ وَجَلَّ- إجابةً على تساؤلهم هذا الخبر العظيم؛ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنَ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

فإذا أدرك المسلم ليلة القدر، فإنه يكون عمله فيها أكثر من عمل ممن أمضى المُدد الطويلة في الأمم السابقة في طاعة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهذا فضل من الله -جَلَّ وَعَلَا-، فلما قضى الله -عَزَّ وَجَلَّ- بقصر الأعمار، ضاعف الأعمال والأجور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَضلاً منه ونعمة، والله عليم حكيم.

وهي ليلة غير مُعَيَّنة أي ليالِ العشر، هي في ليالِ العشر قطعاً، لكنها تختلف، تكون في سنة ليلة كذا، وفي أخرى ليلة كذا، وفي ثالثة ليلة كذا، ولا يُجمع بين الأحاديث الصحيحة التي روى الصحابة رضي الله عنهم أن النبي ﷺ أخبرهم أنها في تلك الليلة، إلا أن تكون في تلك السنة،

ففي كل سنة أخبرهم أي ليلة قدر في ليال العشر؟، والنبي ﷺ صام تسع رمضان، فإذا تسع سنوات، والنبي ﷺ يبين لهم ليلة القدر، وفي ليلة في سنة منها أنسيها ﷺ بسبب خصومة بين رجلين، فقد خرج ليخبرهم وإذا رجلان يختصمان في المسجد، بينهما خلاف ورفع صوتهما وكذا، فأنسيها النبي ﷺ، وهذا من شؤم الجدل والمراء في الدين، الذي ابتلي به كثير من الناس في هذا الزمان يتكلمون في دين الله بلا علم، ويفترقون ويتحزبون على جهل «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ فِي الدِّينِ»، وفي الحديث: «إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ - أَي الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ - فَاحْذَرُوهُمْ» فأنسيها ﷺ، لكن ذكرت له علامة فيها، قال: «وَقَدْ رَأَيْتَنِي صَبِيحَتَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ»، فلما صارت ليلة ثلاث وعشرين، وصلى النبي ﷺ الفجر، وإذا السماء قد أمطرت، والمسجد سقفه من العريش والجريد، فنزل المطر على الأرض وابتلت الأرض، فلما صلى النبي ﷺ، وانصرف من صلاة الفجر، وإذا أثر الماء والطين في جبهته ﷺ وهذا دليل على أن ﷺ ما صلى على فراش، فعرف أنها ليلة ثلاثة وعشرين في تلك السنة.

والأحاديث المروية عن النبي ﷺ في ليلة القدر، فيها تحديد ليلة القدر ما يقارب ست ليال، وكل جماعة من السلف رأوا أنها تلك الليلة، وظنوا أنها تستمر كل سنة هي نفس الليلة، وهذا خلاف الصواب، والصواب أنها تنتقل، فليلة تكون ثلاث وعشرين، وفي سنة أخرى أربع وعشرين، وفي ثالثة سبع وعشرين، وقد تكون تسع وعشرين، ولذلك لا يمكن للإنسان أن يدرك ليلة القدر بالقيام والإحسان والبر إلا أن يقوم الليالي كلها، ولذلك كان النبي ﷺ من حرصه عليها وتشريعها للأمة؛ كان يقوم ليال العشر ويعتكف يجلس في المسجد يربط من أجل أن يدرك هذه الليلة، ومن أجل أن يبين للأمة أهمية هذه الليلة والعمل لها، ويصلي من أول الليل، ومن أوسطه وبعد نصفه وفي آخره، اغتنامًا لشرف تلك الليلة.

فاجتمع في العشر الأواخر ثلاث خصال:

الأولى: هي إنزال القرآن.

والثانية: أن فيها ليلة القدر.

والثالثة: أن النبي ﷺ كان يُوحى لياليها، يعني يقوم أكثر الليل أو لا ينام من الليل.

والله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، والنبي

ﷺ يقول: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»، فأنت سواءً اعتكفت في المسجد أو لم تعتكف، لازم أنك

تجتهد في تحري تلك الليلة، والقيام فيها، فتُصلي بين المغرب والعشاء، والنبي ﷺ كان

يُصلي بين المغرب والعشاء، حفظ عنه ﷺ ثلاث تسليمات؛ يعني ست ركعات، وهذا في

غير رمضان، ركعتا الغرب وأربع ركعات بعدها، وأحياناً كان ﷺ يُصلي من المغرب إلى

العشاء في المسجد، فهذا من القيام، وصلاة التراويح مع الأئمة من قيام الليل، ومن قيام ليلة

القدر، فتُصلي في بيتك إذا كنت ما اعتكفت.

لا تجعل همّتك الأسواق، والمجالس، والمُتديّات، ووسائل التواصل، لا اشتغل في

تلاوة القرآن وفي الصلاة، تُصلي قبيل أن تنام وبعد أن تقوم، وتُصلي مع الأئمة آخر الليل،

وتغتئم وقت السحر بالاستغفار وهكذا، فهذا أمر لا بد منه من الإنسان الحريص، ولذلك

عطاء **رَحْمَةُ اللَّهِ**؛ من أئمة السلف، وسادات التابعين ضرب مثلاً للاعتكاف في العشر، يقول:

مِثْلَ الْإِنْسَانِ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى رَجُلٍ عَظِيمٍ مَلِكٍ أَوْ غَنِيِّ، فَيَقِفُ بَبَابِهِ حَتَّى تُقْضَى حَاجَتُهُ، فَيَقُولُ:

مَا أَتْرَكَ الْبَابَ حَتَّى تُقْضَى حَاجَاتُهُ، فَإِذَا كَانَ هَذَا أَمْرٌ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، فَأَنْتَ تُرِيدُ الْمَغْفِرَةَ، تُرِيدُ

الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ، تُرِيدُ الْفَوْزَ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، تُرِيدُ مِنْ بَرَكَاتِ اللَّيْلِ الَّتِي أُنْزِلَ فِيهَا الْقُرْآنَ، وَمِنْ

بَرَكَاتِ الْقُرْآنِ ﴿هُدًى لِلنَّكَاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] فإذا تجتهد؛

لعلَّ الله يتقبلك، ويجعلك من المقبولين.

فهذه مهمة؛ ثم التأسى بالنبى ﷺ إنك تحسن القدوة والإتباع، فتلزم نفسك بالسنة، وتعلم أهلك السنة، ويأخذ عنك الناس السنة، ثم إن إظهار الرغبة في الخير، والمزيد من العبادة في آخر الشهر، من أمارات السبق، لأن العبرة بالسبق في الميادين في آخر الميدان لا في أوله، والله تعالى قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، لماذا كررها؟ السابقون في الخير في الدنيا، هم السابقون يوم القيامة، ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [١١] ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [١٢] [الواقعة: ١٢] جعلنا الله وإياكم منهم.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]، ضمن الله السبق لأنهم سبقوا بنيتهم، أو بنيتهم وعملهم، فهم سبقوا لا محالة، فمن سبق سبق، وهذا يميز السباق في أمر الآخرة عن السباق في أمر الدنيا، ففي أمر الدنيا ما يسبق إلا واحد، لكن في أمر الآخرة لا من سبق سبق، كتب عند الله -عز وجل- من السابقين، لأن الله يعطيه على نيته، لكرمه سبحانه وتعالى؛ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [١٠] ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [١١] ﴿الواقعة: ١١﴾، ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [٦١] ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْبٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٦٢] [المؤمنون: ٦٢] هكذا قال الله -عز وجل-، وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهُمْ فَاَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨] كون الإنسان يظهر الرغبة في الخير، والجهد في العبادة، والحرص على اغتنام الوقت، والإشفاق من مضي الشهر، هذا خير له ومن أمارات التوفيق، ومعالم السعادة، وإنه عند الله -جل وعلا- كذلك من السابقين، لأن الذي يسابق يجعله الله سابقاً هذا من فضل الله -عز وجل- ومن جوده وكرمه.

فلهذا يكون الإنسان في هذه العشر أكثر اجتهاداً من سابقتها، وإذا كان فيما مضى مفترطاً؛ فيستدرك، فإذا كان المحسن يزداد في الإحسان، فالمفترط أولى بالاعتذار والاستغفار

والاستدراك، فهذا أمرٌ مهمٌ ينبغي التفتُّن له والعناية به، تجتهد في تلاوة القرآن، تجتهد في الدعاء، تجتهد في البرِّ والإحسان، تجتهد في المبادرة للصلوات، والانتظار للصلوات، والانتظار بعد الصلاة، تجتهد في ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فهكذا يكون المسلم لشرف الوقت، لشرف الزمان، لشرف العُمُر، لا تدري هل أنت أهلٌ ما بعد ذلك أم لا؟ كم نفسٌ راحت في رمضان؟ كم نفسٌ أدركت أول الشهر، ومضت قبل أن ينتصف؟ فالإنسان يعتبر.

ذُكر في هذا الشهر أن إنساناً رأى أخاه المُتوفى في نصف شعبان، وقال له: تأتي إلينا؟ فقال وهو في النوم: آتيكم في نصف رمضان، ومضى إلى الله في نصف رمضان، توفي وقُبِض؛ وكم من نفسٍ.. اسألوا مسجد الراجحي وغيره من المساجد التي يُصلى فيها على الجنائز حتى تعلموا، فالإنسان يستدرك ما أعطاه الله من الفرصة، لعلَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يكتبه من السابقين، لعلَّ الله أن يرفع درجاته، لعلَّ الله أن يُحسن إليه، وأن يُمِنَّ بالعفو عنه.

رزقنا الله وإياكم هذا كله والله أعلم.

و صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



**تنبيهات لطيفات
بشأن زكاة الفطر**

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.
أما بعد:

فإن زكاة الفطر زكاة شرعها الله -عزَّ وجلَّ-، وفرضها رسوله ﷺ على كل مسلم، ذكرٍ أو أنثى، أو صغيرٍ أو كبير، حرٍ أو عبد، كل مسلم يُدْرِك آخر الشهر بثبوت رؤية هلال شوال تلزمه زكاة الفطر، فهي زكاة أبدان، زكاة رؤوس، فهي في الذمّة، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٥]، فسرت ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ بأنه أدى زكاة فطره قبل صلاة العيد، ثم صلى العيد، فالله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ يعني فاز بكل محبوب مرغوب، ونجا، وسلم من كل مكروه مرهوب، ﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ هو من زكى نفسه بالاستقامة على الشرع، وإتباع السنّة، وترك المنهيات، والمخالفات، ومن ذلك أن يؤدي زكاة الفطر.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤] وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى [١٥]، كبر التكبير المشروع ليلة العيد، ويوم العيد قبل الصلاة، وفي الصلاة، وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ؛ أن الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر، صاعاً من طعام على الصغير، والكبير من المسلمين؛ فدل ذلك على مشروعية زكاة الفطر، ويدل على ذلك اسمها؛ لأنها أُضيفت للفطر، فالفطر هو سببها. فكل مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بإدراك شهر الصيام، ثم إدراك هلال شوال، تجب عليه الزكاة، حتى ولو لم يصم، ولو لم يكن من المكلفين؛ كالأطفال غير البالغين، والمجانين، والمغمى عليهم، فهؤلاء كلهم عليهم زكاة فطر يؤديها وليهم عنهم، وحكمتها أنها طهرة للصائم من اللغو، والرث؛ فإنها تُجبر نقص العمل، وتُسد الخلل، وترفع الدرجة عند الله -عزَّ وجلَّ- وتُكفر الخطيئة، وهي طعمّة، ومواساة للفقراء، والمساكين، كل عاقل يعرف فائدة ذلك، وحسن عقباه، فيؤديها طيبةً بها نفسه لأنها مكّمة لصيامه ومزكية لنفسه ولماله، مُبعدة له عن الشر، وسبباً في البركة، وكثرة الخير؛ فهذه هي زكاة الفطر الواجب فيها صاع، عن كل

شخص صَاع، والصَّاع؛ صَاع النبي ﷺ ويُقدَّر بكيلوتين ونصف، أو مِلء كَفِيَّ الرجل، ومتوسط حلقة اليدين من البرِّ الجيد أو البرغل أو ما أشبه ذلك، فهذا هو المقدار الواجب، وتُعطى لصنفتين من أهل الزكاة هم فقط الفقراء والمساكين، فالفقراء الذين لا يجدون شيئاً يُغنيهم ليلة العيد، يوم العيد أصلاً، والمساكين الذين يجدون شيئاً لا يكفيهم، ولا يُغنيهم، الأول لا يجد شيئاً أصلاً، والثاني يجد شيئاً لا يكفيهم، فلا نصيب فيها لبقية أصناف زكاة أهل المال، إنما هي للفقراء والمساكين، طُعْمَةٌ كما رُوِيَ عن النبي ﷺ قال: «أَغْنُوهُمْ بِهَا لَيْلَةَ الْعِيدِ وَيَوْمَ الْعِيدِ»؛ يعني عن ذلِّ السُّؤال؛ حتى يشاركوا المسلمين فرحتهم بالعيد، وهي تُخرج من قوت البلد مِمَّا يَأْكُلُهُ النَّاسُ، يواسون منه فقراءهم.

يقول أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ طَعَامَنَا الشَّعِيرَ»، فكانوا يُخرجون الشعير لأنه هو قوتهم، وعينها النبي ﷺ من أصناف من القوت كانت موجودة في وقته: كالتمر، والزبيب، والشعير، والأقْت؛ وهو اللبن المُجفَّف، فكانت هذه الأقوات في المدينة في زمن النبي ﷺ.

فإذا الناس يخرجون من قوتهم مِمَّا يَأْكُلُونَ، غداءً أو عشاءً، فالشعير مثلاً اليوم ليس من القوت، علف البهائم ما يُخْرَجُ، كذلك الزبيب يعتبر الآن من البذار، من الأمور التي يُزَيَّنُ بها الطعام ليست قوتاً، فيُخْرَجُ الإنسان ما هو أنفع للفقير مِمَّا يَقْتَاتُهُ النَّاسُ، ويُدَّخِرُونَهُ وسواء أخرج البرُّ أو الأرز، أو الذرة، أو العدس، أو غير ذلك مِمَّا يَسْتَعْمِلُهُ أهل البلد قوتاً كل بلد لهم قوت يكون هو المشهور بينهم، وهو المعروف عندهم، فالناس يواسون مِمَّا يقتاتون هذا المُتَعَيَّنِ ووقت إخراجها قبل صلاة العيد، بعد صلاة الفجر، وقبل صلاة العيد، هذا هو الأفضل، أفضل الأوقات، ويليه في الفضل إخراجها بعد رؤية الهلال، هلال شوال، يعني ليلة العيد، فهذا وقت أداء ويجوز أن تُخْرَجَ قبل العيد بيوم، أو يومين.

قد يجوز ثلاثة أيام لما ثبت في صحيح البخاري - رَحِمَهُ اللَّهُ - في باب الوكيلة؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ وكلَّه على زكاة الفطر، يعني يستلمها من الناس، ويَحْرُسُهَا،

ويُوصَلُّها لمُسْتَحِقِّها، قال: فجاءه شيء في الليل يحثو من الطعام حيوان يعني، عليه شعر، فأمسك بيده، فقال: دعني مسكين، ولي عيال، يعني فقير فتركه، أخذ حاجته، ولما أصبح أخبر النبي ﷺ وقال له: أنه لا يعود، فلما أخبر النبي ﷺ قال: «أما أنه سيعود»، وهكذا في الليلة الثانية والثالثة كل ليلة يأتي يحثو من الطعام ويقول: فقير وذو عيال، وأنه لا يعود، فإذا أخبر أبو هريرة النبي ﷺ قال: «أما أنه سيعود»، بعد الليلة الثالثة، أو لما جاء الليلة الثالثة، لم يسمح له أبو هريرة أن يأخذه؛ فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى تختمها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان، فلما غدا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء للنبي ﷺ يوم ثالث، وأخبره، قال: «صدِّقك وهو كذوب»، قال: «هل تدري مع من أنت يا أبا هريرة منذ ثلاث؟» قال: لا، قال: «ذاك شيطان»؛ يعني جني؛ فدل ذلك على أنه يجوز إخراجها قبل العيد بثلاث ليالٍ لأنَّ أبا هريرة أمضى هذه الثلاث، وهو يستقبل الطعام، ويحرسه، فدل على جواز إخراجها قبل العيد بيوم، أو يومين، أو ثلاثة، وهذا من أجل التوسيع على المسلمين، وفرق بين الجواز والأفضل، الإنسان يتحرى الأفضل، ويخرجها في الوقت المناسب الذي هو الأفضل.

وهذا الحديث الصحيح الثابت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُفسر قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أو ما يروى عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يُعطيها؛ أي زكاة الفطر، من يقبلها، يعني يُعطيها للمُكَلَّف بها من قبل ولي الأمر، وهم من يقبلها أي واحد من الناس في الطريق، قد يقبلها من هو ليس مُستحق لها، قد يقبلها من لا يُوَدِّي أمانتها، لكن المُراد المُكَلَّف بقبولها، باستلامها وحفظها وإيصالها إلى مُستحقِّها، وأن الإنسان لا يتهاون في زكاته، ولا بُدَّ أن يطمئن أنها تصل إلى مُستحقِّها، لأن بعض الناس قد يأخذ زكاته ويلقيها عند باب الفقير، ويكون الفقير غائب

فلا تصل إلى مُسْتَحِقِّهَا، قد يأخذها غيره، تُسْرَق، فلذلك لا بُدَّ من العناية بإيصالها إلى مستحقها أو الوكيل الذي كُلِّفَ بقبضها مثل جمعية البرِّ، إذا فُوِّضت في قبول الزكوات، أو أشخاص معينين في الأحياء مثل العُمَد، أو غيرهم، فَمَنْ كُلِّفَ بقبول الزكاة، أو التزم ، بإيصال الزكاة إلى أهلها، وهو أمين وثقة ، فيعطى إِيَّاهَا، وإلا فَمَتَعَيْنَ على المُسْلِم أن يؤدي زكاته بنفسه إلى مُسْتَحِقِّهَا ، لأنه تُعَبَّدُ بذلك، ولا تَبْرَأُ ذمته إلا بإيصالها إلى مُسْتَحِقِّهَا ، ولا يخرج من العُهْدَة.

ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد إلا لَعُذْر من مسافرٍ لم يتمكن، أو من غيره من أهل الأعدار، فيُخْرِجُهَا؛ أَمَّا إِذَا أَخْرَجَهَا عَمْدًا من غير عذر، ففي خِلَافٍ بين أهل العلم ، هل تُقْبَلُ منه أم لا؟ هل تُقْبَلُ أنها زكاة فطر، أو صدقة من الصدقات ؟؛ فدل ذلك على الاهتمام بالزكاة، زكاة الفطر، وأنها شَعِيرَة من شعائر الإسلام ينبغي أن تظهر وتُشْهَر، وتُعرف حتى يتعلم الصغار من الكبار، والجُهَّال ممَّن يعلمون، والأعاجم الذين دخلوا في الإسلام جديدًا من أهل الإسلام، فيكون قِيمَ البيت مُهْتَمًّا بزكاته، يشتريها، وَيُعَلِّمُ أهله وولده هذه زكاتنا، عددنا كذا، عدد الأصع (صَاع) كذا، نُعْطِيهَا للفقراء، نُعْطِيهَا للمساكين، تُعَدُّ إِذَا كَانَتْ بِأَغْلَفَة أو أكياس، أو تُكَّالُ بِالصَّاع، ونحو ذلك، أو تُعْرَضُ بِالْوِزْنِ .

فهذا أمرٌ لا بُدَّ منه، أن تكون هذه الشعيرة ظاهرة، ولذلك منع المُحَقِّقُونَ من أهل العلم من إرسال الزكاة إلى خارج البلد، قالوا: لأنها شعيرة لا بُدَّ أن تظهر في البلد، لا بُدَّ أن تظهر، تُشْهَر، وإرسالها عن طريق التوكيل إلى بلد آخر، قد يؤدي إلى ألا تصل إلى مُسْتَحِقِّهَا، قد يؤدي إلى التهاون بها، وألا تُخْرَجَ من الشيء المعين شرعًا، وقد لا تُعْطَى إلى مُسْتَحِقِّهَا، تُعْطَى لغيره ، ثم أنها تخفى الشعيرة، وَيُسَاهِمُ الإنسان في إخفاء الشعيرة ، والمسلم ينبغي له أن يُحْيِيَ السُّنَنَ حتى تُعْرَفَ، تُشْهَر، ويتوارثها الناس .

زكاة الفطر والأُضحية ونحو ذلك، ومن ذلك العقيقة؛ كل هذه شعائر لا بُدَّ أنها تُظهر، وتُعرف، وتُشهر، حتى تتوارث الأجيال العلم بها، وحتى يُعرف كيفية إخراجها، وكيفية إيصالها، ونوع ما تُؤخذ منه، ومن تُعطى، كل هذه من مسائل الدين، ومن الأحكام الشرعية التي يتعين أن يُعنى بها من كل مسلم من رجل، أو امرأة، وهذه من الأمانات عند الناس، ولا يجوز أن تُخرج القيمة لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما أمروا بإخراج زكاة الفطر، حُدِّثَ لهم من الأطعمة لا من القيمة، ولا من الأساس مع أن القيمة موجودة، والأساس والمتاع موجود، فلا تُدفع قيمة، ولا تُدفع من أساسك: الفرش، والأواني، والمتاع، وغير ذلك، بل تُخرج من الأطعمة المُعينة، أو من ما يقوم مقامها مِمَّا أُسْتَحْدِثَ، صار هو القوت الغالب للناس، أو صار أنفع للفقراء، هذا هو المُتَعَيَّن، لأن الواجب إتباع السُّنَّة، والاقْتِدَاءُ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ، وسبق أن أشرتُ أن أبا سعيد الخضري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان طعامنا الشعير؛ يعني في عهد النبي هو الأكثر، وهو الموجود في المدينة، قال: فلما جاء معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمير المؤمنين، أول ملوك الإسلام، وأفضل ملوك الإسلام بعد الخلفاء الراشدين، جاء مُعاوية؛ أي صار في زمن ولايته، قدم المدينة، وجاءت السمراء؛ أي الحنطة، البر، فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ الناس في مسجد النبي ﷺ على منبر النبي ﷺ، وقال: إني أرى أن نصف صاع من الحنطة يكفي عن صاع من الشعير، لأنه أطيب الحنطة أطيب وأيسر، وأسهل مؤونة من الشعير. قال أبو سعيد: أما أنا فلا أزال أُخْرِجُها كما كنت أُخْرِجُها في زمن النبي ﷺ؛ يعني صاعاً من الحنطة، ولو كان أطيب، أُخْرِجُ صاع، ما قبل اجتهاد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، محافظةً على السُّنَّةِ على المكيال. فهكذا ينبغي العناية بهذا بحيث أن الإنسان يُخْرِجُ أطيب ما يُقَاتَت، ويُعْطِيهَا للفقراء والمساكين، ما تُعْطَى للغارمين، ولا للمؤلفة قلوبهم، ولا لغيرهم من أصناف من فُرض لهم

الزكاة، إنما هم: الفقراء والمساكين فقط، من يأخذ لحاجة نفسه، ومن يأخذ لحاجة ليلته ويومه، هذا الذي يُعطى.

أما الإنسان الذي يأخذها يتجر بها، يبيعها، لا يُعطى، هذا يُعطى من الصدقة، يُعطى من زكاة المال، لكن زكاة الفطر لمن يأخذها ليلة العيد، ويوم اليوم، أو أيام العيد، هكذا ينبغي. فالمقصود أنه لا بُدَّ من التحريِّ لأفضل أنواع الأطعمة التي تُخرج، ولأفضل المُستحقين، ولأفضل الأوقات، ولأفضل أحوال الأداء بحيث لا تُتبع منَّا ولا أذى، حتى ينال الإنسان الأجر الأوفى، وحتى يكون شاكرًا لله -عَزَّ وَجَلَّ- على نعمته في بلوغ شهر الصيام، وإتمام شهر الصيام، وما شرع الله -عَزَّ وَجَلَّ- من العبادات، وغير ذلك؛ هذا هو المُتَعِين. وفق الله الجميع لما يُحبُّه ويرضاه، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.



جمال الذكر وصيغته

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

أما بعد:

فتكملةً للدرس السابق أمس، فإنه يُشرع للمؤمن أن يُكثر من ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - في سائر أوقاته وأحيانه، وخصوصًا في شهر رمضان في ليله ونهاره، لأنَّ العمل فيه يُضاعف، ولأنَّ الثواب فيه يُضاعف، ولأنَّ العبد يحتاج إلى ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - أشدَّ من حاجته للطعام والشراب، والهواء والدواء؛ لأنَّه لا تصلح دنياه ولا آخرته إلا بذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، وما أرسل الله الرسل - عليهم الصلوة والسلام -، ولا أنزل الكتب، ولا شرع شرائع الدين إلا لإقامة ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** -.

فدين الله - **جَلَّ وَعَلَا** - كله ذكر لأنَّ الإنسان لا يُسبِّح الله - **جَلَّ وَعَلَا** - ويثني عليه بما هو أهله، ويمجِّده، إلا وقد ذكره بقلبه، ورغب فيما عنده، لأنَّه يعترف بكمال الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، وغناه عن جميع الخلق، وفقره هو وجميع الخلق إلى الله - **جَلَّ وَعَلَا** -.

فلا بد له من ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - بلسانه مُنبعثًا من قناعة واعتقاد قلبه، ورجاءه رغبةً، ورهبةً وخوفًا من الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، ولا يُصلي ويُسجد، ولا يتصدق ويُنفق، ولا يصوم ويترك الشهوات، ولا يحجَّ ويُجاهد؛ إلا من أجل أن يذكر الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، وأن الله شرع هذه الشرائع وتعبَّد بها عباده، ويجزيهم عليها أجرًا كبيرًا، ورفعةً في الدرجة، فهو يذكر الله؛ ولذا قال تعالى: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾ [طه: ١٤]، فسبب إقامة الصلاة ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** -.

، وأمر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - المؤمنين بأن يذكروه مع هذه العبادات ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ** ﴾ [النساء: ١٠٣] ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مِّنْ سِكِّكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿ **يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ ﴿ **٤٥** ﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَلَا

تَنْزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنْزَعُوا
فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ [الأنفال] وهكذا .

ولذا سئل النبي ﷺ عن أنواع من العبادات من أفضل أهلها؛ عن الصلاة، عن الزكاة، عن الصوم، عن الحج، عن الجهاد؟ فيقول: أكثرهم لله ذكراً، ويخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الناس يتفاوتون في هذه العبادات، فيكون بينهم كما بين السماء الأرض، فمن موجبات التفاوت؛ كثرة الذكر، فكلما أكثر الإنسان من ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ-، كلما عظم أجره، وارتفعت درجته، وتضاعفت حسنته، وحُطَّتْ خطيئته.

ولذا جاء في الصحيح عن النبي ﷺ قال: « مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ، كُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرٍ رِقَابٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

«مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»، وقال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ قال: يا رسول الله، كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟! قال: يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، ويحط عنه ألف خطيئة»، فدل ذلك على فضل الذكر، وعلى عظم الأجر الذي ادخره الله للعبد على الذكر، وأن الإنسان ينبغي له أن يتشبث بالذكر ويعود لسانه عليه، جاء رجل إلى النبي ﷺ قال له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ؛ فَقَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

ومن المهم للإنسان من الذكر؛ أولاً: أن يحصى جمل الذكر، التي يذكر بها الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ تمجيذاً، وتحميذاً، وتعظيماً، وإجلالاً، وتنزيهاً عن النقائص والعيوب، وإبعاداً عن

السوء، فيتأمل الآيات والأحاديث التي جاءت بشأن الذكر، والتي يأمر الله -عز وجل- أن يذكر فيها، ولو تأملتها وجدتها كثيرة، فمن جمل الذكر؛ التسبيح، أن تقول: سبحان الله، وإذا قلت: سبحان الله وبحمده فهذا أحسن، إذا قلت: سبحان الله العظيم وبحمده فهذا أحسن وأحسن، كذلك تقول: الحمد لله، وإذا قلت: الحمد لله رب العالمين فهذا أحسن، كذلك تقول: الله أكبر، يعني الله أجل وأعظم.

فالتسبيح تنزيه لله -عز وجل- عن النقائص والعيوب وما هو من بشأن الخلق، والتحميد ثناء على الله بصفات الكمال والعظمة والجلال، والتكبير هو إجلال الله -عز وجل- ورفعته له، كذلك تقول: لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد، يعني لا معبود حق إلا الله، فكما أنه تفرّد -جل وعلا- بالخلق، والرصد، والتدبير، والإحياء، والإماتة وغير ذلك، فيجب أن يفرد سبحانه وتعالى بالإلهية والعبادة، فلا يشرك به أحد من خلقه، ولا يعبد معه سواه، كائنًا من كان.

كذلك من جمل الذكر أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ والمعنى لا تحوّل من معصية الله إلى طاعته إلا بإعانتة، ولا قوة على عبادته إلا بطاعته، ف«لا حول ولا قوة إلا بالله» «لا» البراءة من الحول والقوة «إلا بالله -عز وجل-»، فلا تحوّل عن المعصية إلا به - سبحانه وتعالى - وبطاعته، ولا قوة على الطاعة إلا بإعانتة، كذلك أن تقول: "أستغفر الله"؛ فهذه من جمل الذكر، و«تقول رب اغفر لي وتب عليّ، إنك أنت الغفور الرحيم» هذه أفضل، «أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» هذه أفضل وأكمل، «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» هذه أكمل صيغ الاستغفار.

ولذا سمّاه النبي ﷺ سيّد الاستغفار؛ وقال: «وَمَنْ قَالَهُ مُوقِنًا بِهِ حِينَ يَصْبِحُ، يَعْنِي مَرَّةً وَاحِدَةً، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهُ مُوقِنًا حِينَ يُمَسِّي فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»
 كذلك تقول: «تبارك الله» تعاضم -جَلَّ وَعَلَا-، وعلا وارتفع، فعظم شأنه، وعزَّ سلطانه،
 كما تقول: «تباركت يا ذا الجلال والإكرام»، فهذه جُمَلُ الذكر الفرديّة: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أستغفر الله، تبارك الله»؛ فهذه سبع جُمَلُ من جُمَلِ الذكر يحفظها الإنسان ويقولها عود نفسك عليها، تقول: الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، وعلى الله توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل، أستغفر الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فرتبها في ذهنك حتى مثل ما يقول: يتبرمج عليها الذهن وتسهل على اللسان، ما لم ترتبها في ذهنك لا تسهل على لسانك، فإذا رتبتها في ذهنك خرجت من لسانك على التوالي كالخرز في الخيط، « الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله وعليه توكلت، وحسبي الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله»،
 فحصل لك خير في هذا.

فهذه جُمَلُ الذكر المفردة، وأكمل من ذلك أن تقول الجُمَلُ المضافة واحدةً تلو الأخرى، هذه المفردة تُعطى على الكلمة الواحدة عشر حسنات، ويرفع لك عشر درجات، ويحطُّ عنك عشر خطيئات، ويُغرس لك بها شجر في الجنة، وتبنى لك القصور في الجنة، في هذه للكلمات المفردة، فإذا جئت بها مضافة؛ كُتِبَ لك خمسٌ وعشرون درجة، ومُحِيت لك خمسٌ وعشرون خطيئة، وكُتِبَ لك خمسٌ وعشرون حسنة، تقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، الحمد لله كثيراً، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، تبارك الله رب العالمين، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم»
 فهذه تكون جُمَلُ مضافة يعظم الأجر، وبها مزيد من الثناء على الله -عزَّ وجلَّ-.

فالأولى تُقال: في سائر الأوقات والأحيان، وهذه في الغالب ولعل الأولى أن تُقال: وأنت في الطريق إلى المسجد وأنت في انتظار الصلاة؛ لأن رجل أعرابي جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال له النبي ﷺ: قُلْ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**»، فقال الأعرابي: هُوَ لَاءِ لِرَبِّي - يعني هذه ثناء على الله ﷻ وأنا أريد أن أسأل الله حاجة كيف أقول؟ هذا المعنى - فما لي؟! فقال: قُلْ: «**رَب اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي**»، عدها النبي ﷺ بأصابعه خمسة، ثم قال: «هؤلاء تجمع إليك خيري الدنيا والآخرة».

فهذا نوع من الذكر، وخصوصيته؛ إذا كنت في صلاة يعني في مشيك إلى الصلاة فإن الإنسان وهو يمشي إلى الصلاة إذا جاء من مكانه حين أذن على وضوء فهو في صلاة وهو يمشي إلى الصلاة، إذا كان في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة، فيكثر من هذا في هاتين الحاليتين حتى يعظم أجره، ويحقق طلبه.

والنوع الثالث من الذكر: المضاعف؛ الذي قرن بعددٍ أو وصفٍ لا يُحيط به إلا الله - **جَلَّ وَعَلَا** -؛ كأن تقول: «سبحان الله عدد خلقه» وأنت تقولها ثلاثاً، «سبحان الله رضا نفسه ثلاثاً، سبحان الله زينة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مُنتهى علمه، سبحان الله ملء خلقه، سبحان الله ملء الميزان، سبحان الله عدد ما خلق السماوات والأرض، سبحان الله عدد ما خلق بينهما، سبحان الله عدد ما هو خالق، سبحان الله ملء السماوات والأرض، سبحان الله ملء ما بينهما، سبحان الله ملء ما هو خالق، سبحان الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء كل شيء، سبحان الله عدد ما أحصى كتابه سبحان الله ملء ما أحصى كتابه، سبحان الله سعة رحمته، سبحان الله ملء ما شاء من شيء بعد، سبحان الله مثل ذلك معه»؛ فقلت هذه

التسبيحات مُضافة إلى هذه الإضافات، كل واحدة ثلاث مرات، وفي الأخير قلت: مثل ذلك معه، كم يُحصى هذا؟ لا يُحصيه إلا الله.

نفس الشيء تقوله: الحمد لله عدد خلقه ثلاثاً وأن تكرر؛ « الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله رضا نفسه، الحمد لله رضا نفسه، الحمد لله رضا نفسه، الحمد لله زينة عرشه، الحمد لله زينة عرشه، الحمد لله زينة عرشه، الحمد لله ملئ خلقه، الحمد لله ملئ خلقه، الحمد لله ملئ خلقه، الحمد لله منتهى علمه، الحمد لله منتهى علمه، الحمد لله منتهى علمه، الحمد لله سعة رحمته، الحمد لله سعة رحمته، الحمد لله سعة رحمته وهكذا عدد ما خلق السماوات والأرض، عدد ما خلق بينهما، وعدد ما هو خالق، وملئ السماوات والأرض، ملئ ما بينهما، وملئ ما هو خالق، وعدد كل شيء، ملئ كل شيء، عدد ما أحصى كتابه، ملئ ما أحصى كتابه، ملئ الميزان، ملئ ما شاء بشيء بعد، مثل ذلك معه».

فكل ما انتهيت من جملة من هذه: «سبحان الله، الحمد لله، لا حول ولا قوة إلا بالله، الله أكبر» مُضافة، تقول في آخرها: " مثل ذلك معه"، فلا يُحصيها إلا الله -عزَّ وجلَّ-.

فالإنسان بهذا يفوق الجهاد في سبيل الله، يفوق المُتصدِّق ابتغاء وجه الله، لأن عدد هائل، كم هائل لا يُحصيه إلا الله -عزَّ وجلَّ-، فلهذا ينتبه الإنسان لهذه الأشياء، ولا بد أن تكون محلَّ عنايته، الآن أنتم في حياتكم الواقعية، يمشي في الشارع ما يهمله أنواع السيارات وعدد السيارات وكذا، فإذا أراد أن يشتري سيارة، وذُكر له شيء، بدأ ينظر في السيارات، ويسأل عن ميزة هذه وميزة هذه، والفرق، فإذا الذكر بضاعة، تجارة لن تبور اجعل من جُهدك اليومي أنك تتعلم صيغ وجمل الذكر حتى تكون على بينة وتعبُد بها الله عبادة بلسانك، والله لا تقوم

بها في بدنك طول عُمرِكَ، يُكتب لك في الميزان؛ ملئ الميزان تسبيح، وزنة العرش تسبيح، وعدد الخلق تسبيح، مُنتهى علمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تسبيح، كم يُحصى هذا؟!، ما يُحصيه إلا الله.

فكون نجهل هذه الأشياء هذا دليل الغفلة أن لا نعلم، ولا نسأل إذا كنا لا نعلم، والإنسان إذا أراد يشتري سيارة، أو يبني بيت، أو يشتري نوع من الأثاث، كل الدنيا يشغلها معه من أجل أن يأخذ الأفضل والأنسب له، أيهما أعظم؟ سيارة تشتريها أو بيت تبنيه، أو شيء تدخره لك إلى يوم القيامة عند الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -؟، بل هذا هو بناء بيتك في الجنة، بل هذا هو غرس بُستانك في الجنة، بل هذا هو رفعة درجتك في الجنة، لو انقطع الإنسان عن **جُلِّ** مشاغله، عن سبعين في المائة من مشاغله، واكتفى فقط بما يُحصّل به لقمة العيش اليومية من أجل هذا الشيء، ما هو كثير، فكيف وهو ممكن بدون أن تنقطع؟ لكن إلى متى نترك الغفلة؟ إلى متى نتعلق بالدنيا؟ إلى متى ننسى الآخرة ونتهاون بشأنها؟ إلى متى نتنصر على الشيطان؟، الآن هو مُنتصر علينا، يُضللنا، ويغويننا، ويُزيّن لنا، ويُسغلنا، ويُنسينا، متى نتنصر عليه؟، نحن معه في حرب لا تنتهي إلا عند الموت، فأقوى سلاح لك في حرب الشيطان، ونصرك عليه أن تذكر الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، فإن الذكر جنة وحرز من الشيطان، ولا يستطيع أن يدنو منك، ولا أن يشم نَفْسَكَ وأنت تذكر الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -.

فلا بد من التنبه لهذا، لأن الإعراض عن هذا خسران تصوّر يوم القيامة؛ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۚ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، كل واحد يخشى من الثاني؛ اللي هو أقرب الناس إليه أن ينقصه حسنة، يأخذ منه حسنة واحدة، فكيف أكثر؟ أو يحمله سيئة، فأنت يوم القيامة بحاجة إلى أن تستزيد حسنة، لو تدفع الدنيا وما فيها، من أجل تحصيلها دفعتها، أو تتخلص من سيئة، لو تدفع الدنيا وما فيها من أجل ان تتخلص منها دفعتها، وأن تُحصّل زنة العرش، مِداد كلمات الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، والله تعالى

يقول: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف:

١٠٩]، ويقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا

نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧]، فمداد كلمات الله، حبر كلمات الله، كم

يعنى؟ وتحصل هذا بكلمة، وتعيدها ثلاثاً، وإن قتلها واحدة؛ حصلت خيراً كثيراً، وتغفل

عن هذا هذه الحماقة، وهذا الغباء، وهذه الغفلة، وهذا الإفلاس وهذا الخسران.

إن هذا الشئ اليسير عندك في الدنيا بإمكانك أن تحصّله بنفسٍ واحدٍ، ومع ذلك أنت

غافل عنه، ما فكرت فيه، وإذا فكرت فيه أنسيته، أنساك الشيطان إياه، وإذا ذكرتها لا تبالي،

وتقولها: كأن المن لك على الله، وهي لله عليك، فإلى متى؟

فهذا كنزٌ عظيمٌ دُخر، كم من الميزان، يقول الله -عزَّ وجلَّ- في الحديث القدسي لموسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ: « يَا مُوسَى ، لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ

فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ».

وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَقُولُهَا تَزِنُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِ

اللَّهِ، فكيف إذا قلت؟ عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته إلى آخر هذا، كم

يكون لك عند الله -عزَّ وجلَّ-؟ ، فإذا ذكرت أصحاب الأموال، والأرصدة في الحسابات،

وأصحاب الأملاك، والشركات، وميزانيات الدول، وغير ذلك يمكن الرصيد هذا الذي

أعطاه الله إياه كل مسكين من خلق الله، مؤمن بالله يحصّل ما لا يحصّله التجار ولا غيره، لما

قال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ (الأموال الكثيرة) بِالْأَجُورِ

والدرجات العلى والنعيم المقيم، عجيب ليش؟ كيف يعني؟ قالوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي

وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ كَمَا نَتَصَدَّقُ وَلَيْسَ لَنَا مَالٌ نَفْعَلُ مِثْلَهُمْ، فقال: «ألا أدلكم

على شيء إذا عملتموه أدركتم من سبقهم ولا يلحق بكم إلا من قال مثلكم أو زاد؟» قالوا:

بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وتحمدون الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتكبرون الله ثلاثاً وثلاثين تكبيرة، وتقولون: تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، بهذا تلحقون أهل الأموال بكل ما فعلوا من أموالهم.

فانظر الكنز الثمين الذي لا يقادر قدره، ولا يحيط به إلا الله - جَلَّ وَعَلَا -، بإمكان أضعف مسكين من عباد الله الصالحين أن يُحصِّله، ومع ذلك مغفولٌ عنه، فهذا أمرٌ ينبغي التنبيه له من كيد الشيطان للإنسان في الذكر أنه إذا سلم الإمام من الصلاة وبدأ الذكر؛ يُزيّن لبعض الناس أن يأخذ المصحف يقرأ، لا اللحظة هذه بعد الصلاة، هذه لحظة التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، أفضل من قراءة القرآن على فضل قراءة القرآن لكن على هذا له مكان محدد ما تستبدل غيره به، فانظر الشيطان لما لم يشغلك عن الذكر، صرفك عنه بما دونه حتى تحصل أقل نصيب من الأجر كيد وعداوة، وأن بعض الناس يرن الجوال، وبعد الصلاة يطلع كأنه مجنون ما يدري وينه، تطلع على عشان أيش؟ اللي اتصل بك ترجع يتصل بعد الصلاة، بعد ساعة، بعد يوم، يومين يعني، لكن تنشغل عن التسبيح وتطلع وتشغل سيارتك ما ذكرت الله بعد الصلاة ولا كلمة كيف يكون هذا؟، فلا بد من التنبيه، والعناية، والحزم، والاستعانة بالله - عَزَّ وَجَلَّ -، والإخلاص له .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، واستعملنا في طاعتك، اللهم أنجنا من النار، وأورثنا الفردوس الأعلى مع الأخيار، والله أعلم.
وصلّى الله وسلم على نبيّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه.



حائنا مع الاستغفار

الحَمْدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيِّنا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ.
أما بعد:

فإنَّ الاستغفار من جليل الأعمال الصالحة، ومن موجبات العفو من الله - **جَلَّ وَعَلَا** -،
والمسامحة، ومن أسباب أن يَمَنَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالخيرات على العبد، ويؤهله للتجارة الرابحة
فهو عبادة عظيمة، ذكرها الله - **جَلَّ وَعَلَا** - في معرض الثناء على الأبوين آدم، وحواء -
عليهما السلام - ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
[الأعراف: ٢٣]، فتاب عليهما الله - **جَلَّ وَعَلَا** - وغفر لهما، وهبتهما بثواب عظيم، وأجر
كريم.

وأمر الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - به جميع رُسوله، وأنبيائه - عليهم الصلاة والسلام - أن يخاطبوا
الأمم يقولون: استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، ويرتّبون على ذلك فؤاد الاستغفار، وثمراته،
وكريم منحه الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - للمستغفرين، وكان النبي ﷺ كثير الاستغفار، حتى إنه
عليه الصلاة والسلام يُعدُّ له في المجلس الواحد مع تعدد المجالس في اليوم، والليلة، يُعدُّ له في
المجلس الواحد يقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ مِائَةَ مَرَّةٍ**» قبل أن
يفارق المجلس، وهكذا قال ﷺ: «**يَأْتِيهَا النَّاسُ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ**»، الله - **جَلَّ وَعَلَا** - أمر عباده المؤمنين من هذه الأمة بالاستغفار
كثيراً، وجعله ختاماً للأعمال الصالحة.

فمثلاً في الصلاة أول ما نسلم نقول: «**أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ**» ثلاث مرات، ثم نقول:
«**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»، فهذا بعد الصلاة.

مقابل هذا التوحيد يقول الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - لنبيه ﷺ: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ**

لذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُثَوِّبِكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

والزكاة يقول الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - للنبي ﷺ: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ** ﴾ [التوبة: ١٠٣]، كان ﷺ يُصَلِّي على مَنْ أَعْطَاهُ الزَّكَاةَ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ.

وفي الصيام كذلك يُشْرَعُ الاستغفار، وبالأَسْحَارِ، وَعِنْدَ الإفْطَارِ، وسائر آناء الليل، والنهار، في الْحَجِّ يقول الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -: ﴿ **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ التَّكَاثُرُ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٩٩]؛ فهذا يدلُّ على أهِمِّيَّةِ الاستغفار، وَأَنَّهُ عِبَادَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ، وَعِبَادَةٌ تَابِعَةٌ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسُدَّ خَلْلَهُ، وَتُكَمِّلَ نَقْصَهُ، وَتَجْبِرُ كَسْرَهُ.

فلا بُدَّ للعبد أن يُلِحَّ على الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - بطلب المغفرة، كثرة الاستغفار، كان النبي ﷺ عِنْدَ النُّومِ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ يَقُولُ: «**أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**» ثلاث مرات، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ النُّومِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْتَغْفِرْكَ ذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ**»؛ فدل هذا على أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْفَكُ مِنَ الاستغفار، وَأَنَّهُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمِنْ جُمْلَةِ رِسَالَاتِ الْمُرْسَلِينَ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَمِنْ جُمْلَةِ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ - يَعْنِي السَّحَابِ - ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**».

وفي الحديث الآخر إنَّ الشيطانَ لَمَّا تَعَهَّدَ بِإِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «**وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**؛ يَعْنِي إِذَا اسْتَغْفَرُونِي غَفَرْتُ لَهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرُونِي فَإِنْ شِئْتُ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَغْفِرْ لَهُمْ»، وفي الحديث كذلك إنَّ الشيطانَ يَقُولُ: «**أَهْلَكْتُ بَنِي آدَمَ بِالذُّنُوبِ، وَقَسَمُوا ظَهْرِي بِالاستغفار**».

وفي الحديث الثالث يقول ﷺ: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثير**»؛ فلا استغفار طلب المغفرة، يقول: «**أستغفر الله**» معناه إني اطلب من الله المغفرة، اللهم اغفر لي اللهم إني أسألك المغفرة، والله - **جَلَّ وَعَلَا** - لكرمه، وجوده أخبرنا أنه واسع المغفرة، وأخبرنا النبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أن الله - **تعالى** - لا يتعاضمه ذنب أن يغفره مهما كان، الشرك أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر يغفره الله لمن استغفره منه، وتاب، وغير الشرك يغفره الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - لمن استغفره، وتاب، قطعاً ولمن لم يستغفر حسب مشيئته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فدل على أن الإنسان بحاجة إلى الاستغفار يومياً وفي نهاية كل عبادة، وعند كل نعمة، لأنه عاجز عن شكر النعمة، وعند الذكر، لأنه عاجز عن كمال الذكر، والثناء على الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - بما هو أهله، وفي أطراف الليل، والنهار، وعند اليقظة، وعند النوم في كل الأحوال ما ينفك المسلم من الاستغفار، ومن لم يستغفر فهو محروم، ومن لم يستغفر فهو محروم، ومن لم يستغفر فهو مُتَشَبِّهٌ بِإِبْلِيسَ، إبليس لما أذنب، وامتنع عن السجود لم يستغفر، آدم وحواء - **عليهما السلام** - استغفرا فغفر الله لهما، وهو لم يستغفر بل - والعياذ بالله - احتجَّ بالقدر على المعصية، وعاند وأصر، ولذلك - والعياذ بالله - أبلس من كل خير، وأبلس من كل خير، من الذي يرضى أن يتشبه بإبليس؟

فلا بُدَّ للإنسان يكون له صلة وثيقة بالاستغفار لا بُدَّ، والإنسان إذا طلب المغفرة من الله يطلبها لسببين، السبب الأول: ما أخبر عن النبي ﷺ بقوله: «**كل ابن آدم خطاء**» من الذي لا يُخْطِئُ، ف «**كل ابن آدم خطاء**» خطاء من جهة أنك تفعل المعصية، وتنويها، وتُصِرُّ عليها، وخطاء من جهة إنك تُقْصِرُ في الواجب، وربما تترك الخير مع قدرتك عليه، ومعرفتك به تسويفاً، وإلهاءً من الشيطان لك، فكونك أخطأت في العبادة يقتضي منك أن تستغفر، ولا تشبه بإبليس، وكونك أدت العبادة لكن مع تقصير من اللي من يقول أنه أدى العبادة على

أكمل وجه يُرضيه - **جَلَّ وَعَلَا** - ما في أحد يُقتضي منك أن **تَسْتَغْفِرَ** مشان أن **تُكْمَل** نقص عبادتك، وتركك الخير الذي تقدر عليه مع **عِلْمِكَ** به هذا يحتاج إلى استغفار.

فإذا هذه ثلاثة وجوه للاستغفار، **المُخَالَفَةُ** إنك تقع في **المُخَالَفَةُ**، ونقص العمل إنك تؤدي العمل على نقص، ومن طبيعتك **النقص**، والثالث كونك **يُعرض** لك الخير، **ويُطلب** منك الخير، ومع ذلك **تُسوف**، وترتك، هذا يحتاج إلى استغفار، لأن هذا نوع من الاستغناء عن الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - وإن كنت لا **تَقْصِدُهُ**، لكن هذا ظاهر الحال، و**حقيقة** الحال ما تحتاج من الله **حسنة**؟ ما تحتاج من الله **محو** خطيئة؟ ما تحتاج من الله - **جَلَّ وَعَلَا** - جبر نقص عمل؟، فهذه ثلاثة وجوه **تقتضي** منك الاستغفار، كذلك كونك عاجز حتى عن الاستغفار، لأن قد تقول: **أَسْتَغْفِرُ** الله بلسانك، وقلبك **مُنْعِدٌ** على **المَعْصِيَةِ**، ليش؟ لأن **المَعْصِيَةَ** تأصلت فيك، حتى صارت عادة، و**سجية** لك، ومظهر من مظاهره، في شعر وجهك، في لباس **جِسْمِكَ**، في الأمور التي بينك وبين الناس، في الأمور التي **أَعْجَبَتْ** فيها **بِنَفْسِكَ**، ولذا يقول حسن البصري رحمه الله: «استغفارنا يحتاج إلى استغفار»؛ يعني إننا **نَسْتَغْفِرُ** باللسان، والقلوب **مُنْعِدَةٌ** على سوء الأعمال فإذا لا **بُدَّ** أن يكون الإنسان **مِلْحَاءً** على الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - بطلب **المَغْفِرَةِ** بجميع أحواله، ومن لم **يُراع** هذه الأمور التي ذكرت فهو من الغافلين، من لم **يُراع** الخطيئة، وأن من شأن ابن آدم «**كل ابن آدم خطأ وخير الخطأين التوابون**»، من لم **يُراع** نقص العمل، نقص الواجب فهو غافل، لأنك مهما اجتهدت فعملك ناقص، ولا أحد **يَدَّعي** الكمال، من لم **يُراع** إنه **يُعرض** له الخير، ويتيسر به سبيل الخير، ومع ذلك يتغافل، ويتجاهل، وكأنه غني عن الله، وغني عن فضله، وعفوه، وكون الإنسان مع الاستغفار ولو كان صادقاً هناك أشياء ما يتخلى عنها إلا من شرح الله صدره، شرح الله **صُدُورنا** للاستغفار الصادق.

وإلا كثير من الناس عنده أشياء، عنده وحر الصدر، عنده شيء في نفسه على أحد من الناس، أقله إنه نوع من الكبر غمط الناس، الكبر بطر الحق، وغمط الناس، يترك الحق اللي هو يعلم، ويحتقر الآخرين، ويغرر له أنه أحسن منهم هذا يبتلى به الناس، ومن ذلك كذلك أشياء يكون الإنسان ألفها من المعاصي لطول العهد، ومع ذلك يفكر في التوبة، لكن لا يجد في التوبة، وربما يأتيه الأجل وهو على شيء العمل فلا عذر له، يلقي الله ولا عذر له، هذا خطير جداً، فلا بُدَّ للإنسان أنه يكثر من الاستغفار، ويصدق في الاستغفار، يتواطئ القلب، واللسان، يكون المظهر، والحال إنه صادق في طلب المغفرة.

وطلب المغفرة، تطلب من الله أمرين، الأول: الستر من الفضيحة، لأن المعصية خطأ في حق الله، وأخطر الفضيحة أن يفضحك الله يوم القيامة، أو أن الله يفضحك في الدنيا على عمل سوء يُشهر عنك، ويشيع عنك، والعياذ بالله، هذه مشكلة فالفضيحة مشكلة.

والثاني من مقاصد الاستغفار: أن يصرف الله -عزَّ وجلَّ- عنك عقوبات الذنوب، لأنه ما من ذنب إلا له عقوبة حدية، شرعية مثل: قطع يد السارق، مثل: جلد الزاني البكر، رجم الزاني المُحصن، القتل قصاصاً، القتل العمد، مثل هذه الأشياء عقوبات حدية، وفي عقوبات أخرى قدرية، أن الإنسان يُذنب الذنب فيبتلى بهم، يبتلى بالغرْم غرم الدين، يبتلى بكذا، يُحرم الرزق بذنب يصيبه، يكون عنده صفقة تجارية وبذل أسبابها، وبانت علامات نجاحها، ثم تُصرف عنه في آخر لحظة بذنبه، «إِنَّ الْعَبْدَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يَصِيبُهُ»، أحياناً تكون العقوبة سوء خلق زوجتك في التعامل معك، سوء خلق ولدك، سوء خلق عاملك، تعسر مطلوبك عند الناس، كل هذه من الذنوب، حتى إن من السلف من يقول: إني أعرف ذنبي بخلق زوجتي، أعرف ذنبي بخلق ولدي، لكن نحن لما كثرت الذنوب، صار الإنسان ما يعرف؛ عمي من كثرة الذنوب، نسأل الله العافية والسلامة، فهذا أمر ينبغي التفطن له العناية به.

كذلك من المَغْفِرَةِ إن الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - لا يَحْرِمُكَ الثواب، عمل عَمِلْتَهُ أنت لكن نقص عملك بطبيعتك إنك بشر، إن الله تعالى يُكَمِّلُكَ الثواب الذي يُعْطِيهِ غيرك من الصالحين، يُلْحِقُكَ بالصالحين فترجو من الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - أن يُكَمِّلَ ثوابك مع نقص جَهْدِكَ، وسوء أدائك، فهذا أيضاً من المَغْفِرَةِ، ليش؟ لأن الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - إذا عفا عنك وفي لك الأجر، فالله - **تعالى** - وعد المَحْسِنِينَ، بأن يُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ، وأنت من المَسِيئِينَ، فمع إساءتِكَ تَرَجُو من الله أن يتكْرَمَ عليك، ويُثَبِّتَ ثواب المَحْسِنِينَ، يُوفِّيَ لكَ أَجْرَكَ، ومع تَقْصِيرِكَ، ومعصيتك إن الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - لا يَحْرِمُكَ الثواب، فأنت مع القوم الصالحين، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

فهذا كله من معاني طلب المَغْفِرَةِ، وما من أحدٍ يَغْفُلُ عن هذه المعاني إلا وهو غافل ومحروم، فلذلك الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - أكثر من الاستغفار، وأذكر أنت بصفتك واحد من الأمة، اذكر آية واحدة في القرآن، يقول الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ** ﴾ [النساء: ٦٤]، فأنت فاتك استغفار الرسول ﷺ لك، فإلى تَضَاعَفَ جَهْدُكَ من الاستغفار، حتى تُعَوِّضَ ما فاتك، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يأتي أحدهم يقول: يا رسول الله، أذنبت ذنباً فاستغفر لي، ويستغفر له الرسول ﷺ، وعاب الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - على المنافقين، أنهم إذا أذنبوا، لا يأتون إلى الرسول ﷺ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٤]، فهم أَعْرَضُوا عن استغفار الرسول، والعياذ بالله، لم يُبَالُوا به.

فأنت الآن ما عِنْدَكَ الرسول ﷺ حتى يَسْتَغْفِرَ لَكَ، قال الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - عن قريش وهم يُؤذون النبي ﷺ يدعون على أنفسهم: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فجعل وجود النبي ﷺ بين ظهرائي الأمة من

أسباب صرف العقوبة عنهم، ولذلك لم يُعاقب الله -عَزَّ وَجَلَّ- أُمَّةً إلا بعد أن فارقتها رسولها، بإذن من الله -عَزَّ وَجَلَّ- فلما فارقتها بإذن من الله -عَزَّ وَجَلَّ- حكم الله -عَزَّ وَجَلَّ- بين الرسول، وبين أُمَّته فأهلك الكفرة، وأنجى الرسول، ومن معه، سنة مُطَرِّدة من سُنَنِ الله الثابتة، لم تنخرم هذه السنة إلا في أُمَّة واحدة، وهي أُمَّة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَاءَ آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، ليش؟ لأن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ أخذته الغيرة على حق الله -عَزَّ وَجَلَّ- وشِدَّة الغضب على قَوْمِهِ، ففارقهم دون أن يَسْتَأْذِنَ، وَيُؤْذِنَ لَهُ، فجعل الله هذا الذي فعله النبي يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ خلاف الأولى، جعله الله سبباً في رحمة الأُمَّة، فغفره الله له، وَرَدَّه، وعاقب يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ وحبسه في بطن الحوت ما شاء، حتى تَصَرَّعَ إِلَى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وأَخْرَجَهُ، نَجَّاه، وَرَدَّه إِلَى قَوْمِهِ، وكانوا ﴿مِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (١٤٧) ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٨].

فدل ذلك على إن استغفار الرسول ﷺ مُهِمٌ لِقَوْمِهِ، فلذلك الإنسان يأخذه الهم، فيجتهد في الاستغفار، وَيَجْتَهِدُ فِي إِتْبَاعِ السُّنَّةِ، لعل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يُعَوِّضَهُ، ولعله أيضاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يجعل النبي، يَسْتَغْفِرُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مثل الشفاعة.

فلذلك هذه الأمور تلحظ في مسائل الاستغفار، والله -جَلَّ وَعَلَا- نبهنا على فوائد الاستغفار بما يُغْرِنَا بِلُزُومِهِ، والإكثار منه، فاقراً في أول سورة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ قول الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣]؛ هذه فائدتين من فوائد الاستغفار: المتاع الحسن بقواك، وحواسك، ونعم الله -عَزَّ وَجَلَّ- عليك إلى أجل الذي كتبه الله لك، ويؤتيك زيادة من فضله، فإذا تَوَلَّيتَ عن الاستغفار فأنت على خطر من العذاب الكبير.

في قصة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢] يمن عليكم بالرزق، بالغيث ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، قوة في الطاعة، قوة على مصالح الدنيا، قوة في العلم، قوة في البصر، قوة في البصيرة، قوة في القلب في الثبات على الحق، قوة في اللسان في الصدق، واستعماله فيما يَنْفَعُك، وإذا تَوَلَّيت عن الاستغفار فأنت من المجرمين، فهذه خطيرة جداً

في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿فَأَسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، يعني بقرب من استغفاركم، يَقْرُبُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- منكم، وَيَدْنُو مِنْكُمْ، وَيُجِيبُكُمْ، يُجِيبُ دَعْوَاتِكُمْ، وَيُحَقِّقُ مَطَالِبِكُمْ، وَيَلْطَفُ بِكُمْ فِي قِضَائِهِ، يُعَافِيكُمْ مِنْ بَلَاءِهِ، وَيُوزِعُكُمْ شُكْرَ نِعْمَائِهِ، هذه من ثمرات الاستغفار.

في قصة شعيب يقول لقومه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، يرحمكم، وَيُودِّدُكُمْ، ويجعل لكم وِدًّا في صدور عباده، هذه من فوائد الاستغفار.

وصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]؛ فالاستغفار من أسباب الرحمة.

نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٢]؛ يَرْزُقُكُمْ حَلَالًا طيب، يَرْزُقُكُمْ ذُرِيَّةً صَالِحَةً، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين مُثْمِرَةً لَأَنَّهُ قَدْ يُوجَدُ الشَّجَرُ، وَلَا يُثْمِرُ، لَكِنْ حُدِّدَ هُنَا بِأَنَّهُ مُثْمِرٌ، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ لَا يُسَمَّى الْبَسْتَانَ جَنَّةً، إِلَّا إِذَا أَثْمَرَ، وَإِلَّا إِذَا لَمْ يُثْمِرْ فَهُوَ غَابَةٌ، فِي شَجَرٍ يَنْفَعُ، وَشَجَرٍ مَا يَنْفَعُ، فَلَا يُسَمَّى الْبَسْتَانَ جَنَّةً، إِلَّا إِذَا كَانَ يُثْمِرُ،

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهْرًا﴾ [نوح: ١٢] ينابيع من الأرض، فهذه من ثمرات الاستغفار مع المَغْفِرَةِ، مع السِّرِّ من الفضيحة، مع صرف العقوبة، مع تكميل الأجر، مع أن كل استغفار لك صدقة، تُكْتَبُ لك صدقة، كل استغفار يكتب لك حسنة، كل استغفار يُمَحَى عنك خطيئة، كل استغفار يُرْفَعُ لك درجة، ما في شيء أعظم من ثمرات الاستغفار.

ولذا كان ﷺ يُكثِرُ الاستغفار آناء الليل، وآناء النهار، كان في ختام مجلس، إذا قام من المجلس قال: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، وَيُخْبِرُ ﷺ أن هذا يكون في المجلس كَفَّارَةً لما فيه من اللغو، وإن لم يكن فيه لغو، كان فيه كلام طيب يكون كالحاتم، كالطابع عليه، وأبلغ من هذا إن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أمر نبيه ﷺ أن يَخْتِمَ عُمُرَهُ بالاستغفار، فلوحظ عن النبي ﷺ في آخر عُمُرِهِ كثير يُكثِرُ أن يقول: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، فقالت له عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها، تقولها، إذا قُمْتَ من مجلس قُلتَ كذا، كذا قال: «نعم، هي علامةٌ لي جعلها الله في أمِّي»؛ يعني علامة على دُنُو أَجْلِي، إِذَا رَأَيْتَهَا قُلْتُهَا، وَقَدْ رَأَيْتَهَا، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣]، فإذا كان النبي ﷺ أُعْلِمَ له أَجْلُهُ، وَأُنْبِئَ عن قُرْبِهِ قبل الأجل، واستغفر، من أين لنا ذلك نحن؟

لازم الإنسان يُلازم الاستغفار، حتى متى ما جاءه الأجل وإذا هو على صالح عمل، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ الذي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحي القيوم من كل ذنب، ونتوب إليه، هذه صيغة من صيغ الاستغفار أن تقول: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ الذي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحي القيوم من كل ذنب، وأتوب إليه»، وتقول من الصيغ: «رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الغفور»، وتقول

من الصيغ: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك، ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» هذه أكمل الاستغفار، من قاله حين يُصبح، فمات باليوم قبل أن يمسي، ختم له بخير، غفر له ما تقدم من ذنبه، وهكذا من قاله موقناً به حين يمسي، فمات من ليلته قبل أن يُصبح، غفر له ما تقدم من ذنبه، فهذه الصيغة مهمة احفظها، يقول ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، هذه الصيغة مهمة جداً.

تقول: «أستغفر الله، أستغفر الله»، تكثر نفس الشيء، صيغة من صيغ الاستغفار «رب اغفر لي ذنبي كل دقة وجله أوله وآخره علانيته وسره، ما علمت منه وما لم أعلم» هذه صيغة. تقول كذلك: «اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت». هكذا، «اللهم أستغفرك لذنبي، وأسالك رحمتك، اللهم زدني علماً، ولا تزغ قلبي بعد أن هديتني، وهبني من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»، هذه صيغة.

فلا بُدَّ للإنسان ينوع صيغ الاستغفار، حتى لا يملّ، وحتى يُثني بها على الله -عزَّ وجلَّ- كل صيغة لها أثر في الثناء على الله -عزَّ وجلَّ- لأنها تجمع بين الاعتراف بالذنب، والاعتراف لله -عزَّ وجلَّ- بسعة المغفرة، والكرم، والجود، والاعتراف بالعجز عن أداء حق الله -عزَّ وجلَّ- وجَلَّ.

نسأل الله -عزَّ وجلَّ- بأسمائه الحسنى، وخصائصه العلى، أن يغفر لنا ذنوبنا كلها ما تقدم منها، وما تأخر، وما دق منها، وما جلّ، ما علمنا، وما لم نعلم، اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها

صغيرها، وكبيرها، ظاهرها، وخفيها، اللهم اغفر لنا ما قدمنا، وما أخرنا، وما أسررنا، وما أعلننا، وما أسرفنا، وما أنت أعلم منا، أنت المقدم، وأنت المؤخر لا إله إلا أنت، اللهم اغفر لنا مغفرة تحرمنا بها على النار، وتدخلنا بها الجنة مع الأخيار، ووالدينا، ومشايخنا، وأزواجنا، وذريتنا، وأحبابنا فيك، والمؤمنين، والمؤمنات، والمسلمين، والمسلمات الأحياء منهم والأموات والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.



**فضل تلاوة القرآن
بشهر رمضان**

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٣٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٣٠]، فجعل الله -جَلَّ وَعَلَا- تلاوة كلامه من الأعمال الجليلة الصالحة، التي رتب الله سبحانه وتعالى عليها هذه الأجر العظيمة والثواب الكريم.

وجاء عن النبي ﷺ أنه أوصى بكتاب الله، قال: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء»، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي ما تمسكتم به؛ كتاب الله»، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة، ومن ذلك قوله ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأهله»، ومن ذلك قوله مُخْبِرًا لَنَا بقراءة القرآن لكل حرف ب عشر حسنات، قال: «لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، فعلى قوله -جَلَّ وَعَلَا- (الم) ثلاثون حسنة إذا قرأها الإنسان محتسبًا، وهي لا تكلفه شيئًا.

وقد عدّ بعض العلماء -رحمة الله عليهم- آيات القرآن واشتهر ذلك أنها من ستة آلاف ومائتا آية وآية، فإذا كان للإنسان على كل آية مثلما لو تصدق بناقتين كوماوين ثميتين عظيمنتين كم يكون للإنسان من الأجر؟ وعدت حروف القرآن كذلك وإذا هي ثلاثمائة ألف حرف وأحد عشر ألف حرف ومائتان وإحدى وخمسون حرفًا، ففي الختمة الواحدة كم يكون للإنسان بهذا العدد إذا كان على كل حرف عشر حسنات، فهذه غنيمة عظيمة وأجر

كريم من رب رؤوف رحيم ، فلا يعرض عن تلاوة القرآن وخصوصاً في رمضان إلا محروم -
والعياذُ بالله - ، فلذلك ينبغي المسلم أن يكون ديدنه في تلاوة القرآن في الليل والنهار ، في
رمضان وفي غير رمضان .

كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يتلون القرآن في كل أوقاتهم وأحوالهم إلا إذا كان الإنسان في
مكان قضاء الحاجة، أو على جنابة، فلذلك يُكثر المرء من قراءة القرآن، فإن الله -جَلَّ وَعَلَا-
جعله هدى ونوراً ، وضياءً وذكرًا، وبشرى وهاديًا للتي هي أقوم وتبينًا لكل شيء وأنه هدى
إلى الجنة، ونذارةٌ من النار، وأنه يزداد به الإيمان، وتستتير به البصائر إلى غير ذلك من
الأوصاف العظيمة التي تبين أثر القرآن وبركة القرآن العظيم على تاليه المُعظم المتقرب إلى
الله -جَلَّ وَعَلَا- بتلاوته.

وتلاوة القرآن - والله الحمد - أمر يسير، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] ، فيسره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تيسيرًا عجيبًا ، حتى استظهره الأعاجم
وصغار الولدان، فكيف بأهل اللسان؟ أهل اللسان العربي، لا شك بأنه مُيسر لهم، ولكنهم
مبتلون به، فمن اتبعه قاده إلى الجنة، ومن أعرض عنه دفعه إلى النار -والعياذُ بالله- .

فالقرآن حجة لك أو عليك، فيحرص المسلم أن يكون القرآن حُجَّةً له لا عليه، وذلك
بحسن تلاوته والدوام على التلاوة والتدبر والاتعاظ من مواعظه، والتذكر بذكراه، والاهتداء
بنوره، والتبصر في أحكامه، والعمل بأوامره، وترك نواهيه، إلي غير ذلك.

وفقني الله وإياكم إلى ما يُحبه ويرضاه

وجعلنا هداةً مهتدين، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه.

كلمات إبراهيم الخليل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد سمعنا قول الله - **جَلَّ وَعَلَا** - : ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ**

إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] ، الكلمات التي ابتلى الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - بها إبراهيم؛ المعنى أنه اختبره بها الكلمات أو امره الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - بها، ابتلاه يعني اختبره؛ ليظهر بذلك كمال طاعته لله - **عَزَّ وَجَلَّ** - وليكون أسوةً في ذلك للمؤمنين إلى آخر الدهر، وليتجلى بأن الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - اختاره على علم لإمامة الحنفاء، ولأنه يتبين أنه أهل أن يجعل الله - **جَلَّ وَعَلَا** - النبوة والكتاب في ذريته إلى يوم القيامة، فما بعث الله تعالى نبياً ولا أنزل كتاباً إلا في ذرية إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

ما هذه الكلمات؟

أمره الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - **بِخِصَالِ الْفِطْرَةِ**، وهي الخصال التي لو ترك الإنسان فطرته ما غير اختارها وأحبها وعرفها وأحسن فيها لأنها تكمل خلقته الظاهرة، ويدل ذلك على كمال خلقته الباطنة، والله - **جَلَّ وَعَلَا** - خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكرم ابن آدم على كثير من خلقه، وفضله تفضيلاً، فأحسن خلقته؛ جعل له البصر والسمع والفؤاد والوجه واليدين والرجلين والقائمة الحسنة، واللون الحسن الذي يناسب حاله وبيئته، فهذا **فِعْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ [التين: ٤] ، ﴿ **وَصَوَّرَكُمُ وَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ** ﴾ [غافر: ٦٤] ، فالله تعالى أحسن كل شيء خلقه، وهياًه في خلقته لما خلق له، وأحسن خلق الإنسان وكمّله، وجعل من تكميل خلقته أشياء أمره بها **يُحَقِّقُهَا الْمُكَلَّفُ**

يُحَقِّقُهَا الْإِنْسَانُ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَجْمَلَ صُورَتُهُ، وَأَنْ يَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى جَمَالِ صُورَتِهِ الْبَاطِنَةِ، فَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ أَيُّ أَمْرِهِ اللَّهُ بِهِنَّ، أَيُّ أَمْرِهِ بِخِصَالِ الْفِطْرَةِ، وَخِصَالِ الْفِطْرَةِ عَدِيدَةٌ جَاوَزَتْ الشَّتِي عَشْرَةَ أَوْ أَكْثَرَ.

فَمِنْهَا عَدَدٌ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ فِي الْوَجْهِ: فَمِنْ خِصَالِ الْفِطْرَةِ؛ الْمَضْمُضَةُ وَالِاسْتِنْشَاقُ فِي الْوَضُوءِ، فَالْمَضْمُضَةُ تَنْظِيفُ دَاخِلِ الْفَمِّ وَتَطْيِيبُ الرَّائِحَةِ وَالْمَحَافِظَةُ عَلَى الصَّحَّةِ، وَعَلَى طِيبِ الرِّيقِ، وَعَلَى التَّحَلُّوِ بِالرِّيقِ لِلْحَاجَةِ.

وَالِاسْتِنْشَاقُ فِي الْأَنْفِ، تَنْظِيفُ دَاخِلِ الْأَنْفِ، تَنْظِيفُ الْمُنْخَرِينَ لِأَجْلِ أَنْ يَزُولَ الْأَذَى، وَأَنْ تَتَلَطَّفَ مَجَارِي الْهَوَاءِ لِأَنَّ فِي دَاخِلِ الْأَنْفِ شَعِيرَاتٍ جَعَلَهَا اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مَنْقِيَةً لِلْهَوَاءِ الَّذِي يَدْخُلُ، وَتُمْسِكُ الْبِكْتِيرِيَا وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَشُرِعَ الْاسْتِنْشَاقُ فِي الْوَضُوءِ؛ الْوَاحِدَةُ تُجْزَى، وَالثَّنَاتَانِ أَفْضَلُ، وَالثَّلَاثَةُ أَكْمَلُ، فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ، فَهَاتَانِ خِصْلَتَانِ مِنْ خِصَالِ الْفِطْرَةِ.

الْخِصْلَةُ الثَّلَاثَةُ: السَّوَاكُ، وَقَدْ أَكَّدَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي أَحَادِيثٍ خُصُوصًا عِنْدَ الْوَضُوءِ وَعِنْدَ الصَّلَاةِ، فَعِنْدَ الْوَضُوءِ يَتَسَوَّكُ بِسَوَاكٍ رَطْبٍ، لِيْنٍ، مُنَقٍّ، غَيْرِ مُضَرٍّ، لَا يَتَفْتَتُ، يَسْتَاكُ عَرْضًا يَمُرُّ السَّوَاكُ عَلَى أَسْنَانِهِ عَرْضًا، وَيَكُونُ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ أَيْضًا وَظَهْرَ لِسَانِهِ، وَالسَّوَاكُ بِمِثَابَةِ الْفَرِشَاةِ الصَّحِيَّةِ الْمَنْقِيَةِ الْمَطْيِيَّةِ، وَجَاءَتْ فِيهِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ، وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ -رَحْمَهُمُ اللَّهُ- أَنَّ لِلسَّوَاكِ أَكْثَرَ مِنْ سِتِّ عَشْرَةَ فَائِدَةً صَحِيَّةً وَحَسْبِيَّةً وَمَعْنَوِيَّةً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

فَهَذِهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ فِي الْفَمِّ ثِنْتَانِ الْمَضْمُضَةُ وَالسَّوَاكُ، وَفِي الْأَنْفِ وَاحِدَةُ الْاسْتِنْشَاقِ بِلِ الْاسْتِنْشَاقِ، كَمَالِ الْاسْتِنْشَاقِ الْاسْتِنْشَاقُ أَنْ تَدْخُلَ الْمَاءُ إِلَى دَاخِلِ أَنْفِكَ وَتَسْحَبَهُ بِالنَّفْسِ ثُمَّ تُخْرِجَهُ، لِتَطْهِيرِ الْأَنْفِ وَتَطْهِيرِ الْفَمِّ .

إِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ هَذِهِ الْخِصْلَةُ الرَّابِعَةُ قَالَ ﷺ: «**أَعْفُوا اللَّحْيَ**»، «**أَكْرَمُوا اللَّحْيَ**»، «**أَرْخُوا اللَّحْيَ**» فِي أَحَادِيثٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ ﷺ عَظِيمَ اللَّحْيَةِ قَدْ سَدَّدَتْ مَا بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ، يَعْنِي مَلَأَتْ صَدْرَهُ، وَكَانَ يُخَلِّلُهَا بِأَصَابِعِهِ، وَيُسْرِّحُهَا؛ لِأَنَّهَا تُجْمَلُ الْإِنْسَانَ وَتُكْمَلُ خَلْقَتَهُ وَتُظْهِرُ حُسْنَ

صورته، وكان العرب في الجاهلية تسمي اللحية بالوجه؛ يقول: رأيت فلاناً قبل أن يظهر وجهه، أو رأيتَه بعدما ظهر وجهه، فهي مكملّة للوجه، فلا تظهر صورة الإنسان الحسنة إلا بإعفاء اللحية وتركها على خلقتها وطبيعتها، وعدم التعرّض لها بحلق أو جزّ أو عبث، بل الإنسان يُنظفها ويُسرّحها ويُطيبها، كان ﷺ يُخلّل لحيته في الوضوء، يخلّل أصابعه .

والخامسة: قصّ الشوارب، أو جزّ الشوارب، أو إطفاء الشوارب، فالشارب يُقصّ ويُجزّ يهان، قال ﷺ: «**جزوا الشوارب**»، قال: «**أحفوا الشوارب**»، قال: «**أهينوا الشوارب**» كل هذه تتفق على أن الشارب يُقصّر إلى آخر حدّ حتى تبين بشرة الشفة، فيُقصّر لا يُحلق، فقصّوا، جزّوا كل بمعنى تقصير الشارب، أهينوا؛ أي بالغوا في تقصيره، بمعنى الرواية الثانية: «**أحفوا الشوارب**»؛ أي قصّروها حتى لا يبقى إلا أصول الشعر، وتبين البشرة هذه بيضاء أو سمراء أو حمراء أو غير ذلك، وفي رواية أخرى «**أنهكوا**» أي بالغوا في التقصير.

والحديث في خالفوا اليهود، خالفوا المشركين؛ يعنى في إعفاء اللحي، وتقصير وإنهاك الشوارب، ولم يقل النبي ﷺ مرة واحدة «احلقوا الشوارب»، ولم يقل: «احلقوا اللحي»، بل نهى عن حلق اللحي وحلق الشارب، وأقسم قال ﷺ في الشارب فقال: «**أنهكوا**» أي بالغوا في تقصيره، حتى لا يبقى إلا جذور الشعر، وفي رواية ثانية قال: «**أحفوا**»، فكل هذا دون الحلق، تقصيرٌ مبالغٌ فيه حتى يبين لون الشفاه.

فهذه من خصال الفطرة: المضمضة، الاستنشاق، السواك، إعفاء اللحي، قصّ وإعفاء وإنهاك الشوارب، فهذه من خصال الفطرة في الرأس، التي استعملها وترك مخالفتها أو العبث بها مما يجمّل الخلقة ويكملها ويحصل فيه مصالح كثيرة.

كذلك من سنن الفطرة وخصال المرسلين الكحلّ، استعمال الكحلّ في العينين عند النوم، وكان النبي ﷺ يكتحلّ بالإثمد المطيب الأسود أو الأحمر، يستعمل في كل عين ثلاثة أميال،

فهذه من السنن وتكامل بها الهيئة وتجميل، فهذه في الوجه والرأس؛ المضمضة، الاستنشاق، السواك، إعفاء اللحي، إنهاك الشوارب، استعمال الكحل في العينين، وبين ﷺ في هذا أن الكحل يجلو البصر، لذلك لما أن الناس استهانوا بالكحل صار عندهم ما يسمى بالماء الأبيض والأزرق، وصار يجتمع غشاوة على البصر حتى يضعف النظر أو يزول، مثل ما قال في السواك: «أنه مطهرة للنفم، ومرضاة للرب»، فهذه الخصال كلها في الرأس، كلها تجميل الخليفة والصورة، وتؤلف بحيث الإنسان يألف، من يعتني بهذه الخصال ويوقره ويكرمه فهذه من خصال الفطرة في الوجه.

في باقي الجسد نتف الإبط؛ الشعر الذي يكون تحت ملتقى اليد بالكتف أو العظم بالكتف هذا الإبط، فالشعر الذي فيه يتنف ويزال، ولو لم يتيسر التنف يحلق، أو تستعمل النورة فتتنظيف الإبط من خصال الفطرة.

كذلك العناية عند الغسل؛ غسل الجمعة، غسل الإحرام، غسل الجنابة، أي غسل يعتني به بالإنسان بحيث أنه يتفقد بطنه وجنبيه، فإذا كان في موطن يزل عنها الماء، فإنه يوصل الماء لما يزل عنه، يدخل الماء سرته، ويدخله العكل والعقد، إذا كان الإنسان سميناً أو غير ذلك من أجل أن يزال الوسخ والأذى الذي يحصل بين طبقات اللحم، يسمى هذا غسل البراجم من خصال الفطرة.

والثالثة في الجسم الاستحداد؛ حلق العانة وإزالة شعر العانة، الذي ينبت حول القبل، أو الدبر من الرجل أو المرأة، فهذا يزال بالموسى أو الحلق أولى، والإبط بالتنف، وإذا لم يزل إلا بشيء مُعالج، يُعالج بالحلق، بالنورة بغير ذلك.

كذلك الاستنجاء بالماء؛ إزالة أثر الخارج من السبيلين بالماء، فالاستنجاء من خصال الفطرة، أن الإنسان قضى حاجته بالبول أو الغائط يُزيل أثر الخارج، أول شيء إذا أمكن بالحجارة أو ما يقوم مقامه من المناديل والأشياء الطاهرة غير المحترمة، وغير العظم

والروث، وإذا لم يمكن الاستجمار فيكفي الاستنجاؤ؛ إزالة أثر خارج من السبيلين بالماء، وهذه نظافة شرعية جاء بها الإسلام، لأن الماء أبلغ في إزالة الأذى، وهذه مواطن حساسة في جسم الإنسان عُرضة للتلوث والالتهابات ونشأة الأمراض المُضرة في المسالك البولية وغير ذلك، فكانت الفطرة هذه في جسم الإنسان: نتف الآباط، غسل البراجم، حلق العانة، الاستنجاؤ هذه في الجسم، وباقي تقليم الأظافر لليدين والرجلين، أن الأظافر إذا طالت عن اللحم، أنها تُزال لأنه يجتمع تحتها الدنس والوسخ، ويكون فيه ما يضر الإنسان فجاءت الحكمة بهذا.

فهذه جُملة من خِصال الفطرة عهد الله -عزَّ وجلَّ- بها إلى إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فوفى بها ووفَّاهَا على أكمل صورة وعلى أحسن حال؛ المضمضة، الاستنشاق، السَّوَّك، إعفاء اللحية، قصَّ الشارب، نتف الإبط، غسل البراجم، حلق العانة، الاستنجاؤ، تقليم الأظفار، هذه عشر من خِصال الفطرة، يُضاف إليها الكحلُّ والتعطُّر كل هذه من سنن المرسلين، ومن تكميل الخِلة، فإن الله خلق الإنسان في أحسن خِلة، ولا تكون خِلة إلا بإزالة هذه الأشياء، وبقاؤها يُشوِّه الصورة والمنظر، ويتسبب في الأمراض والأسقام التي الإنسان بعافية منها، فلذلك أثنى الله -عزَّ وجلَّ- على الخليل إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بهذا فأتَمَّهُنَّ.

ومن خِصال الفطرة كذلك الختَّان بإزالة الكُلفة التي تكون على رأس عورة الذكر، فهذه الكُلفة ينحبس فيها البول، ويُسبب أنه يتقاطر البول وقتاً طويلاً فيلوث الثياب ويقطع الطهارة، ويجتمع في ذلك أيضاً ميكروبات وجراثيم مؤذية تُسبب الالتهابات المُزمنة فهذه من خِصال الفطرة الختَّان.

فإبراهيم وفيها ومن ذلك أنه اختتن بالقدوم وهو ابن ثمانين سنة، والقدوم مكان في فلسطين، يعني قريب من الخليل المعروف، واختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة، ما قال: أنا

كَبُرَتْ أَوْ هَرَمَتْ، نَفَّذَ مَا أَمَرَهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِهِ، فَاخْتَتَنَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً، فَالْخِتَانُ يَحْصُلُ بِهِ نِظَافَةُ الذَّكَرِ، نِظَافَةُ الْقُبُلِ، مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، فَيَحْصُلُ فِيهِ النِّظَافَةُ، يَحْصُلُ فِيهِ جَمَالُ خِلْقَةٍ، وَيَحْصُلُ فِيهِ الِاسْتِمْتَاعُ بِاتِّصَالِ الرَّجُلِ بِأَمْرَاتِهِ، فَهُوَ فِي حَقِّ الرِّجَالِ مُتَعَيِّنٌ لِأَنَّهُ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الطَّهَارَةُ، وَفِي حَقِّ النِّسَاءِ كِرَامَةٌ، لِأَنَّ طَوْلَ الْجِلْدَةِ هَذِهِ تَكُونُ عَلَى الْفَرْجِ تَوْذِيًّا وَتُسَبِّبُ مَشَاكِلَ حَسِيَّةً وَمَعْنَوِيَّةً، فَأِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَلَقَى هَذِهِ مِنْ رَبِّهِ وَنَفَّذَهَا.

وَحِينَ كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابَهُ إِلَى مَلُوكِ زَمَانِهِ بَعْدَ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالْمَقْوَقِسِ، وَمَلِكِي عُمَانَ وَمَلِكِ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ، فَكَانَ قَيْصَرَ قَدْ رَأَى رُؤْيَا أَوْلَاهَا أَنَّهُ نَبِيُّ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، وَمَا وَصَلَ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَعَجَّبَ مِنَ الرُّؤْيَا هَذِهِ وَقَالَ: مَنْ يَخْتَتِنُ؟ قَالُوا: الْيَهُودُ يَخْتَتِنُونَ وَمَا يَهْمُنُكَ شَأْنُهُمْ، مُرِّبُهُمْ؟ وَيُقْتَلُونَ يَعْنِي الْيَهُودَ يَخْتَتِنُونَ هَذَا مِنَ الدِّينِ الْقَدِيمِ، دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَ هَلْ يَوْجَدُ مِنَ الْعَرَبِ أَحَدٌ؟ قَالَ لَهُمْ: يَخْتَتِنُونَ وَلَا لَا؟ فَنَظَرَ إِلَى التَّجَارِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى الشَّامِ، وَأَمْرٌ بِهِمْ وَكُشِفَ عَنْهُمْ، فَتَبَيَّنَ أَنَّهُمْ يَخْتَتِنُونَ هَذَا مِمَّا بَقِيَ فِيهِمْ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَخْتَتِنُونَ، فَوَفَاهُ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَتَحَقَّقَتْ رُؤْيَاهُ بِأَنَّ نَبِيَّ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، يَعْنِي النَّبِيَّ الَّذِي مِنْ شَرِيعَتِهِ الْخِتَانُ قَدْ ظَهَرَ، وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ قَيْصَرَ مَعَ رَسُولِنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَعَ مَنْ وَجَدَ لِلْعَرَبِ بِالشَّامِ، حَتَّى تَقَرَّرَتْ إِلَيْهِ نُبُوَّةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لَأَنَّ كَانَ كَذَلِكَ لِيَمْلِكَنَّ مَوْطَأَ قَدَمِيهِ يَعْنِي يَمْلِكُ الشَّامَ، وَقَالَ: لَوْ اسْتَطَعْتُ تَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ حَتَّى أَخْلُصَ إِلَيْهِ فَأَغْسِلَ رِجْلِيهِ تَقْدِيرًا لَهُ فَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذَا مِنْ خِصَالِ الْفِطْرَةِ.

وَأَمَّا كِسْرَى فَلَمَّا بَلَغَهُ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ حَقَّقَ وَمَزَّقَهُ، وَأَظْهَرَ حُمْقًا وَسَفَهًا، وَأَمْرٌ عَامِلُهُ عَلَى الْيَمَنِ أَنْ يُرْسِلَ رَجُلَيْنِ شَدِيدَيْنِ قَوِيَيْنِ، لِيَأْتِيَاهُ بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَاسْتَوْصَى مَلِكُ الْيَمَنِ بِذَلِكَ، وَاخْتَارَ قَوِيَيْنِ جَلْدَيْنِ شَدِيدَيْنِ طَوِيلَيْنِ، وَأَرْسَلَهُمَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا وَقَفَا

على النبي ﷺ ونظر إليهما رآهما حليقين، قد حلق شعر وجوههما، فغض الطرف عنهما كراهةً لمنظرهما لأنه بشع، فيه تغيير للخليفة وتشويه، لكن النفوس إذا استمرت الشيء استحسنته، إذا كثر المساس قل الإحساس، وإلا فالنبي ﷺ لم يُطق النظر إليهما وهما حليقين مع أنهما كافرين مجوسيين، لكن هذا مخالفة للفطرة، فقال: من أمركما بهذا؟، فقالوا ربنا أي كسرى حلق اللحى من التعليمات الكسروية، ومن هيئة المتكبرين والمعارضين لخلق الله -عز وجل-، أو معترضين على الله تعالى في خلقه، ومعارضين لسنة النبي ﷺ ومستخفين بها"، فالنبي ﷺ غض الطرف عنهما، قال: لكن ربي أمرني بإعفاء هذه وقص هذا، يعنى عكس ما أنتم عليه " لأنهما كانا قد أسبلا شواربهما، أو أرخيا سبالهما لهم شنبات كما يقول الناس، وحلقا لحاهما"، فكره النبي ﷺ منظرهما وغض الطرف عنهما، مثل أنت لو رأيت إنسان قد أزال شعور حاجبيه وأهداب عينيه، لا تطق النظر إليه، فكره النبي ﷺ المنظر هذا، قال النبي ﷺ: - «**ما شأنكما، ما جاء بكما؟**»، فقالا: إن كسرى أمر ملكنا أن يرسلنا إليك نأخذك إلى فارس، فقال النبي ﷺ: «**ولكن ربي قتل ربكم الليلة**»، فنظر أحدهم إلى صاحبه كالمستشير، فقرر أن يمضيا أدراجهما إلى اليمن، ويتركا الموضوع بعد هذا، فلما قدما اليمن وأخبرا الملك بما جرى، ومن ذلك قتل كسرى أن ابنه ثار عليه وقتله، ثم قتل الابن وولوا عليهم ابنته؛ فقال النبي ﷺ: «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**».

فالمقصود أنه لما أخبرا ملك اليمن بخبر النبي ﷺ أنه قتل كسرى نظر في البريد، وإذا هو فعلاً قد جاءه الخبر بأن كسرى قد قتل، وكان يومها ما كان فيه وسائل اتصال أو فيه شيء، فقال ملك اليمن: أن هذا الخبر لا يأتيه إلا من السماء، ولا يأتي به إلا نبي، وقد سمعا منهما ما رأيا من النبي ﷺ، وما رأيا من أصحابه، فعرض الإسلام على برلمانته، على ملاءه؛ فأسلموا، فدخلت اليمن في دين الله بغير قتال أول بلد دخلت الإسلام بغير قتال، ولذا قال النبي ﷺ:

«إني أجد نفس الرحمن قبل اليمن»، وقال: «الإيمان يمان، الحكمة يمانية»، وقال: «جاءكم أهل اليمن أرق قلوباً وألين أفئدة» .

فكان من أمر اللحية ما جرى هداية مملكة كاملة هذا يدل على بركة السنة، والمقصود أن هذه خصال الفطرة ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤] اختبره بهن، كلفه بهن، هل يحققهن أم لا؟ فحققهن على أكمل وجه، في أسرع وقت، ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] قال إبراهيم طمعاً في رحمة الله وفضله، قال: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤] اجعل من ذريتي أئمة، فقال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، والمعنى أن من اتبعك على ملتك وشريعتك؛ اجعله إماماً، ومن كفر وأعرض عنه وعارضه لا، ما ينال العهد ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، معناه أنه ينال المحسنين.

والله تعالى قال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال - تعالى -: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [المتحنة: ٤]، فهذا مما يتبع فيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر الله تعالى، وتتبع نحن إبراهيم، وتتبع النبي ﷺ؛ والمقصود أن هذه هي الكلمات، ووقت النبي ﷺ بشأنها خصال الفطرة ألا تترك فوق أربعين يوماً، كما حدث بذلك أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: «وَقَتَ لَنَا أَلَا نَتْرُكُهَا فَوْقَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا» معناه إذا مضى أربعين يلزم الإنسان نتف الإبط وحلق العانة وقص الظفر ونحو ذلك، لا تترك فوق هذه المدة، والأولى أن تأخذ كل جمعة، هذا هو الأولى من الاستعداد ليوم الجمعة أن الإنسان يُزيل هذه الأشياء التي أمر الله بإزالتها، ويُحقق ما أمره الله تعالى بفعله؛ والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه .



هَدْيُ النَّبِيِّ الْبَشِيرِ
فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.
أما بعد:

فقد قال الله -عز وجل-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ

الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ففي هذه الآية الكريمة حَض للمؤمنين على أن

يَجْتَهِدُوا في التَّاسِّي بالنبي ﷺ، وَحُسْنِ الإِتِّبَاع له، لِأَنَّهُ ﷺ أَتَقَى النَّاسَ اللَّهُ -عز وجل وعلا-،
وَأَخْشَاهُمْ له، وَأَكْمَلَهُمْ عمل، وَأَحْسَنَهُمْ سِيرَةَ، وَأَعْرَفَهُمْ بما يَنْبَغِي فِعْلُهُ، وما يَنْبَغِي تَرْكُهُ في

حَقَّ اللَّهُ -عز وجل وعلا-، فالْمُؤْمِنِينَ به أُسْوَةٌ، قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ، قُدْوَةٌ صَالِحَةٌ، ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، لِمَن احتسب، رَجَى القُرْبَ مِنَ اللَّهِ -عز وجل-، والفَلاح

عِنْدَهُ، والفَوْزَ يَوْمَ العَرَضِ عَلَيْهِ، ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، لِشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِاللَّهِ -عز وجل

وَعَلَا-، وَحُبِّهِ إِيَّاهُ، وَرَجَاءِهِ، وَرَغْبَتِهِ فِيمَا عِنْدَهُ، وَخَوْفِهِ، وَرَهْبَتِهِ مِنْهُ.

فهذا هو الذي يَجْتَهِدُ في حُسْنِ التَّاسِّي بالنبي ﷺ والاقْتِدَاءِ، وَأَنْ يَكُونَ قُدْوَةً لِّغَيْرِهِ، فَيَعْلَمَ

النَّاسَ السَّنَةَ بِأَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَتَرْكِهِ، وَأَحْوَالِهِ، وَقَالَ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»، يعني الزموا

سُنَّتِي، وطريقتي في جميع الأمور كما قال -تعالى-: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، فكما أَنَا نَقْتَضِي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في

الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، بِأَنْ تَكُونَ دَعْوَتَنَا عَلَى عِلْمٍ، وَعَنْ إِخْلَاصِ اللَّهِ -عز وجل-، وَعَنْ نَصِيحَةِ

لِلخَلْقِ، وَعَنْ رَجَاءِ لِمَا عِنْدَ اللَّهِ -عز وجل وعلا-، فهكذا في جميع الأمور، يقول ﷺ: «عَلَيْكُمْ

بِسُنَّتِي» يُغْرِي العُقَلَاءَ أَنْ يَتَّبِعُوهُ ﷺ عَلَى سُنَّتِهِ، وَعَلَى طَرِيقَتِهِ.

ولذلك الله -عز وجل- أمر بهذا فيقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، فالله تعالى يَأْمُرُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَخْتَبِرَهُمْ فِي

مَحَبَّةِ اللَّهِ، يَخْتَبِرُ النَّاسَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ، يعني إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ صِدْقًا مِنْ قُلُوبِكُمْ، وَتُؤْمِنُونَ بِهِ،

وَتُعَظِّمُوهُ، وَتُجِلُّوهُ، وَتَرْجُوا ثَوَابَهُ، وَتَخْشَوْنَ عِقَابَهُ، ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ عَلَى طَرِيقَتِي، عَلَى سُنَّتِي، مَا جَزَاءَكُمْ، مَا ثَوَابِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ؟

﴿يُحِبِّبْكُمْ﴾ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - نَجَحَ، وَأَفْلَحَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَحِبَّابِهِ، ﴿يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] يَغْفِرْ لَكُمْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَلْقَى الْعَبْدَ رَبَّهُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] كَثِيرِ الْمَغْفِرَةِ، وَاسِعِ الْمَغْفِرَةِ، لَا يَتَعَاضَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ، كَمَا لَا يَتَعَاضَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ جَلَّ وَعَلَا، لِكَرَمِهِ، وَحِلْمِهِ، وَعَفْوِهِ، أَنَّهُ يَحِبُّ الْعَفْوَ أَكْثَرَ مِنَ الْعُقُوبَةِ.

﴿يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] أَي كَثِيرِ الْمَغْفِرَةِ، وَاسِعِ الْمَغْفِرَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَنْ نَفْسِهِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ وَاسِعِ الْمَغْفِرَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُخْبِرُ، يَقُولُ: « يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً، ». بَمَلءِ الْأَرْضِ مَغْفِرَةً.

فَهَذَا كُلُّهُ يُغْرِي عَلَى حُسْنِ الْإِتِّبَاعِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَلِذَا تُحَدِّثُ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ مِنْهَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، هَذَا مِثَالُ فَتَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ مَا لَمْ يَجْتَهِدْهُ فِي غَيْرِهِ، يَعْنِي يُقْبَلُ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَيَنْقَطِعُ لَهَا، وَيَتَفَنَّ فِيهَا، بِحَيْثُ إِنَّهُ يَفْعَلُ كُلَّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مِنْ صَلَاةٍ، وَتِلَاوَةٍ، وَذِكْرٍ، وَدُعَاءٍ، وَصَدَقَةٍ، وَإِحْسَانٍ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٍ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَجُوهِ الطَّاعَةِ، يَجْتَهِدُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، يَعْنِي قَبْلَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ.

فهو ﷺ يَجْتَهِدُ في رمضان أصلاً، لكن العشر الأواخر يَخْصُّها بمزيد عناية؛ لمعرفته ﷺ بقَدْرها، وفضلها، وبركتها، وما جعل الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيها من الخير، والذُّخْر للأمة، فلذلك كان يَجْتَهِدُ ﷺ وتقول أيضاً: «كان النبي ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الأواخر من رمضان أَيَقْظَ أَهْلَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ»، كيف هذا؟ تقول: «إنه يَحْرِصُ على صلاة الليل، وَيُحْرِصُ غَيْرَهُ، يتفقد نساءه، وأولاده، فيأمرهم بصلاة الليل يأمرهم، يُوقِظُهم، كل مَنْ يُطِيقُ القيام يُوقِظُهُ لِيُصَلِّيَ»، طرق النبي ﷺ علياً وفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فقال: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟»، ويقول ﷺ: «مَنْ يُوَقِّظُ صَوَاحِبَ الْحُجْرَاتِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فكان ﷺ يتفقد أهله في العشر الأواخر من رمضان، ويأمرهم بالقيام مع أنه نافلة، لكن لما في ذلك من الخير؛ لأن كل ليلة تُرْجَى أن تكون ليلة القدر.

فهذا من جِدِّهِ ﷺ واجتهاده، فهو كان يَجْتَهِدُ مع غيره، كذلك كان ﷺ يُحْيِي لَيْلَهُ، يعني يظل أكثر الليل مُسْتَيْقِظًا، ذَاكِرًا، شَاكِرًا، دَاعِيًا، ثَانِيًا، مُصَلِّيًا، عَابِدًا، كل الليل، أو غالب الليل، بمعنى أنه ما يقتصر على الصلاة مع الجماعة لا، يُصَلِّي هو، فيُصَلِّي بين المغرب والعشاء ما كَتَبَ اللهُ لَهُ، وَيُصَلِّي صلاة العشاء، وَيُصَلِّي صلاة التراويح، وَيُصَلِّي بعد ذلك، وَيُصَلِّي بعد نِصْفِ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي قُبَيْلَ السَّحْرِ، ما يروح جزء من الليل، إلا وله فيه عِبَادَةٌ وَصِلَةٌ لَهِ -جَلَّ وَعَلَا-، فيحْيِي الليل، فالتناس يحيون الليل على ماذا؟ على أمور -نَسَأُ اللهُ الْعَافِيَةَ- مُضْبِعَةٌ لَلْوَقْتِ، أو مُضِرَّةٌ بِالدِّينِ، والدنيا والآخرة، أو غير ذلك.

وكان ﷺ هَمَّهُ في الليل هو الصلاة، وتلاوة القرآن، والدعاء، والذِّكْر، فكان يَجْتَهِدُ في هذه الليل، الليالي العشر ما لا يَجْتَهِدُ في غيره، يُحْيِي الليل كله، أو غالبه، إن نام فنومٌ يسير، وهذا من شِدَّةِ عِنَايَتِهِ، تقول: «وَشَدَّ الْمِئْزَرَ»، يعني أنه جَدَّ، واجتهد، بمعنى أنه تحزَّم لهذا شد ثيابه عليه؛ لأنَّ الإنسان إذا أراد أن يُمارِسَ عملاً فيه مَشَقَّةٌ، يَشُدُّ ثِيَابَهُ عَلَيْهِ، يتحزَّم، ويشد رُوحَهُ، حتى يُؤدِّيَ العمل، حتى ما يتكاسل، ما يَأْخُذُهُ النَوْمُ، لَأ! يَجِدُّ، وَيَجْتَهِدُ، شدَّ مِئْزَرَهُ،

فهذا تفسير شد المئزر، يُقال أخذت لهذا الأمر، أو شددت لهذا الأمر مئزري، يعني جدت فيه، واجتهدت، وأعدت له العدة المناسبة له، ومن معنى شد المئزر أنه كان ﷺ يعتكف في المسجد، ينقطع عن البيت أصلاً، فيقيم في المسجد ليلة واحد وعشرين إلى فجر العيد، يطلع من المسجد للصلاة في ثيابه التي اعتكف فيها **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وفي بعض الروايات أنه يدخل صُبح إحدى وعشرين، يعني مثل فجر يومنا هذا بعد صلاة الفجر يدخل المعتكف، هذا في بعض الأحوال.

فالمعنى أنه كان ينقطع عن البيت تماماً، وبياته **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** تسع، فكان ينقطع عن بيته، وعن أهله، وعن نساءه، وعن العلاقة بالنساء، فذلك من **جِدِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** واجتهاده، بحيث أنه ينقطع، يعتكف.

ولذا يقول أهل العلم - **رحمة الله عليهم** - في تعريف الاعتكاف: «هو قطع العلائق عن الخلائق للاشتغال بعبادة الخالق - **جَلَّ وَعَلَا** -»، بحيث الإنسان يتفرغ، ما يفكر لا في عمل دوامي، نظامي، ولا في عمل تجاري، ولا في علاقات بأصدقاء، ولا في علاقات بأُسرة، ولا شيء، حتى أن لا يعود المريض، ولا يشهد الجنازة، ولا يخرج من المسجد إلا للحاجة (للحمام)، أو إذا احتاج أكل، ولا يأتيه أحد بالأكل من كمال الانقطاع، والإقبال على الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، فيكون عشر رمضان النبي ﷺ منقطع إلى الله - **جَلَّ وَعَلَا** - ما يهيمه إلا العبادة، والذكر مع إنه ﷺ هو والي الأمة، هو المرجع، هو الملك، هو الرئيس، هو كل شيء، ومع ذلك ينقطع، يفوض الأمور هذه إلى غيره، ويشغل بعبادة الله - **جَلَّ وَعَلَا** - لعظم شأن هذه العشرة، حتى لا يفوته الخير، لا في الليل، ولا في النهار، ويُنوع حتى لا يسأم، ولا يمل، تارة يقرأ القرآن، وأخرى يذكر الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - بالتسبيح، والتهليل، والتكبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأخرى بالدعاء، وثالثة بتعليم الجاهل، وتذكير الغافل، ورابعة بالصلاة، وهكذا،

وأخرى في التفكير في أسماء الله الحُسنى، ومعانيها، ودلالاتها، وأخرى كذلك في التذكُّر لنِعَمِ الله: كم أنعمَ اللهُ عليّ، كم نَجَّاني من مُصيبةٍ، كم نَجَّاني من مُشكلةٍ، كم لطف بي عند بليّةٍ، كم دَفَع عني من مصيبةٍ؟ ﴿فَاذْكُرُواْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]، فالآءِ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أنواع أنعمه، وهي أفعاله العظيمة التي لا يقدر عليها إلا هو من الخلق، والرزق، والتدبير، والإحياء، والممات، وغير ذلك.

فلذلك الإنسان يكون في العَشر الأواخر من رمضان غير عنه في بقية رمضان، وغير عنه في بقية السَنة، لشرف الزمن، ولأن الأرواح يُسرى عليها ويُراح، ولأن الآجال مُغَيبة، ولأن المرء إذا مات انقطع عمله، فلا يدري الإنسان هل يُتم هذه العَشر؟ لو أتمَّ نصفها، هل يُتم الباقي؟ لو أتمَّ الباقي، هل يُدرِكها مرة أخرى؟ فلذلك يأخذ نصيبه منها، نصيب مُودَّع، كل الناس لو قيل لأحد الناس: تموت بعد ساعة! أو بعد يوم، أو بعد شهر، كان يَجِد ويَجْتَهد وَيَنْقُطع عن كل شيء، ويُقبل على الله -عَزَّ وَجَلَّ- فافترض هذا أنت من الآن حتى تنفع نَفْسَكَ ﴿يَوْمَ لَا

يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٩].

نسألُ الله أن يُعين الجميع على ما يُحِبُّه وَيَرْضاه، وأن يأخذ بنواصيهم إلى الحق، وأن يمنحهم السداد والتوفيق، وأن يُعينهم على صلاح العمل وحُسْنِه، والإخلاص له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ، وأن يتقبله منهم، ويضاعف لهم المَثُوبَة في أعمالهم على عملٍ صالح، وأن يتوب عليهم من جميع القبائح، والله أعلم.

وصلّى اللهُ وسلّم على نبيِّنا مُحَمَّدٍ، على آله وصحبه أَجْمَعِينَ.



**خطر الشائعات،
والتحذير من:
القول على الله بغير علم**

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

قد قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] ففي هذه الآية أمر الله -جَلَّ وَعَلَا- العباد أن يتثبتوا مما قد يرد عليهم من الأخبار أو الشائعات، بحيث أن الإنسان يستيقن الخبر ويستيقن الأمر، ولا يتقبله لأول وهلة، ولا يشيعه حتى يتبين له شأنه، قال الله -تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]، كل هذا في الحض على التبين والتثبت، وأن الإنسان لا يتقبل الشائعات والأخبار لأول وهلة هذا في جميع الأمور، في أمور الدنيا والدين والآخرة، لكن لو كان هذا في أمر الدين، فهو أكبر وأخطر، فلا يحل لإنسان أن يقول في الدين: هذا حلال أو هذا حرام إلا بحجة، فإن كان من أهل العلم؛ فبالدليل من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح من الأمة، أو إجماع السلف الصالح من الأمة وبالقياس الصحيح، وإن كان من عامة الناس؛ فبالرجوع إلى أهل العلم عملاً بقول الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ولذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦] أي من قال هذا حلال أو هذا حرام من غير حجة، فقد افترى على الله الكذب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١٦) متع قليل وهم عذاب أليم ﴿[النحل]﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني قال في دين الله أو وقال على الله تعالى بلا علم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [هود: ١٨] ليضل الناس بغير علم، كل من افترى على الله كذب، فإنه يضل الناس بغير علم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ [الأحقاف: ١٠] وهذا خطير ، هذا وعيد خطير، فهذا -والعياذُ بالله- حري أن يُحرم الهداية، وأن يموت على الضلالة لشناعة جُرمه، وعِظَمِ إثمِه.

وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ بالتواتر أنه قال: « **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** »، وقال ﷺ: « **إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَيَّ غَيْرِي، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَلِجِ النَّارَ** »، وقال ﷺ: « **مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ** »، فلا يجوز القول في دين الله -**عَزَّ وَجَلَّ**- وعلى الله إلا بحُجَّة، ولا يجوز نسبة الحديث إلى النبي ﷺ إلا بحُجَّة، قرأت في الكتب المعتمدة مثل: صحيح البخاري، صحيح مُسلم، مُسند الإمام أحمد، سنن الترمذي، أبي داود، النسائي، ابن ماجه فهذا اسم الكتاب الذي ذكرت فيه، سمعته عن عالمٍ من أهل العلم انسبه للعالم الذي سمعت منه؛ إني سمعت فلان يقول: كذا وكذا، أما مجرد الشائعات والأخبار أن الإنسان يتبناها، يعتقد مضمونها وينصح بها الآخرين، فهذا -والعياذُ بالله- ضلالٌ كبير، وفسادٌ عظيم، وفتنةٌ خطيرةٌ جدًّا، يُعرض الإنسان نفسه لوعيد شديد، لعقوبة وعذاب من الله -**عَزَّ وَجَلَّ**- في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، لأن الناس يتلقون ما تنشر على أنه دين ويتبعون الله بشيء يمكن يكون لا يرضاه الله -**عَزَّ وَجَلَّ**- أصلًا فهذا من أخطر الأمور.

فلهذا العلم قال الله، قال الرسول، قال الصحابة ليس خلف فيه،

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَخْبَارٌ
لَا تَرْغَبَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ
نِعْمَ الْمَطِيَّةُ لِلْفَتَى الْآثَارُ
فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارٌ

فينبغي الإنسان يتورع ويحذر من إشاعة مثل هذه الأمور.

الناس ابتلوا بما يسمى بأجهزة التواصل الآن، وينشر فيها ما هبَّ ودبَّ، يُنشر فيها الغشاء، والنفائات، وزبالات الأذهان، مُحاة الأفكار، ويُنقل عن الكتب المجهولة، وعن أناسٍ

مجهولين، قد قال ﷺ: «بُسَسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعْمُوا»، يعني قالوا، يقولون، بسُتِ المَطِيَّةُ هذه، فمن ينسب على الإنترنت، ينسب عن مجهولين، فهذا يكذب على الله - تعالى، ويكذب على رسوله ﷺ ويضلّ عباد الله ويكون رأسًا في الفتنة والشر، يكون الله تعالى خصمه يوم القيامة؛

ونص الحديث إلى أهله فإن الأمانة في نصه

ويقول عليّ رضي الله عنه: «إن هذا العلم دين فانظروا عما تأخذون دينكم» لأن الخبر والعلم هذا يكون اعتقاد، ويكون قول وعمل وفعل وترك، فلا يجوز أن يبنى الاعتقاد أو القول أو الفعل أو الترك على الأوهام والظنون، ولا يؤخذ عن المجاهيل، لا يؤخذ على من لا يعلم أنه من أهل العلم، ولا من لا تعلم ثقته، وأمانته وديانته، وصار الكثير من الروافض وغيرهم ينشرون الأكاذيب والخرافات، ينسبون إلى النبي ﷺ ما لم يقل، ينسبون إلى أزواجهم أمهات المؤمنين الإفك والكذب، وينسبون إلى الصحابة رضي الله عنهم الإجماع، فهذا غلط وخلط، ونتيجة هذا أن الناس يُصرفون عن علمائهم الثقات، وأكابرهم المعروفين إلي الجَهال والضلالة ومقدمات الدجال، ما سُمِّي الدجال دجالاً إلا لدجله، لكثرة كذبه، وكل ما لا يعرف ويتكلم في دين الله - عزَّ وجلَّ - فهو دجال، لأنه قائل على الله بالظن والخرص، وهذا خطير وكبير.

لا تُفسد اعتقادك أنت، ولا تعمل لله - عزَّ وجلَّ - على غير بيته، ولا تترك شيء عن غير بيته، ولا تشيع هذه الأمور، لا تكون أنت وسيلة لترويج الكذب على الرسول ﷺ، أحاديث متواترة «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، «مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»؛ يعني حتى الكذب بالرؤية يدخل في هذا، ولذلك قال النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى حَقًّا»، أي من رآني على وصفي، وسمع مني كلامي

بمقتضى شريعتي، فإذا كان الكذب في النوم خطير؛ فكيف الكذب في اليقظة مع القصد والعمد؟، وأخطر من هذا أن تُروِّج هذا للناس، أن تعمل بها وتعتقد بها هذا يخصك وأنت الخسران، لكن أن تكون وسيلة لترويج الكذب، وأن تجعل نفسك من الدجالين، وأن تتجراً على القول على الله في دينه، هذا حلال وهذا حرام وهذا سنة وهذا بدعة بغير علم، فهذا خطير جداً، ما يصدر إلا عن صاحب هوى، منحرف عن الاعتقاد أو عن جاهل مُركب لا يدري ما يقول؟، أو عن ناقص عقل، أي الثلاثة أنت؟ ترضى أن تكون من أي الثلاثة، فصار يُشاع أمور عجيبة الآن حتى يُشاع أن صلاة التراويح بدعة وأنه الاجتماع لصلاة التراويح بدعة وكذا، كلام ما أنزل الله به من سلطان.

الكلام الخطير يثبِّط الناس عن طاعة الله -عزَّ وجلَّ-، وعن الاقتداء بالسلف الصالح، وعن العمل بالسنة الماثورة عن النبي ﷺ، من جهال، من مجهولين، من أناس قد تكون أسمائهم لامعة وما هم معروفين بالعلم، ترى ما كل إمام مسجد يُعتبر مرجع في الفتيا، ولا كل واعظ ومُرشد يعتبر مرجع في الفتيا ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣] الذي أحال الله إليهم في التنزيل، ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٤] والحجج القاطعات والبراهين الساطعات، أما إن كل من قال في دين الله صدق، ويؤخذ عنه، فهذا حري أنه إذا خرج الدجال عليهم غداً يتبعه هؤلاء.

فالأمر خطير، والشر كبير، ولا يجني المرء إلا على نفسه، وأخطر شيء القول على الله عز وجل في دينه بغير علم، تدرون أن هذا أعظم من الشرك الأكبر، تدرون أن هذا أعظم من الزنا بالمحارم، تدرون أن هذا أعظم من النفوس الكبيرة الكثيرة، يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، هذا أدنى المحرمات ﴿وَالْإِثْمَ﴾ هذا أعلى منه؛ ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هذا أعلى منه وأكبر منه جرم يعني ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا﴾

بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴿﴾ هذا أعظم من الأمور السابقة كلها؛ ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿﴾ [الأعراف: ٣٣]، فأعظم الجرائم وأكبر الكبائر، وأعظم الموبقات أن يقول الإنسان على الله ما لا يعلم، تقول على الله في ذاته، أو تقول على الله في دينه بما لا تعلم بالظن والخرص، أو بترويح الشائعات وإشاعة الشبهات هذا أمر خطير وكبير، لا يجوز للإنسان أن ينشر شيء إلا بعد أن يتثبت أنه حق ومن دين الله، ولا يجعل الإنسان نفسه جسر كذب، وبوق إفك، ولا وسيلة حمار للروافض والصوفية وغيرهم، يركبونه ليصلون إليه لأغراضهم، أو بواسطته إلى أغراضهم لإفساد العقائد والأخلاق، والظعن في الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتشكيك في علماء الأمة، والتشكيك بولاية الأمر، كل هذه ضلالاتٍ كبار كلها من أسباب الفتنة في الدين والدنيا والآخرة.

فليتق العبد ربه ويحذر :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿﴾ [التوبة].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴿[الأحزاب] أي قولاً صواباً حقاً، فالأمر خطير وكبير، يلزم

الحذر منه والتحذير منه، من الإشاعات والترويح للشبهات والمقالات التي تصدر عن مجهولين أو من ليس معروفًا بالعلم وليس ن أهل الفتيا يجب الحذر من هذا والتحذير، احذر بنفسك، وحذر غيرك .

والله -عزَّ وجلَّ- ما أحوج الأمة إلى المجهولين، ولا إلى السرادقات المظلمة، بل جعل

علماء أعلامًا، نجوم هدى، ورثة للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، مراجع للأمة ﴿فَسْأَلُوا

أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿﴾ [النحل: ٤٤]، وذم الله -جلَّ وعلا-

الذين إذا ﴿جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴿ [النساء: ٨٣]؛ يعني أهل العلم ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَا تَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ [النساء: ٨٣].

أتريد أن تكون من أتباع الشيطان؟ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ [البقرة] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ [فاطر: ٦]، ﴿أَسْتَحِذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، فالواجب تقوى الله -عزَّ وجلَّ- في السرِّ والعلانية، وأخذ العلم عن أهله، والعمل لله -عزَّ وجلَّ- وفي دينه عن بيته، والتوقّي للشائعات والشبهات، وترويح المجهولين والدجالين ومن لا يعرف في العلم، من ليس له سابقة في العلم، ولا يعرف بأنه من أهل فُتْيَا.

فكيف تُعطي قلبك؟، كيف دينك تُسلمه لإنسان لا تأمنه أنت على مائتان أو ثلاثمائة ريال؟، كيف يكون هذا؟ هذا مجهول؛ لو جاءك يطلب منك قرض ثلاثمائة ريال ما أعطته لأنك ما تعلمه ولا تطمئن أنه يرد إليك حقك، فكيف تُعطيه أعزَّ ما عندك؛ قلبك وفؤادك، وتسلمه دينك، وتأخذ دينك عن مجهول يُجرك إلى الشيطان وإلى النار؟، يقول النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

فالدين هذا أمر عظيم، وهذا أمانة، والله -عزَّ وجلَّ- أنزله من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِوَسْطِهِ مَنْ؟ بواسطة الملك الرسول الأمين ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٦٤﴾ بِلسانٍ عربيٍّ مُبِينٍ ﴿١٦٥﴾ [الشعراء]، قال: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٢٦٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا

يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُونَ ﴿٢١٢﴾ [الشعراء] وصف الله - عَزَّ وَجَلَّ - النبي ﷺ

بأنه أمين ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤].

يقولون: النبي ﷺ لو قال علينا ما لم نقل ﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾

[الحاقة]؛ العرق متصل بنياط القلب إذا قطع هلك الإنسان.

فلو قال النبي ﷺ - وحاشاه أن يقول - على الله بغير علم، كان عرضة لهذا الوعيد،

﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَلذِّكْرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

﴿[الحاقة]؛ أي القرآن العظيم.

والصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أثنى الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليهم بالعلم والإيمان، ووصفهم بالسبق

والإحسان، ووعدهم بالجنة والرضوان، وأثنى على من اتبعهم بإحسان؛ ﴿وَالسَّابِقُونَ

الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالواحد يتبع السلف الصالح، ومن كان على منهاجهم، ومن عُرف بأنه على طريقتهم

ولا يتبع الغاوين، لا يتبع الدجالين، لا يتبع الضالين.

فالأمر خطير وكبير يا اخوتي، فلذلك ينبغي الحذر من هذا الوضع، والتحذير منه،

والحيطة، وأن الإنسان يحتاط بنفسه، لا يكون الله تعالى خصمك يوم القيامة، أو يكون

الرسول ﷺ خصمك إلى الله - جَلَّ وَعَلَا -، لأنك حدثت عنه ما لم يقل، ونسبت إلى دينه ما

لم يأت به ويكون عباد الله تعالى يوم القيامة خصمائك.

يقولون: هؤلاء أضلونا عن السبيل، تكون من المضلين من الضالين المضلين؛ نسأل الله

السلام والعافية.

وفقني الله وإياكم للعلم النافع، والعمل الصالح، وتاب علينا من القبائح، وجعلنا من أهل
المتجر الرابع والله أعلم.
وصلى الله وسلم وبارك عن نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه.



شرح جميل ومختصر

لقوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ

عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه.

أما بعد :

فقد قال الله - **جَلَّ وَعَلَا** - ﴿ **يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ**

مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ففي هذه الآية الكريمة خطاب رباني لأهل

الإيمان بالصفة المحببة لديهم صفة الإيمان ﴿ **يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا** ﴾ يا عموم المؤمنين، يا من

آمتتم بالله ورسوله، يا من آمتتم بقاء الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - والوقوف بين يديه، يا من ترجون ثواب

الله - **جَلَّ وَعَلَا** - وتخشون عقابه، يا من تؤمنون بأنه - تعالى - يجزي الذين أسأؤوا بما

عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، يقول ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : «إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى،

يَقُولُ : ﴿ **يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا** ﴾ فَأَرْعَهَا سَمْعَكَ يَعْنِي فَأَصْغِي إِلَيْهَا اسْتَمِعْ مَا يُقَالُ لَكَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ

تؤمر به، أَوْ شَرٌّ تَنْهَى عَنْهُ، أَوْ خَيْرٌ تَنْتَفِعُ بِهِ»، ولا أحد أنصح للعباد من الله - **جَلَّ وَعَلَا** -

اللطيف الخبير.

وشأن المؤمنين أن يقولوا: سمعنا وأطعنا، فالمؤمن يقابل خطاب الله - **جَلَّ وَعَلَا** -

بالتسليم والقبول والإذعان والامتثال، لما أمر بفعل أن يفعله، ولما أمر بترك أن يتركه أو

ينتهي عنه.

﴿ **يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ أي فرض عليكم الصيام،

كُتِبَ يَعْنِي فُرُضَ، فهو من الشرائع الدينية والعبادات العظيمة، وهو أحد أركان الإسلام،

ومبانيه العظام، «بني الإسلام على خمس: شهادة ان لا إله إلا الله وأن مُحَمَّد رسول الله، وإقام

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج» هكذا ثبت عن النبي ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ والصَّيَامُ هو الإمساك بنية من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، الإمساك عن الطعام والشراب والشهوة، وعن بذىء الكلام، وعن مُحَرَّم الأفعال، وعن ما ينقُص الصيام ويوجب الآثام ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ يعني كتب عليكم كما كتب على الذين من قبلكم، والفائدة في هذه الجملة؛ أولاً أن يشعر المُخاطبون بأن الصَّيَامَ عبادة ضرورية للإنسان في الحياة، فإن الذي خلقه -جَلَّ وَعَلَا- هو الذي فرض عليه الصَّيَامَ، فالدالُّ على أن لا بد له من الصَّيَامَ لمصلحته في الدنيا والآخرة، ففي الصَّيَامَ فوائد صحيَّة، وفي الصَّيَامَ فوائد أخلاقية، وفي الصَّيَامَ فوائد دينية، وفي الصَّيَامَ فوائد أخروية، والله -جَلَّ وَعَلَا- هو الذي خلق، فإذا فهو يعلم من خلق، ويعلم ما يُصلحه، وما شرع الله -جَلَّ وَعَلَا- الشرائع إلا لتحسين المصالح وتكميلها، ودَرْءَ المفاسد وتعطيلها، فالصَّيَامَ من المصالح العظيم للناس المُكلفين به تُحفظ الصحة، وبه يُنشط على الطاعة، وبه يتحقَّق الإحسان، وبه يُدخِر الأجر في الآخرة إلى غير ذلك.

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ فلما صار الصَّيَامَ ضرورياً للناس، جعلها الله -جَلَّ وَعَلَا- شريعة للأُمَّم السابقة، وأقرب الأُمَّم إلينا اليهود والنصارى، الأول اليهود ثم النصارى، فدل على العبد لا ينفك عن الصَّيَامَ لا بد أن يصوم من السنة أياماً يحصل فيها على خيري الدنيا والآخرة.

وفي نفس الصيغة ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ تطيب لخواطر الناس حتى لا يشعروا بالمشقة والتعب، فالصَّيَامَ عمل به من قبلكم فإذا المشقة فيه مُعتادة، ما هي خطيرة ولا هي ضارَّة، المشقة مُعتادة، مثل ما إن الناس يباشرون أعمالهم، ويطلبون أرزاقهم ما من مشقة، ما في أحد يعمل بعمل مُريح، لكن لأن فيه فائدة، فلذلك يتحمَّلون الناس المشقة المُعتادة من أجلِّ المصالح، فالصوم فيه مصالح في الدنيا والآخرة، فإذا هو في طوق المُكلفين،

ما هو بشاق على الناس عادي ولذلك الناس يصومون لحفظ الصحة الآن يلتزمون بحُمية من أجل الصحة، فكيف إن كان رضوان الله - **جَلَّ وَعَلَا**-؟، فكيف إذا كان الصيام من أسباب دخول الجنة من باب الريان، الذي يُذهب العطش؟، فكيف إذا كان الصيام زينة العمل للعرض على الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -؟، فكيف إذا كان الصيام سبب في البركة والارزاق والأعمال؟، فكيف إذا كان العمل مع الصيام يُضاعف، والثواب يُضاعف، والخطايا تُكفر، والرقاب تُعتق من النار؟، إذا هذه مسألة مهمة جدًا.

﴿ **كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٣] ؛ يعني الحكمة من تشريع الصيام وكتابه عليكم أن تحصلوا التقوى وتتصفوا بالتقوى، لأن الإنسان إذا صام اتقى أسباب الإفطار، لا يأكل لا يشرب، لا يُجامع أهله، لا يتكلم بالكلام البذيء؛ « **لم يدع كلام الزور ولا العمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»، فيتعود الإنسان أن يتقي ما يضره في العاجل والآجل فيتقى المعاصي والآثام والفضول التي تؤدي إلى الحرام، فالحكمة من تشريع الصيام أن يتصف الشخص بالتقوى لأجل أن يكون حبيبًا إلى الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، فإن الله يحب المتقين، ولأجل أن ينصره الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، ﴿ **وَإِنْ تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، لأجل أن يُيسر الله أمره، ويوسع رزقه؛ ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا** ٢ ﴿٢﴾ **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق] ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٤] ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** ﴾ [الطلاق]، لأجل أن يعلمه الله ما ينفعه في عاجل أمره وآجله ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ لأجل أن يجعل الله لك فرقانًا تفرق به بين الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال،

والرشد والغي ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

فإذا شرع الصوم وكتب علينا من أجل أن نتصف بواسطته بالتقوى، فنكون من خاصة أولياء الله وأحابه ﴿الآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ [يونس: ٦٣]، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١]؛ فهذه حكمة عظيمة وغاية سامية، أنه من الصوم تتحقق التقوى، والجنة - نسال الله الجنة - لا يدخلها إلا تقى، والنار - أعادنا الله وإياكم من النار - لا يدخلها إلا شقى، فمن أتقى فقد جانب الشقاء، ومن شقى فقد جانب التقى، فإذن فهذه حكمة عظيمة أن تتصف بالتقوى لأجل أن يورثك الله الجنة، وينجيك من النار؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَاتَقَوْا وَنَذَرْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جَحِيمًا﴾ [مريم: ٧٢]؛ يعني النار، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]، فإذا كنت تريد الجنة فعليك بالصوم، وإن أبيت فإنك تأخذ مسلك النار، فهكذا جعل الله الحكمة واضحة وجليّة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذه الحكمة، فعلل (للتعليل)؛ لأجل أن تتحقق التقوى بالصوم منكم، لأجل أن تتصفوا بالتقوى، لأجل أن تنالوا المغفرة، والصائمين والصائمات في الآية لقوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فإذا الأمر ميسر وسهل، فالله - جَلَّ وَعَلَا - خاطبنا بصفة الإيمان، والصوم من أعمال أهل الإيمان، وشرع لنا الصيام بما فيه من الفوائد العظيمة العاجلة والآجلة، ومشروعاً لمن قبلنا، مجرب مدرك فوائده وثمراته في الدنيا قبل الآخرة، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَآ يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦]، والحكمة من ذلك التقوى ومن التقوى أن تتقي المرض

بالصوم، فتتوقى كل ما يضرّك، حسّاً أو معنى، عاجلاً أو آجلاً، فالصوم تقوى، ومن لا يصوم ليس بتقيٍّ مع القدرة، فلذلك الإنسان يقبل فريضة الصوم وشريعته بصدر رحب، وانشراح نفس وطيب قلب وطمأنينة نفس، يرجو ذخرها عند الله - **جَلَّ وَعَلَا** - ويرجو حسن عقباها في عاجل أمره وآجله.

وفقني الله وإياكم لما يُحبّه ويرضاه، وجعلنا هدّاة مهتدين والله أعلم.
وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه.



عِظَمُ شَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
وَبَيَانُ بَعْضِ مِنْ فَضَائِلِهَا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن ليلة القدر - جعلنا الله جميعاً من الفائزين فيها - هي الذخر الذي ادخره الله - عَزَّ وَجَلَّ - لهذه الأمة في هذه العشر، فإنها ليلة مباركة لا يُحيط ببركتها إلا الله - جَلَّ وَعَلَا -، ومن بركتها أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - أنزل القرآن على عبده ورسوله مُحَمَّد ﷺ وعلمه ما لم يكن يعلم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

فمن بركتها نبوة النبي ﷺ فيها، ومن بركتها إنزال القرآن العظيم فيها، إنزاله جُملةً من عند الله - جَلَّ وَعَلَا - مكتوباً إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وإنزاله مُفرقاً على النبي ﷺ ابتداءً من قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وإلى آخر آية نزلت على النبي ﷺ قبل وفاته، فنزل مُفرقاً منجماً حسب الحوادث، والاستفتاءات، والنوازل، والحاجة، فكلما نزلت نازلة أو بدت حاجة، أو ورد سؤال عن النبي ﷺ استفتاءً، أنزل الله - جَلَّ وَعَلَا - جواباً على ذلك، كما قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّمَتَّى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال سبحانه:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩] وهكذا .

وما يرد عن النبي ﷺ أمر إلا ونزل جوابه من الله - **جَلَّ وَعَلَا** - فيخبر به النبي ﷺ الناس، فنزل مفرقا طيلة ثلاث وعشرين سنة، وآخر ما نزل في بيان تمام الدين وكمال التشريع وتمام النعمة به قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣] نزلت عشية عرفة في السنة العاشرة من الهجرة، وقوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فهذه قيل عنها أنها آخر ما نزل على النبي ﷺ من القرآن، ما بينها وبين وفاة النبي ﷺ إلا ثلاثة وثمانون يوما، فهذه من بركات ليلة القدر.

والله - **عَزَّ وَجَلَّ** - قال عن القرآن العظيم هذا: ﴿ **كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا** ﴾ [ص: ٢٩]، نبه على أن القرآن مبارك، والرسول ﷺ مبارك، كما قال سبحانه: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس: ٥٨]، ففضل الله القرآن العظيم ورحمته الرسول الكريم ﷺ فإنه الرحمة المهداة، فهذه من خصائص ليلة القدر، نزول القرآن فيها وكونها ليلة مباركة بركاتها كثيرة، وخيراتها وفيرة، لا يحيط بها إلا الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، قال سبحانه: ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [الدخان: ٤].

فهذا تنبيه على خصوصية ليلة القدر أيضا، وأنه يفرق فيها كل أمر حكيم، أي كل أمر مُحْكَم من شرع الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - وقدره، ومن جزائه، والمعنى أنه يفصل من اللوح المحفوظ؛ كتاب الذكر السابق العام، فيفصل من اللوح المحفوظ ما يتعلق بهذه السنة من تلك الليلة إلى مثلها من عام قابل، فيكون له كتاب خاص به، وإذا كان ذلك كذلك فإن

الدعاء له أثره هنا؛ لقوله ﷺ: «الدعاء والبلاء يعتلجان بين السماء والأرض، فيغلب الدعاء البلاء».

والله -جَلَّ وَعَلَا- جعل من قدره ترتيب المسببات على أسبابها، فكما أن قدر الجوع يُدفع بقدر الشبع، وقدر العطش يُدفع بقدر الرّي، وقدر المرض يُدفع بقدر العلاج بالأدوية، وقدر الجهل يُدفع بقدر التعلم، فهكذا المقادير؛ مقادير البلاء والفتنة والشرّ، تُدفع بمقادير الدعاء، بأقدار الدعاء، فإن الدعاء يغلب البلاء، وأن الله -جَلَّ وَعَلَا- يمحّو ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب، ومن دعاء عمّر رضي الله عنه: «اللهم إن كان اسمي عندك في الأشقياء، فأمحّه وأكتبهم في السعداء، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أمّ الكتاب».

فالدعاء في ليلة القدر له أثره العظيم، ولذلك الإنسان يُكثر من الدعاء في ليلة القدر، والإنسان يجمع في الدعاء ما بين الثناء على الله -عَزَّ وَجَلَّ- بما هو أهله من صفات العظمة والجلال والجمال والكمال، وتنزيهه الله -جَلَّ وَعَلَا- عن النقائص والعيوب وغير ذلك.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦﴾ [الدخان]، وهذا فيه تنبيه على أن ليلة القدر ليلة رحمة، وأعظم الرحمة أن يُنجيك الله من العذاب، وأن يجعلك من أهل كريم الثواب - جعلنا الله وإياكم كذلك -، فهذه جملة من خصائص ليلة القدر، وقال الله -جَلَّ وَعَلَا- في الآيات الأخر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٢﴾ فهذا الاستفهام من أجل التنويه وبيان عظمة شأن هذه الليلة، وأنها ليلة عظيمة، لا يقادر قدرها ولا يُحيط بها وما فيها من الخير للعباد إلا الله -جَلَّ وَعَلَا-، ففي هذا التفخيم في السياق دليل على فخامتها وعظمتها وجلالتها وأنها ذخر لهذه الأمة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾

ثم بين ليلة القدر، بين شأن هذه الليلة ، فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ، ومناسبة هذا البيان أن النبي ﷺ ربما ذكر الأنبياء قبلها - عليهم الصلاة والسلام - وطول أعمارهم وطول ما امضوا من أعمالهم في الدعوة إلى الله، ومن أمثلة ذلك نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لبث في قومه يدعوهم إلى الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - ألف سنة إلا خمسين عامًا تسعمائة وخمسين سنة، وهذا عمر طويل مديد في المجاهدة، وهذا ابتلاء عظيم نجح فيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولهذا ذكره الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - من أمثلة الابتلاء والبلاء العظيم، كما في سورة العنكبوت ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت] ، وذكر من ضمن ذلك دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوة نوح، فنوح أخبر الله عنه أنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ، ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ﴾ [العنكبوت] ، ثم ذكر قصة إبراهيم.

فكان النبي ﷺ تقال عمره بالنسبة لعمر الأنبياء قبله، وهذا واضح، فإذا كان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أقضى تسعمائة وخمسين سنة في الدعوة الأنبياء، وهذا واضح فإذا كان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أمضى تسعمائة وخمسين سنة في الدعوة إلى الله صابراً محتسباً، مناضلاً ومجادلاً من كل ما أوتي من قوة ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح] ، فهذا أمرٌ عجيبٌ وجهدٌ عظيمٌ وعملٌ كبيرٌ، والنبي ﷺ أمضى ثلاثاً وعشرين سنة في دعوة قومه، فأجاب الله نبيه ﷺ بأن الله أعطاه وأعطى أمته ليلة القدر التي العمل فيها خيرٌ من العمل في ألف شهر في ثلاثة وثمانين سنة وثلث.

فإذا أدرك من ليال القدر كل سنة مثلاً عشرين، ثلاثين في ثلاثة وثمانين يكون قد بلغ أكثر ما بلغ نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في دعوة قومه، وهذه تسليّة للنبي **ﷺ** وتسليّة لهذه الأمة، فإن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أيضاً جاء لهم نفس الموقف، ذكر لهم أن: رجلاً حمل السلاح يُجاهد في سبيل الله تعالى ألف سنة، فقالوا: أين أعمارنا من هذا؟ فأعمارنا بين الستين والسبعين، فكيف نجاهد ألف سنة؟ ما عندنا وقت نجاهد ألف سنة، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ ففيه تنبيه على خصيصة من خصائص ليلة القدر وهي بركة العمل فيها، وعظم ثمرته، وكرم الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - عليه، وأنه فيه هذه الليلة يُعادل ثلاث وثمانين سنة وزيادة، وأن الله تعالى تفضل على هذه الأمة لما جرى قدره بقصر أعمارها عوضه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بمضاعفة الثواب، ومضاعفة العمل فضلاً من الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، ولذلك جاء عن النبي **ﷺ** «**أن من قبلنا - لليهود - كمن عمل من أول النهار إلى الظهر، فوفى عمله فأعطي أجره، والنصارى كمن عمل من الظهر للعصر، فوفى عمله فأعطي أجره، وهذه الأمة كمن عمل من العصر لغروب الشمس فوفى عمله فأعطي أجره ومثل أجر صاحبيه**».

فهذا بيان لفضل الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - في هذه الليلة، فالدعاء في هذه الليلة يعدل الدعاء في ثلاث وثمانين سنة، والذكر يعدل الذكر في ثلاث وثمانين سنة، وهكذا الصلاة وأنواع العمل الصالح.

﴿**نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾ [القدر: ٤]؛ هذا فيه تنبيه أيضاً على خصيصة من خصائص ليلة القدر، وأنه الإنسان يُصيب من هذا الخير، فالملائكة تنزل بالخير، وهم في الأرض أكثر لا أكثر لا يُحصيهم إلا الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، ﴿**الْمَلَكُ وَالرُّوحُ**﴾ [القدر: ٤]؛ جبرائيل - **عليه السلام** - رئيس الملائكة، فإذا يُصيب المسلم من هذا الخير تُخالطه الملائكة في الأرض، وتكثر في الأرض في تلك الليلة، تنزل بالبركات والخيرات

والبشارات لهذا الأمة، تنزل في الحفظ والأمان والتأمين، ولهذا اشتهر عن ليلة القدر أنها ليلة وادعة، هادئة، ساكنة، مطمئنة، معتدلة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

فدل ذلك على شرف الليلة، ومن ذلك قوله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه»، وقوله ﷺ قبل ذلك: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»؛ فقارن «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»، أي قام تسع وعشرين ليلة أو ثلاثين ليلة غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، فالليلة تُقابل ثلاثين ليلة، فإذا كانت الليلة تقابل ثلاثين ليلة فاضرب ثلاثين ليلة من ليلة القدر إذا كتبها الله للمسلم، كم يكون له من الخير؟ وانظر هذا يُغفر لك في ليلة القدر مثل ما يُغفر من أول الشهر إلى آخره، قد جاء في الحديث الشريف: «أن الله يُعتق في آخر ليلة من رمضان مثل ما أعتق من أوله إلى آخره»، وكل ليلة لله -عَزَّ وَجَلَّ- عتقاء من النار لا يعلمهم إلا الله.

فهذه فضيلة لليلة القدر، وأن قيامها يعدل قيام الشهر، وأنه من أعظم أسبابها مغفرة الذنوب وهكذا، فلذلك ينبغي الإنسان أن يعتني بتحري ليلة القدر، وأن لا يفرط فيها، وأن يحفظ وقتها، فيكون بين ذكرٍ ودعاء وتلاوة قرآن وصلاة وبرٍّ وإحسان وخير، وتذكر الآلاء الله ونعمه، وتذكر لمعاني أسمائه وصفاته، وأفعاله وآثار ذلك في الأنفس والآفاق حتى يزداد فقهاً، فإن الله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائةً إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، من أحصاها أي: علم عددها وعرف معانيها وأثنى على الله تعالى بها، وسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- بها، ونزّهه عن النقائص والعيوب ومشابهة الخلق في شيءٍ منها، فهذا كله يدل على فضل الله -عَزَّ وَجَلَّ- على عباده، وأن هذه الليلة ينبغي ألا تفوت الإنسان.

ومن نعم الله -عَزَّ وَجَلَّ- على العباد أن الله تعالى أخفى هذه الليلة، فهي قطعاً في العشر الأواخر من رمضان، أي ليلة؟ الله أعلم.

والراجح أنها تنتقل، فتكون في سنة ثلاثة والعشرين، وفي أخرى أربعة وعشرين، وفي سنة سبعة وعشرين، وفي سنة رابعة تسعة وعشرين وهكذا.

ومن الحكمة في هذا أن الإنسان له على ربه ما احتسب، فإذا قام أي ليلة من ليال العشر مُحْتَسِباً أنها ليلة القدر، يُعْطِيهِ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- ثواب من قام ليلة القدر، فإذا قام تسع ليالٍ أو عشر ليالٍ يُعْطِيهِ اللهُ ثواب عشر ليالٍ من ليلة القدر، هذا من فضل الله على عباده، ومن نعمته ورحمته، وأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- خبأ لهم الخير في هذه العشر.

ولذا كان ﷺ يعتكف هذه الليالي يُقيم في المسجد ما يخرج من المسجد إلا لصلاة العيد ابتداءً من ليلة إحدى وعشرين، وهذا معناه الحرص والملازمة، والإلحاح على الله -عَزَّ وَجَلَّ- بطلب التوفيق لها، وأن ينال العبد بركتها، وأن يُحْصِلَ خيرها وبرها.

فهذا كله ينبغي للإنسان إن تيسر له الاعتكاف فبالاعتكاف ما تيسر له يجعل جُلَّ وقته في المسجد حتى لو لم يعتكف، وإذا خرج من المسجد يكون متعلق القلب بالمسجد، وإذا كان في بيته أو فيه شغله يشتغل بعبادة الله وذكره وهكذا.

وفقني الله وإياكم بإدراك ليلة القدر، وجعلنا فائزين فيها بعظيم الأجر، وكريم الذخر، ونجّانا من النار، وأدخلنا الجنة مع الأخيار، والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه.



شرح حديث:
«فاسْتَكْثِرُوا مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ»

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن من إرشاد النبي ﷺ للأمة في رمضان قوله ﷺ: «**فاسْتَكْثِرُوا فِيهِ** يعني في رمضان **مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ، خَصَلْتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصَلْتَانِ لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الْخَصَلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَسْتَغْفِرُ وَنَهُ، وَأَمَّا اللَّتَانِ الَّتِي لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ**»؛ ففي الحديث العظيم يُوصِي النبي ﷺ الأمة بهذه الخصال التي هي ثناء على الله - **جَلَّ وَعَلَا** - والدعاء سؤال له لحاجات الدنيا والآخرة لأن رمضان في نهاره وليله وقت إجابة.

ولذلك أخبر النبي ﷺ أن من أصناف الناس الذين لا تُردّ دعوتهم؛ الصائم حين يُفطر، وجاءت الأحاديث الأخرى بأن الصائم مُستجابٌ دعائه في سائر الوقت في الليل والنهار، ولا سيما في رمضان فإن من خصائصه أن الله - **جَلَّ وَعَلَا** - يستجيب الدعاء، وهذا يدل على شرف زمانه، وعلى عِظَمِ الْمَنْحِ التي جعلها الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - فيه لهذه الأمة، فيغتنم الإنسان هذه الوقت كله ليله ونهاره في صالح العمل، ومن ذلك: الدعاء والضراعة إلى الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -.

«**فاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ، خَصَلْتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ تَعَالَى**»؛ يعني من أسباب

رضا الله - **جَلَّ وَعَلَا** - عنكم، وما هما؟

قال: «**فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»؛ أي تكثرون من قول كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وإذا

قلت: أشهد أن لا إله إلا الله فهو أبلغ، مثل ما هو في التشهد في الصلاة، فيكثر الإنسان من

قول: لا إله إلا الله، لأن هذه الكلمة هي كلمة التقوى، ولأنها العروة الوثقى التي من

استمسك بها نجا، ولأنها مفتاح الجنة، فمفتاح الجنة لا إله إلا الله، ولأنها أثقل ما يُوضع في الميزان يوم القيامة فإنها كلمة واحدة، أو صحيفة أو بطاقة مكتوبة فيها هذه الكلمة قالها العبد في الدنيا، تزن تسعة وتسعين سجلاً من السيئات فتكون سبباً فني محو السيئات هذه، وخفتها في الميزان، فدل على عظم شأن هذه الكلمة.

ولذلك لما قال موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال الله تعالى له: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، وأنا أريد أن تُخصني بشيء، قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع وعامرهن في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله» فكلمة تُرجح بالسموات والأرض وعامرهن غير الله - **جلّ وعلا** - لها شأنها في الميزان يوم القيامة.

فلذلك يُكثر الإنسان منها لأنها كلمة عظيمة، ويروى أن نوحاً **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أوصى بها ابنه، فقال له: «**قل لا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو كانت حلقة، لقصمتهن**» لا إله إلا الله يعني من قوتها، والمعنى كيف لا تفصم وتمحو السيئات.

فهي كلمة عظيمة، ولذا جاء في الحديث: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**»، فهي أول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فمن قالها في حال سعته ورخاءه، سهل عليه يقولها في حال كربه وشدته وبلاءه، ولن يمرّ بالعبد شدة أعظم من الشدة عند النزاع الموت؛ نسأل الله حسن الخاتمة، فإذا تعود الإنسان على هذه الكلمة في الحياة، سهل أن يقولها عند النزاع وعند فراق الدنيا، وختم له بها، فكان من الناجين من النار والداخلين للجنة، فإنه جاء في الصحيح عن النبي **ﷺ**: «**إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**».

فلذلك النبي ﷺ أرشد بأننا نكثر من قول هذه الكلمة في سائر الأوقات لعظم شأنها، ولمحبة الله -عز وجل- لها، ولذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي في يوم عرفة؛ لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، فهي كلمة عظيمة، ينبغي للإنسان أن يجعلها ديدنةً له يقولها في جميع أحواله حتى يكون من فرط تعلقه بها أن يقولها وهو في النوم، يسهل عليه ويعتادها اللسان حتى يقولها وهو في النوم أحياناً يهذي بها، وهذا هو أحسن شيء لأن الإنسان إذا كان في مرض الموت وعند النزح؛ يتذكرها ويقولها، وتسهل عليه ترددها، والإكثار منها، ولما كانت هذه الكلمة العظيمة كلمة الإخلاص جعل الله -جل وعلا- من حكمته أن حروفها كلها جوفية في جوف الفم، ما تحتاج أن الإنسان يحرك شفثيه بها، يقولها ألف مرة في المجلس لا يشعر به أحد، فهي خصوصية هذه الكلمة.

فإذا يكثر منها الصائم في رمضان حتى يتعود عليها لأن الله -جل وعلا- جعل رمضان بما فيه من الخصائص، ومن الأعمال الصالحة، ومضاعفة العمل، ومضاعفة الثواب، جعلها الله -عز وجل- بمثابة الدورة العملية المكثفة التي يعتاد فيها المرء الخير حتى تبقى معه طول السنة، فإذا فتر ووهن عزمه جاء رمضان الثاني فجدد نشاطه هذا من حكمة الله -عز وجل-.

فإذا يكثر الإنسان يقول: لا إله إلا الله؛ فإنها غسيل للقلب تُشفيه من أمراضه وأدوائه وتُشفيه من القسوة وترققه، وتُصفيه وتجعله يبصر الأمور على حقائقها، وتنشط الهمة في الطاعة، وهي حرز من الشيطان، ألا ترون أن: «من قال حين يُصبح وحين يُمسي «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» مائة مرة، كُتب له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له عدل عتق عشر رقاب، وكانت حرزاً له من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي حصناً حصيناً من الشيطان، ولم يأت أحد بأفضل ممن جاء به إلا من قال أكثر منه».

فيتعوذ الإنسان أن يقولها: « لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، وأحياناً: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »، وأحياناً: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويميت، وهو حي لا يموت وبيده الخير وهو على كل شيء قدير »، وأحياناً: « أشهد ان لا إله إلا الله، أشهد ان لا إله إلا الله، أشهد ان لا إله إلا الله، أشهد ان لا إله إلا الله، يتعوذ عليها حتى يوفق يقولها، فإنه عرف بالتجربة أن الذين تعوّدوا يقولونها ويرفعون الإصبع فيها أنه عند النزاع يقولها ويرفع أصبعه حتى أنه تقبض روحه ويجف جسمه ويبيس، وتبقى الإصبع مرفوعة حتى تشغل الناس عند التكفين، ما تنشي، وهذا من فضل الله على العباد لأن من مات عليها يُبعث عليها ويسهل عليه.

فهذه الكلمة الأولى: «شهادة أن لا إله إلا الله».

الثانية قال ﷺ: «**وَتَسْتَغْفِرُ وَنَهٌ**»؛ أي تقول: «أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله»، تقول: «أستغفر الله وأتوب إليه»، تقول: «رب اغفر لي وتب عليّ إنك التواب الغفور»، تقول: «أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم من كل ذنب وأتوب إليه»، فتقول صيغ الاستغفار؛ تقول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» هذا سيد الاستغفار، أجمع وأكمل وأحسن وأجمل كلمة في الاستغفار من قالها موقناً بها حين يُصبح فمات من يومه؛ دخل الجنة، ومن قالها موقناً بها حين يُمسي فمات من ليلته؛ دخل الجنة، فهذه ضمانه للجنة، فيتعوذ الإنسان على الاستغفار أنه يُكثر من الاستغفار؛ وفي الحديث: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً**»، في الحديث الآخر أن الشيطان يقول فيه: «**أهلك بني آدم بالذنوب فأهلكوني بالاستغفار**»، وفي الحديث الثالث أن الله تعالى يقول للشيطان: «**وعزتي وجلالي لأغفرن لهم ما استغفروني**».

وفي التنزيل الحكيم بين الله - **جَلَّ وَعَلَا** - أن الاستغفار ما دُعيت إليه الأمم كلها، فكل رسول يقول لقومه: ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** ﴾ [هود: ٣]، اقرؤوا سورة هود، ففيها خطاب الأمم ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** ﴾ [هود: ٣]، وفيها بيان ثمرات الاستغفار، فمن ثمرات الاستغفار ما جاء في أول سورة هود: ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنَعَكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ [هود: ٣]؛ أي بقواكم، وأسماعكم، وأبصاركم، وأهليكم، وأولادكم، ونعمه عليكم ﴿ **إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ فهذه فائدة ﴿ **وَيُوتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ** ﴾ [هود: ٣]؛ أي يزيدكم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** من فضله.

والثالثة أنه منجاة من العقوبات؛ ﴿ **وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ** ﴾ [هود: ٣]، وفي قصة هود **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قال: ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ** ﴾ [هود: ٥٢]؛ فدل الاستغفار على أن الله يغفر للعبد به، ويرزقه، يرزق المجتمع المطر، ويرزق المجتمع ما يُثمره المطر؛ من النبات والثمرات والري وغير ذلك.

وفي الآية الأخرى ﴿ **فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ** ﴾ [هود: ٦١]، أي يدنو الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - من المُستغفر ويُجيب دعائه، ويقصي حاجاته، ويُلبّي طلبته، ويدفع عنه النقمة ﴿ **قَرِيبٌ مُّجِيبٌ** ﴾، إذا أكثر من الاستغفار فدعوت الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - أجابك، للحديث: «**تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ**»، وقال الله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ** ﴾ (١٤٣) **لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** (١٤٤) **فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ** (١٤٥) ﴾ [الصافات: ١٤٥]؛ فالاستغفار له فوائد عظيمة، ومن ذلك قول شعيب **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ﴿ **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا**

إِلَيْهِ^ع إِنَّ رَبِّي رَجِيمٌ وَدُودٌ ﴿ [هود: ٩٠]، يعني يرحمكم ويؤدكم ، هذه كلها من ثمرات الاستغفار، يرحمكم؛ وإذا رحمكم صَرَفَ عنكم العقوبة وأسبغ عليكم النعمة، وثبتكم على الملة، وودكم، وأحبكم، وجعل لكم وداً في صدور عباده وصالحي خلقه فهذه من ثمرات الاستغفار.

قال صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]، فالاستغفار من أسباب الرحمة، وصرف العقوبة، وقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾؛ يعني يغفر لكم، ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ بالغيث المبارك، ﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ يزيدكم رزقاً ويعطيكم ولداً صالحاً، ذريةً صالحةً، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَدًا﴾ بساتين مثمرة، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ جارية مطردة.

ولذا ذكر أن أشخاصاً توالوا، تعاقبوا على الحسن البصري رَحْمَةً اللَّهِ يستفتونه كل واحد يشكي إليه مشكلة، فأحد منهم شكى أنه فقير، عيشته ضيقة، فقال له: استغفر الله، إذا أردت أن يوسع الله إليك في عيشتك؛ فاستغفر الله، فلما خرج جاءه آخر فدخل، وقال: أنه لا يولد له، متزوج ولا يولد له، فقال له: استغفر الله، فأخذه منه وخرج، فدخل ثالث وقال له: إن بستانه لا يثمر عنده شجر ولا يثمر، فقال له: استغفر الله، فخرج من عنده، فدخل الرابع فقال: إن مزرعته ما فيها ماء، فيها قلة في الماء، فقال له: استغفر الله، وهو في حلقة في مجلسه، مجلس العلم، فتعجبوا من هذه الأسئلة المتباينة المختلفة، والجواب واحد التوجيه واحد، فراجعوه: كيف كل واحد له مشكلة، وجوابك واحد؟ قال: ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح؛ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ

وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَدًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٢] وهذا من فقهه رَحْمَةً اللَّهِ ، والحسن البصري من خواص وعظماء التابعين حتى أن الذين شاهدوه، يقولون: إذا شاهدته حسبته

نبياً يتكلم، من غزارة العلم، وكثرة الخشية، والفصاحة والبلاغة، وهو تربى في بيت النبي ﷺ تربى عند أم سلمة، ويقال أن أم سلمة أرضعته، فلذلك صار له خصوصية، وكان آية من آيات الله في الجمال، والنظافة وكمال الخلق، والعلم وسعة الصدر، والكرم والزهد، والعبادة والذكر، والفصاحة والبلاغة، وهذا من فقهه، هذا شيء يسير من فقهه **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

وكم في القرآن العظيم من آية تُبين ثمرة الاستغفار، وحسن عواقبه على أهله؟، فلذلك النبي ﷺ لما أرشد الاستغفار، أرشد إلى جَماع الخير لماذا؟، لأن الاستغفار يتضمن اعتراف العبد بالخطيئة في حق الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، أنه مهما أحسن فهو مُقَصَّر وعاجز، ويتضمن كذلك الإلحاح والضراعة من العبد على ربه - **جَلَّ وَعَلَا** - أن يغفر له، ومعنى أن يغفر له وش معنى يغفر له؟ أن يستره وأن يصرف عنه العقوبة المترتبة على الذنب، والذنوب كثيرة؛ لو كان للذنوب روائح، ما جلس أحدٌ إلى جنب من نثن الذنوب، لكن الله ستر رحمة الله بنا أن الخطايا لا تفوح.

فلذلك العبد يعترف بالذنب، الخطيئة في حق الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، ويطلب ربه أن يغفر له، أن يستره؛ مأخوذة من المغفر، الذي يلبسه العسكر على رؤوسهم، يقي الرؤوس من الشمس والضربات في الحرب وغير ذلك، فهو ستر، فالله - **جَلَّ وَعَلَا** - إذا غفر للعبد أول شيء يمحو عنه الخطيئة، يعفو عنه، وثاني شيء هو أن يصرف عنه العقوبة، لأنه ما من ذنب صغر أو كبير إلا وله عقوبة؛ ﴿ **مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِ بِهِ** ﴾ [النساء: ١٢٣]، قد تكون العقوبة يسيرة، وقد تكون كبيرة فمن العقوبة؛ ضيق الصدر، ومن العقوبة الهَم، ومن العقوبة ضيق المعيشة، إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يُصيبه، ومن العقوبة الحد؛ قطع يد السارق، وجلد الزاني البكر، ورجم الزاني المُحصن، وغير ذلك من العقوبات الشرعية، وقد تكون العقوبات مُهلكة؛ أن الله يقصم عُمر الإنسان بحادثة، أو احتراق، أو غرق أو يقع عليه شيء يهلكه إلى غير ذلك،

فإذا طلب العبد من الله المغفرة معناه أنه يطلب منه العفو، ويطلب منه الستر من الفضيحة في الدنيا إنه ما يُشتهر خزيه ويذكر بسوء أعماله ويعير، ومن ذلك أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يصرف عنه العقوبة سواءً كانت حدية شرعية في الدنيا؛ كالرجم والجلد والقصاص والقتل أو غير ذلك، أو تكون قدرية؛ كالهَمِّ والحَزَن، وعسر المعيشة وغير ذلك، والعقوبة في القبر والعقوبة في الآخرة.

يقول: «يا ربُّ أنا أعترف أنني عصيتك، وأنا ظالمٌ لنفسي، ومُقصرٌ في حقك، معترفٌ بذنبي، فاغفر لي امحو عني تجاوز عني بعفوك، مهما عظمت ذنوبي فإن عفوك أوسع»، والله -عَزَّ وَجَلَّ- من صفته أنه لا يتعاضمه ذنبٌ أن يغفره مهما كثر، ومهما كبر، ومهما عظم، ولذلك في الحديث القدسي؛ أن الله تعالى يقول: «يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»، يقول: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي»، ولذلك كان النبي ﷺ عند نومه يستغفر الله ثلاثاً يقول: «أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» ثلاث مرات، ويُخبر أن من قال ذلك يعني من قلبه، غُفرت ذنوبه وإن كانت عدد القطر، عدد نقط المطر، عدد الرمل، وإن كان فر من الزحف.

فإذا يُكثر الإنسان من الاستغفار، وخصوصاً دبر العبادات في نهاية العبادات ولذلك إذا صلينا أول شيء نقول بعد السلام: «أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله»، يقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، فم شروع الاستغفار في نهاية كل شيء، ومن ذلك الاستغفار بعد العباداة وبعد الصلاة. كان ﷺ إذا صَلَّى الضُّحَى؛ نافلة ركعتين، يقول بعدها: «ربِّ اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التَّوَّابُ الْغَفُورُ» مائة مرة، ويقول حين يُصبح كذلك ما بين السبعين إلى مئة مرة، ويُعدُّ له في كل مجلس؛ يقول: «ربِّ اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التَّوَّابُ الْغَفُورُ»، ومن ذلك أنه

أخبر ﷺ أن صحيفة العمل تطوى؛ صحيفة الليل تطوى قبل طلوع الشمس، وصحيفة النهار تطوى قبل غروب الشمس فإذا استغفر وإذا الصحيفة قد خُتمت بالاستغفار وفتحت بالاستغفار، فهذا من المواطن التي يستغفر فيها العبد، ويكثر دائماً من سؤال الله المغفرة، ويلج على الله -عز وجل- بذلك.

كذلك الخصلتان الأخريان؛ قال ﷺ: «**لا غنى بكم عنهما**»؛ أي أنتم في أمس الحاجة «**تَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ**»، «أشهد أن لا إله إلا الله، وأستغفر الله، اللهم إنا نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار»، فيكثر الإنسان من قول: «اللهم إني أسألك الجنة، ونعوذ بك من النار» وجاء في الحديث أن: «**مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ ادْخُلْهُ إِيَّاي، وَإِذَا قَالَ: اللَّهُمَّ اسْتَجِرْ بِي، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا، قَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ اجْرِهِ مِنِّي**»، فهذا دليل على فضل الدعاء هذا، وخصوصاً إذا كان عند الاستغفار وبالأسحار، وخصوصاً إذا كان في السجود، وخصوصاً إذا كان قبيل التسليم، بعد التشهد.

سأل النبي ﷺ رجلاً من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما تقول؟؛ أي قبل التسليم، قال: أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، ولكني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، فقال له ﷺ: «**حَوْلَهَا نَدْنِدِن**»، نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار في آخر الصلاة قبل التسليم.

فهكذا يتحرى العبد المواضع التي يستجاب فيها الدعاء، والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء، والمناسبات التي يستجاب فيها الدعاء، ومن ذلك أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة فيكثر من قول «اللهم إني أسألك الجنة، اللهم إني أعوذ بك من النار»، وبعد صلاة المغرب بعد التسليم؛ تقول: «اللهم إني أسألك الجنة، اللهم إني أعوذ بك من النار أو أجرني من النار» سبع مرات هذا مشروع، فهكذا الإنسان يجعل هذه الأمور على باله، ويكثر منها بينه وبين نفسه، ما هو شرط أن يسمعه أحد وإذا أسمع الناس من باب التذكير لهم حتى

يتذكروا، ويقولوا مثله، يكون له أجرٌ لأنه ذكرهم والله تعالى يقول: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعٌ** **لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وإذا رفع صوته ليقتردي به غيره، له أجرٌ لأنه دلّ على خير، فله مثل أجرٍ فاعله.

فهذه الأمور الأربعة لا بد أن الإنسان يُكثر منها « أشهد أن لا إله إلا الله، أستغفر الله، اللهم إني نسألك الجنة، اللهم إني أعوذ بك نعوذ بك من النار» في سائر الأوقات والأحوال والمناسبات، ويُعلّم أهله، علّم زوجتك، علّم ولدك، علّم بنتك، علّم أباك، علّم أمك، علّم إخوانك تعاونوا على البر والتقوى، تناهوا عن الإثم والعدوان، وهذا من النصيحة، والدين نصيحة ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ﴿ **سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى** ﴾ [الأعلى:

١٠]، ﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَدُ** ﴾ [الشورى: ٤٨] فهذه مهمّات، وهذه كلمات بسيطة، هل تدرّون الآن أن الناس يؤذّن المؤذّن للإفطار والناس بالجوّال يشتغلون بالألعاب ورسائل يقرؤونها وينسون هذا؟ هذا الخير المُدخّر عند الإفطار ما ينتبهوا له إلا القليل، بل يشتغلون بالأكل عن الذكر، فتجدهم لا يفطرون، ما يحتاجون من يذكّرهم، وهكذا الأسحار نصف الناس نائمون سهرانين طول الليل، ما يذكرون الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -.

فهذه أمور يحتاج إلى التنبه لها والحزم فيها، وأنت مسؤل، يقول النبي - **صلى الله عليه وسلم** -: « **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**»، يقول الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -: ﴿ **يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا**

أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] قال بعض السلف في التفسير: «علموهم وأدبوهم»، علّموا أهلكم وأولادكم الأحكام الشرعية وألزموهم بها، وأدبوهم على تركها والتقصير فيها، وقال عليٌّ **رضي الله عنه**: «علموا أولادكم، فإنهم خلّقوا لغير زمانكم»، فإن كان أنتم تربيتم الآن على أمور لطيفة، وأمور عفوية، قد تغيّر الوضع كما تعرفون أنتم، فكيف

مستقبل أولادكم؟ وإذا أن النبي ﷺ قال: «لأن يؤدّب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع»، والتأديب ما هو الضرب؛ أحياناً يضرب كما قال النبي ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر» شرط إذا تهاونوا، لكن التأديب يكون بالتعليم، يكون بالزجر، يكون بالتخويف والترهيب من خطر المعاصي والعقوبات، يكون بالترغيب في فضل الله -عز وجل-، ورحمته وجنته ورضاه، يكون في الهدية، تعطيه هدية حتى يقبل منك، يكون بأنك تظهر له الغضب، تهجره حتى يشعر بأنك ما توافق على ما هو عليه، وكذلك إذا أحسن؛ تشكره، ويتهلل وجهك سروراً واعتباطاً بما عمل، وتعطيه جائزة، وتضرب به المثل، وتؤكد عليه أن يجتهد في مثل هذا، فهذا كله من التأديب والتعليم.

وهذه الأمور الأربعة قلّ من الناس ما يذكرها، حطّوا في بالكم من الليلة إلى آخر الشهر في كل مجلس تجلسونه للسحر أو الاستغفار هذه أخصّ المجالس، وفي الغالب التي يجتمع عليها الناس، انظر نسبة من يقول هذه الأذكار؟ أحد ما يعرفها أصلاً، وأحد يعرفها ويتساهل بها، وأحد يعرفها وينساها، وأحد يعرفها ويريدها ويشغل عنها، وهكذا ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ

﴿ [الذاريات: ٥٥]

وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وجعلنا هداة مهتدين، والله أعلم.
وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .



الذِّكْرُ الْمُفْرَدُ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى إله وصحبه، أما بعد:

فإن ذكر الله -جَلَّ وَعَلَا-، كما تبين في الدرس الماضي الأول أنواع:

الأول: ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالقلب، واستحضار عظمة الله -جَلَّ وَعَلَا- عظمة شأنه وعِزُّ سلطانه ورقابته علي عبده وقدرته علي كل شيء ومُلكه لكل شيء وكرمه وجوده ولطفه إلي غير ذلك، بحيث يحمل ذلك الإنسان علي أن يُبادر علي طاعة الله -جَلَّ وَعَلَا- مُخلصًا، وعلي الوجه الشرعي وعلي أحسن شيء، رغبةً فيما عند الله -جَلَّ وَعَلَا- من كريم الثواب، وينكف عن المعصية مع قدرته عليها خوفًا من الله -جَلَّ وَعَلَا- وحذرًا من أليم العقاب.

والنوع الثاني: ذكرُ بدني بالأفعال.

فجميع أمور الدين ما يُشرع فعله، ففعله ذكرُ الله -جَلَّ وَعَلَا-؛ لأن الإنسان لا يفعله إلا وقد استحضر أنه من شرع الله -جَلَّ وَعَلَا-، وأن الله يحب فعله، ويثيب عليه، ويثني علي فاعله، ولا يترك شيء إلا وقد تقرر لديه أن هذا حرمه الله ومنعه، وأن الله يحب تركه، ويثيب من تركه، ويعاقب من فعله. فجميع أمور الدين العملية كلها من هذا النوع من ذكرُ الله، فالعبد لا يترك معصيةً ولا يفعل طاعةً بنيةً إلا وقد ذكَّرَ الله -جَلَّ وَعَلَا- ورجاه وأحبه وعظمه وخافه.

والنوع الثالث: الذكر اللساني.

بأن يلهج العبد بالثناء علي الله -عَزَّ وَجَلَّ- بما هو أهله؛ فيصف الله -جَلَّ وَعَلَا- بصفات الكمال ونعوت العظمة والجلال ويثني عليه بأسمائه الحسني، ويُزهره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عما لا يليق به، من مماثلة الخلق مما هو من شأنهم كالصاحبة والولد والزوجة وعن الحاجة، وعن مشابهة الخلق فيما هو من خصائصهم.

والثاني: الدعاء.

الإنسان يدعو الله -عَزَّ وَجَلَّ- يسأله لحاجة ويستعيذ به مما يحذر.

فيجمع بين الثناء والدعاء، وهذا أكمل ما يكون من أنواع الذكر اللساني القولي، وهو الذي يُراد عند إطلاق الذكر، فإذا قيل: اذكر الله، يعني اثن علي الله -جَلَّ وَعَلَا- بما هو أهله، بادر إلي طاعته، نزّهه عن النقائص والعيوب، اذكره بالجمل المأثورة عن النبي ﷺ وفيما في معناها.

وهذا الذكر اللساني أيضًا أنواع:

الأول منه: الذكر المفرد.

وهو الكلمات المفردة كأن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا حول ولا

قوة إلا بالله، أستغفر الله، توكلت على الله.

فكل هذه من جمل الذكر المشروعة التي يحبها الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهي من الباقيات الصالحات،

ومن أسباب تيسير الأمور وتفريج الكروب وحط الخطيئات ورفع الدرجات ومضاعفة الحسنات

وغيرها الجنت وبناء القصور إلي غير ذلك.

هذا يسمي الذكر المفرد، قد جاءت في السنة بتفصيل ذلك، متي تذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- الذكر المفرد

المقيد بأوقات أو بأحوال، ومثل من ذلك: ما جاء في السنة الصحيحة أن الإنسان يسبح الله -جَلَّ وَعَلَا-

ويحمده ويكبره ويهلله دبر الصلوات المكتوبات.

قد جاء ذلك عن النبي ﷺ بأن تسبح الله -عَزَّ وَجَلَّ- ثلاثًا وثلاثين، وتحمده ثلاثًا وثلاثين، وتكبره

ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسع وتسعون ثم تقول تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله

الحمد وهو علي كل شيء قدير.

وتارة -يعني حينًا آخر- تقول كل واحدة من الكلمات الأربع بالتساوي: خمسًا وعشرين، فتسبح الله

-عَزَّ وَجَلَّ- خمسًا وعشرين مرة، وتحمده خمسًا وعشرين مرة، وتكبره خمسًا وعشرين مرة، وتهلله

خمسًا وعشرين مرة.

وكذلك جاء أيضًا أنك تحمد الله -عَزَّ وَجَلَّ- وتهلله وتكبره وتسبحه كل واحدة عشرة.

وفي حديث آخر أنك تقول من الكلمات الثلاث: سبحان الله والحمد لله والله أكبر كل واحدة إحدى

عشر مرة.

وهذا يدل على سعة السنة وشمولها، وأن الإنسان بحسب أحواله، إن كان مستعجلًا أو مشغولًا أخذ

بالعدد الأقل، وإن كان مطمئنًا فارغًا أخذ بالعدد الأكثر.

هذه معقبات دبر كل صلاة لا يخيب قائلهن، كل تسيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تكبيرة صدقة وكل تهليل صدقة، وعلي كل كلمة عشر حسنة، ويمحى عنك عشر خطيئات، ويرفع لك عشر درجات.

فهذه أذكار دبر الصلوات المكتوبات تكميلاً لها؛ ولذلك لا ينبغي للعبد أن يشغل غيرها بعد الصلاة، إذا فرغ من التهليل يبدأ بالذكر هذا مباشرة، ويجعل الدعاء بعدها، وإن أراد أن يقرأ القرآن بعدها؛ لأن هذه مرتبطة بالصلوات تكميلاً لها.

ومثل هذا عند النوم: عند النوم يشرع أن تسبح الله -عز وجل- ثلاثاً وثلاثين تسيحة وتحمده ثلاثاً وثلاثين تحميدة وتكبره أربعاً وثلاثين تكبيرة، المجموع مائة، هذا عند النوم، إذا أويت إلي فراشك تشتغل بهذا الذكر والحديث: «من آوي إلي فراشه طاهراً، وذكر الله تعالى حتى يغلبه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيراً إلا أعطاه إياه».

وهذا أيضاً تقوله مطلقاً في سائر الأوقات، فلا يضيع لك عند الله -جل وعلا- شيئاً، كما قال ﷺ: «فكل تسيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تهليل صدقة».

وهكذا إذا استيقظت من النوم: فإنك أول ما تستيقظ تذكر الله -عز وجل-: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي رد عليّ روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره، اللهم إني أستغفرك ذنبي واسألك رحمتك، رب زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد أن هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة، أعلم أن الله يحيي الموتى وأن الله علي كل شيء قدير، ثم تسبح الله عشراً وتحمده عشراً وتكبره عشراً وتهلله عشراً وتستغفره عشراً، وتعوذ بالله من ضيق الدنيا وضيق يوم الحساب عشراً وتستغفر عشراً، ثم تدعو تجاب، فإن دعوتك استجاب لك وإن صليت قبلت صلاتك، فهذا أيضاً من الباقيات الصالحات.

تستفتح حياتك بالباقيات الصالحات وتقولها دبر صلواتك، وكذلك تقولها عند نومك وآخر يقظتك التي لا تدري هل تبعث بعدها قبل يوم القيامة أم لا.

فهذا كله من فضل الله علي العباد فإن هذه الكلمات عظيمة جدًا، وهذه ترتفع عند الله ويكون لها دوي عند العرش تُذكر بصاحبها، فهي كلمات عظيمة اصطفاها الله -عز وجل- لملائكته، وضمنها كتابه، لا يضرك بأيهن بدأت.

هذه جمل من الذكر ميسرة مختصرة دالة علي معانٍ جليّة، وفيها ثناء علي الله -عز وجل- بما هو أهله، وتقديس الله سبحانه وتعالى عما لا يليق بجلاله وعظمته، واستعانة من العبد بربه، وهي زخر له عند الله -عز وجل- مدخر إلي يوم القيامة؛ فلذلك يستكثر منها الإنسان في سائر الوقت طول اليقظة كلما تيسر لك قل هذه الكلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله، فإذا قلت: سبحان الله مائة مرة فهي تعدل عتق مائة نفس، وإذا قلت الحمد لله فهي تعدل تجهيز مائة فرس في سبيل الله مائة مرة، وإذا قلت الله أكبر فهي تعدل مائة بدنة مجللة تهدي إلي بيت الله الحرام، وإذا قلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له فهذه خير مما طلعت عليه الشمس، تعدل كل ما علي الأرض، فلما علم الصحابة -رضي الله عنهم- هذه الكلمات وما رتب الله عليها من الثواب العظيم قالوا: يا رسول الله إذا نكثرت، قال ﷺ: «الله أكثر»، يعني: أكثروا ما شئتم، فالله أكثر وأوسع وأكثر عطاءً وأبرك، فهذا لأنفسكم والله غني عنه، لكنه سبحانه وتعالى تعبدكم بذلك.

فهذه تسمي جمل الذكر المفرد، كلمات مختصرة، هي المشار إليها في قول الله -جل وعلا-:

﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

فكل كلمة من هذه الكلمات شجرة لك في الجنة، وكل كلمة من هذه الكلمات لبنة لك في قصرك في الجنة، فمهما أكثرت فأنت المنتفع ومهما قَصَّرت فأنت تبخل علي نفسك، وهي أيضًا بمثابة الغسيل للقلب من درنه وصدأه، وهي كذلك من أسباب النشاط في الطاعة وعلو الهمة في الخير، وهي كذلك حرز لك من الشيطان، لا يمكن أن يقربك الشيطان وأنت تسبح.

فهذه جمل عظيمة مباركة يكفي أن الله -عز وجل- سماها الباقيات الصالحات بعدما قال: ﴿أَمْ أَلَمَّا

وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، المال والبنون ذاهبون، لكن قال: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ

عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، فهذا يدل علي عظم أعطي الله -عز

وَجَلَّ - عباده من الكنوز العظيمة، مفاتيح الخير ومغاليق الشر؛ وإعانة علي الذكر وعلى الخير وعلي المصالحة، والعصمة من الفتن، فهذا ينبغي العناية به.

هذه جمل الذكر المفرد: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كذلك: توكلت علي الله، كل هذه استكثر منها، أنت المتفجع وأنت المستفيد، وهذا رصيدك الحقيقي ما هو رصيدك اللي في البنك أو في الخزانة عندك في البيت، رصيدك اللي عند الله - جَلَّ وَعَلَا -، فاستكثر من هذه الباقيات الصالحات حتي تقدم عليها فرحاً مُغْتَبَطاً.

قالوا للحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: ما بالناس نكره الموت؟ قال: لأنكم عَمَرْتُمْ دنياكم وخربتم آخرتكم فلا تحبون أن تنتقلوا من العمار إلي الخراب.

والمعني: اعمروا آخرتكم حتي تشاققوا إليها.

قال الحكيم:

ومن المروءة للفتى سكناه داراً فاخره

يعني سكناه داراً فاخرةً ملكاً أو أُجْرَةً.

فاشكر إذا أوتيتها واعمل لدار الآخرة

فينبغي الإنسان يكون همه دار الآخرة؛ لأنك ستنتقل إليها ولا تدري متي تنتقل؛ فربما يكون الأمل بعيداً وعريضاً والأجل عند الأقدام، فالموت أقرب إلي أحدكم من شراك نعله، يعني: هذا ينبغي يكون الإنسان همه ليل نهار الدار الآخرة، كما كان الصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ -؛ يقول قائلهم: يا رسول الله دلني علي عمل إذا عملته دخلت الجنة، يقول: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؛ فكان همهم الآخرة؛ لأنهم عقلاء موفقون - جعلنا الله وإياكم كذلك -، يعلمون أنهم قادمون علي الآخرة وأنه بأجل إذا انتهت الآجال انتقلوا، إذا انتهت الآجال بدأ الترحال علي طول، فما للمرء في الدنيا إلا أنفاسٌ محدودةٌ ولحظاتٌ معدودةٌ ولقيماتٌ محصاةٌ، إذا استنفذ رزقه وأنفاسه ولحظاته انتقل حتي ولو هو سليم

فكم من صحيحٍ مات من غير علة وكم من سقيمٍ عاش آخر الدهر

نسأل الله للجميع حسن الختام ومغفرة الآثام، وأن ينجينا من النار ويدخلنا دار السلام، ووالدينا
ومشايخنا وأزواجنا وذرياتنا.
والله أعلم.



الذكر المضاف والمضاعف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمدٍ وعلى إله وصحبه

أما بعد:

فقد سأل إعرابي النبي ﷺ قائلاً: يا رسول الله علمني دعاءً أدعو به، في رواية: في صلاتي، فقال له

النبي ﷺ: «**قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، الحمد لله كثيراً، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم**».

خمس جمل مضافة.

قال الإعرابي: يا رسول الله هذه لربي، يعني: هذه ثناءٌ وتمجيدٌ لله -جَلَّ وَعَلَا- وأنا أريد مسألةً

أسألها ربي؛ لي حاجةٌ، فقال له النبي ﷺ: «**قل ربي أغفر لي وارحمني وارزقني واهدني وعافني**».

خمس مطالب، خمس مسائل.

قال: «**فإن هؤلاء تجمع لك خيري الدنيا والآخرة**».

إذا أعطاك الله المغفرة والرحمة والهداية والرزق والعافية ماذا تريد؟

فهذا الحديث اشتمل على نوعٍ من الذكر اسمه: «الذكر المضاف»، حديثنا أمس «الذكر المفرد»

كلمة كلمة: الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله، توكلت على الله،

أستغفر الله.

لكن هذا في نوعٍ ثانٍ، هو المضاف، كلمةٌ مضافةٌ إلى كلمةٍ وإذا كان المفرد الكلمة الواحدة يكتب

لك فيها عشر حسنات، يمحي عنك عشر خطيئات، يرفع لك عشر درجات، وتعدل صدقاتٍ، تُغرسُ بها

شجرةٌ في الجنة، تُبنى بها القصور، فالذكر المضاف أفضل من المفرد؛ لأنك جمعت بين كلمتين ويكون

لك الأجر مرتين، وهو أبلغ في الثناء عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولذلك قال ﷺ: «**قل لا إله إلا الله وحده لا**

شريك له».

«لا إله إلا الله» توحيدٌ لكن «وحده لا شريك له» تأكيدٌ؛ لبيان التأكيد.

«الحمد لله» كافية لكن «كثيراً»، من يحصيه إلا الله؟

«الله أكبر كبيراً، الحمد له كثيراً، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم».

فهذا الذكر مضاف، إذا تقول هذا يكون الذكر مقدم فيه ثناءً وإيضاح زيادة.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «دعوة أخي ذو النون وهو في بطن الحوت ما دعي بها مكروبٌ إلا

وفرج الله همه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]» وهكذا.

جاء في صفة الاستفتاح في الصلاة، من نوع الاستفتاح في الصلاة أن تقول: «الله أكبر كبيراً، الحمد لله

كثيراً، سبحان الله رب العالمين» فهذا وَرَدَ.

فالنبي ﷺ علمه هذا الدعاء، وهو يقول في صلاتي، إذا أنت وأنت متوضأ في البيت أو المكان الذي

أذن وأنت فيه وأتيت إلى المسجد في صلاة؛ بنص النبي ﷺ: «إن أحدكم في صلاة وهو يعمد إلى الصلاة»

فإذا قل هذا الدعاء وأنت في طريقك إلى المسجد، إذا دخلت المسجد وصليت السنة وتحية المسجد

وانتظرت الصلاة، فأنت في صلاة، فقل هذا؛ فأنت في صلاة، والدعاء في الصلاة مستجاب.

ومما يؤكد هذه الاستجابة أن الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- يدعون للمسلم المنتظر للصلاة

وهو في مصلاه: «اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه» ما لم يحدث فيه.

فتقول وأنت في انتظار الصلاة.

كذلك جاء في الجلسة بين السجدين تقول: «رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني وعافني».

فأوله يقال في الاستفتاح وآخره يقال بين السجدين.

فهذا النوع الذي هو الذكر المضاف: جملة مضافة إلى أخرى أبلغ في الثناء علي الله -عز وجل-،

وأنسب للحاجة تقول مثلاً: يا رب يا واسع المغفرة اغفر لي، يا واسع الرحمة ارحمني، أسألك برحمتك

التي وسعت كل شيء، أسألك بمغفرتك الواسعة، يا عظيم الغنى، يا جزيل العطاء، يا ذا الخزائن

الملاى، واليدين السحاء، اغفر لي ارزقني، يا غفور يا رحيم، اثنين اسمين من أسماء الله الحسني، يا

رحيم يا غفور ارحمني واغفر لي، يا غفور يا كريم أعطني، يا غفور يا حلیم تجاوز عني اعفو عني.

فتسأل الله -عز وجل- باسم وصفة تناسب المطلوب الذي تريده من ربك -جل وعلا- فهذا النوع

من أنواع الذكر، وهذا من حكمة الله -جل وعلا- أن نوع الذكر حتى إن الإنسان لا يمل؛ فتارة يقول هذا

وتارة يقول هذا.

فهذا النوع يسمى الذكر المضاف؛ أحياناً أقول: الذكر المضاعف، يعني الذي لا يُحصيه ولا يُعدّه إلا الله - جَلَّ وَعَلَا -.

فَتُنوع الأذكار.

المضاعف هذا فوق الخيال، هذا فوق الوصف إذا تقبله الله منك وأعطاك.

جاء رجلاً من الصحابة إلي النبي ﷺ وكأنه تأخر عليه فسأله النبي ﷺ: «ما أخرك؟» قال: إني كنت أُسَبِّحُ الله في اليوم (٧٠٠٠) تسيحةً، يعني هذا الذي أخرنى أني ما كملت العدد. ما حبيت أجي وأنا ما كملت العدد؛ لأن هذا ورد ملتزم به، (٧٠٠٠) تسيحة.

ومرة مرَّ النبي ﷺ على أم المؤمنين جويرية بنت الحارث المصطلقية، معها نواة عبس؛ تمر؛ تسبح به، تعده: سبحان الله سبحان الله كل واحدة.

وذكر عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن عنده زنبيل فيه نوى أو حجارة فيه ألف حبة فيأخذ يسبح، يُنزل من الزنبيل تسيحة تسيحة، عدد الألف، ثم يردها عدد الألف.

فقال النبي ﷺ للرجل الذي تأخر عليه وقال لجويرية لما رجع من الضحى، طلع من عندها بكرة بعد طلوع الشمس لَمَّا خرج من المسجد ورجع بعد آخر الضحى وهي على طريقها تسبح بالنوى فقال: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتِكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وَزَنْتِ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَعَدَلْتَهُنَّ» ما شاء الله!

أربع كلمات ثلاث مرات تعدل تسيح من أول النهار إلي حوالي الزوال، هذا عطاء كريم من الله - جَلَّ وَعَلَا - : «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

فإذا: تقول سبحان الله وبحمده، هذا ذكر مضاف:

سبحان الله وبحمده عدد خلقه، سبحان الله وبحمده عدد خلقه، سبحان الله وبحمده عدد خلقه.

سبحان الله وبحمده رضا نفسه، سبحان الله وبحمده رضا نفسه، سبحان الله وبحمده رضا نفسه.

سبحان الله العظيم وبحمده زنة عرشه، سبحان الله العظيم وبحمده زنة عرشه، سبحان الله العظيم

وبحمده زنة عرشه.

سبحان الله وبحمده مداد كلماته، سبحان الله وبحمده مداد كلماته، سبحان الله وبحمده مداد كلماته.

كل كلمة من هذه تقولها ثلاثة مرات، بعض الناس يقولها مثل ما جاء الخبر: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته؛ لا بالتفصيل يعني النبي ﷺ قال ثلاث مرات:

الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله عدد خلقه.

الحمد لله رضا نفسه، الحمد لله رضا نفسه، الحمد لله رضا نفسه.

الحمد لله زنة عرشه، الحمد لله زنة عرشه، الحمد لله زنة عرشه.

الحمد لله مداد كلماته، الحمد لله مداد كلماته، الحمد لله مداد كلماته.

وهكذا الله أكبر، وهكذا لا إله إلا الله، فإذا هذا من حصيه؟ كم عدد الخلق؟ كم الذي يرضى الله - عَزَّ وَجَلَّ -؟ كم زنة العرش؟ كم يُقَدَّرُ زنة العرش؟ مداد كلماته، حبر الكلمات، والكلمات هنا الكلمات الكونية القدريّة التي قال الله تعالى فيها: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩]: حبراً يعني ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

فأنتم؟ سبحان الله عدد نقط البحر هذا.

وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ

كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] لأن كلمات الله الكونية القدريّة التي يحصل بها تدبير الملك والخلق ما يحصيها إلا الله ولا يعلم أولها إلا الله ولا آخرها إلا الله؛ فإذا أنت بكلمة واحدة تقول كذا: سبحان الله مداد كلماته، كم أعطاك الله بهذا؟

عدد خلقه؟ كم أعطاك الله؟

يُكْتَبُ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عدد الخلق تسييح تحميد تكبير تهليل.

وجاءت أحاديث عن النبي ﷺ بزيادة على ذلك غير هذا: «سبحان الله وبحمده مُنْتَهَى عِلْمِهِ»، أين ينتهي علم الله؟.

«سبحان الله وبحمده ملء خلقه».

تقولها ثلاثة مرات :

سبحان الله وبحمده منتهى علمه، سبحان الله وبحمده منتهى علمه، سبحان الله وبحمده منتهى علمه.

سبحان الله وبحمده ملء خلقه، سبحان الله وبحمده ملء خلقه، سبحان الله وبحمده ملء خلقه

وكذلك سعة رحمته؛ من يحصي سعة الرحمة؟

سبحان الله وبحمده سعة رحمته، سبحان الله وبحمده سعة رحمته، سبحان الله وبحمده سعة

رحمته.

كذلك جاء: عدد ما خلق في السموات والأرض، بل ملء خلقه.

سبحان الله وبحمده ملء خلقه، سبحان الله وبحمده ملء خلقه، سبحان الله وبحمده ملء خلقه،

سبحان الله وبحمده عدد ما خلق الله في السموات والأرض، كم الخلق في السموات والأرض؟

سبحان الله وبحمده عدد ما خلق بينهما.

سبحان الله وبحمده عدد ما هو خالق.

تقول هذا ثلاثة مرات كل هذا.

سبحان الله وبحمده ملء السموات والأرض، سبحان الله وبحمده ملء ما بينهما، سبحان الله

وبحمده ملء ما هو خالق، سبحان الله وبحمده عدد كل شيء. تقولها ثلاثة كذلك.

سبحان الله وبحمده ملء كل شيء. تقولها ثلاثة.

سبحان الله وبحمده عدد ما أحصي كتابه. كم يحصي كتاب الله -عزَّ وجلَّ-؟! تقولها ثلاثة.

سبحان الله وبحمده ملء الميزان. تقولها ثلاثة، كم يملأ الميزان؟

آخر شيء : سبحان الله وبحمده مثل ذلك تقولها ثلاثة.

كل ما سبحنا من أول ما بدأنا: سبحان الله عدد خلقه إلى ملء الميزان تقول مثل ذلك.

وهكذا نفس الطريقة الحمد لله عدد خلقه إلي آخر حتى تقول الحمد لله ملء الميزان.

الله أكبر عدد خلقه إلي آخر كل كلمة ثلاثة مرات حتى تقول ملء الميزان.

وآخر شيء مثل ذلك معه.

لا إلا الله عدد خلقه إلي آخره كلها ثلاثة مرات، ثم آخر شيء تقول ملء الميزان وبعد ذلك تقول مثل ذلك معه.

انظروا كيف أعطانا الله -عَزَّ وَجَلَّ- من أنواع العمل الصالح؛ كلمات يسيرة ومع ذلك أجورها لا يحصيها إلا الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لو أعطاك الله على الكلمة الواحدة ربع درجة ربع حسنة، كم سيكون معك؟ شيء لا يحصيه إلا الله.

وهذا من فضل الله على عباده، وعلى هذه الأمة فإن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لما قَضَى بِقَصْرِ أَعْمَالِهَا قَضَى لَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَرَعًا بِمُضَاعَفَةِ أَعْمَالِهَا وَمُضَاعَفَةِ ثَوَابِهَا. فهذا ذكر الله يا جماعة ذكر الله.

تحبب إلى الله بذكره، قَوِّى إِيْمَانِكَ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بكثرة ذكره، طهر قلبك وأثقله بكثرة ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ-، جدد إيمانك بكثرة ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ-، تحرز من الشياطين ومن مضلات الفتن بكثرة ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

فهذا يا أخوان ذكر الله ما له مثل، أفضل الأعمال، وأيسر الأعمال، وبه تَفْضُلُ الأَعْمَالِ، وبه يذكرك الله -عَزَّ وَجَلَّ-، أذكروني بطاعتي أذكركم بإثابتي.

فهذا بحرٌ واسعٌ ما له حدٌّ لا يحصيه إلا الله -جَلَّ وَعَلَا- أمتن الله به عليكم.

آخر شيء يا جماعة، لا بد من فراق الدنيا، ولا لأ؟ فيه حد بيعيش، الآجال مغيبة، وأيش أفضل ما تخرج به من الدنيا؟ لا إله إلا الله.

يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ- لموسى -عليه السلام-: «يا موسى، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله».

هذه الكلمة العظيمة عَوَّدَ لِسَانِكَ عَلَيْهَا الْآنَ، أَكْثَرَ مِنْهَا، لا يفتر لسانك من لا إله إلا الله حتي تتوثق الصلة بينك وبينها، اجعلها صديقتك هذه، حتي يسهل عليك مع كبر السن مع شدة المرض مع ضعف الشيخوخة مع معاناة ومعالجة سكرات الموت، نسأل الله حسن الخاتمة للجميع، يسهل عليك ذكرها

لكثرة ما قلتها لكثرة ما ألفتها، تستحضرها حتى وأنت بين النوم واليقظة، إذا استحضرتها وأنت بين النوم واليقظة استحضرتها عند سكرات الموت، فعود نفسك لا إله إلا الله.

يروى أن نوح عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه الصالح، وقال: يا بني عود لسانك لا إله إلا الله فإنها لو كانت السموات السبع حلقة لفصمتهن لا إله إلا الله، فهذه الكلمة ما ينبغي الغفلة عنها أبداً. والله إني أدركت أنا أناساً أحسبهم من الصالحين من أهل العلم ومن العامة يقولها بلسانه في النفس واحد عشر مرات وعشرين مرة، وهذا يا إخوان بتجربة ومعروف، وعرفها هؤلاء تستطيع تقولها: لا إله إلا الله في الدقيقة كم تقال؟

أقل شيء بعدد ثوانيتها. كم ثوان الدقيقة؟ (٦٠) أقل شيء؛ لأن من الناس من يقولها (٨٠) مرة في الدقيقة الواحدة، يسرها الله -عز وجل- هذه الكلمة لا تلتقي عليها الشفتين، ما الحكمة؟ الإخلاص، كل كلمة الذكر تلتقي عليها الشفتان إلا «لا إله إلا الله» تقولها وأنت ما حركت شفتيك؛ لأن حروفها كلها حلقيّة؛ حتى تكون خالصة لله -عز وجل- ما فيها رياء؛ لأنها كلمة الإخلاص كلمة التوحيد، وسأل أبو هريرة -رضي الله عنه- النبي ﷺ قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ؟ فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا غَيْرِكَ، لِمَا عَلِمْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ، أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ».

فعودوا ألسنتكم «لا إله إلا الله» تسهل عليكم عند الخروج من الدنيا، فمن ختم له بلا إله إلا الله دخل الجنة، مضمون بكلام النبي ﷺ خبر النبي ﷺ.

فعودوا أنفسكم ذكر الله جملةً، وعودوا أنفسكم لا إله إلا الله خصوصاً؛ ائلفوها استأنسوا بها تلذذوا بها، كرروها ومرروها وعودوها أهلكم واجعلوها تؤخذ عنكم، فإن خير عباد الله من يذكر الله بلا إله إلا الله وإن خير عباد الله من إذا روى ذكر الله.

جعلنا الله وإياكم منهم، وختم الله -عز وجل- أعمالنا بلا إله إلا الله، وحياتنا بلا إله إلا الله، وبعثنا على لا إله إلا الله، وثبتنا عليها بالقبر ويوم الحشر والنشور، وأدخلنا بها الجنة وعصمنا بها من النار، وبوأنا الدرجات العلى من الجنة مع الأخيار.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى إله وصحبه أجمعين.



أركان الذكر وأحواله

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلي إله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قد قال الله -عزَّ وجلَّ- مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] ، يعني:

انقطع لذكره وأقبل عليه وانشغل به.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٤٢] [الأحزاب: ٤٢] ثم

بَيَّن ثمره ذلك فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣] ، يعني: يثني عليكم في الملائكة

الأعلى، فالملائكة يدعون الله تعالى أنه يثني عليكم وثمره ذلك: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [٤٣] تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [٤٤] [الأحزاب: ٤٤].

قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿وَالذِّكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٣٥]

قال -سبحانه-: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأأنفال: ٤٥] ، تفوزون بكل محبوب

مرغوب، وتسلمون من كل مكروه ومرهوب في الدنيا والآخرة

قال -جلَّ وعلا-: ﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون

الله كثيراً والذاكرات».

وأمر النبي ﷺ رجلاً سأله على أن يدلّه على عملٍ يسيرٍ يتشبث به فقال: «لا يزال لسانك رطباً من

ذكر الله».

وأخبر ﷺ أن الله تعالى يقول: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه ما ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في

نفسه، وإن ذكرني في ملاء (يعني: بين الناس) ذكرته في ملاء خير منهم (يعني ذكرته في الملائكة)».

والأحاديث في فضل ذكر الله -جلَّ وعلا- والأمر به وبيان حسن عواقبه وكرم المشوبة عليه كثيرة؛

حتى قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من

إنفاق الذهب والورق (يعني الفضة)، **وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم**

(يعني الجهاد في سبيل الله) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**ذكر الله**».

وأخبر ﷺ لو كان رجلان أحدهما معه كيس نقودٍ يُنفق في الطريق، من جاءه أعطاه، وآخر يذكر الله - عزَّ وجلَّ - لكان الذاكر أفضل وأعظم أجراً من المتصدق؛ مما يدل على فضل الذكر وعظم المثوبة عليه. وسئل ﷺ عن أفضل أهل الأعمال: أفضل المصلين، أفضل المتصدقين المزيكين، أفضل الصائمين، أفضل الحجاج والمعتمرين، أفضل المجاهدين فقال: أكثرهم لله ذكراً.

فدل ذلك على فضل ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - وعِظْم بركته وكبير عائدته وحُسن عاقبته على الذاكر.

و**ذَكَرُ** الله - **جَلَّ وَعَلَا** - هو استحضار عظمة الله - **جَلَّ وَعَلَا** - إن العبد يستحضر بقلبه وذهنه عظمة الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، وعِظْم حقه على عبده، وعِظْم جزاءه على أداء حقه أو التقصير فيه، وأن يلهج بذلك بلسانه، ويعتقد ذلك بقلبه، ويفعل مُقتضي ذلك بأركانه، يعمل مقتضي ذلك بأركانه فعلاً وتركاً.

فهذا ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، تذكر الله في قلبك، تذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - في لسانك، تُثني عليه بصفات الكمال ونعوت العظمة والجلال وأسمائه الحسنى وأفعاله الحكيمة وأفضاله العظيمة، وتأمل بطاعته امتثال أمره فعلاً وامتثال نهيه تركاً، وتخضع وتذل لله - **جَلَّ وَعَلَا** -، وتذكر حق الله - **جَلَّ وَعَلَا** - عليك في كل مقام؛ فتؤديه إليه على قدر الاستطاعة، فما من مقامٍ تكون فيه أو حالٍ تكون فيها أنت إلا والله عليك فيها حقٌّ؛ فانظر في هذا الحق، وأده اليه - **جَلَّ وَعَلَا** - على أكمل الوجوه المستطاعة، واستغفر من القصور والتفريط، وأن تكون ذاكرًا لله بقلبك وجنانك وذاكرًا لله تعالى بلسانك وذاكرًا لله تعالى بجوارحك وأركانك وذاكرًا لله سبحانه وتعالى في أحوالك، فلا تفتّر من ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - من حين تستيقظ إلا أن تنام، بل وأنت تتقلب في النوم كلما استيقظت ذكرت الله، كما كان ذلك نهج رسول الله ﷺ، تارة تُسبح الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، وتارة تحمده، وتارة تُثني عليه، وتارة تدعوه وتسأله من خيري الدنيا والآخرة، وتارة تستغفره وتتوب إليه، وتارة تهدي إلى دينه وتدعو إليه، وتارة تأمر بالمعروف وتارة تنهي عن المنكر، وتارة تنصح لجليسك ومن حولك، وتؤدى الأمانة التي لله عليك أو لأي أحدٍ من الخلق على قدر استطاعتك.

فهذا هو ذكر الله.

فيكون ذكر الله قلبياً بمحبة الله - **جَلَّ وَعَلَا** - وتعظيمه وخشيته والهيبة منه والخوف منه والنية الصالحة في العمل ما تفعل تقرباً إليه، وما تتركه تتركه تقرباً إليه.

ويكون باللسان بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وقول لا حول ولا قوة إلا بالله والاستغفار وتلاوة القرآن والتعلم والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة وغير ذلك.

ويكون بالبدن والجوارح الركوع السجود والصدقة والجهد في سبيل الله وإعانة الضعيف وهكذا. فيما يتعلق بحقه سبحانه عليك، وفيما يتعلق بحقوق خلقه عليك، وما يتعلق بحق نفسك أنت أيضاً عليك اللي أمرك الله به، فتكون في جميع أحوالك ذاكرة لله؛ لأنك لا يمكن أن تفعل أي خصلة من الخير ذرة من الخير إلا وقد ذكرت إن هذه الذرة مما يحبه الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -؛ فتؤديها وتفعلها تقرباً لله - **عَزَّ وَجَلَّ** -، ولا تترك ذرة من الشر إلا لاستحضارك أن الله يبغض هذا الشيء وأنه تعالى يحب تركه ويبغض فعله، فتتركه لله تعالى، وتفعل ما يقابله من الطاعة تقرباً الي الله - **جَلَّ وَعَلَا** -، هذا هو ذكر الله - **جَلَّ وَعَلَا** - فيكون الذكر بالقلب، ويكون الذكر باللسان، ويكون الذكر بالجوارح والأفعال فعلاً وتركاً، ويكون الذكر بالحال تكون خاضعاً لله - **عَزَّ وَجَلَّ** -.

مثل ما قال الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - عن نبيه ﷺ: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴿٢﴾ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ** ﴾ [الزمر: ٣].

﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴿١١﴾ ﴾ [الزمر: ١١].

﴿ **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴿١٣﴾ ﴾ [الزمر: ١٣].

﴿ **مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ** ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦].

﴿ **قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا** ﴿٢٢﴾ ﴾ [الجن: ٢٢].

فهذا من ذكر القلب استحضار عظمة الله والتواضع والذل لله - **عَزَّ وَجَلَّ** - والرغبة منه والرغبة إليه والمحبة له والإجلال له، هذه من أعمال القلوب، ولا تنبعث الجوارح إلى فعل شيء أو ترك شيء ولا اللسان إلا إذ انبعث القلب، لذلك لو كان العمل من غير نية يكون لاغياً لا قيمة له، ولو فعله الإنسان من غير اختيار، نفس الشيء؛ يكون ما هو على الوجه الشرعي.

الأصل القلب: إذا ذكر القلب ربه -جَلَّ وَعَلَا- انطلقت الجوارح والهمة لطاعته، والبعد عن معصيته؛ فيفعل الطاعة رغبةً ويبعد عن المعصية رهبةً، وهذا في جميع الأحوال ومع جميع الخلق وجميع الناس وفي جميع الأماكن، هذا ذكر الله -جَلَّ وَعَلَا- فتكون ذاكرًا لله؛ دائمًا على بالك، في مقام تطمع في رحمة الله وتبادر إلى الطاعة، وفي مقام تخاف من سخط الله وعقوبة وتنكف عن المعصية، في مقام تعلم أن الله يحب هذا الشيء فتفعله وفي مقام آخر تدرك أن ذاك الشيء يبغضه الله -عَزَّ وَجَلَّ- فتركه.

وبهذا تكون ذاكرًا.

وفي جميع الأحوال تستغفر الله -عَزَّ وَجَلَّ- من قصورك في شكر النعمة، ومن قصورك عن أداء العمل على أكمل وجهٍ مهما اجتهدت، وتستغفره من خطيئتك التي تعمدتها، وتكون ذاكرًا لله -عَزَّ وَجَلَّ- في جميع الأحوال.

هذا هو الذكر إجمالاً، وهذه قواعد القلب واللسان والجوارح.

وهذه مناسباته ومقاماته بحيث يكون الله -عَزَّ وَجَلَّ- على بالك في جميع الأحوال، فما يحبه تبادر عليه تستعين به عليه وتخلص له فيه، وما يكرهه تبعد عني وتأنى عنه وتحذر من عقوبته، بل من تواجدك في مكان المعصية تخشي أن تصيبك العقوبة.

فهذا هو ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- إجمالاً، وله تفصيلات سأعرض لها في درسٍ لاحقٍ إن شاء الله.

والله أعلم، وصلي الله وسلم على نبينا محمد وعلى إله وصحبة أجمعين.



«من جامع العويضة»
عن الذكر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، وصلي الله وبارك علي نبينا محمدٍ وعلي آله وصحبه، أما بعد:
فإن من أنواع ذكر الله -جَلَّ وَعَلَا-: الذكر المفرد.

أي المكون من كلمة واحدة، كأن تقول: سبحان الله، أو الحمد لله، أو لا إله إلا الله، أو الله أكبر، أو أستغفر الله، أو توكلت علي الله، أو لا حول ولا قوة إلا بالله.
فهذا النوع من الذكر هو أيسر الذكر، وهو أَجْرُهُ عَظِيمٌ.
وله مناسبات يقال فيها يتعين فيها، ومناسبات مطلقاً يقولها الإنسان حسب ما شاء.
والمُعَيَّنَةُ تقوله حسب ما ورد.

والمطلق كيفما تيسر لك، تكثر والله أكثر.

فمن ذلك قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]،

وفي آية أخرى: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، فالباقيات الصالحات فُسرَت هنا بأنها:
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وأنها هي التي اصطفها الله -عَزَّ وَجَلَّ- لملائكته، وأنها من القرآن، وأنه لا يُضْرَكُ بِأَيِّهَا بَدَأَتْ سِوَاءَ
قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أو قلت الله أكبر لا إله إلا الله الحمد لله وسبحان
الله، بأيها بدأت فالأمر واسع في هذا.

فهذه الكلمات العظيمة كل كلمة يكتب لك بها عشر حسنات، ويرفع لك عشر درجات، ويحط عنك
عشر خطيئات، وهي غراس الجنة، وهي بناء الجنة، وهي تخترق الحجب حتي تصل إلى العرش فتُذَكَّرُ
بصاحبها.

هذه الكلمات العظيمة أخبر ﷺ أنك إذا قلت سبحان الله مائة مرة كانت عدل عتق مائة نفس، وإذا
قلت الحمد لله كانت لك عدل مائة فرس مُسَرَّجَةٌ مُجَهَّزَةٌ للجهاد في سبيل الله، وإذا قلت الله أكبر كانت
عدل مائة بدنة مُجَلَّلَةٌ مُهْدَاةٌ إلي البيت الحرام يعني مُتَقَبَلَةٌ، وإذا قلت لا إله إلا الله تعدل ما بين السماء
والأرض.

فهذه كلمات يسيرةٌ أجورها كثيرةٌ وكبيرةٌ، وكثيرٌ من الناس عنها بغفلة.

قال صلى الله عليه وسلم: «معقبات لا يخيب قائلهن دبر كل صلاة، وذكر: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله الله أكبر».

ويبين صلي الله عليه وسلم في سنته أنك تقول هذه الكلمات بحسب حالك؛ فإن كنت مطمئناً تقول الأكثر والأوفر عدداً، وإن كنت مشغولاً تقول الأيسر والأدنى، والأصل في ذلك والغالب أنك تسبح ثلاثاً وثلاثين دبر الصلوات المكتوبات، وتحمد ثلاثاً وثلاثين وتكبر ثلاثاً وثلاثين وتقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له تمام المائة.

وتارة تقول الكلمات الأربع، كل واحدة خمسا وعشرين مرة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وتارة تقول كل واحدة عشراً.

وتارة تقول الكلمات الثلاث: سبحان الله والحمد لله والله أكبر إحدى عشرة مرة.

فالأمر هذا فيه سعة؛ لكن لا ينبغي أن تفوتك، لا ينبغي أن تفوتك وأنت تقدر عليها؛ لعظم أجرها، ولأنها مكملة لثواب الصلاة.

كذلك: هذه الكلمات تقال عند النوم، فتقول: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، الحمد لله ثلاثاً وثلاثين، الله أكبر أربع وثلاثين، يقول صلي الله عليه وسلم: «من أوي إلى فراشه طاهراً وذكر الله حتى يغلبه النعاس، لم ينقلب ساعة من الليل، يسأل الله تعالى فيها خيراً إلا أعطاه».

كذلك: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من نومه من آخر الليل يقول: «الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر، والحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي ردّ علي روعي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره، اللهم أستغفرك ذنبي وأسالك رحمتك، رب زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد أن هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

ويرشد صلى الله عليه وسلم أنك إذا سبحت الله تعالى بعد ذلك عشراً وحمدته عشراً وكبرته عشراً وهللته عشراً واستغفرتة عشراً وقلت: «اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم الحساب عشراً، فإنك إن صليت بعدها قبلت صلواتك، وإن دعوت بعدها استجيب لك».

وشرع ﷺ أن تُقال هذه أيضًا في أدبار الصلوات مثل ما سبق، وأن تستزيد منها في مُصَلَّاك الذي أنت فيه، بعد الصلاة وبعد الفراغ من الذكر عقب الصلاة تقول ما كتَبَ اللهُ لك من هذه الكلمات الطيبات. ولما ذَكَرَ ﷺ الكلمات عند النوم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال: «أجرهن كثيرٌ ومن يعمل بهن قليلٌ»، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ تعجبوا كيف يكون هذا، قال: «يأتي الشيطان أحدكم فينومه» إذا رآه أنه قد اشتغل بالذكر يُنومه حتى يحرمه من الخير.

هذه الكلمات هي غراس الجنة، جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «لقيت ليلة أسري بي أبي إبراهيم فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وجاء كذلك في حديث آخر: أن الملائكة عليهم السلام يبنون القصر للمؤمن في الجنة، وربما وقفوا، فيسألهم سائل: ما شأنكم؟، فيقولون: حتى تأتينا النفقة، يعنون التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل. قال الحسن رحمه الله تعليقاً علي ذلك: فَاتَّعِبُوهُمْ بِأبي أنتم وأمي. يعني: أتعبوا الملائكة، ما دام أنهم يبنون لكم.

فهذه الكلمات المباركات ينبغي الإنسان أنه يستكثر منها دائماً طول وقته، دائماً ها الليل والنهار؛ لأن هذه الكلمات تُذَكَّرُ بصاحبها، ولأن هذه الكلمات يُكتب له بمائة منها ألف حسنة؛ لأن الحسنه بعشر أمثالها، وإذا أن الإنسان اعتادها سهلت عليه وتيسرت عليه؛ لكن يُراعي فيما ورد في التحديد أن يتقيد بالعدد، ثم يزيد ما شاء الله لكن ما يُنْقِصُ عن العدد، ومن السنة أنها تُقال هذه، في الصباح قبل طلوع الشمس وفي المساء قبل غروب الشمس، كل واحدة منها مائة؛ فهذا يحتاج الإنسان إلي أن يُعود لسانه هذه الكلمات الطيبات، هذه الباقيات الصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، إن شئت قُلْتَ كل واحدة وحدها: سبحان الله سبحان الله سبحان الله سبحان الله حتى تكمل سواءً دُبر الصلوات المكتوبات أو في آخر الليل أو عند النوم أو في الصباح أو في المساء، وإن شئت جمعت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فهذا أمرٌ ميسرٌ والله الحمد.

والنبي صلي الله عليه وسلم نصح نسوة من أصحابه بكثرة التسبيح وقال: «اعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولاتٌ مُستنطقات» يعني بالأصابع، فإنهن مسؤولات مستنطقات.

هو هذا وقت قراءة القرآن، دُبر الصلاة هناك أذكارٌ مشروعةٌ؟ أين هي؟ تأتي بها، وإذا فرغت منها ومن الدعاء المأثور اقرأ القرآن.

بعض الناس يغفل؛ لذلك لا بد من هذا؛ أن الإنسان نفسه يكون له طريقةٌ في الذكر؛ بمعنى أنه يستحضر جُمل الذكر يحصيها، هذا أول واحدة.

الشيء الثاني: أنه يعرف أوقات قولها المُعينة المُحددة.

ويعرف العدد المطلوب في تحديدها، ويتقيد بهذا؛ ثم يزيد ما شاء الله، ويأخذ نفسه بالتدرج؛ لأن الذكر أنواع، أنا ذكرت لكم نوعاً واحداً: الذكر المفرد الكلمات المفردة، كل عامّة الناس يعرفونها هذه، لكن من الذي يُطبق؟.

هل تدرّون أن الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، الواحد يسبح الله باليوم سبعة آلاف تسيحة، عشرة آلاف تسيحة في اليوم الواحد؛ ويحمد كذلك، ويكبر كذلك، ويهمل كذلك، كانوا منشغلين بالذكر، ما يسمعون وينسون، ولا يتحمس الإنسان يوم أو يومين وبعدين ينقطع، لا خلاص؛ عَرَفَ لزم، عَرَفَتْ فالزم؛ فنحن بأمس الحاجة الآن.

طيب: إذا كُنْتُ الآن ما عندك منهج الذكر بالمسجد، إذا كيف ذكرك بالبيت؟، ما عندك منهج للذكر، إذا كنت ضايع في الذكر في البيت، كيف أولادك وأهلك؟

فهذا أمر الناس غفلوا عنه، كثيرٌ غفلوا عنه، ومع الأسف أن جملةً من أهل السنة أكثر غفلة، أهل البدع أكثر انشغالاً بالذكر؛ لأنه لما كان عملهم باطل بالبدعة والشرك أشغلهم الشيطان بالذكر حتي يُوهمهم أنهم علي حقٍّ وحتي يفتن بهم الآخرين.

قيل لبعض السلف: إن يهود لا تسهو في صلاتهم؟، قال: ما يفعل الشيطان في البيت الخرب؟!، يبول في بيوتهم؛ لكن الشيطان يُشغِلُ اللي على السنة حتي لا يُحصل الأجر ولا يُحصل الفضيلة، المشكلة أن هذا في غفلة، عندنا غفلةٌ كثيرةٌ عن الذكر، والنبي ﷺ قال: «خير عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله»، يعني يُذَكِّرون بالله لانشغالهم بذكر الله، ولأثر الذكر عليهم في السكون والطمأنينة ونور الوجه وغير ذلك، «خير عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله»، يُذَكِّرون بالله، جعلنا الله وإياكم منهم.

اللهم أعنا علي ذكرك وشكرك وحسن عبادتك واستعملنا في طاعتك، ووقفنا لما تحب وترضيه،
وتوفنا وأنت راضٍ عنا، ونجنا من نارٍ تلظي، وارزقنا في الفردوس الأعلى بوجهك الكريم.
وصلّي الله وسلّم علي نبينا محمدٍ ﷺ.



أسماء النار وأهوال يوم القيامة



الحمد لله رب العالمين.

وصلى اللهم وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمدٍ وعلي إله وصحبه.

أما بعد:

فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وقد قال الله -جَلَّ وَعَلَا- ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥] ،
وإن الله -جَلَّ وَعَلَا- قد أُنذِر عباده النار، وحذرهم منها غاية التحذير، وأبدي وأعاد في ذِكْرِهَا، وساق
ذلك لأولى الأبواب بصيغٍ مختلفةٍ وأساليبٍ مثيرةٍ ليزجرهم عنها وليأخذوا حذرهم منها وليبعدوا عن
أسباب دخولها والخلود فيها؛ أجارنا الله وإياكم منها.

قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾﴾ [الليل:١٦].

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

[البقرة:٢٤].

وقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ

مُؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾﴾ [الهمزة:٨]، يعني مطبقةً بأبوابٍ غليظةٍ شديدةٍ كبيرة، وهذه الأبواب أيضًا مدفوعةٌ بعمدٍ

ممددة؛ حتى لا تنفتح ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة:٩].

ومما ساقه الله -عَزَّ وَجَلَّ- من القول البليغ في التحذير من النار أنه تارةً يذكر أسماءها في مواضع من

القرآن، وكل اسم يدل على نوع عذابٍ فيها وعلى دركةٍ من دركاتها والعياذ بالله متميزةٌ بهذا النوع من

العذاب وعلى وَصْفٍ من أوصافها:

فسمهاها الله -جَلَّ وَعَلَا- جهنم؛ لجهوتها وفضاعة منظرها فإنها سوداء مظلمةٌ مُحْرِقَةٌ.

وسماهاها الله تعالى سقر؛ لبُعْدِ ما بين جوانبها.

وسماهاها الله -جَلَّ وَعَلَا- الهاوية، لطول ما يهوي فيها من يُلقى من أعلاها؛ حتى إن النبي -صلى الله

عليه وسلم- كان بين أصحابه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- ذات يوم فسمع وَجْبَةً، صوت شيء وقع على الأرض

فقال: «أتدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجرٌ رُمي به من شفير جهنم منذ سبعين

خريفًا فهو يهوي فيها حتى وصل قعرها فسمعتهم وجبتها الآن»، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وسماها الله تعالي الحُطْمَةُ؛ لأنها يَرْكَبُ بعضها بعضًا، وهكذا شأن النار إذا عظمت صار المنظر فظيع يركب بعضها بعضًا ويسقط بعضها علي بعض ويهشم بعضها بعض. فذلك كله على وجه التحذير بأساليب بليغة زاجرة.

وتارةً بذكر طعام أهلها: الزقوم، يقول النبي ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم وقعت في الأرض لأفسدت الهواء وأفسدت على الناس معاشهم» من نتنها يعني.

ويذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- شرابهم الحميم، الماء الحار، الذي إذا أدناه في النار إلي وجهه سقطت فيه جلدة وجهه والعياذ بالله، ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ ﴿٤٠﴾ وَهُمْ مَقْلَعُونَ مِنْ حديدٍ ﴿٤١﴾ [الحج: ٢١]، نعوذ بالله مطارق يضربون بها من حديد.

جاء في السنة الصحيحة أن الله تعالى يُعْظِمُ خَلْقَ الكافر فالنار حتى يكون ضرسه كالجبل العظيم أو كجبل أُحُدٍ.

وجاء في السنة الصحيحة أن من عصاة أهل الإيمان من يدخل النار وتحرقه النار إلا مواضع السجود، يُعرفون بمواضع السجود، فإذا قبلت الشفاعة فيهم أُخرجوا يُعرفون بمواضع السجود فقط والباقي محترق.

وجاء في السنة الصحيحة كذلك أن منهم من يحترق كلياً حتى يكونون كضبائر الورق المحترق، كأكوام الورق المحترق، وهؤلاء يُميتهم الله إماتةً.

فهذه شأن النار، ولذا فرع أولى الألباب والنهي أهل الإيمان إلى ربهم وتضرعوا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- وانكسروا بين يديه قائلين: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿٦٦﴾ [الفرقان: ٦٦].

في الآية الأخرى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿١١٤﴾ [آل عمران: ١٩٢].

فالنار -والعياذ بالله- أعظم مَخُوفٍ يستقبل الإنسان أعظم مخوف، أعظم من أهوال يوم القيامة، والاتجاه إلى النار إجباري، ما فيه تراجع؛ فإن النار الآن في الدنيا في سجين أسفل سافلين؛ المكان الذي

يعلمه الله -عزَّ وجلَّ-، وهي فالآخرة تُبرزُ تدني ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٠﴾ وَوُزِنَتْ أَلْحَمِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الشعراء: ٩١].

يقول النبي ﷺ: «يؤتي بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام -والزمام العروة المكان الذي يقبض منه الشيء الذي يُراد حمله أو جرُّه-، في كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» في كل زمام على كثرة الأزيمة.

فإذ رأت الناس شهقت كما تشهق البغلة الفرسة إلى الشعير.

قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَعُوا لَهَا تَعْظِيمًا وَزَفِيرًا ﴿١٣﴾ وَإِذَا أَلْفَا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِقًا مَّقْرَنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الفرقان: ١٥].

أجارنا الله وإياكم من النار وجعلنا من أهل الجنة مع الأخيار.

فهذا أمر النار أمرٌ عظيم فظيع، والاتجاه مثل ما سبق إجباري، فإن الناس يدفعون دفعًا، فأول شيء أنهم أُخرجوا من صلب أبيهم آدم -عليه السلام-، ثم تنقلوا في الأصلاب في السلسلة البشرية منذ آدم -عليه السلام- إلى أن خرجوا إلى الدنيا، فتنقلوا في الأصلاب اتجاه إجباري: ما أحد يرجع من الصلب بعد أن خرج منه، فانتقلوا من الأصلاب إلى الأرحام وبقوا فيها ما شاء الله وكَمَّلَ خَلْقَهُمْ فِيهَا، فأخرجوا بأجلٍ من الرحم والله يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيءٍ عنده بمقدار؛ فَمِنَ النَّطْفِ مَا يُخْلَقُ وَيَكْمَلُ وَيَنْمُو وَيُخْرَجُ سَوِيًّا إِلَى الدُّنْيَا، ومنها ما يخرج ناقص الخلقه معيبٌ مُشَوَّهٌ، ومنها ما يكون ما فيه من معاني الإنسانية إلا الحياة فقط، ومنها من يموت ويسقط سقطَةً ويجهبض، ثم إذا خرجوا إلى الدنيا دار التكليف والعمل ابتلوا فيها المدة التي كتبها الله لهم، فلن تموت نفسه حتى تستكمل رزقها وأجلها؛ فتستكمل النفس رزقها وتستكمل أجلها وتستكمل أنفاسها وتستكمل عملها، ثم يخرجون من الدنيا رغم أنوفهم، وبهذا أرغم الله تعالى أعناق الكفار والمتجبرين، ما أرغم الله أنوفًا بشيءٍ من الموت، يخرجون من الدنيا بغاية الحسرة والشكوى والشدة والكراهة إلى ما هو أعظم وأفظع، ثم يُحبسون في البرزخ في الأرض تأكل الأرض لحومهم وعظامهم وتحفظ رفاتهم وذراتهم، ومن ذلك ذرةٌ صغيرةٌ في عجب الذنب في أسفل الظهر منها يُركَّب الخلق، هذه الذرة لا تحترق لو أحرقت، ولا تُسحق ولا أي

شيءٍ تبقي بإذن الله تعالى، ثم عند البعث يُضم إليها رفاتها يُجاء به من الجو ومن البحر ومن الأرض ومن كل مكانٍ ويمطر مطراً خاصاً كالطل أو كالظل أو كمني الرجال فينبت الإنسان نباتاً آخر خلقةً أخرى في جوف الأرض، ثم بعد ذلك ينفخ في الصور وتطير الأرواح من الصور إلى أجسادها لا تخطئ روح جسدها، ثم يقومون من الأرض؛ تنشق الأرض عنهم، يخرجون من الأجداث سراًباً ﴿كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (٧) ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (٨) ﴿[القمر: ٨]؛ فيخرجون من الأرض مُوجَّهين مدفوعين إلى موقف المحشر؛ يحشرون يُجمَع أولهم وآخرهم، إنسهم وجنهم، ناطقهم وبهيمهم، مؤمنهم وكافرهم، كلهم، يجمعون في مكان واحد يُسمعهم الداع وينفذهم البصر فيساقون للحشر تسوقهم الملائكة، ثم بعد ذلك ينتقلون من موضع الحشر إلى موضع الحساب والتقيرير بالعمل أن يُقرروا بأعمالهم فيعرضون على الله -عزَّ وجلَّ- ثلاثة عرضات، عرضتان معاذير وتلفيق كلام، ثم العرضة الثالثة يُقرون ومن لم يقر يُختم علي فيه وتنطق جوارحه وجلده، فإذا أقروا بأعمالهم خيرها وشرها دُفع إليهم كتابٌ توثيقاً لما أقروا به، هو عرصة تتطاير فيها الصحف كل واحدٍ يُعطى كتابه.

﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤) ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزْرُ وَلَا زِرَّةٌ وَلَا أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٤ - ١٥] وقد بعث الله الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثم يُوجَّهون إلى الوزن، الموازين.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ (٤٧) ﴿[الأنبياء: ٤٧]، فيظهر مقادير الأعمال وثواب الأعمال، فالمؤمنون يظهر وزنهم بحسب إيمانهم وعملهم والكفار لا يُقيم الله سبحانه وتعالى لهم وزناً، وإنما يستوجبون النار بهذا، ثم يُصرفون.

الكفار الخالص يدفعون إلى النار.

﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ (١٣) ﴿هٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ﴾ (١٤) ﴿أَفَسِحْرٌ هٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٥) ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) ﴿[الطور: ١٦].

وأما الذين أظهروا الإيمان حقيقةً أو نفاقاً فهؤلاء يُدفعون إلى الظلمة، والظلمة دون الجسر، وبعد الظلمة النار، أجازنا الله وإياكم منها، وبعد النار القنطرة وبين الظلمة والقنطرة الجسر فوق النار، فهؤلاء هو الذين يجوزون النار فجاجٍ مخدوشٍ مُصاب، وناج مسلم، ومُكَرَّدَس في نار جهنم؛ ويمر الناس منها من على الصراط: أحدٌ كالبرق وأحدٌ كالطرف وأحدٌ كالريح وأحدٌ كأجاود الخيل والركاب وأحدٌ يجري وأحدٌ يهرول وأحدٌ يمشي وأحدٌ يمشي ويكبو، وعلى الصراط كلاليب تخطف العصاة بأعمالهم فتلقيهم في النار، فيها أيضاً جمرٌ من جَمَرِ النار يطؤها الإنسان وهو يمشي والعياذ بالله، ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، فهذا أمر النار، النار قبل الجنة، هي آخر شيءٍ قبل الجنة، لن يجاوز أحدٌ إلي الجنة إلا من فوق النار، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢].

فيمر الناس من على الصراط بحسب إيمانهم وأعمالهم فكلما عظم الإيمان والعمل كلما عظم النور يحيط بالإنسان من جميع جهاته حتى يحول بينه وبين النار، ويسرع مُروره، تقول النار: «جُزْ يا عبد الله قد أطفأ نورك حري»، وكلما نقص الإيمان والعمل نقص من النور بحسبه إلا أن يعفو الله عن صاحبه، وكلما كثرت المعاصي والجرائم كلما تمكنت النار من الوصول إلى هذا صاحب الجرائم والمعاصي، فأحدٌ تصيبه وهو على الصراط وأحدٌ يُخطف ويُلقي في النار ويُخرج ويُخطف ويُلقي في النار ويُخرج وهكذا.

﴿فَمَنْ زُحِّجَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ أَلْجَبَةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فإذا جاوزوا النار ووقع فيها من شاء الله من أهلها، وهي أصلاً أُعِدَّت للكافرين، لكن يدخلها عصاه المؤمنين: مجرموهم بجرائمهم وآثامهم؛ لأجل أن يتألموا بما تلذذوا به من المعاصي بعواقب ما تلذذوا به من المعاصي، ولأجل أن يُطهروا من رجز جرائمهم وكبائرهم وذنوبهم، ومن أجل أن تظهر قدرة الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليهم ويتحقق وعده؛ ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْتَظُنَّ ﴿١٤﴾ لَا يُصَلِّئُهَا إِلَّا الشَّيْءُ ﴿١٥﴾﴾ [الليل: ١٥].

فبعد ذلك: إذا نجا الناجون - جعلنا الله وإياكم من الناجين منها - وجاوزوا الصراط وبدأوا يناشدون الله - عَزَّ وَجَلَّ - ويشفعون في قراباتهم وذويهم، وأولهم وأعظمهم شفاعة نبينا ﷺ فيشفع في الجملة أن

يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ كُلِّ مُؤْمِنٍ، فَيَشْفَعُ أَرْبَعُ شَفَاعَاتٍ؛ كُلُّ مَرَّةٍ يُخْرَجُ مِنْهَا صِنْفٌ مِنَ النَّاسِ فَيَشْفَعُ ﷺ فِي الْجُمْلَةِ ثُمَّ يَشْفَعُ الشَّفَعَاءَ لِصَالِحِ الْعِبَادِ كُلِّ فَيَمُنُّ بِخَصِّهِ: هَذَا يَشْفَعُ فِي وَالِدَيْهِ وَذَلِكَ يَشْفَعُ فِي وَلَدِهِ وَذَلِكَ يَشْفَعُ فِي جَارِهِ وَذَلِكَ يَشْفَعُ فِي صَدِيقِهِ، كُلَّمَا كَانَ أَقْرَبَ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَعْظَمَ شَفَعَهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فَيَمُنُّ بِهِمْ، وَتَكَرَّرَ الشَّفَاعَةُ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا؛ فَإِذَا أَنَّهُمْ خَلَصُوا حَبَسُوا فِي هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ الَّتِي هِيَ مَنْزِلَةٌ بَيْنَ النَّارِ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ؛ فَيَقْتَصِرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ مَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْمَظَالِمِ وَالْحَقُوقِ، مَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ وَلَهُ عِنْدَ الْآخِرِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، إِلَّا أَنْ يَعْفُوهُ إِذَا كَانَ طَالِبًا أَوْ يُعْفِيَ عَنْهُ إِذَا كَانَ مُطْلُوبًا، أَوْ يُرْضِيَ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ لَهِّ الْحَقِّ مِنْ شَأْنٍ مِنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ، فَإِذَا اقْتَصَرَ لِبَعْضِهِمْ وَهُذَّبُوا وَنُقُوا أُذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَمِنَ مِنَ النَّارِ وَاشْتَاقَ الْجَنَّةَ وَتَحَرَّى فَتَحَ أَبْوَابَهَا مُسْتَعِدًّا أَنْ يَتَنَازَلَ عَنْ كُلِّ حَقِّهِ مُقَابِلَ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، يَصِيرُ هَذَا أَسْمَحًا لِلنَّفُوسِ؛ لِأَنَّهُ تَنَازَلَ بِاخْتِيَارِهِ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا شَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي فَتْحِ بَابِ الْجَنَّةِ، هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي يَشْفَعُ لِفَتْحِ بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا شَفَعَ ﷺ دَخَلَ هُوَ وَأُمَّتُهُ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ أَوَّلَ شَيْءٍ، أَوَّلَ الْأُمَّمِ دُخُولَ الْجَنَّةِ هُمْ، ثُمَّ كُلُّ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَشْفَعُ فِي أُمَّتِهِ، وَالْمُؤْمِنَ الَّذِي أَدْخَلَ الْجَنَّةَ -جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَانًا وَإِيَاكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ سَادَاتِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ- أَهْدَى إِلَى بَيْتِهِ وَمَنْزَلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ إِلَى بَيْتِهِ وَمَنْزَلِهِ فِي الدُّنْيَا مَا يَحْتَاجُ مِنْ يَدِهِ.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ

النَّعِيمِ ۝ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۝ وَأٰخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿ ١٠ ﴾ [يونس: ١٠].

فهذا أمر النار، النار مؤصدة مؤصدة على الطريق، ما يمكن لأحد أن يتأخر عنها أبداً، لا يمكن أن يتأخر ما يمشي لا يمكن، ولا يمكن أن يأخذ يمناً أو يسرة، لا بد من المرور، ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، ولا ينفذ أحد إلى الجنة إلا من فوق النار، هذا أمر خطير جداً، لذا قال الله تعالى: ﴿ فَأَنْذَرْتَكُمْ

نَارًا تَلْقَى ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ ﴿ ١٥ ﴾ [الليل: ١٥].

والنبي ﷺ أذّر الأمه النار وأكثر من ذكر النار وقال: «لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» قد أبلغتكم، حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني من مالي ما شئت لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا».

فلا بد من الإنسان أن يأخذ حذره من النار ويحتاط بأن يتجنب الأسباب المُدخلة للنار، العقائد الفاسدة والنيات الكاسدة والأقوال البذيئة والأفعال المقيتة البغيضة والمظالم المتنوعة، هذه هي التي تجر إلى النار، وتلقى بصاحبها في النار؛ حتى إن إنساناً من الناس أخذ من الغنيمة قبل القسمة شراك سير النعل وجاء به الي النبي ﷺ، قال هذا أخذته، فقال ﷺ: «شَرَاكَانِ مِنْ نَارٍ».

فمن عصي الله بشيء له بقدره من النار إلا أن يتوب هو أو يعفو الله عنه.
فأمر النار خطير، والطريق إليها وعِرٌ صعبٌ.

﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعَقَبَةَ ۝۱۱ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝۱۲ فَكُ رَقَبَةً ۝۱۳ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝۱۴ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝۱۵ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝۱۶ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝۱۷ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝۱۸ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُتَابِعُونَهم أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝۱۹ عَلَيْهِم نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ۝۲۰﴾ [البلد: ٢٠].

فلا بد من الإنسان أن يكون ذكّر النار بالليل والنهار، ويصير عند كل قول أو عمل أو نية يخشى أن يكون هذه الشيء الذي يصدر منه يُوصله إلى النار فيبعد عنه يفر منه ويتوب إلى الله ما اقترب منه بجهل، هذا المطلوب من الإنسان وللحديث بقية إن شاء الله.

ونسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجيرنا من النار، وأن يجعل وُردنا عليها تحلة القسم، وأن يدخلنا الجنة مع الأخيار، وأن يجعلنا في أعالي درجاتها ومشارف مساكنها -وكلها شريفة-، وأن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى.

والله أعلى وأعلم، وصلي اللهم وسلم على نبيه محمد وعلى صحبه وسلم أجمعين.



خطبة:

التذكرة بأعمال ما بعد رمضان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلي الله عليه وعلى إله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله ربكم فإنه عفوٌ غفورٌ جوادٌ شكورٌ، وهو وحده مصرف الشهور، ومقدر المقدور، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور.

وقد جعل لكل شيء أسباباً، ولكل أجل كتاباً، ولكل عمل حساباً، وما ربك بغافل عما تعملون، وجعل الدنيا سوقاً يَغْدُو إليها الناس ويروحون منها؛ فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، وإنما يظهر الفرقان ويتجلى الربح من الخسران ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [التغابن: ١٠].

أيها المسلمون: تذكروا أن الأيام أجزاء من العمر ومراحل في الطريق إلى المستقر تفتونها يوماً بعد آخر ومرحلة تلو الأخرى ومضيها في الحقيقة استفاد للأعمار واستكمال للآثار وقرب من الآجال وعلق لخزائن الأعمال إلى حين الوقوف بين يدي الكبير المتعال؛ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

فاتقوا الله عباد الله في سائر أيامكم، وراقبوه في جميع أحوالكم ولحظاتكم، وتقربوا إليه بصالح أعمالكم، والتوبة إليه من معاصيكم وسيئاتكم.

معشر المسلمين: في الأيام القليلة الماضية كنتم في شهر رمضان، شهر البركات والخيرات، شهر مضاعفة الأعمال والحسنات، تصومون نهاره وتقومون ما تيسر من ليله، وتتقربون إلى ربكم سبحانه بفعل الطاعات، وهجر المباح من الشهوات، وترك السيئات الموبقات، ثم مضت تلك الأيام، وقطعتم بها مرحلة من مراحل العمر؛ فمن أحسن فليحمد الله وليواصل الإحسان، ومن أساء فليتب إلى الله وليصلح العمل مادام في وقت الإمكان؛ فألزموا ما هداكم الله له من العمل الصالح، واحذروا الرجوع

إلى المنكرات والقبايح؛ فليس للمؤمن منتهى من العبادة دون الموت؛ قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

أيها المؤمنون: فمنهج الهدى لا يتحدد بزمانٍ، وعبادة الرب وطاعته ليست مقصورةً على رمضان، بل لا ينقطع مؤمنٌ من صالح العمل إلا بحلول الأجل؛ فإن في استدامة الطاعة وامتداد زمانها نعيمًا للصالحين وقرة أعين المؤمنين وتحقيقًا لأمل المحسنين؛ يُعمِّرون بها الزمان ويملؤون لحظاته بما تيسر لهم من خصال الإيمان التي يُثقل بها الميزان ويتجمل بها الديوان.

وفي الحديث: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله».

أيها المؤمنون: ألا وإن لقبول العمل علامات، وللكذب في التوبة والإنابة أمارات. فمن علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها ومن علامة السيئة السيئة بعدها؛ فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامةً على قبولها، وتكميلًا لها، وتوطينًا للنفس عليها حتى تصبح من سجاياكم وكريم خصالكم، وأتبعوا السيئات بالحسنات تكن كفارةً لها ووقايةً من خطرها وضررها، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» وفي لفظ: «وإذا أسأت فأحسن».

معشر المؤمنين: إن الله تعالى قد شرع لكم بعد رمضان أعمالًا صالحةً تكن تميمًا لأعمالكم، وقربًا لكم عند مليككم، وعلامةً على قبول أعمالكم.

ففي صحيح مسلم عن أبي أيوب -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر».

وكان ﷺ يصوم الاثنين والخميس ويقول: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم».

وقال ﷺ: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة في سلام».

فاغتنموا هذه الأعمال العظيمة، وداوموا عليها فإن عمل نبيكم ﷺ كان ديمةً، واسألوا الله من فضله فإنه ذو الفضل العظيم، وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى وسلك بنا سبيل أولى التقى وثبتنا على الحق في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ۖ وَإِذَا
لَأَتَيْنَهُمْ مِن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۖ ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ۖ ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٧٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، رب رمضان ورب شوال ورب الشهور والسنين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
خاتم النبيين، فصلوات الله وسلامه عليه العابد الصَّوام القَوَّام في رمضان وكل الشهور والأعوام.
أما بعد:

فيا أيها الناس: أوصيكم بتقوى الله -عزَّ وجلَّ- فإن تقوى الله خلف من كل شيءٍ، وليس من تقوى
الله خلف، يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾ [النحل: ١٢٨].
أيها المسلمون: إن العيد مظهرٌ من مظاهر الدين وشعيرةٌ من شعائره المَعْظَمَة التي تنطوي على
حِكْمٍ عَظِيمَةٍ ومعاني جليَّةٍ وأسرارٍ بديعةٍ، لا تعرفها الأمم في شتى أعيادها، فالعيد في معناه الشرعي،
شُكْرٌ لله على تمام العبادة لا يقولها المؤمن بلسانه فحسب ولكنها تعتلج في سرائره رُضًا واطمئنانًا،
وتظهر في علانيته فرحًا وابتهاجًا، وتُسْفِر بين نفوس المؤمنين بالبشر والأنس والطلاقة، وتمسح ما بين
الفقراء والأغنياء من جفوة.

والعيد في معناه الإنساني يوم تلتقي فيه قوة الغني وضعف الفقير على محبةٍ ورحمةٍ وعدالةٍ من وحي
الشرعية، عنوانها الزكاة والإحسان والتوسعة.

والعيد في معناه الاجتماعي يوم الأطفال يفيض عليهم بالفرح والمرح، ويوم الفقراء يلقاهم باليسر
والسعة، ويوم الأرحام يجمعها على البر والصلة، ويوم المسلمين يجمعهم على التسامح والتزاور، ويوم
الأصدقاء يُجدد فيهم أواصر الحب ودواعي القرب، ويوم النفوس الكريمة تتناسى أضغانها فتجتمع بعد
افتراقٍ وتتصافى بعد كدرٍ وتتصافح بعد انقباض.

العيد في الإسلام -يا عباد الله- سَكِينَةٌ ووقارٌ وتعظيمٌ للواحد القهار.
فاللهم بارك لنا وللمسلمين عيدهم، ومكَّن لهم دينهم الذي ارتضيت لهم.
اللهم صلى على محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أعد علينا رمضان
أعوامًا عديدةً وأزمنةً مديدةً ونحن في حياةٍ وصحةٍ وسترٍ وحياةٍ سعيدةٍ.
اللهم عمِّم بيوتنا سعادةً وسلامًا وحياتنا توفيقًا ووثامًا يا أرحم الراحمين.
اللهم تقبل صيامنا وقيامنا ولا تحرمنا أجر ما أودعته في شهر رمضان من الخيرات والبركات.

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك اللهم من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميعٌ قريبٌ مجيب الدعوات.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وانصر عبادك الموحدين.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا مبتلىً إلا عافيته، ولا غائبًا إلا إلى أهله سالمًا أرجعته برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أدم على هذه البلاد أمنها وعقيدتها ورخائها ورغد عيشها يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم اصرف عنا وعن رجال أمننا كيد الكائدين ومكر الماكرين وحقد الحاقدين وأفعال المارقين برحمتك وقوتك يا قوى يا متين يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم احفظ علينا أمننا وولاية أمورنا ووقفهم لما تحب وترضى، واجعل اللهم هذا البلد آمنًا مطمئنًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



خطبة:
التذكرة بشأن الزكاة

الحمد لله الذي جعل الزكاة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام.

أحمده سبحانه على بالغ الحكمة وسابغ الإنعام.

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة من قال: ربى الله ثم استقام، وأشهد أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - عبدُ الله ورسوله، أشرف مُرسلٍ وأكمل إمام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى إله وأصحابه، الذين هم خير أمةٍ والسلف الصالح لهذه الأمة.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله - تبارك وتعالى - حق تقاته، واسعوا في موجبات مرضاته وكريم مَثوباته، واحذروا أسباب سَخَطه وشديد عقوباته، وعَظِّمُوا فريضة الزكاة وآتوها لمُستحقيها عن طيب نفسٍ وحسن أداء، كما أمرتم في محكم الآيات، وكما بين لكم النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة.

عباد الله: إن شأن الزكاة كبيرٌ، وإن التهاون بها والتفريط فيها خطيرٌ.

أيها المسلمون: إن الله - تبارك وتعالى - قد أعطاكم الخير الكثير، وفرض عليكم فيه لمَحَاجِبكم وضعفائكم القدر اليسير، ووعدكم على بذله لمستحقه الأجر الكبير، فأمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير.

أيها المسلمون:

قال الله - جَلَّ وَعَلَا - في بيان حتمية الزكاة ووجوبها على أهلها: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا

تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ [البقرة: ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] الآية.

وصح عن النبي ﷺ قوله: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» متفق عليه.

وصح عنه ﷺ أنه قال لمن سأله عن عمل يدخله الجنة: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ. وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ» الحديث.

أيها المسلمون: فالزكاة ركنٌ ركينٌ من أركان الإسلام، وفريضةٌ من فرائض الله تعالى على عباده، هي قرينة الإيمان والصلاة، من أداها على وجهها الشرعي أفلح وأجر، ومن جحدتها كفر، ومن بخل بها أخذت منه قهراً وعزراً، فجحدتها كفر، وبقاؤها في المال هلكة وشرٌّ، وموجبةٌ للعذاب ومُصليةٌ لسقر.

معشر المسلمين: إن الزكاة توحيدٌ لله -تعالى- في المال، افترضها الله -جلَّ وعَلا- في أموال الأغنياء، صدقةٌ لضعفائهم ومحاييهم تصديقاً للإيمان، وإثباتاً لصدق مودتهم لعباد الرحمن وابتلاءً من الله -جلَّ وعَلا- للأغنياء فيما آتاهم، وتحصيلاً لوعدهم بالخلف وكريم المثوبة، وتمييزاً للصالحين المؤمنين عن المنافقين الذين يقبضون أيديهم، ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧] وعن الذين إذا قيل لهم ﴿ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطِعِم مِّنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعْمَهُ ﴾ [يس: ٤٧]، وأولئك هم الكفار، وتطهيراً لأموال المؤمنين، وتزكيةً لأعمالهم، وليتجروا مع ربهم تجارة لن تبور.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [٢٩] لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ [فاطر: ٣٠].

أيها المؤمنون: الزكاة فريضةٌ لله تعالى، مقدرةٌ وميسرةٌ في مال كل مسلمٍ بلغ نصاباً أو زاد إذا حال عليه الحول في الجملة، سواءً كان مالك المال كبيراً أو صغيراً، ذكراً كان أو أنثى، عاقلاً أو مجنوناً؛ لأنها واجبةٌ في المال ولها تعلق بالذمة، فإنها حقٌ الله تعالى في المال بشرطه، بمثابة الدين الذي يتعين على كامل الأهلية وولي قاصر الأهلية إخراجُه من المال لمستحقه، لتحصيل مصلحته ووقايته من شره.

قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المعارج: ٢٥].

وصح عن النبي ﷺ قوله: «إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ إِلَى فُقَرَائِهِمْ».

معشر المؤمنين: وإنما تجب الزكاة بشرطها في الأموال النامية كالذهب والفضة، والعمل النقدية، وبهيمة الأنعام، والزرع والثمار، وعروض التجارة التي تُعدُّ للبيع؛ لأن تلك الأموال ناميةٌ بالعناية أو

الإتجار فتحتمل المواساة بما يُحصَل خيرها وبركتها ويدفع شرها وغائلتها ويُحقق الوئام والتكافل في المجتمع، ويدفع الفتن والشر مع تصديق الإيمان وإثبات المؤدة والتراحم بين المؤمنين، وشُكر نعمة الله تعالى بالمال على الأغنياء، وبالمواساة والكفالة للمحاويج والضعفاء والفقراء، وإعانة من نفعه عام، ودفع الشر عن أهل الإسلام.

فاتقوا الله عباد الله، وعظموا شأن الزكاة واعتنوا بها وأوصلوها لمستحقيها، وأخلصوا لله -عزَّ وجلَّ- فيها، أخرجوها طيبة بها أنفسكم، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ط
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا جميعاً بما فيه من الهدى والبيان.
 أقول قولي هذا، واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين والمسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبد الله ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى إله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا أسباب سخط الجبار، فإن أجسامكم على النار لا تقوى، وتحروا -عباد الله- أن تخرجوا زكواتكم في شهر رمضان المبارك لما في ذلك من اغتنام شرف الزمان ومضاعفة العمل ولاختيار الأفضل من المحاويع لكثرة من يعرض، فاجتهدوا في ذلكم وتحروه، تغنموا مغنمًا كبيرًا.

أيها المسلمون: القدر الواجب في الأموال الزكوية يسير، والعوض من الله تعالى عما أخرج منه كبير، فأخراج الزكاة من صالح الأعمال، وأمان من الله تعالى للأموال والملاك، ونماء وبركة وخلف عاجل وفكاك من النار، وسبيل إلى جنات تجرى من تحتها الأنهار.

أيها المسلمون: تسليم الزكاة لولاية أمور المسلمين، إذا طلبوها من حقوقهم على الرعية التي يجب أن تؤدى لهم وتبرأ بها الذمة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة.

معشر المسلمين: وإذا لم تطلب من صاحبها من قبل ولاية الأمور، فإن عليه أن يتحرى بها عند إخراجها أهلها الذين قسّمها الله تعالى بينهم من فوق سبع سماوات، وعليه أن يتحرى بها أفاضل كل صنفٍ بكمال الديانة والوصف، وأن يراعى بها كذلك أقاربه وأرحامه الذين لا تلزمه نفقتهم وهم من أهل الزكاة من غير محاباة أو دفع مذمة أو مراعاة جلب مصلحة أو تحصيل خدمة، إن عرف ذلك فذاك، وإلا استعان بمن ينصح له، ويعينه على السلامة والفكاك.

معشر المسلمين: ومن تحرى الإحسان في إخراج الزكاة أن يعتنى بإعطائها مستحقيها من أهل بلده، من جيرانه وذويه، ومن يعرف أهليتهم في مجتمعه ووطنه، فإن أهل البلد أحق بزكاة أغنيائهم، وإن تصدير الزكاة إلى جهاتٍ نائيةٍ لا يكون إلا بعد اكتفاء أهل بلد الزكاة أو من طريق بيت مال المسلمين الذي يُعنى بمراعاة المصلحة، ومراعاة أهل الحاجة، فاجتهدوا عباد الله في إخراج زكاتكم على الوجه

الشرعي، إن علمتم ذلك فأعملوا به وإلا ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

تقبل الله مني ومنكم ومن سائر المسلمين أعمالنا، وتجاوز عن تقصيرنا وإهمالنا، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، واستعملنا -جَلَّ وَعَلَا- بفضله في طاعته، وأجارنا من النار، وأورثنا الفردوس الأعلى مع الأخيار، والديناء ومشايخنا وأزواجنا وذرياتنا وأحبابنا فيه.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾

[الصافات: ١٨١].



التنبيه
لبعض مظاهر المعتكفين المعاصرة

الحمد لله رب العالمين.

وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى إله وصحبه.

أما بعد :

فقد كان النبي ﷺ يجتهد في رمضان كله بأنواع من الطاعات، ابتداءً من الذكر والدعاء والإخلاص لله -عزَّ وجلَّ- والرغبة إليه والرغبة منه والرجاء له وحسن الظن به، وكذلك الصلاة فريضةً ونافلةً، والصدقة فريضةً ونافلةً، والصوم، وهكذا أنواع البر والإحسان المتعدي نفعه والقاصر عليه، كل هذا يفعله ﷺ نظرًا لشرف الزمان، وأن الله -عزَّ وجلَّ- بجوده وكرمه يضاعف المؤمن العمل ويضاعف له الثواب فضلًا منه -عزَّ وجلَّ-، ويُعطي سبحانه وتعالى من منحه الكريمة فوق العمل فوق ما يستحقه العامل، فهو شهر الاتجار مع رب العالمين، بأنواع الأعمال الصالحة: القلبية واللسانية والجوارحية؛ الفعلية والتركية؛ كل ذلك على وفق الشرع وعلى السنة مما يتقرب به إلى الله -عزَّ وجلَّ-، وترتفع به درجة العبد عنده سبحانه وتعالى.

وكان ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان اهتم زيادةً، وجد واجتهد حتى كان ﷺ يعتزل أهله، ويعتكف في المسجد؛ من شدة حرصه عليه الصلاة والسلام، ورغبته فيما عند الله -عزَّ وجلَّ-، وعظم رجاءه له، وكان ﷺ كذلك يُحيي ليله؛ يظل طول الليل مستيقظًا منشغلًا بطاعة الله -عزَّ وجلَّ-: بتلاوة كلامه ودعائه والصلاة وغير ذلك على قول بعض أهل العلم.

وعلى القول الثاني: أنه كان ينام بعض الشيء ويقضى بعض الوقت مع أهله في الطعام والشراب والسحور والإفطار.

والمقصود أنه كان إذا دخل العشر شد متزره وأحيا ليله، أي: غالب الليل أو كله، وأيقظ أهله، بمعنى أنه يحزم عليهم في أن يشهدوا الصلاة ويحيوا الليل؛ تقربًا إلى الله -جلَّ وعلا-.

وهذا بما علم ﷺ من فضيلة هذه العشر، وأن الله ادَّخر لهذه الأمة فيها خيرًا كثيرًا؛ ولأنه يترجى أن يوافق ليلة القدر التي قال الله -جلَّ وعلا- فيها: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، يعني: العمل في ليلة القدر يعدل عمل عُمر إنسان مُعَمَّر في طاعة الله -جلَّ وعلا-، ليلة واحدة تعدل عُمر إنسان مُعَمَّر فوق الثمانين، فكان هذا شأنه ﷺ في العشر الأواخر.

ومما عني النبي ﷺ الاعتكاف حتى أنه كان يعتكف العشر كلها.

والاعتكاف هو الانقطاع في المسجد لعبادة الله -عزَّ وجلَّ-، ترك مشاغل الدنيا، وترك صحبة الأهل والخاصة، والإقبال على الله ﷻ بما يحب من أنواع الأذكار والدعوات والطاعات، فكان يعتكف ﷺ، فلا يفارق المسجد؛ لا يخرج من المسجد إلا لحاجة الإنسان، حاجته من الطعام والشراب أو قضاء الحاجة فقط؛ حتى أنه إذا احتاج أن إحدى نساءه تغسل رأسه وترجله يُخرج رأسه إليها من نافذة في المسجد، ما يخرج بدنه؛ من شدة حرصه ﷺ على الانقطاع إلى الله -جل وعلا-.

ولذا قال العلماء رحمهم الله في تعريف الاعتكاف: هو قطع العلائق عن الخلائق للاشتغال بعبادة الخالق.

والله -جَلَّ وَعَلَا- نوه بشأن الاعتكاف في كتابه حيث جعل الاعتكاف قرين الصلاة وقرين الطواف بالبيت الحرام؛ كما قال سبحانه: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ آبَائِهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهَّرْنَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَطَهَّرْنَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

فالاعتكاف بحد ذاته: الانقطاع في المسجد عبادةً عظيمةً من جليل العبادات ونفيس القرب؛ الإنسان يتخلى باختياره عن الدنيا وأهلها ويقبل على الله -عزَّ وجلَّ- بقلبه وقالبه بما يحبه سبحانه وتعالى، فهذا هو الاعتكاف.

فهو عبادةٌ مستقلةٌ لا يذوق حلاوة الإيمان ولذة المناجاة الإنسان في سائر السنن مثل ما يذوقه في الاعتكاف ليش؟

لأنه انقطاع إلى الله -جَلَّ وَعَلَا-.

فهو عبادة عظيمة من نفيس القرب وجميل الطاعات، وله لذة وثمرَةٌ؛ فكان يجعل للنبي ﷺ شيء يستره من الناس في جهة من المسجد وينقطع فيها ولا يخرج للناس إلا ليُصلي، ولا يكون عنده دروس أو خطب أو مواظب أو شيء إلا نادر جدًّا ولحاجة لا تُفوت.

وكان من شأن أهل العلم رحمهم الله والمُحدِّثين خاصة أنهم يُوقفون الدروس في رمضان ويشغلون لعبادة الله -جَلَّ وَعَلَا- وخصوصًا في العشر الأواخر لمزِيَّة هذه العشر، ومزية الانقطاع فيها، وحسن

العاقبة التي تترتب على الانقطاع فيها، وجيل المواهب والمنح الربانية التي يُعطيها -جَلَّ وَعَلَا- للمُقبلين عليه بما يحب؛ فهكذا كان ﷺ، كان يعتكف، وكان أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يعتكفون، وكانت أزواجه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ- يعتكفن بالمسجد، وواصل ذلك ﷺ طيلة مُكثه في المدينة حتى توفي ﷺ وهو يعتكف، واعتكف أصحابه -رضى الله عنهم- وأزواجه -رضى الله عنهن- من بعده كذلك إحياء لهذه السنة وعملاً بها وتبليغاً لها للأمة.

والصحيح عند أهل العلمك أن الاعتكاف يكون بالشيء اليسير وبالكثير؛ فالنبي ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان في سنة من السنوات، ولما انتهت العشر الأول أخبر أن ليلة القدر ليست فيها فواصل الاعتكاف واعتكف العشر الأوسط هو وجماعة من أصحابه، فلما انتهت أخبر إن ليلة القدر ليست فيها، وأنها في العشر الأواخر، فخطب الناس وقال: إني كنت أعتكف وأتحرى ليلة القدر وإني أوحى إلي أنها في العشر الأواخر، فمن كان يعتكف معي فليعتكف، اللي بدأوا من أول الشهر، وكان ﷺ يبدأ الاعتكاف أو يَهْمُّ بالاعتكاف وَيَعْرِضُ العارض من غزوٍ أو غيره فيقطع اعتكافه ثم يقضيه من أول من شوال العشر الأول من شوال أو من رمضان القادم؛ لحرصه ﷺ على الاعتكاف، فهو مزية من مزايا العشر الأواخر من رمضان، وهو عبادة في سائر السنة، فالإنسان يعتكف ليلة في المسجد؛ ينوي بأن يعتكف الليلة ويدخل قبل غروب الشمس ويطلع بعد الفجر، وإذا أراد أنه يعتكف يوماً وليلاً فالليلة قبل اليوم؛ يدخل قبل غروب الشمس ويطلع بعد غروب الشمس اليوم الثاني، ولو قرر أنه يعتكف ساعة أجزاء ذلك، فيدخل المسجد مثلاً لصلاة المغرب وينوي أن يعتكف ما بين العشاءين: العشاء الأول المغرب والعشاء الأخير العشاء، ينوي أن يعتكف يوم الجمعة من حين يدخل من وسط الضحى إلى أن تقضى الصلاة، فأَيُّ قَدْرٍ من الزمن ينويه الإنسان أنه ينقطع بالمسجد بنية الاعتكاف، أهم شيء أنه بنية الاعتكاف؛ فإنه ينفعه ذلك ويحفظ له.

والانقطاع في المسجد مظهر من مظاهر ذل العبودية والانطراح بين يدي الرب -جَلَّ وَعَلَا- للضراعة إليه، طلب كريم المثوبة والسلام من العقوبة؛ ولذا يكون المعتكف متواضعاً متبذلاً مُنزوياً في جهة من المسجد، ويكون قليل الكلام مع الناس، ولا يتحجّر موضعاً من المسجد يُبعد عنه غيره إلا إذا خرج من مكانه لحاجة فهو أحق بالمكان، ولا يجعل من المسجد مُتتدي للحديث والسمر مع الأصدقاء

والإخوان؛ هذا ينافي الاعتكاف، هذا يُقسي القلب، هذا مظهر من مظاهر الترف والتجبر، ولا يجعل المسجد منتدى للأكل والولائم ولا يجعله مظهرًا من مظاهر الأثاث والزينة يجمع ثيابه يجمع أغراضه ويكبر مكانه بالمسجد وكذا وكذا ويحجر على الناس المسجد لأ، هذا أمور ما تليق مع الاعتكاف، فالاعتكاف تواضع وذل وانقطاع وانكسار وإقبال على الله بجمعية الإنسان رجاء ما عنده من الثواب العظيم والأجر الكريم وخوفًا مما عنده من العذاب الأليم، فالاعتكاف ذل لله -عزَّ وجلَّ- ومسكنة وانكسار وإقبال على الله -عزَّ وجلَّ- واشغال النفس بطاعة الله: تارة يصلى وتارة يتلو القرآن وتارة يذكر الله -عزَّ وجلَّ- بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والحوقلة وتارة بالدعاء والتورع، وإذا سأم من نوع عمل اشتغل بالآخر وخصوصًا كثرة الصلاة؛ لأنه يزيل بها الملل ويجتمع فيها العبادة الفعلية والقولية والحالية، وهي أجل مظاهر التوحيد: الصلاة، فهذا هو الاعتكاف؛ ولا يكون للإنسان تعلق بخارج المسجد لا يشغل الجوال ويُدبر الأمور وهو بالمسجد، ما هو في غرفة عمليات، لا، المسجد انقطاع وذل وابتعاد عن الدنيا وأهلها، حتى أن من السلف الصالح -فيمن أحسب- من جاءه أخوه يستشيريه في حاجة عارضة وهو معتكف في حاجة من أمر الدنيا فقال له: تعال بعد العيد، ما أراد أن يسمع رأيه ولا أن يعطيه رأيه في مسألة واحدة؛ فالاعتكاف عبودية خاصة في مظهر الذل لله -عزَّ وجلَّ- والتواضع والاحتياج إليه سبحانه وتعالى والانقطاع عن الخلق والإقبال عليه -جلَّ وعلا- والأنس بذكره ومناجاته والخلوة به والبعد عن مظاهر الدنيا ومجالس الدنيا وأمور هذه الدنيا ومظاهر الترف.

الاعتكاف عبودية خاصة؛ لذلك ينبغي أنه يُعرف له حقه ولا يخرج أبدًا من المسجد إلا لحاجة؛ ولذا قالوا الفقهاء رحمهم الله أنه يعتكف في مسجد جامع حتى ما يحتاج للخروج إلى الجمعة، ولو احتاج أن يعتكف بمسجد عادي لبعد مسجد الجمعة عنه فيشترط الخروج للجمعة، قالوا: وإن المعتكف لا يعود مريضًا ولا يشهد جنازة.

كانت عائشة -رضي الله عنها- تعتكف في المسجد، أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ وخاصة أزواجه به وأعلم الناس بسنته فكانت تدخل بيتها للحاجة -حاجة الإنسان- وإذا فيه مريض تسأل عنه: كيف فلان، ما تجلس عنده، لا تعود؛ لأنها مشغولة بالاعتكاف في المسجد، فهذا أمر الاعتكاف عبادة عظيمة، مهيب الاعتكاف، مثل ما يقولون العوام الشباب: يشتهون كأنس وكذا أو يجعلون المسجد محل، عنوان: أنا في

المكان الفلاني في الجهة الفلانية تعال عندي!، هذا مو باعتكاف هذا يُخشى أن يكون من الرياء ومن أنواع التجبر والترف والتشبه بالمتجبرين والمترفين، لكن الاعتكاف انقطاع إلى الله -عزَّ وجلَّ- وتواضعٌ وذلٌّ يكون الإنسان كحلس البيت، كفراش البيت أو أثاث البيت اللبي مَرْمِي في جهة.

هذا الاعتكاف وهذه حقيقة المعتكف ولا يضيع شيئاً من الوقت، لو قدر أن زاره أخ له في الله وجلس معه دقائق استطال هذه الدقائق لأنه شغله عما يُنْشغل به؛ لأنه فَرَّ من الناس والمجتمع لعبادة الله -عزَّ وجلَّ- ما يحتاج أن أحد يجيه يشغله وهو معتكفه، إذا سَلَّم عليه واطمأن عليه، انشغل بما هو فيه وأعرض.

فهذا الذي ينبغي فهمه، ما تحول المساجد إلى منتديات سَمَرٍ، ولا منتديات الأظعمة ولا مظاهر ولا عناوين ولا شيء، الاعتكاف انقطاع إلى الله والانشغال بعبادته شُحاً بالوقت واستزادةً م صالح العمل وتخلصاً من سابق الذنوب والذلل بالتوبة النصوح وكثرة الاستغفار، فهذا هو الاعتكاف، بعض الناس جعلوا الاعتكاف رياضةً وتغيير، وهذا مو صحيح، وربما أنهم يعتكفون ويتآمرون علي الإسلام وأهله، تآمرٌ في تفجيرٍ ولا في كيدٍ وشرٍّ زي ما يفعله الخوارج المارقون وغيره.

الاعتكاف عبودية وانقطاع الإنسان يفارق والديه وزوجته وصغار أولاده وهموم الدنيا كلها ليُقبل على الله -عزَّ وجلَّ- بما يُحب سبحانه وتعالى وبما يرجو حُسن عقابه فالدنيا والآخرة، ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وجعلنا هداةً مهتدين، وجعلنا فائزين بليلة القدر وما فيها من عظيم الأجر ومغفرة الوزر.

والله أعلم، وصلي الله وسلم علي نبينا محمد ﷺ.



الحسبة في الأعمال

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك علي نبينا محمد وعلى إله وصحبه أجمعين، أما

بعد:

فقد صح عن النبي ﷺ قوله: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته لله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» متفق عليه.

ففي هذا الحديث العظيم الذي عدّه العلماء -رحمهم الله- أصلاً من أصول الإسلام، بل قالوا: إنه يساوي ثلث الإسلام.

يُبين النبي ﷺ أن الأعمال بالنيات، والنيات هي القُصود والإرادات، أن الانسان يقصد بالعمل وجه الله -عزَّ وجلَّ- والتقرب إليه، وأداء حقه إليه؛ يبتغي مرضاته وثوابه، فيكون العمل مقصوداً؛ لأنه لو لم يكن مقصوداً صار لغواً وباطلاً؛ لأن العمل من غير نية مثل عمل المجنون وهذيان النائم، ما هو مقصودٌ ولا يؤخذ عليه، فلا بد أن يكون العمل مقصوداً، أنك نويت تتوضأ نويت تصوم نويت تفطر وهكذا، يكون العمل مقصوداً منويّاً «**إنما الأعمال بالنيات**»؛ فالعمل المنوي يترتب عليه حكمه فإن كانت النية طيبةً وخالصةً لله -عزَّ وجلَّ- ترتب عليه ثوابه وصحته من حديث القصد، وإن كان لغرضٍ دنيويٍّ ترتب عليه ما كُتِبَ له في المقادير لكن ما له حظٌّ في الآخرة.

«**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى**» فحظ كل إنسانٍ من عمله علي قدر نيته، فمن قرأ القرآن ليؤجر له أجره وثوابه، ومن قرأ القرآن ليرائي بحسن صوته أو لأجل غرضٍ دنيويٍّ ليس له إلا ما كُتِبَ مما أراد.

«**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى**»، ولذلك الله -جلَّ وعَلا- ذكر أشياء من أعمال الناس التي يعملونها ورتب الثواب علي نوعٍ خاصٍ منها، وهو المقصود به مرضاة الله -جلَّ وعَلا-، قال سبحانه: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ**﴾ [النساء: ١١٤] يعني في حديث بعضهم مع بعض في شأنهم، فهذا ما فيه خير، كثير من حديث الناس بعضهم مع بعض فاضي ما فيه شيء، وقد يكون عليهم أثم، قال: ﴿**إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ**﴾ [النساء: ١١٤] واحدٌ يشير علي الثاني يقول: تري ذلك مسكين أعطه ما كتب الله لك، أرسل له طعام، أكسه، ﴿**إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ**﴾ [النساء: ١١٤] يعني إحسانٍ إليه: احمله في سيارتك

معك وَدَّهْ إِلَي دَوَامِهِ، وَدَّهْ إِلَي الْمَسْتَشْفَى فَهَذَا مَعْرُوفٌ ﴿أَوْ إِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، إِنَّكَ تَتَكَلَّمُ مَعَ اثْنَيْنِ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَي حِدِهِ عَلَي وَجْهِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ فَتَقُولُ: وَاللَّهِ إِنْ أَخُوكَ يُحِبُّكَ، تُقَسِّمُ لَهُ إِنَّهُ يُحِبُّهُ أَحْتِمَالٌ تَدْرِي هُوَ يُحِبُّهُ وَلَا مَا يُحِبُّوْشُ، قَدْ يَكُونُ يَبْغِضُهُ؛ لِأَنَّ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ، لَكِنْ أَنْتَ تَدْرِي أَنَّهُ يُحِبُّ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ دِينًا دِيَانَةً، فَأَنْتَ مَا كَذَبْتَ، كَلَامٌ طَيِّبٌ يَبْعَثُ عَلَي سَلَامَةِ الصَّدُورِ وَحُسْنِ الظَّنِّ وَصِلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ تَقُولُ: وَاللَّهِ فَلَانِ يَدْعُو لَكَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، لَيْشَ يَا أَخِي يَصِيرُ هَذَا الْمَوْقِفُ مِنْكَ مَعَهُ وَهُوَ يَدْعُو لَكَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، أَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ يَدْعُو لَكَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، قَابِلٌ دَعَاؤَهُ لَكَ بِدَعَائِكَ لَهُ، وَإِحْسَانِكَ إِلَيْهِ، وَمَصَالِحَتِكَ مَعَهُ!، أَنْتَ مَا سَمِعْتَهُ يَخْصُ فَلَانًا بِالِدَعْوَةِ لَكِنْ سَمِعْتَهُ يَقُولُ فِي الصَّلَاةِ: السَّلَامَ عَلَيْنَا وَعَلَي عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَأَنْتَ تَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ اللَّي فِيهِ تَوْرِيَّةٌ وَهُوَ صَحِيحٌ بَغْرَضِ الْإِصْلَاحِ.

هَذَا نَمَازِجٌ مِنْ أَقْوَالِ النَّاسِ النَّمَازِجِ هَذِهِ مَا فِي ضَمَانَةِ إِنْ الْوَاحِدِ يَتَكَلَّمُ بِهَا يَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- لَيْشَ؟؛ لِأَنَّ الَّذِي أَشَارَ أَنْ يُتَصَدَّقَ عَلَي ذَاكَ، قَدْ يَكُونُ ذَاكَ نَسِيْبِهِ رَحِيْمِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ صَدِيقٌ لَهُ، فَهُوَ أَرَادَ أَنْ يَبْرَهُ، مَا أَرَادَ أَنْ هَذَا يُؤْجِرُ أَوْ شَيْءٌ، أَرَادَ أَنْ ذَاكَ يَنْتَفِعَ، مَصْلَحَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ مُتَبَادِلَةٌ. وَهَكَذَا مِنْ أَشَارٍ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَي سِيَارَتِهِ أَنَّهُ يَقْدَمُ لَهُ حَاجَةٌ يَعِينُهُ عَلَي حَاجَةٍ قَدْ يَكُونُ لِبَغْرَضٍ، أَحْيَانًا يَكُونُ لِبَغْرَضٍ سَيِّئٍ قَدْ يَكُونُ لِبَغْرَضٍ سَيِّئٍ يَرِيدُ مِنْ هَذَا إِنَّهُ يَنْذَلُّ مِنْ فِعْلِ النَّاسِ وَيَنْهَانُ؛ لِأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَشَايَةَ!، فَهُوَ رَحِمٌ كَاشِحٌ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ عِدَاوَةٌ يَرِيدُ أَنْ يُهَيِّنَهُ فَلَا يَزْعَمُ أَنْ تَكُونَ نِيَّتُهُ صَحِيْحَةً. كَذَلِكَ الْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ قَدْ يَكُونُ لِعَصْبِيَّةٍ يَدْفَعُ عَنِ قَرِيْبِهِ الضَّرْرَ، لَكِنْ مَا عِنْدَهُ حَسْبَةٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-.

وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، فَخَصَّ الْأَجْرَ عَلَي حَسَنِ النِّيَّةِ عَلَي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَجْهَ اللَّهِ. وَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ رَجُلٍ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً لِقَوْمِهِ، وَيُقَاتِلُ لِيُرِي مَكَانَهُ لِيَصِيرَ لَهُ شَهْرَةٌ فِي الْمَجْتَمَعِ، أَيِ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِكَيْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، فَجَعَلَ الْأَجْرَ مُرْتَبًا عَلَي إِرَادَةِ وَجْهِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- بِالْقِتَالِ. فَالْنِّيَّةُ لَهَا أَثْرٌ عَظِيمٌ فِي صِلَاحِ الْأَعْمَالِ وَقَبُولِ الْأَعْمَالِ وَتَرْتَبِ الثَّوَابِ عَلَي الْأَعْمَالِ.

ولذا قال الله تعالى في سورة هود: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥] ، يعني يأتيهم ما كتب لهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطَلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] ، يعني: يريد بعمله الشرعي غرضاً دنيوياً، فهذا ذهبٌ عليه أجره، وتعرض لوعيدٍ شديدٍ وعذابٍ خطيرٍ جداً ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطَلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] ، مثل إنسان يطوف بالبيت الحرام، بالبيت الحرام؛ يطوف مع الناس؛ من الصبح إلى الليل لكنه يريد الشحاذة، بغرض الدنيا، ما أراد الحسبة، ولذا قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] يعني ما كتب من المقادير ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّي فِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [١٨] وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمَدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ [الإسراء: ٢١].

ولذا قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] ، يعني: أد العبادة من صلاةٍ أو صومٍ أو صدقةٍ أو غير ذلك أو حجٍّ أو جهادٍ بتبغني مرضاة الله وما عند الله -جَلَّ وَعَلَا-، تتقرب بذلك إلي الله، قال تعالى: ﴿الْإِلَهَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ إِيَّاهُ لَحَدِيثٌ لَذِيقٌ﴾ [الزمر: ٣]، لأن الله لا يقبل إلا الدين الخالص.

ولذا جاء في الحديث الصحيح أن الله تعالى يقول: «أَنَا غَنِي الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ». وفي رواية: «فَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ وَأَنَا عَنْهُ غَنِي»، معنى أشرك معي فيه غيري، يعني: رائئ غيري، تصدَّق في مجمعٍ من الناس لأجل أن يُقال هو غنيٌّ ومحسنٌ كبيرٌ، ربما إنه تصدق بملايين في الجريدة، إعلان لكل الناس، وهي دعاية تجارية! أو تزلف للمؤسسات الحكومية من أجل إنهاء إجراءاته ومعاملاته!، كل هذا يكون، لذا قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [٢] ،

[الزمر: ٢] ، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [١٤] فَاَعْبُدُوا مَا سِئَلْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٥] ، فلا بد من ابتغاء وجه الله -جَلَّ وَعَلَا-؛ فلا يفعل الشيء من دين الله -جَلَّ وَعَلَا- علي وجه المجاملة أو المجاراة أو المتاجرة أو طلب الشهرة أو طلب حظوظ الدنيا، كل هذا بخسٌ ليس شيئاً بالنسبة لأجور الآخرة، هذا لا يعدل التراب الذي يلصق بأسافل الحذاء بالنسبة للآخرة.

فينبغي للإنسان إنه يحضر النية دائماً عند الفعل أو الترك يكون له حسبةٌ، ولذ الناس تقول: احتسب. قيل لبعض السلف: تعال هذه جنازة تعال نشهدها. فقال: دعني أنوي، يعني أنوي أني أحضر الجنازة لأجل أن أصيب القيراط، قيراط شهود الجنازة وقيراط تشييعها، يعني ما أذهب مجاملةً؛ لأن هذا الميت مسؤول، لأنه وجيه، لأنه عليه معروفٌ سابقٌ لأ، هذه دين، هذه تفعلها ابتغاء مرضاة الله تقريباً إلى الله - جَلَّ وَعَلَا -.

قال بعض السلف: جاهدت نيتي - يعني علي الإخلاص - ستين حتى انقادت لي، صارت تحتسب بالمجاهدة، ومن قارن بين حظ الدنيا وحظ الآخرة وهو عاقل آثر الآخرة ولم تشغله الدنيا.

ولذا النبي ﷺ لما أعطانا هذه القاعدة العظيمة «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» ضرب مثلاً ﷺ علي حسن النية والإخلاص وآخر علي عدم الإخلاص، قال: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**» يعني انتقل من بلد الكفر إلى بلد الإسلام أو من بلدٍ تظهر فيه الفسق والمعاصي إلى بلدٍ تظهر فيه الطاعة والاستقامة، بلد مسلم كله مسلم، أو بلدٍ تظهر فيه أعلام السنة وآخر تظهر فيه أعلام البدعة فانتقل من بلد البدعة إلى بلد السنة، هذه هي الهجرة إلى الله ورسوله، «**فهجرته إلى الله ورسوله**» فمن كانت هجرته لله ورسوله يعني نيةً وقصدًا فهجرته إلى الله ورسوله يعني حكمًا وثوابًا؛ هجرة شرعية يترتب عليها الثواب الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠] ، وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِرِزْقَتِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [٥٨] **لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يُرْضَوْنَ بِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ** ﴾ [الحج: ٥٩].

فهذه الهجرة الشرعية.

الثانية: هجرة غير شرعية، ظاهرها للشرع لكن غايتها لأ، وهذا يسميه أهل العلم مهاجر أم قيس، رجلٌ في زمن النبي ﷺ كان من أهل الشرك والكفر فذكرت له امرأةٌ مسلمةٌ مهاجرةٌ له رغبةٌ فيها فهاجر من أجل أن يتزوج تلك المرأة، ما أراد الله ورسوله، فهذا ما له إلا ما نوى، هجرته في الظاهر شرعية لكن

عند الله ما هي شرعية، وليس له ثواب المهاجرين، هذا ثوابه ثواب التجار أهل المصالح، ولذا قال ﷺ: «**فمن كانت هجرته إلي دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلي ما هاجر إليه**» ما تستحق الذكر.

وهذا أمثلة كثيرة: تجد الانسان منقطع عن إنسانٍ عشر سنين قد يكون من رحمه وتكون له حاجةٌ في يوم من الأيام يبغي يقترض منه أو يبغي يخطب بنته أو كذا، ثم يجي ويقول: والله احنا مقصرين في حقكم احنا والله نحبكم واحنا والله عائلةٌ واحدةٌ وكذا وكذا وكذا، وهو ما جاء لهذا، ما جاء لوجه الله، جاء لغرضٍ دنيويٍّ، هذا يفعله الناس الآن، كثيرٌ جدًّا؛ تكون الزيارات علي قدر المصالح فاذا كان له مصلحة في أي جهةٍ أقصي جهة ذهب إليها وألبسها اللبوس الشرعي، وإذا ما له مصلحة انقطع ونسي ولا همه هذا الشيء أصلاً، ونفس الشيء في شهود الجنائز، إن كان المتوفي وجيه والشخص الذي يحضر الجنازة يُفقد راح من أجل مكانةٍ يحافظ علي مكانته، فيكون الحضور ما هو الله، يقول: هذا حضر جنازة والدي قبل خمسة أيام أو عشرة أرواح أحضر جنازتهم، مكافأة يعني، ما في حسبة، ما في نية، ما في ابتغاء وجه الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ ولذا تذهب أعمالٌ كثيرةٌ عن الناس بسبب خلوها من الحسبة، من نية الخير، من ابتغاء وجه الله -عَزَّ وَجَلَّ-، تكون مجاملات مكافآت مداراة مصالح وهكذا، ويكون هذا من المصلين في المسجد لكن تغلب الدنيا علي الناس ويلبسون هذا الموضوع اللباس الشرعي بكذب، يكذب علي صاحبه وقبل هذا يكذب علي الله -جَلَّ وَعَلَا-.

فلا بد من النية؛ النية الصالحة، نية التقرب إلي الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لا بد من نية العمل هذا عمل يحبه الله -عَزَّ وَجَلَّ- فأنا أفعله، عمل يكرهه الله ويبغضه ويعاقب عليه فأنا أتركه؛ فيكون حسبة، فينبغي للناس أن يراعوا هذا وإلا تفوت عليهم أعمال كثيرة تعبوا في عملها ولا يأجرون بل يؤزرون؛ لأنهم ما عملوها لله -عَزَّ وَجَلَّ-، ويظهر هذا الأمر يوم التغابن ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ

تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠].

جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**إن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة:**».

الأول: بين ﷺ إنه رجل قارئ للقرآن مُتَقِنٌ للقرآن لكنه يقرأ في المناسبات في العزاء، يقرأ عند الأمراء، يقرأ عند الكبراء والوجهاء، ويأخذ مصالح، ويأخذ شهرة، فهذا يسأله الله -عَزَّ وَجَلَّ- علي

عمله، فيقول: يا ربي قرأت القرآن فيك، فيقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: كذبت وتقول الملائكة عليهم السلام: كذبت، إنما قرأت ليقال هو قارئ، فقد قيل، فيؤمر به فيسحب علي وجهه إلى النار.

والثاني: رجل تصدق في ظاهر الحال تصدق وأكثر من المال، فيسأله الله -عَزَّ وَجَلَّ- يوم القيامة وهو رياء: ما عملت؟ فيقول: يا ربي تصدقت ابتغاء وجهك بكذا من مالي، فيقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: كذبت وتقول له الملائكة: كذبت، ولكنك تصدقت ليقال هو جواد، يعني: هو محسن، فيؤمر به فيسحب علي وجهه إلى النار.

والثالث: رجل جاهد وقاتل العدو وأستبسل حتي قتل فيسأله الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن عمله، فيقول: يا ربي قاتلت فيك حتي قتلت، فيقول الله تعالى له: كذبت وتقول له الملائكة: كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرى هو شجاع ليري مكانك، فيؤمر به فيسحب علي وجهه في النار، والعياذ بالله.

فلا بد من استحضار النية الصالحة والقربة، في الدقيق والجليل، في اليسير من الأعمال والكبير، فلا تستهن بحسنةٍ مهما صَغُرَتْ فإنها ثقيلةٌ في الميزان، لها شأن، والميزان يثقل بذرات، ولا تستخف بسيئةٍ تتجرأ عليها مهما صغرت، فإن له شأنٌ عند الله، وإن لها من الله طالبٌ، فاحذر أن تطلب بها، احذر السيئات واجتهد وسابق إلي الحسنات وأخلص النية في جميع الأحوال والأوقات حتي يكون عملك لك رفعةً في الدرجات عند الله -جَلَّ وَعَلَا-.

رزقنا الله وإياكم الإخلاص والسنة، وأعاذنا من الشرك والبدعة، وجعلنا مباركين أينما كنا،

والله أعلم، وصلي الله وسلم علي نبينا محمد ﷺ.



تنبيهات بزكاة الفطر

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى إله وصحبه.

أما بعد:

فإن زكاة الفطر عبادةً من العبادات الجليلة التي رتب الله عليها الفلاح بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

﴿[الأعلى: ١٤]﴾، فإنه فسّر هذا بأنه أداء زكاة الفطر ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ﴿[الأعلى: ١٥]﴾، صلي

صلاة العيد، فزكاة الفطر سابقةٌ لصلاة العيد.

وسُمّيت زكاة الفطر نسبةً إلي سببها فسببها هو الفطر من رمضان بإكمال العدة ثلاثين يوماً أو برؤية

الهلال لتسع وعشرين يوماً؛ فلذلك هي تجب بالفطر من رمضان بغروب الشمس ليلة العيد، وهي زكاة

أبدانٍ ورؤوسٍ؛ علي كل شخصٍ غنيٍّ، والغني هو من يجد قوت يوم العيد وليلة العيد فما فضل منه فإنه

يخرج هو زكاةً عن نفسه.

والمقدار صاعٌ، والصاع يُقدّر بكيلوين ونصف عن كل أحدٍ، كل مسلمٍ يُدرك ليلة العيد: الشيخ

الكبير والطفل الرضيع، البالغ وما دون البلوغ، الرجال والنساء، الأحرار والعبيد، السادة والمُسودين،

الأغنياء والفقراء؛ كلٌ تجب عليه هذه الزكاة، حتي كان عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أمير المؤمنين يُخرجها

عن الحمل، الحمل الذي تحرك في بطن أمه.

قد فرضها الله -جَلَّ وَعَلَا- في السنة الثانية من الهجرة، وبلغ ذلك رسوله ﷺ.

قال ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر صاعاً من طعامٍ أو صاعاً من

شعيرٍ أو صاعاً من زبيبٍ أو صاعاً من تمرٍ أو صاعاً من أقط.

وهكذا قال أبو سعيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كلهم اتفقوا علي أنها فرضت

للفطر من رمضان، وأنها علي كل شخصٍ مسلمٍ، وأن المقدار الواجب صاع، وأنها تؤدي بين الفطر من

رمضان وبين صلاة العيد، فأفضلها ما بين الفجر وصلاة العيد، يليه في الفضل ما بين المغرب وصلاة

الفجر، ويجوز إخراجها قبل العيد بيومين أو ثلاثة؛ لأن النبي ﷺ كان يُؤكّل من الصحابة -رَضِيَ اللهُ

عَنْهُمْ- من يقبل صدقات الناس ويُعطيها لمستحقيها قبل العيد بثلاثة أيام؛ فدل علي جواز تقديمها قبل

العيد باليومين والثلاثة.

والذي تُعطي له صنفان من أهل الزكاة: هم الفقراء والمساكين.
فالفقراء من لا يجدون شيئاً أصلاً؛ ما عندهم شيء يُؤكل يوم العيد.
والمساكين من عنده شيء لا يكفيه.

فهي لا تُعطي إلا لصنفين من أصناف أهل الزكاة الذين قَسَمَ اللهُ الصدقة بينهم، ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ
لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ فُلُوْهُنَّ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾
[التوبة: ٦٠]، فلا تُعطي إلا لهذين الصنفين: الفقير والمساكين.

وضابط الفقير هو الذي لا يجد شيئاً أصلاً، والمساكين من يجد شيئاً لا يكفيه.
والحكمة منها كما في حديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنها طهرةٌ للصائم من اللغو والرفس،
يعني: أنها تجبر خلل الصيام وتكْمَلُ أجره تكمل نقصه، وكذلك طعمةٌ للفقراء والمساكين يوم العيد
بحيث إنهم لا يحتاجوا أن يتحروا الناس أو يسألوا الناس.

في بعض رواية الحديث قال النبي ﷺ: «أَغْنُوهُمْ بِهَا عَنْ ذلِ السُّؤَالِ»، من أجل أن يُشاركوا
المسلمين في فرحة العيد.

وهذا نوعٌ من التكافل الاجتماعي والإحسان إلي مستحقه الذي يَجْزِي اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عليه
بالإحسان: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
[آل عمران: ١٣٤].

وتُعطي كما نُصَّ عليه في الحديث: قوت الناس، قال أبو سعيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: كان قوتنا طعامنا
الشعير في عهد النبي ﷺ، ومع ذلك النبي ﷺ أعطي أو خَصَّصَ ما يُناسب فئات الناس، فأهل النخيل
يُخرجون التمر، وأهل الزروع يخرجون حب، وأهل البادية والبهايم واللبن والأقط يخرجون الأقط وهو
اللبن المجفف، وأهل الحدائق والفواكه يخرجون الزبيب.

وقد اتفق الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- على أنهم يُخرجونها طعاماً من قوتهم، كلٌ يُخرج من قوته،
يواسي من قوته، ولم تُذكر القيمة في عهد الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- والقيمة موجودة كانت عندهم
الدراهم والدنانير وعندهم الأمتعة: الثياب والأثاث فما أمروا أن يُخرجوا شيئاً من هذا، إنما أمروا أن
يُخرجوا الطعام: القوت، المراد إغناء الناس، ما يقتاتونه ما يأكلونه يوم العيد، ووُسِّعَ علي الناس بِذِكْرِ

جملة من أصناف الأطعمة كنموذج يعني؛ لأنه قد يفقد المنصوص عليه فيوجد شيء يقوم مقامه؛ فلذلك وسع الله -عزَّ وجلَّ- علي المسلمين في هذا الموضوع، قد يكون شيئاً من هذه المنصوص في زمن من الأزمان لا يكون قوتاً، مثل الشعير، الشعير اليوم علفٌ للبهائم ما هو بقوتٍ للناس، ومثل الزبيب، الزبيب الآن من البذارات البهارات ما هو بقوت، والمراد إغناء الناس بالقوت: الغداء أو العشاء؛ ولذلك نصَّ علي أنواع الأطعمة ولم يذكر مقابل ذلك من القيمة أو البدل، فدل علي أن هذا مقصودٌ كما قال تعالى:

﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ ﴾ [الإنسان: ٩].

يبقي أن: الانسان يُعلن الشعيرة، فيذهب مثلاً بأطفاله ويشترون الفطرة من السوق ويعدون عدد رؤوسهم في البيت كم عليهم؟ وإذا كانت مكيلاً تكال بالمكيال، موزونة توزن بالميزان، ومعدودة تعدُّ بالعدد: مثل اللي يأخذ الآن أكياس صغار علي خمسة كيلو علي كذا، يجعل أهل البيت والصغار وهكذا يعدونها، يقدرون عدد الفقراء، كم عدد رؤوس أهل البيت؛ حتي يتوارث الناس هذا العلم وهذه السنة وحتى تظهر الشعيرة بين المسلمون، وحتى يتعلم الصغار البذل والإنفاق لوجه الله -جلَّ وعلا-.

كذلك من المهمات: أنها تُسلم لمستحقها في وقت التسليم، تُسلم لشخصه أو إلي وكيله مثل ولده أو زوجته، ما يكفي أن تجعل عند الباب، ما تبرأ الذمة بأن تجعلها عند الباب، ولا يكفي أن تنوي أن تعطيها فلان وأنت ما تدري هو حاضر أم غائب!، لابد أن تطمئن أنها وصلت لمستحقها في الوقت المشروع لأدائها، معظم الناس يكون عنده حسبةٌ أو يكون عنده عصبيةٌ أو شيءٌ ويخص فقيراً من الناس يعطيه الزكاة وهو غائبٌ ما يدري عنه، ما يدري عنه، ما يدري هو الآخر: قد يكون فقيراً العام وأغناه الله هذه السنة، لابد أنه يُشعر، تقول: نعطيك زكاتنا؛ تسلمه بيده، ما يكفي أنها تجعل عند الباب ولا يكفي إنك ناوي تعطيها إياه ثم وجدته عند إخراجها يكون مسافراً رايعين يعتمر أو كذا ما تبرأ الذمة، ومن أداها وقت أدائها فهي زكاةٌ مقبولةٌ ومن أداها بعد الوقت -بعد صلاة العيد مثلاً- فهي صدقةٌ من الصدقات، بمعنى أنه يكون آثم، له أجر صدقته، وعليه أثم تأخير.

لابد إن الانسان يحتاط لهذا.

وتعطيها لمن يستعين بها علي طاعة الله: من يأخذ ليأكل، أما من يأخذ ليبيع هذا ما يُعطي، الذي يأخذ ليبيع يأخذها تجارةً، ويتواطأ أحياناً أصحاب المحلات مع مثل هؤلاء، ويبيعون الكيس عشر

مرات عشرين مرة مائة مرة، هذا تلاعبٌ بالشرع، واستهانةٌ بسنةٍ من السنن، واستغفالٌ للناس، ما ينبغي هذا.

فالمقصود أنها لازم إنها تصل لمستحقها في وقت أدائها، وإذا كان لك أولادٌ خارج البيت تريد أن تخرج عنهم أو بناتٌ أو عندك عمالٌ تقول لهم: ترى أُخرج عنكم، لا يكفي؛ لأنه يحتاج إلي نية، نية منهم هم، فإذا وافقوا أن تخرج عنهم تخرج عنهم، ما وافقوا هم يخرجوا عن أنفسهم، فلا بد من إشعارهم قبل صرفها، ترانا نُخرج زكاتنا اليوم ونُخرج زكاتكم معنا؛ حتى يكون علي نية؛ لأن هذه عبادةٌ تفتقر للنية. فهذه مهماتٌ تتعلق بصدقة الفطر، كثير من الناس صاروا يتهاونوا فيها إلى درجة أنهم يريدون التخلص منها ولا يباليون، وهذا استئثارٌ للسنة واستهانةٌ بشعيرة من الشعائر وأحياناً يعطونها إلي غير ثقة، إما أنه يجهل وإما أنه الهوي ولا كذا فيؤكل واحد ولا يصرفها، يأخذ الدراهم ولا يصرفها، ويحول الدراهم من عملةٍ إلى عملةٍ، وقد يصرفها في بلده علي غير وجهها الشرعي؛ علي غير الطعام المقصود، ما يحسن لجهله.

كذلك في جهاتٍ خيريةٍ تقبل الصدقات من الناس وهي في الواقع ما تصرفها في وقتها تدخرها وتصرفها بعد ستة أشهر!، توزعها علي الفقراء في أوقاتٍ مختلفةٍ، فهذه فيها إشكال، إن كانت مَعَمَدَةٌ من جهة ولي الأمر إنها تقبضها في الزكاة تبرأ الذمة بإعطائها لولي الأمر حتي لو كما قال بعض السلف: لو قَلَدَ بها الخنازير!، زكاة المال وزكاة الفطر، إذا أُعطيت لولي الأمر خلاص انتهيت منها أنت، كان النبي ﷺ يكلف أبا هريرة يقبل صدقات الناس ويصرفها لمستحقها، أما إنسان يتزعم الخير هو، غير مُوجَّه من ولي الأمر فأعطاؤه الزكاة، وهو لا يصرفها في وقتها؛ نوعٌ من التهاون والتقصير وأن الإنسان يَأْتُمُ لأنه لم يصرف الزكاة في وقتها.

فلا بد من العناية بهذا الأمر والحرص علي أنك تطمئن أن زكاتك وصلت لمستحقها، فهذا أمرٌ ينبغي التفطن له.

فمثل ما قلنا: إظهار الشعيرة أن الأولاد والحريم يعرفون هذه الشعيرة ويشاهدون عَدَّها وقسمتها وتنزيلها وتحميلها وصرفها حتي يتعلموا ويتفقهوا في الدين، مثل ما أن الله أَمَرَكَ أن تُصلي في بيتك النافلة

حتى يجعل الله في بيتك من صلاتك نورًا أو خيرًا؛ حتى يتعلم الناس أنواع الصلوات أنواع النوافل وهكذا.

فواجبٌ علي ولي الأمر في البيت أن يكون أسوةً حسنةً وأن يُفقه أهل بيته في دينهم حتى إذا سمع حديثًا في المسجد، تفسير آيةً أو حديثًا أو غير ذلك ينقله للناس حتى ينتشر العلم ويضمحل الجهل حتى أن الناس يعبدون الله -عزَّ وجلَّ- علي بصيرةٍ وعلي علمٍ، أما الاستهانة والتهاون وعدم المبالاة فهذا تفريطٌ في المسؤولية، وكلكم راعٍ وكل راعٍ مسؤول عن رعيته، الرجل راعٍ في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيته؛ فلا بد من العناية بهذا الأمر.

هذه الزكاة تتكرر حوليًا سنويًا، لا بد أن الأجيال تتعلم والعمال يتعلمون اللبي عنده سائقٌ أو شغال يتعلمون يشرفون على هذه الأحكام والعبادات جليلة، شرعت لحكمٍ عظيمة، وكون الانسان يهتم بعبادته ويوقعها علي أكمل وجهٍ يستطيعه هذا أوفي لأجره وأرفع لدرجته وأعلي لمقامه، وأن يكون أسوةً حسنةً للناس يقتدي به غيره، أما كون الناس يستقلونها ويهتمون بالتخلص منها بغض النظر عن أي اعتبارٍ فهذا تفريطٌ ومسؤولية يسئل عنها الانسان يوم القيامة فهذا لا بد من التنبه له.

وفقني الله وإياكم إلي ما يحبه ويرضاه، وجعلنا هداة مهتدين.

والله أعلم، وصلي الله وسلم علي نبينا محمد ﷺ.



جود الله
على
عباده بشهر رمضان صنوف

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى جوادٌ يحب الجود، فاسمه سبحانه الجواد، وفعله وصفته الجود، فيجود علي عباده وعلى خلقه بأنواع الإكرام؛ فيحقق لهم المطلوب، ويصرف عنهم شر الذنوب، ويلطف بهم في المقادير؛ فينبغي للمسلم العاقل أن يتطلع لجود الله تعالى، وأن يأخذ بأسبابه، فإنه تعالى أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، هو الغني الحميد، خزائنه ملاءى، و«يداه سَحَاء الليل والنهار أريتم ما أنفق منذ أن خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص أو لم يَغضُ مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر»، عطاءه كلام سبحانه، ومنعه كلام، وإذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون.

وهو سبحانه يحب الجود، ويحب أهل الجود؛ ولذا «لما خلق سبحانه جنة عدن بيده قال لها:

تكلمي. قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [المؤمنون: ١]. فقال تعالى: «وعزتي وجلالي لا يُجاورني فيكي بخيل».

ومن جوده سبحانه وتعالى على عباده أن اختار لهم أشرف الأوقات للعبادات للصلاة وللزكاة وللصوم وللحج، فأوقات العبادات مختارة من الله -جَلَّ وَعَلَا- بعناية، ولأداء العبادة فيها مزية، وللمتعبدين لله -جَلَّ وَعَلَا- فيها بما شرع عن إخلاص هدايا من الله -عَزَّ وَجَلَّ- وجوائز عظيمة لا يحصيها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنهم جادوا بأنفسهم، وجادوا بأموالهم لله -جَلَّ وَعَلَا-.

وهو سبحانه أهل الجود، ومن ذلك: أن الله -جَلَّ وَعَلَا- اختار شهر رمضان زمنًا لعبادة الصوم؛ الفريضة، فمن قَصَرَ في يومٍ من أيام رمضان وأفطر من غير عذرٍ، فإنه لا يمكن أن ينال ثواب اليوم الذي أفطره من غير عذرٍ لو صام الدهر كله؛ لأنه وإن صام فإنه لن يقع موقعًا من الزمان؛ لأن كل زمانٍ كل سنة رمضان مشغولٌ بفريضة تلك السنة، فمن أين له أن يعبد الله بالصوم الذي فَرَطَ فيه في يومٍ من رمضان؟

ومن ذلك: أن الله -جَلَّ وَعَلَا- اختص هذا الشهر العظيم منحةً لعباده بأنواع الكرم، ومن ذلكم: أنه شهرٌ أنزل فيه القرآن العظيم هُدىً للناس وبيِّناتٍ من الهدى والفرقان، بل قد أنزلت جميع الكتب السماوية من الله -جَلَّ وَعَلَا- على رسله -عليهم الصلاة والسلام- للأمم المُخاطبة بها في رمضان، فيكفي من فضائل رمضان وخصائصه أنه أنزل فيه الهدى، أنزل فيه القرآن، أنزل فيه الشرع، وأنزل فيه

البيان على النبي ﷺ، فأُنزل من الله -جَلَّ وَعَلَا- إلى السماء الدنيا جملةً واحدةً مكتوباً إلى بيت العزة، ثم أنزل من بيت العزة من عند الله -جَلَّ وَعَلَا- على النبي ﷺ مُفَرَّقاً حسب الحوادث والمناسبات والاستفتاءات والإشكالات، فيُنزل الجواب من الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وهكذا.

فكانت تنزل الآيات في بيان حكم الحوادث والإجابة على الاستفتاءات في أزمنة وأمكنة مختلفة مدة ثلاث وعشرين سنة حتى نزلت آخر آية من القرآن، وهي قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا { عشية عرفة، في حجة السنة العشرة على النبي ﷺ وهو بعرفة، يعني بين الظهر والعصر، فهذه آخر آية نزلت من الأحكام تبين كمال الدين؛ ولذا لما سمعها الصديق -رضي الله عنه- قال: نُعي إلينا نبينا ﷺ، يعني أشعرنا بقرب آجله ووشك رحيله، فهم من الآية هذه، ولم ينزل بعدها إلا آيات فيها مواعظ فقط ما فيها أحكام، من ذلك ما قاله المفسرون رحمهم الله: إن آخر آية أنزلت من القرآن مطلقاً هي قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

فهذا يدل على فضل رمضان، وأنه خيرة الله -جَلَّ وَعَلَا- من الشهور لعبادة الصوم، ولهذا أعطى الله الأمة خصائص في رمضان فضّلها على غيرهم. ومن ذلكم: أن من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه فهذا لونٌ من ألوان جود الله على العباد؛ أن يتطوّل عليهم بمغفرة الذنوب الكثيرة والعظيمة بصيام الأيام المعدودة اليسيرة.

ومن ذلك: أن «من قام رمضان إيماناً واحتساباً» يعني إيماناً بمشروعيته واحتساباً لمثوبته «غفر له ما تقدم من ذنبه»، وفي رواية ضعيفة: «وما تأخر»، دل على لونٍ من جود الله -جَلَّ وَعَلَا- على عباده، فإن الناس لا يقيمون الليل كله، كما قال تعالى: ﴿فَوَالَيْلَ إِلا قَلِيلاً﴾ [المزمل: ٢] في حق النبي ﷺ ثم قال: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَنْسَرَمْنُهُ﴾ [المزمل: ٢٠] يعني من القرآن في الليل، فُنسخ تكليف النبي ﷺ بقيام الليل كله؛ ولذا قالت السيدة عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: والله ما قام النبي ﷺ ليلةً قط، يعني كاملة حتى أسحر.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة» وأطول الأئمة صلاة اليوم ما يُجاوز الساعة؛ فهذا فضلٌ عظيمٌ على عملٍ يسيرٍ من الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى. ومن ذلكم من جوده جل وعلا على عباده: أن زمن رمضان كله وقت إجابة، فالذكر يُسمع، والعمل الصالح يُرفع، والدعاء يُستجاب في الليل وفي النهار وخصوصاً في الأسحار وعند الإفطار وما بين الأذان والإقامة ودبر الصلوات المكتوبات وفي أوقات غفلة الناس؛ فهذا من كرم الله وجوده على العباد؛ فرضٌ عظيمٌ لو أن الناس انقطعوا عن مشاغلهم وجلسوا في المساجد من أجل ذلك ما كان ذلك كثيراً.

ومن جوده -جَلَّ وَعَلَا- على عباده في شهر رمضان: أن له سُبحانَهُ وَتَعَالَى عتقاء من النار عند كل إفطار؛ كل يوم، فإذا صار آخر يومٍ من الشهر أعتق الله -عَزَّ وَجَلَّ- من عباده من النار مثل ما أعتق من أول الشهر إلى آخره؛ فضلاً منه وجوداً.

ومن ذلكم: أنه من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

وقال الله -جَلَّ وَعَلَا- عنها: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] يعني: العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في عمر مُعَمَّر يزيد عمره عن ثلاث وثمانين سنةً، فقيام ليلةٍ واحدةٍ يعدل عمر إنسانٍ مُعَمَّر عند الله -جَلَّ وَعَلَا-؛ كم ثواب هذا العمر؟ فهذا من ألوان جوده -جَلَّ وَعَلَا-.

ومن ذلك: أن الذي يتصدق ويصل الرحم ويحسن إلى مستحقه ويغيث الملهوف ويسعف المنكوب ويُقرض المقرض ويساعد المحتاج الضعيف ويهدي إلى الجار وغير ذلك من أنواع الإحسان المتعدي نفعه إلي الناس يُكتب عند الله -عَزَّ وَجَلَّ- من المحسنين، والله تعالى يحب

المحسنين، ويجزي المحسنين، ويجزي الإحسان بمثله؛ فمهما جُدتَّ فالله أجود منك؛ فلذلك انتظر من الله -عَزَّ وَجَلَّ- وتأمَّل كل خيرٍ، وأحسن الظن بالله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لكن أقرن رجاءك بالعمل حتى لا يكون الرجاء تمنياً، فإن الرجاء وحسن الظن بالله -جَلَّ وَعَلَا- إذا اقترن بالعمل صار رجاءً صحيحاً شرعياً وحسن الظن يُثاب صاحبه عليه، وإذا كان من غير عمل فهو تمني، والتمني رؤوس أموال المفاليس.

فلذا ينبغي الإنسان أنه يغتنم لحظات هذا الشهر؛ الليل والنهار؛ بذكره سبحانه وتعالى بذكره سبحانه وتعالى بأشرف الذكر الذي هو القرآن العظيم، وبذكره بالثناء: تسبيح الله تعالى وتحميده وتكبيره وتهليله وتقديسه وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصهم، وبدعائه سبحانه بسؤاله الحاجات على تفنُّن الرغبات، ولا يستقل المرء شيئاً يسأله الله -عَزَّ وَجَلَّ- حتى شسع النعل سير النعل إذا انقطع فإنه إن لم يُيسره الله لن يتيسر.

فهكذا ينبغي.

ويكثر الإنسان من الصلاة، فإن الصلاة خير موضوع، والناس مستقلٌ ومستكثرٌ، ولا يزال البر يُدْر على رأس المؤمن وهو يصلي.

وكان النبي ﷺ يقوم على قدميه مصلياً حتى تتفطر، فيقال له: كيف تصنع ذلك يا رسول الله، قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً».

وهكذا جميع خصال البر وأنواع الطاعات؛ العاقل يضرب فيها بسهم؛ رجاء أن يتقبله الله -عَزَّ وَجَلَّ- ويرفع درجته عنده، وينجيه من النار، ويورثه الجنة مع الأخيار، ويشفعه في والديه وأحب الناس إليه وأقربهم إليه؛ جزاء إحسانهم إليه؛ يحتسب المرء هذا كله عند الله، والله تعالى لطيفٌ بعباده غنيٌّ كريمٌ هو الرزاق ذو القوة المتين، هو الجواد الذي يحب الجود ويحب أهل الجود.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضي، وسلك بنا سبيل أولي التقي، وجعلنا مباركين أينما كنا، وأعنا على ذكره وشكره وحسن عبادته، ويسر لنا الخير في رمضان وأعاننا عليه ومنحنا الإخلاص له فيه وإصابة السنة وتقبله منا وضاعف مثوبتنا وجعل جزاءنا النجاة من النار والفوز بالفردوس الأعلى مع الأخيار.

والله أعلم، وصلي الله وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ.



صيغ الاستغفار وتطبيقاته

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدًا وعلى إله وصحبه.

أما بعد :

فتقدم في الدرس السابق ذكر جُملةٍ من فوائد الاستغفار، وحسن عواقبه على المستغفر في عاجل أمره وآجله.

ومن ذلك: أن الاستغفار يُكَمِّلُ نقص العمل، ويُكَمِّلُ الأجر، ويُمَحِّى به اللغو.

ومن ذلك: أنه سببٌ لِلتَّمَتُّعِ بالقوى البدنية والعقلية إلى أجلٍ مسمي.

ومن ذلك: أنه سببٌ في زيادة الفضل من الله -جَلَّ وَعَلَا- على العبد.

ومن ذلك: أنه من أسباب الغيث المبارك النافع، ومن أسباب هبة الذرية، وسعة الرزق، وصلاح الثمرات، ووفرة المياه، وإجابة الدعاء، وصراف العقوبة، ودفع البلاء، ومن أسباب الرحمة، ومن أسباب مودة الله -جَلَّ وَعَلَا- للعبد، إلى غير ذلك.

وبقي أن نعرف صيغ الاستغفار؛ تطبيقات الاستغفار، في آناء الليل وآناء النهار.

قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «سيد الاستغفار»، يعني أفضله وأشرفه وأكمله وأحسنه

«أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

قال ﷺ من قاله موقنًا به من ليلته فمات دخل الجنة، ومن قال موقنًا به من يومه فمات دخل الجنة.

ومعنى ذلك: أن الإنسان يبادر به فيجعله من أذكار الصباح والمساء؛ حتى لا يفوته، ويكرر هذا ما

شاء الله، كل ما صارت فرصة يكرر هذا، لكنه لا بد أن يأتي به مرة واحدة على الأقل حتى يكون الباب مفتوحًا له إلى الجنة وهكذا.

فالمقصود أن الصيغ متنوعة، والمناسبات متعددة يأتي ذكرها إن شاء الله.

فأول ذلك: أن الإنسان يختم نهاره بالاستغفار وبين غروب الشمس يقول: «رب اغفر لي وتب علي

إنك أنت التواب الغفور». يكرر هذا وإن زاد إلى مائة مرة فهو أنفع له.

ومن ذلك الاستغفار عند الإفطار؛ لأن الاستغفار الأول الذي قبل غروب الشمس هذا يُختم به الصحيفة، يُختم بعمل النهار؛ في الحديث عن النبي ﷺ قال: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثيرًا».

فيجب على الإنسان الاستغفار عند نهاية النهار والاستغفار عند الإفطار.

ومما روى عن النبي ﷺ في ذلك: أن العبد يقول: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي. قبل أن يفطر.

كذلك دُبر الصلوات المكتوبات، بل في الصلاة المكتوبة، كل صلاة مكتوبة شرع الله -عزَّ وجلَّ- للعبد أن يستغفر فيها، ومن هذا: أنه يقول في الركوع وفي السجود: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم فاغفر لي» وإن قال ذلك ثلاثاً فهو حسنٌ وما زاد فهو خير له، ويعجب الرب من العبد إذا قال ذلك في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي.

ومن هذا في السجود: زيادة أن يقول «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، أوله وآخره، علانيته وسره، ما علمت منه وما لم أعلم» وإن قال: «سجد وجهي لله الذي خلقه وصوره فأحسن صورته وشقَّ سمعه وبصره بحوله وقوته فتبارك الله أحسن الخالقين».

ويقول: «اللهم اغفر لي، اللهم اجعلها عندك لي ذخراً واكتب لي بها أجراً وامنع عني بها وزراً، واجعلها عندك لي ذخراً» فهذا حسن، وهذا في الغالب يُقال في دعاء سجود التلاوة، ولكن يقال أيضاً في سجود الصلاة.

بين السجدين: يقول: «رب اغفر لي وارحمني وارزقني وأهدني وعافني واعفو عني وأجبرني وارفعني وسددني» ويكرر: «رب اغفر لي، رب اغفر لي، رب اغفر لي».

وكذلك في الاستفتاح في الصلاة أيضاً: فإن من دعاء الاستفتاح أن تقول «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

ومثل ذلك في التشهد تقول قبل التشهد: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَكَبِيرًا، وَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

وإذ قلت كذلك : «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

فهكذا مثل ما تقوله في استفتاح الصلاة تقوله في ختام الصلاة، كل هذا مأثور عن صلى الله عليه وسلم.

كل هذه من صيغ الاستغفار: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت إلي آخره».

وكذلك «رب اغفر لي رب اغفر لي».

«سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

«رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الغفور».

«رب اغفر لي ذنبي كله واغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت».

كل هذه صيغ استغفار لها مناسبات ومواضع من الصلاة.

كذلك قول: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت

أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت» تقال هذه مثل ما سبق في دعاء الاستفتاح، وتقال

في دعاء دبر الصلاة آخر التشهد الأخير قبل التسليم، وتقال -خاصة- في الوتر من صلاة الليل قبل

التسليم أيضا.

كذلك بعد التسليم مباشرة يقول العبد: «استغفر الله استغفر الله استغفر الله»، ثم يذكر الله -عز وجل-

الذكر الذي يقال دبر الصلاة، ومن جملة الاستغفار بأنواع صيغ الاستغفار.

هذا كله متعلق بالصلاة لأجل سد خللها، وتكميل نقصها، ومن أجل زيادة أجرها يلازم العبد

الاستغفار.

كذلك فإن الإنسان عند فراغه من الذكر وقبل خروجه من المسجد يستغفر الله -عز وجل- ويكثر

إلى أن يقول مائة مرة وزيادة، وحض عليه النبي صلى الله عليه وسلم في جملة أحاديثه ضعيفة وحسنة، هذه مسألة يغفل

عنها كثير من الناس فنقول: «استغفر الله استغفر الله استغفر الله» أو تقول «رب اغفر لي وتب علي إنك

أنت التواب الغفور».

وهكذا عند النوم؛ الإنسان أقل شيء يقول: «استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم من

كل ذنب وأتوب إليه» ثلاثاً، تغفر خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل.

كذلك إذا استيقظ أثناء الليل: يستغفر الله -جَلَّ وَعَلَا- مما شاء من أنواع صيغ الاستغفار، وخصوصًا إذا استيقظ آخر الليل؛ إذا استيقظ بالصلاة، فإن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم أنى أستغفرك ذنبي وأسألك رحمتك ربي زدني علمًا ولا تزغ قلبي بعد أن هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

وكان يحض من استيقظ من منامه أن يحمد الله عشرًا ويسبحه عشرًا ويكبره عشرًا ويهلله عشرًا ويستغفر عشرًا ويعوذ بالله من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة أو ضيق يوم الحساب عشرًا ويخبر أنه إذا دعا بعد ذلك استجيب له وإن صَلَّى قُبِلت صلواته، فدل على أثر الاستغفار على العبادة.

كذلك الله -جَلَّ وَعَلَا- أثني على المستغفرين بالأسحار الذين أعد لهم الجنة والرضوان والأزواج المطهرة؛ ﴿قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ ۗ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيْرٌ بِالْعٰبِدِيْنَ﴾ [آل عمران: ١٥] الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَرَبَّنَا وَعَذَابُ النَّارِ ﴿١٦﴾ [آل عمران: ١٦] هذا الدعاء ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقٰدِرِيْنَ وَالْمُنْفِقِيْنَ وَالْمُسْتَغْفِرِيْنَ بِالْأَسْحٰرِ﴾ [آل عمران: ١٧]؛ فيغتنم الإنسان وقت السحر في الاستغفار؛ لأنه وقت يُسمع فيه الدعاء ويُغفر فيه الذنب، وتقال فيه العثرة، وتُقضى فيه الحاجة، ويؤمنُ الله -عَزَّ وَجَلَّ- على العبد بمزيد الهدى؛ لأن الله تعالى ينزل على ما يليق بجلاله وعظمته كل آخر الليل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فينادى عباده: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟

فهذه من الصيغ، ومن المناسبات.

كذلك الإنسان كلما دخل المسجد يقول: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم» ويقول: «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك».

وإذا خرج يقول ذلك: «اللهم افتح لي أبواب فضلك» والإنسان يدخل المسجد على الأقل خمس مرات في اليوم والليلة ويخرج خمس مرات؛ عشر، وهذه إذا اجتمعت بحسب العمر اجتمع للعبد ذخْرٌ كثيرٌ وأجرٌ وفيرٌ ما يغفل الإنسان عنها.

ومن ذلك: من أدنى المواضع وأقلها أن الإنسان إذا خرج من الحمام يقول: «**غفرانك**» إذا قضى حاجته وخرج من الحمام يقول: «**غفرانك**» يعني أسألك غفرانك، ما المناسبة؟
المناسبة مناسبتان:

الأولى: أن خروج الأذى، خروج البول والغائط **بِيسِرٍ** للإنسان **نِعْمَةٌ** من نعم الله على عبده يعجز عن شكرها، مهما شكر فإنه يعجز؛ فلذلك يستغفر الله عن عجزه عن قصوره عن الشكر بهذه النعمة.
من أدلة ذلك أن الفضيل بن عياض **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** دخل على أحد الخلفاء، فقال له الخليفة أمير المؤمنين: عطني يا فضيل، عطني وانصحي وأوجز. قال: رأيت إن احتجت إلى شربة ماء فلم تجدها إلا بشطر ملكك - نصف ملكك - أكنت باذله؟ قال: نعم، يعني ما أصبر عند احتباس البول أو الغائط، أبذل أي شيء. فقال له: يا هذا رأيت أن حبس الله تلك الشربة تلك الشربة فلم تخرج إلا بشطر ملكك الآخر أكنت باذله؟ قال: نعم، قال: **فَمَلِكٌ** لا يساوى شربة وبولة لا يغرنك. يعني: لا تلهو به عن طاعة الله، فذكره بمقدار هذه النعمة التي يحتاج أيها الخليفة وكل حي يحتاج إليه من الخلق.

دل على عظم النعمة، كم من إنسان انحبس بوله أو غائطه ونقل بالإسعاف وأجريت له عملية جراحية ربما أنه يحدث له مخرجا آخر غير هذا؛ لأنه اعترضه مرض، وأقل ما يذكر الإنسان من هذا أنه لو لم يستمسك المخرج: البول أو الغائط كيف يكون حال الإنسان مع الناس في العبادات؟
هذه نعم من الله عظيمة، فأقل شيء أن الإنسان يقول: «**غفرانك**».
وأول الشكر الاعتراف بالنعمة، ثم الاعتراف بالعجز عن الشكر.

كذلك كان النبي **ﷺ** يحض على ختام المجلس - أيًا كان المجلس - على أن يقول العبد: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**»، ويخبر أنه إذا قال ذلك فإن كان في المجلس لغو كانت كفارة له، وإن لم يكن فيه لغو، فيه خير؛ كانت كالطابع عليه، ختم عليه.
وكان يعد النبي **ﷺ** في سائر مجالسه التي يجلس فيها أن يقول: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور**» مائة مرة على الأقل وأحيانًا يقوله سبعين مرة.

فدل على أن المسلم يلازم الاستغفار آناء الليل وآناء النهار، ويكثر منه، وما ذاك إلا لأن العبد بين أمور: بين نعم من الله - عز وجل - لا تعد ولا تحصى وهو عاجز عن شكرها، فيستغفر تكميلاً للشكر

وبين أن الإنسان مهما اجتهد في أداء العمل الشرعي فإنه قاصر عمله، ناقص؛ «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» ولهذا شرع الاستغفار في ختام كل عمل، فلذلك يحتاج أن يستغفر تكميلاً لعمله. ومن ذلك: أن العبد يعلم أنه يقع في مخالفات لله -عزَّ وجلَّ- كثيرة يندم عليها، ويعزم ألا يعود إليها، ويقلع عنها، ويكثر من الاستغفار طلباً لصرف العقوبة المترتبة على الذنب، وللستر من الفضيحة في الدنيا والآخرة.

كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَمَنْ وَفَى فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ -يعني: الموبقات- فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء غفر له -يعني يوم القيامة- وإن شاء عذبه»، فالإنسان بحاجة دائماً إلى الاستغفار في هذه الأمور الثلاثة:

العجز عن الشكر.

والعجز عن أداء العمل الطاعات على أكمل وجوها.

والثالثة: أنه يعلم أنه يقع كثيراً في الخطيئات.

فيستغفر الله -عزَّ وجلَّ- قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ

عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ [المائدة: ٣٩]، وذكر أن عباده المؤمنين الأخيار يقولون: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ

﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥]، يعني غفرانك ربنا قبل المصير، وغفرانك يوم المصير.

فهذا يبين لنا جملاً من صيغ الاستغفار، ويبين لنا جملاً من مناسبات الاستغفار، وخصوصاً: ختام الأعمال، وعند حصول التقصير والإهمال.

فمواطن الاستغفار كثيرة، وصيغته متنوعة، والعبد يأخذ بهذا وهذا في سائر الأوقات وفي سائر الأحوال، فالاستغفار من عظيم وجليل الأعمال، ومما يُحبب إلى الله -عزَّ وجلَّ-.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وجعلنا هداة مهتدين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم علي نبينا محمد.



ملحظ نفيس عن الصيام

في قوله - تعالى - : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، تنبيهٌ على أن الصيام عبادةٌ ضروريةٌ،^١ مصلحتها كاملةٌ أو راجحةٌ، من مصلحتها صحة الأبدان، من مصلحتها صفاء العقول والأذهان، ومن مصلحتها قوة الإيمان، ومن مصلحتها النجاة من النيران، ومن مصلحتها الفوز بعليّ الجنان، ومن مصلحتها جوار الرب الرحمن، في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ.

فالصوم عبادةٌ ضروريةٌ جداً، هذا ملحظٌ لا بد من التنبه له.

وأوضح ذلك بمثلٍ كلنا نحسه ونعقله: الله - جَلَّ وَعَلَا - خلقنا فأحسن خلقنا - تبارك وتعالى -، فهيأنا لما خلقنا له، وأرشدنا إلى ما نُكَمِّلُ به خلقنا، ولذلك أرشد سبحانه وتعالى إلى قص الشوارب وإعفاء اللحي وشف الآباط والمضمضة والاستنشاق، وإلى السواك والتَّعَطُّر، وإلى الاستنجاء والاستجمار، من شأن تكميل الخلقة وتجميل الخلقة وتحسين الهيئة وتقوية البدن على المسؤولية؛ فهذا من تكميل الخلقة.

من تكميل الخلقة: أنه - تعالى - جعل أشياء نتصرف فيها نحن، فتُغْمَضُ عينيك وتُحَرَّكُ جوارحك وتفتح فاك إذا شئت وتُغْلَقُ، وتُأْكَلُ وتُشْرَبُ وتتداوى، هذه الأمور وَكَلَّهَا اللهُ إِلَيْكَ، إن أحسنت انتفعت، وإذا احتسبت أُجِرْتَ، وإن أسأت تضررت، وإذا تعمدت أثمت، هذا في بدنك أنت؛ لأنه في إمكانك أن تقوم بهذه الأمور، ولأن الله تعبدك بذلك.

وأشياء من بدنك من خلقتك، ما وَكَلَّهَا اللهُ إِلَيْكَ؛ لأنه لو وكلها إليك لضيعك؛ لأنك تُضَيِّعُ نفسك، فنبضات القلب وجريان الدم في العروق وحركة الرئتين والتنفس وغير ذلك، هذه جعلها الله - عَزَّ وَجَلَّ - من مسؤوليته هو، وجريان الدمع في العينين وجريان الريق في الفم، وجريان السائل في الأنف وما تحتاج إليه المعدة في الهضم، كل هذه أشياء ما وكلها الله إليك ولا إلى غيرك من الخلق، وإنما جعلها له سبحانه وتعالى فتعمل وتؤدي وظائفها وأنت في يقظةٍ أو في نومٍ، في شغلٍ أو في فراغٍ، في جدٍّ أو في هزلٍ، في أمنٍ أو في خوفٍ؛ لأن حياتك لا تستمر إلا بهذا، فهذه ضروريةٌ جداً فلذلك تكفل بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كذلك العبادات: فشرع لك سبحانه العبادات الضرورية، جعلها حتميةً ما هي باختيارك، فجعل مثلاً الصلاة لها أوقات محددةً ما تُقدَّمُ عليها ولا تُؤخَّرُ عنها، وجعل الزكاة كذلك قدرًا من المال يُنفق على

الخاص والعام والقريب والبعيد، وقدرٌ يسيرٌ يُحفظ به نماء المال وبركته، وينال من الأجر والثواب عند الله -جَلَّ وَعَلَا-، وجعلها بشرائط: باستكمال النصاب، ببلوغ الحول، بتمام الملك، بكذا بكذا بكذا. وهكذا الصوم جعله الله -عَزَّ وَجَلَّ- في زمانٍ محددٍ، وقت رمضان، نهار رمضان وقت الصوم، فإذا أدت الصوم الفريضة في غيره من غير عذرٍ لا يقبل الله منك، ولو أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- جعل لك اختيار وقت فريضة الصوم لضاعت حياتك وتنكدت معيشتك وخسرت العمل الصالح؛ ألا ترى أن من الناس من يكون عليه الصوم قضاءً اليوم واليومين والثلاثة، فيأتيه رمضان قابل وهو ما صام، وهو يوم أو يومين؛ فكيف لو وكل الله إليك ثلاثين يومًا أو تسع وعشرين يومًا؟، تُضيع نفسك، وتُهلك نفسك، واختار الله لك أفضل أوقات الصيام، وأحب وقت الصيام عنده سبحانه وتعالى، واختار لك أفضل ما يكون أجر الصيام، وأحسن ما يكون أداء الصيام؛ تؤديه مع غيرك أنشط لك؛ لأن الشيء إذا كان معك ومع غيرك صار أنشط للأداء، لو كان وحدك تكسل، تشعر بالوحدة والعزلة؛ فلذلك الله تعالى اختار وقت الصوم الفريضة، ما جعلها على هواك، شرَّعه على حكمته -جَلَّ وَعَلَا-.

وهكذا: ففي شرائع هو سبحانه وتعالى تكفل بتشريعاتها، وفي تحديد أزمانها، وكيفية أدائها، والإلزام بأدائها في ذلك الزمن، وعلي نفس الوصف رحمةً منه بعباده وإعانة لهم وتهيئة لهم للخير.



خطبة:

تنبيهات يجب يحذرنا الصائم

كذلك من المهمات بالنسبة لبرنامج الصائم: أن يُحافظ على الفرائض؛ لأنها رأس المال، وإنه لمن العجب المُحير أن الإنسان تفوته الفريضة في رمضان، فريضة الصلاة تفوته في رمضان؛ عجيبٌ هذا، أين ابتغاء فضل الله؟!، أين الرجاء من الله؟!، أين الطمع في رحمة الله؟!، أين الخوف من شؤم الذنوب وعواقبها في الدنيا والآخرة؟!، كيف تفوتك صلاة الفريضة وأنت صائم؟!، تريد رحمة الله بالصوم وتضيع الفريضة التي هي أعظم من الصوم؟!، لا يُقبل الصوم ما لم تُقبل الصلاة؛ افهموا هذا، فإن العمل يُنظر فيه أول شيء: إن وُجدت الصلاة نُظر فيه، وإن لم تُوجد لم يُنظر فيه، فإذا نُظر وُجدت فيه: إن وُجدت تامةً كُتبت تامةً، وإن وُجدت ناقصةً قال الله تعالى للملائكة عليهم السلام: انظروا هل لعبدي من نوافل؟ فَيُتم بها ما انتقص من الفريضة، ثم يُسار بعمله على هكذا، نَقَصَ فريضة الزكاة تُكَمَّل من النافلة، ونَقَصَ الصوم يُكَمَّل من النافلة، ونَقَصَ الحج يُكَمَّل من النافلة، ونقص التوحيد يُكَمَّل من الأذكار والدعاء.

فلا بد إن الإنسان يحافظ على رأس المأل، أن يُعنى بالفرائض، ترى أدائك للفريضة وحده أفضل من قيامك الليل كله.

وسئل ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن رجل يُصلي الليل وينام المكتوب، قال: هو في النار.

الثاني: أن الإنسان يتقي موجبات الإثم، يحذر الغيبة، يحذر النسيئة، يحذر الكذب، يحذر البهت، يحذر النظر الحرام، يحذر استماع الحرام، ما ينظر إلي صور النساء المتبرجة والعارية، ولا يسمع غلى الأغاني والموسيقى وآلات اللهو، ولا يسمع للأكاذيب ورسائل الجوال التي فيها الفضول وفيها الاستهزاء والسخرية والنكت التي تُشغل الإنسان عن الخير وتُقسي قلبه، ترى هذه مصائب وأبواب شرٌّ فُتحت على الناس، كذلك يحذر النوم في النهار، ينام بقدر؛ النوم يكفي الإنسان من أربع وعشرين ساعة ست ساعات، فيحذر النوم في النهار؛ لأنه حرمان، الإنسان يكون محروماً إذا نام؛ لا يقرأ قرآن، لا يذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لا يستغفر، لا يدعو، فيحذر هذه نقيصةً موجبة للخسران والفشل.

كذلك: يحذر من سهر الليل، لأن سهر الليل هو المُوجب لنوم النهار، فيكون خسران في الليل وخسران في النهار، في الليل أكثر الناس يسهرون على لهو، يسهرون على محرمات، يُتابعون القنوات؛ والقنوات تُعدُّ طول السنة لإفساد الناس في رمضان، تُعدُّ برامج سنوية تُهيأ لرمضان؛ لصد الناس عن

المساجد وعن الصلاة وعن القرآن وعن الذكر؛ ولتقسية قلوبهم حتي لا تلين بذكر الله وطاعته، فهي مهينةٌ ومجهزةٌ لأسباب القسوة وأسباب ظلمة القلوب والمصائب وأسباب الحرمان من الخير، فينام الإنسان من الليل ما كتب الله له، ساعة من الليل تعدل ثلاث ساعاتٍ من النهار، فإذا نمت ساعتين من الليل عادت ست ساعات من النهار، فينبغي الإنسان يكون عنده منهج، والنبى ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها؛ طول السنة فكيف في رمضان؟!، يصير الإنسان يسهر خلاف السنة وينام خلاف السنة، ويطمع في الأجر والرحمة هذا عجيب!، كيف؟!،

تعصي الاله وأنت تزعم حبه
وهذا وربك في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

فينبغي الإنسان يحافظ علي برنامجيه، يكون برنامج حافل بالخيرات، وأول هذا البرنامج ما ذكرت: تبدأ الليلة من المغرب، تكون تتهياً أنت للإفطار وللدعاء عند الإفطار والمحافظة علي صلاة الجماعة؛ بعض الناس تكون صلاة الجماعة وهو يأكل، كن علي خير: أفطر وروح صلي وارجع كمل، وبعض الناس يتأخر عن التراويح أو ما يكمل التراويح كأنه يَمُنُّ علي ربه بعمله، يُصلي تسليمتين ويطلع، هذا غرورٌ وهذا استكبارٌ وهذا إعراض عن الهدى، هذا مجانبة لمنهج الصالحين، كن مع الصالحين يصلحك الله معهم، هذا ينبغي الإنسان أن يعتني، يقول النبي ﷺ: «مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» أطول الأئمة صلاة اليوم من يصلي ساعة، هذا نادرٌ تراه؛ فتُحصل بقيام ساعة قيام ليلة، وأنت تبخل علي نفسك: تصلي تسليمتين وتقوم تجر ثيابك ورجليك كأنك مَانِنٌ علي الله بعملك، كيف يكون هذا؟!، تواضع لله يرفعك الله، استرحم الله يرحمك، استغفر الله يغفر لك، ادع الله يُجيبك، شارك المسلمين في دعوتهم؛ لأن دعوتهم تُحيط من وراءه؛ فينبغي الإنسان لا يغفل.

ثم كذلك في الليل: يكون له قدرٌ من قراءة القرآن، يجلس بعد التراويح؛ عشان تواظب عليه، اجلس بعد التراويح في المسجد وقرأ ما كتب لك، السلف منهم من يَختم القرآن في ثلاثٍ في رمضان، وروي عنهم إنهم يختموه في ليلةٍ في رمضان: يوم وليلة، وأنا أعرف ناساً اليوم يختمون في يوم وليلة في رمضان، فاجلس اقرأ القرآن، اقرأ في أثناء الليل، اقرأ عند السحر، اقرأ بعد الفجر، فالمهم إنك إذا حافظت علي هذا.

علي سنة الإفطار: الدعاء عند الإفطار، بعض الناس ما يدعو، يأكل ولا يدعو، تأكل نعمة الله عليك ولا تذكر الله؟!، ما تسم ما تدعوه، تقول: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي»، «بسم الله، الحمد لله، اللهم لك صمت وعلي رزقك أفطرت فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، تقول: «اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، اللهم اغفر لي ولوالدي ولأهلي ولذريتي وللمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات»، دعاء لك وللمسلمين، «اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بكم من النار، اللهم أعتقني من النار»، عند كل إفطارٍ إعتاقٌ من النار، ادع الله أن يجعلك من العتقاء من النار، كل يوم يُعتق من النار عند الإفطار.



مهمات
مما ينبغي في ختام الشهر

الحمد لله الذي من علينا بالحياة، وأسبغ علينا نعمه مع المعافاة، وأوضح لنا منهاج هداة؛ لتعبد له به سبحانه بما يُحبه ويرضاه، أحمده سبحانه على حُسن تدبيره، وأشكره -جل ذكره- على إنعامه وتسخيره، وإكمال دينه وتيسيره، وأسأله بمنه وكرمه لُطفه بالجميع بقضائه وتقديره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فلا معبود بحق سواه، فما أسعد من تعبد له بهداة، وما أشقى وأخسر صفقة من توجه بشيء من العبادة لغير الله.

وأشهد أن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله ومصطفاه، أتقى الناس لربه، وأقومهم بحقه، وأكثرهم لهجاً بذكره، وأعظمهم قياماً بشكره، وأصدقهم اعترافاً بالقصور في أداءها وتوفية حقه، وطلباً وإحاحاً على الله -عز وجل- بخالص عفوهِ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه السابقين إلى الإيمان ونصرته، والناقلين لهديه ﷺ وسنته.

أما بعد :

فيا أيها الناس: أوصيكم ونفسي بالتقوى، وقوة التمسك بالعروة الوثقى، وحسن ختام الأعمال، وصدق التوبة والاستغفار لذي الكرم والجلال، فإن تلکم الخصال أبواب هدى وإفادة، ومعالم سعادة، ونعم ما يوافي به العبد معاده.

عباد الله: إن مضي الشهر يُذكر بسرعة انقضاء العمر، ووَشك انقطاع العمل والأثر، ومُفاجأة فراق الدنيا وسكنى القبر؛ فاعتبروا بتصرم الليل والنهار، وكيف أنهما يُفنيان الأعمار ويمحوان الآثار، ويفضيان بالأنام إلى دار القرار؛ حتى يصيروا إلى الآجل المحتوم، ويقفوا غداً بين يدي الحي القيوم، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

معشر المسلمين: تذكروا شأن آخر هذا الشهر، فبقية من ليالٍ عشر، وقد تكون فيها ليلة القدر، وتذكروا أن الله تعالى يُعتق من النار في آخر ليلة من الشهر مثل ما أعتق من أول ليلة منه إلى آخره كما في صحيح الخبر، وتذكروا أن نبيكم ﷺ كان يخص هذه العشر بمزيد اجتهادٍ وعناية، فكان ﷺ يشد من مئزره، ويحيي ليله، ويوقظ أهله، يتحرى ليلة القدر؛ التي ثواب قيامها يعدل ثواب الصيام والقيام في سائر الشهر.

معشر المؤمنين: وتذكروا أن الاعتبار بالسبق إنما يكون في آخر المضممار، فهكذا الاعتبار في المسارعة والاستباق إلى الخيرات والخصال الموجبة للعتق من النار والفوز بالجنات؛ فأثبتوا على صالح العمل، وتوبوا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- من العمد والخطأ والزلل، واجتهدوا في كل خير وبر حتى تَرْتَفِعَ درجاتكم عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

أيها المسلمون: إن الاستغفار الصادق يُكَمِّلُ نَقْصَ العمل، ويسد الخلل، وتعلو به الدرجة والمقام عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ ولذلك أمر به تعالى العباد في ختام العبادات من الصلاة والزكاة والحج والجهاد والمجالس واليقظة والمنام وحياة الأنام؛ لما فيه من موجبات الفلاح والإسعاد؛ فإنه يقوى الإيمان، ويقرب من الرحمن، ويرغم الشيطان، ويكمل النقصان، ويستجاب معه الدعاء، ويصرف بسببه البلاء، وتحفظ به النعماء، ويزداد به من الهدى، ويجعل الله -عَزَّ وَجَلَّ- لأهله ودا، ويرزقهم مالا وولدا، ويستنزل به الغيث، وتستدر به الرحمة، ويدفع عن أهله به العقوبة والنقمة، ويبارك لهم في الثمار، وينجى به أهله من النار، ويسكنون في جنات تجري من تحتها الأنهار، فاختموا عباد الله بالاستغفار شهركم، وكمّلوا به صالح عملكم، واعترفوا بقصوركم وعجزكم، والتمسوا به عفو وفضل ربكم.

أيها المؤمنون: واختموا شهركم بإخراج زكاة فطركم من قوتكم؛ أداءً للفريضة، وزخراً لكم؛ تشكرون بها ربكم، وتواسون بها فقرائكم ومحاوليكم، وتتطهرون بها من لغوكم ورفثكم، وتكملون بها إيمانكم وعملكم، وتحيون بها سنة نبيكم ﷺ وأسوتكم، وتتبعون بها السابقين الأولين من سلفكم؛ لتلحقوا بهم في الصلاح والفلاح وعظيم الأرباح.

معشر المؤمنين: الواجب في الفطرة صاع بصاع نبيكم ﷺ، ويقدر بأربع حفنات من الحبّ الجيد بكفّي الشخص المتوسط خلقة اليدين، ويقدر أيضاً بكيلوين وزيادة في معاصر الموازين، يخرج ذلكم المقدار عن كل شخص أدرك ليلة العيد من: ذكرٍ أو أنثى، صغيرٍ أو كبيرٍ، غنيٍّ أو فقيرٍ، سيدٍ أو مسودٍ، تخرج هذه الصدقة ليلة العيد، وأفضله قبل الصلاة، ويجوز تقديمها قبل العيد بليلة أو ليلتين، كما ذكر الثقات الأثبات، وهي صدقةٌ مُعلنةٌ، وشعيرةٌ في البلد ظاهرةٌ، تُخرج عيناً طعاماً لا قيمة، وتُعطى لمستحقها مناولَةً أو لوكيله، ولا حظ فيها للغارمين ولا للعاملين ولا للمكاتبين ولا للمجاهدين، وإنما

هي خاصة بالفقراء والمساكين؛ ليشاركوا الناس فرحة العيد، ويذكروا فضل الله تعالى بكمال الشهر على العبيد؛ فأدُّوا الزكاة على نهج الهدى، فقد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلي.
بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا جميعًا بما فيه وما أنزل له من الهدى والبيان.
أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين والمسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ .

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا أسباب سخط الجبار، فإن أجسادكم على النار لا تقوى، وأكثرُوا من الدعاء والضراعة بالقبول للعمل، والتجاوز عن التقصير والزلل، وطلب العتق من النار، والفوز بجنات تجرى من تحتها الأنهار. اسألوا الله -عَزَّ وَجَلَّ- لكم ولوالديكم وأزواجكم ولذرياتكم وذويكم وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات فإنكم في زمن إجابة وفي أوقات إثابة.

معشر المسلمين: وكبروا الله تعالى ليلة العيد، وقبل صلاة العيد على ما هداكم، واشكروه سبحانه وتعالى على ما أولاكم، قائلين: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد. الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلاً؛ اجهروا بذلك في المساجد والأسواق والبياديين وحيث التقى الرفاق؛ إحياءً للسنة، وطمعًا في حسن الأسوة، وإظهارًا للشعيرة، وإغاظةً لأعداء الملة، وتكميلًا للعبادة، واعترافًا بالنعمة، وطلبًا للحسنى والزيادة.

أيها المسلمون: واشهدوا صلاة العيد في المصليات أو المساجد رجالًا ونساءً كبارًا وصغارًا سادةً ومسودين؛ تشهدوا الخير ودعوة المسلمين، وتظهروا ذكْرَ رب العالمين، وتغيظوا الكفار والمنافقين؛ فإن صلاة العيد أوجب وأظهر شعيرة في ختام الشهر، ألا وإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذِكْرُ الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

معشر المؤمنين: إن إظهار الزينة والفرح والاعتباط والاجتماع وتبادل التهاني في العيد ويوم العيد وأثنائه من السنن المأثورة والخصال المبرورة المشكورة، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ

فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس: ٥٨] ، وكان النبي ﷺ وأصحابه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-

والتابعون لهم بإحسان -رحم الله الجميع- على هذا السنن؛ يحتفون بالعيد أول النهار وأوسطه، يشكر أحدهم ربه، ويذكره ويثني عليه في إعلانه وأسراره، ويهني إخوانه ويدعو لهم بالبركة والقبول؛ اغتباطًا بفضل الله تعالى، وطلبًا للمزيد وحسن العقبى لنفسه ولأحاد المسلمين، وتقربًا إلى الله تعالى بإظهار

العيد وإشهاره؛ فلا تُفرطوا في صلاة عيدكم من أجل النوم، ولا تخفوا الفرح والاعتباط بالعيد وإشهاره مُجاريةً لأراذل القوم، بل اجعلوا عيدكم نهارًا وأول النهار جهارًا وأظهروا شعاره والاعتباط به إعلانًا وإصرارًا، واجعلوا ذلك لكم ولمجتمعكم دثارًا وشعارًا؛ تسلكوا سبيل السلف الصالح، وتفوزوا بالمتجر الربح، فهكذا ينبغي أن يكون أهل الإسلام؛ لا يتوانوا ولا يأخذوا بمظاهر أهل الغفلة والكسل ولا يُجاملوا ضلال الأمم وأهل الملل.

فاتقوا الله عباد الله في عيدكم؛ أظهروا شعاره؛ لا تناموا عنه، ولا تحرموا خيره؛ فإن الجوائز تُقسم على المصلين يوم العيد، اطلبوا فضل ربكم ورحمته، واجتهدوا في عبادته وطاعته، وتوبوا إليه من التقصير في حقه، وصلوا علي نبيكم ﷺ الذي لا خير إلا ذلكم عليه، ورغبكم فيه، وكان ﷺ أسوتكم في المبادرة والسبق إليه، ولا شر إلا نبأكم عليه وزجركم عنه، وكان ﷺ أسوتكم في البعد والنهي عنه، صلوا عليه كثيرًا فإن الله تعالى قال قولاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال ﷺ: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه به عشرًا».

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن آل بيته الطيبين الطاهرين، وخلفاءه الراشدين، وصحابته الأئمة المهديين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلي يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

اللهم اختم شهرنا بالقبول والغفران، واعتقنا من النيران، وأسكننا المنازل العالية في الجنان.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، ودمّر أعداء الدين، وألطف بعبادك الضعفاء والمساكين المهجّرين والمشردين يا رب العالمين.

اللهم ألطف بعبادك، وأنجهم من الظلمات والهلكات والغموم والهموم.

اللهم وفقنا لما تحب وترضى، واسلك بنا سبيل أولى التقى، واجعلنا مباركين أينما كنا.

اللهم اجعلنا ممن فاز بليلة القدر، وفاز بما جعلت فيها من الأجر والذخر، يا رب العالمين يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا وأزواجنا وذرياتنا وذوينا ومشايخنا وولادة أمرنا وجميع المؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

اللهم اغفر لنا أجمعين، وَهَبِ الْمَسِيئِينَ منا للمحسنين، وَعُمَّنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم ثبتنا على دينك، اللهم ثبتنا على دينك واجعلنا مباركين أينما كنا يا رب العالمين.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾

[الصافات: ١٨١].



الفهرس العام

- ٣ فضل طول العمر على الطاعة
- ٧ خصائص شهر رمضان
- ١٤ شروط فرضية صيام رمضان
- ٢٢ تعريف الصيام وحقيقته
- ٣٠ فضل الصوم
- ٣٧ فوائد صيام رمضان
- ٤٣ خطبة : شهر رمضان شهر صولات وجولات بين جند الرحمن وجند الشيطان
- ٥٣ صلاة شهر رمضان بالقرآن
- ٦١ أتبع السيئة الحسنة
- ٧١ أصول النعم في سورة النحل - الجزء الأول
- ٧٩ أصول النعم في سورة النحل - الجزء الثاني
- ٨٨ الحث على المبادرة إلى الخير
- ٩٦ العناية بتقوية الإيمان في قلوب الناشئة
- ١٠٦ تنوع خصال الخير والبر في رمضان
- ١١٤ وصية النبي صلى الله عليه وسلم : «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»
- ١٢٢ خالق الناس بخلق حسن
- ١٣٢ أحكام الزكاة وفرضيتها
- ١٤١ أحكام الزكاة: زكاة الفطر
- ١٥١ أحكام الزكاة : مال اليتيم
- ١٥٩ مَنْ تدبر القرآن تدبر شأن الدعاء - الجزء الأول
- ١٦٨ مَنْ تدبر القرآن تدبر شأن الدعاء - الجزء الثاني
- ١٧٦ فضل الاستغفار
- ١٨٤ فضل الإنفاق والكرم

- خيركم ١٩٢
- من طال عمره وحسن عمله ١٩٢
- العشر الأواخر وعشر ذي الحجة ١٩٨
- التقوى ٢٠٦
- صفات المؤمنين الكمل في سورة المؤمنون ٢١٧
- فضل تلاوة القرآن ٢٢٧
- فضل صلاة الجماعة ٢٣٥
- آداب الإسلام في سورة الحجرات - الجزء الأول ٢٤٤
- فضل الإكثار من ذكر الله ٢٥٤
- الإشارة إلى جملة من خصائص وفضائل شهر رمضان ٢٦٥
- الحض على الدعاء بشهر الصيام ٢٦٩
- ليلة ٢٧ ٢٧٥
- وانتصف الشهر ٢٧٩
- الأموال الزكوية ٢٨٢
- الحض على فعل النوافل ٢٨٨
- الزكاة قرينة الصلاة ٢٩٤
- المبشرات لعباد الرحمن ٣٠٢
- المفطرات عليها، والمختلف فيها مع تنبيه مهم: بشأن التقويم ٣٠٩
- بعض الأحكام المتعلقة بسفر ومرض الصائم ٣١٧
- تأملات في سورة المجادلة ٣٢٣
- تحري مواطن الإجابة ٣٣١
- تفسير بديع لآية الكرسي ٣٣٦
- يا عبد الله : ليحبك الله كن محسنًا - المجلس الأول ٣٤٧
- يا عبد الله : ليحبك الله كن محسنًا - المجلس الثاني ٣٥٣
- وانتهت العشر ٣٦١

- ٣٦٨ تنبيهات لطيفات بشأن زكاة الفطر.
- ٣٧٥ جمال الذكر وصيغته
- ٣٨٥ حالنا مع الاستغفار
- ٣٩٧ فضل تلاوة القرآن بشهر رمضان
- ٤٠٠ كلمات إبراهيم الخليل
- ٤٠٩ هَدَى النبي البشير في العشر الأخير
- ٤١٥ خطر الشائعات، والتحذير من: القول على الله بغير علم
- ٤٢٤ شرح جميل ومختصر لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)
- ٤٣٠ عِظَمُ شَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَبَيَانُ بَعْضِ مِنْ فَضَائِلِهَا
- ٤٣٨ شرح حديث: «فاسْتَكْثِرُوا مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ»
- ٤٥٠ الذِّكْرُ الْمُفْرَدُ
- ٤٥٧ الذِّكْرُ الْمُضَافُ وَالْمُضَاعَفُ
- ٤٦٥ أركان الذكر وأحواله
- ٤٧٠ «من جامع العويضة» عن الذكر
- ٤٧٧ أسماء النار وأحوال يوم القيامة
- ٤٨٥ خطبة: التذكرة بأعمال ما بعد رمضان
- ٤٩١ خطبة: التذكرة بشأن الزكاة
- ٤٩٧ التنبيه لبعض مظاهر المعتكفين المعاصرة
- ٥٠٣ الحسبة في الأعمال
- ٥١٠ تنبيهات بزكاة الفطر
- ٥١٦ جود الله على عباده بشهر رمضان صنوف
- ٥٢١ صيغ الاستغفار وتطبيقاته
- ٥٢٨ ملحظ نفيس عن الصيام
- ٥٣١ خطبة: تنبيهات يجب يحذرنا الصائم

٥٣٥مهمات مما ينبغي في ختام الشهر
٥٤٢الفهرس العام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ